خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

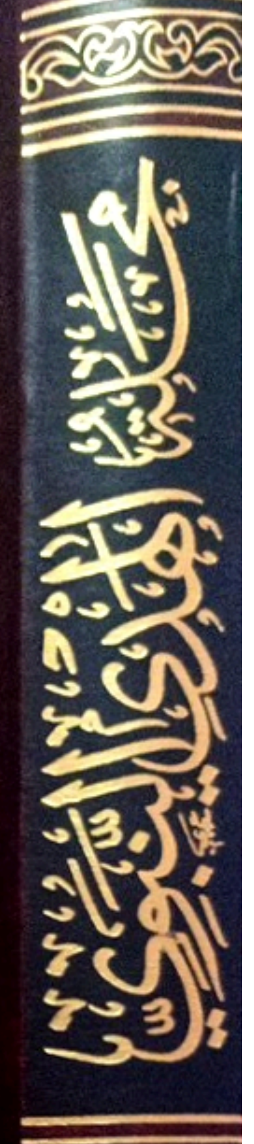
وممن كتب فيها

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب
الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت/ ٠٤٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٢٤٠

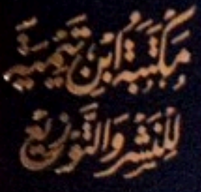






١٣٦٢هـ







خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت: ٣٥٨٦٤٢٤٠

رقم الإيداع: 2010/2396

العدد ١٥ مليما الاشتراك ٣٠ قرشا

المحرم سنة ١٣٦٢ العدد الأول السنة السابعة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة دينية علمية إسلامية (شهرية مؤقتاً)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصري والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

فاتحة السنة السابعة

نحمدك اللهم ياذا الجلال والاكرام على ماوفقت وهديت ، ونشكر لك مامنحت وأوليت ، ونسألك العون على الرضا بما قدرت وقضيت ، ونستعينك موقنين ، ونعبدك مخلصين لك الدين ولو كره الكافرون .

ونشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، فى سمو عظمتك وكمالك ، وعلو كبريائك وجلالك ، ومحيط علمك وباهر قدرتك ، وعظيم حلمك ، وواسع رحمتك ، وشديد بطشك وأخذة نقمتك ، وكريم عفوك وسابغ نعمتك ، تعاليت عن الكفو والمثيل ، والشبيه والنظير ، أنت الغنى وكل ماسواك إلى فضلك فقير . السعيد من وفقته وهديته ، والشقى من خذلته وأضللته . أبدعت كل شىء بعلمك وحكمتك وقدرتك ، وسرى لطفك فى العوالم كلها من مدار الأفلاك ، إلى مسبح الأسماك ، أدرت حركة الزمان ولم تدر عليك حركاته ، وبسطت أرجاء المكان ولم تحتو عليك جنباته . ثم استويت على العرش استواء لايعلم حقيقته إلا أنت . سبحانك عما يقول المشبهة المارقون ، وتعاليت عما يصف المجسمة الضالون ، ليس كمثلك شىء وأنت اللطيف الخبير . كل مافى السموات والأرض مظاهر لأسمائك وصفاتك وشواهد على عظمة ذاتك ، لك الخلق والأمر وأنت أحكم الحاكمين

ونشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك ، وصفيك وخليلك . أرسلته كافة للناس ، ليطهرهم من الأرجاس ، ويزكيهم من الأدناس . وليكون دليلهم فى طريقك وهاديهم الى سبيلك ، وقائد المصطفين منهم الى دار كرامتك ، ومستقر رحمتك ، ولينذر الجاحدين والمارقين ما اعتدت لأمثالهم من العذاب الأليم ، والألم المقيم بين اصطباب الحميم ، واحتدام الجحيم . سعد من سار على سنته وعاش ومات على ملته ، واقتدى بهداه ، واستنار بسناه . وخاب من خالف عن أمره وعصاه ، وتردى فى حمأة غيه وابتداعه وهواه ، وتابع شيطانه فأغواه وأضله وأرداه .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ؛ ما اعتصم بحبل الله المتين معتصم. واستمسك مستمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام.

أما بعد ، فها هى تيك مجلة الهدى النبوى تصافح عامها السابع وتلقاه بالأمل الباسم ، والعزم الرائم . وهى كعهدك بها منذ استشرفت للظهور ، وأشرق على محياها النور ، قوية فى الحق ، ثابتة على المبدأ ، مستقيمة على الطريقة ، لا تداجى ولا تمارى ، ولا تداور ولا تملق ، وإنما ترسل كلمة الحق صريحة جريئة ، لا تعرف التردد ، ولا تعرفها الهزيمة . هدفها هدم الباطل ونسف بنيانه ، ونصرة الحق ودعم أركانه ، وتقويض دعائم البدع والخرافات والأباطيل والترهات وإقامة صروح السنة الصحيحة والدعوة الجادة إليها ، وإعلاء كلمة التقوى والحض على الاجتماع عليها .

* * *

مضت هذه المجلة الناشئة فى طريق الاصلاح ، وسلكت سبيل المصلحين وسبيل الاصلاح محفوفة بالمكاره ، تتخللها المتاعب والمصاعب ، فسارت تقتحم العقاب ، وتتخطى الصعاب ، وتجتاز الأخطار ، وتطأ الأشواك ، فما وهنت لما أصابها فى سبيل الحق ، وما ضعفت وما استكانت ، ولا لانت لها قناة ، ولا فلت الآلام لها شباة .

أرأيت السهم المريش إذا انطلق إلى هدفه لا يلوى على شىء ؟ أرأيت السحاب القندسى تزجيه الرياح فى آفاق السماء لا تنال منه صيحات الصائحين ، ولا صرخات الصارخين ؟

أرأيت القذيفة تنطلق فى الجو ماضية مصممة لا يصدها صاد ، ولا يردها راد ؟

تلك أمثال الهدى النبوى فى مضيها فى سبيل الحق ، وسيرها على النهج السوى الذى رسمته لنفسها ، وصدقها ما عاهدت الله عليه من الذود عن الحق حتى يظهره الله ، والدفع فى صدر الباطل حتى يزهقه الله .

سارت باسم الله مجريها وانتشارها ، ونموها وازدهارها ، لم يلحقها ضعف الطفولة ، ولا رعونة الحداثة ، فما عرفت الحبو ولا تعثر الخطوات ، ولكنها ولدت

مستوية بالغة أشدها، جادة فى سيرها، فصيحة فى مقالها، ناطقة بالحكمة فى مهدها.
لم تكن تاجرة تتملق قراءها، وتحرص على رضاهم، وتجرى على هواهم، بل مملة مجاهدة، تصدع بالحق ولو أغضب أحب الناس اليها، وأقربهم مودة لها، وأكثرهم براً بها، لا كتلك المجلات التى تحمل أسماء دينية وتتخذ دين الله ذريعة تستتر من ورائها لتحتال على اصطياد رزقها، ولا تخجل أن تنشر فى عدد واحد مقالين مختلفين، هذا يرضى طلاب الحق، وهذا يسر عشاق الباطل، ثم تضفى على كتابهما نعوت العلم والفضل والجلال والجهاد، مادام ذلك يزيد فى كسبها، ويدر أخلاف رزقها.

نافحت هذه المجلة الناهضة عن سنة رسول الله ﷺ بكل ماتملك من قوة وبأس، وشدة مراس، ورباطة جأش، وثبات على الحق، وغيرة على الدين، وقوة فى اليقين. حتى شيدت صروحها، ورفعت منارها، وصوبت الى صدور البدع والخرافات أسنة وحرابا، وأعملت فى نحورها صارماً قرضابا، حتى أرغمت أنفها، وأوردتها حتفها وتركت دارها خرابا، وربعها يبابا.

وطالما روّت ظمأ القراء إلى الحقائق تتوق أنفسهم اليها، وتهفو قلوبهم إلى الوقوف عليها.

رأت أن الدين لايستقيم لأهله إلا إذا قبسوا نوره من مشكاة النبوة، ولا ينجع شرابه إلا إذا اغترفوه من هذين الينبوعين الصافيين النقيين: كتاب الله وسنة رسوله، فعمدت الى كتاب الله تفسره تفسيراً حراً خالصا خالياً من انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وإسراف المسرفين، وخرف المرورين.

سلكت فى التفسير سبيلا هى نسيج وحدها، زهدت فى هذه الفلسفة اللفظية التى لاغناء فيها، والتى لايرجى منها تهذيب نفس، ولا تنقية قلب، ولا تزكية روح ولا تصفية وجدان، ولا تقويم خلق، والتى أنفق المفسرون فيها أعمارهم، وأفنوا جهودهم، وأتعبوا قراءهم، وصرفوهم عن تدبر كتاب الله، والنظر فى آياته إلى

هذا العبث الذى لا يفيد ، واللهو الذى لا يجدى ، والذى يستطيع طالبه أن يلتمسه فى مظانه من الأسفار التى ألفت له ، وكثرها مصنفوها عليه .

جملت همها الغوص على لآلىء القرآن ، والكشف عن جواهره ، والوقوف على أسراره وذخائره ، ودلت القراء على ينابيع الحكمة يغترفون من مناهلها ، ويرتوون من نميرها .

فتحت لأحاديث الأحكام بابا إذا ولجته لاحت لك أنوار الحق فى فقه العبادات فسرت على هداها ، وترشفت الفقه من نبعه الصافى لا يكدره غثاء ، ولا يغشاه جفاء ، ولو اهتدى المسلمون به لائتلفوا بعد فرقة ، واجتمعوا بعد شتات ، واعتصموا بحبل الله بعد اختلاف ، وتصافوا بعد تنازع ، وما فرقتهم المذاهب والمنازع وآراء الرجال .

ولا جرم أن أحاديث الأحكام جعلت الفقه على طرف الثمام ، وهى خليقة أن تقضى على أسباب التنازع والخصام .

أقامت لدعاة الحق والاصلاح منبراً رفيعا يفرعون ذؤابته ؛ ليرسلوا صيحة الحق مدوية تهز الأرجاء ؛ وتتجاوب أصداؤها فى جميع الأنحاء ؛ حتى تنبه الغافلين ، وتوقظ النائمين .

وجاءت أزمة الورق الطاحنة فجاءت المجلات التجارية ، ومسها وأهلها الضر وبدا عليها الاملال وسوء الحال ، وشحب لونها بعد إشراق ، وذبل عودها بعد إيراق ؛ ومات منها ما كان عنده بقية من حياء ؛ وعاش ماعاش منها ولم تبق منه إلا الأسماء . إنما هى رقاع تحمل العناوين ولا تتسع لغير نشر المتقاضين ، ولولا تعلقها بهذا العود الضئيل لكانت من المغرقين .

أما الهدى النبوى التى لا تحفل بغير الكسب الروحى ، فما زالت فى رونقها وإشراقها ونضرتها وإيراقها ، تؤدى رسالتها فى صدق وصبر ، وحزم ويقين . وهى اليوم كما تعرفها فى قوة عزمتها وشدة شكيمتها ، ومضاء أسلحتها ؛ واستكمال عتادها وعدتها .

أسأل الله أن يتولاها برعايته وعونه حتى تدرك أملها المنشود

أبو الوفاء درويش

تفسير القرآن الحكيم

العلم فى نظر القرآن

للأستاذ الكبير مدير المجلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله عزّ وجلّ من سورة فاطر « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور . إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ؛ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور »

إن الذى يتلو كتاب الله بذهن حاضر ، وقلب خاشع ؛ مُستَنّاً فى تلاوته سنة السلف الصالح من فهم آياته على ظاهرها ، بحسب مدلول أسلوبها العربى المبين ؛ ويعلم الكيفية التى طبقوا بها هذه الآيات على أنفسهم بما يرويه التاريخ الصحيح ، لابدّ أن يخرج بعد تلاوته بنتيجة حتمية ؛ هى أن المسلمين ـ زعموا ـ قد باعدوا بين القرآن وبين الغرض الذى أنزله الله من أجله ، فلم يبقوا آية منه قائمة على أصولها ، ويذروا حكما منفذاً على وجهه ، فكأنهم اتفقوا جميعاً ـ إلا من شذّ منهم ـ على أن يكونوا أصحاب الصدارة فى أقسام ورثته الثلاثة حسب التقسيم الذى يشير اليه

تعالى فى عجز الآية الآنفة الذكر حيث يقول « ثم أورثنا الكتاب الذين إصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » فليس فيهم إلا ظالم لنفسه لتضييعهم هذا الميراث النفيس تضييع السفهاء ، وتفريطهم فيه تفريط أعق الأبناء .

فأنت اذا قرأت القرآن بفهم سليم ، وتفكير مستقيم ، وتكوّنت فى ذهنك صورة لما يدعو اليه من أدب رفيع ، وخلق كريم ، وعقيدة نقية ، وذهبت تلتمس واحداً منهم حققها فى نفسه أو قطع فى تحقيقها شوطا: عزّ عليك وجوده، وعدت طالباً لرابع المستحيلات الذى زعم الشاعر أن ثلاثتها هى الغول والعنقاء والخل الوفى !! مع دعواهم الطويلة العريضة أنهم مسلمون حقاً وأنهم من أمة محمد ﷺ وأمة محمد بخير.. فهؤلاء المسلمون بدعواهم - أصبحت أحكام القرآن عندهم لاتخرج عن نوعين : أحدهما (كأحكام الحدود وأغلب أحكام المعاملات) معطل تعطيلا كلياً ، ومضروب عنه صفحاً ، ومكتفى عنه بالقوانين الوضعية . والآخر (كالعقائد والعبادات) أخطأوا فهمه ، وشوّهوا تنفيذه تشويهاً جعله والمعطل سواء :

وقضيتى هذه لاتحتاج لوضوحها إلى بينة ، فموقف المسلمين أزاء كل أمر فى القرآن أو نهى لايتعدى ماقدمته لك ، وإن أبيت إلا الاستئناس بالأمثال فهذه كلمة التوحيد « لا إله الا الله » التى لايكون المسلم مسلماً الا بتحقيقها عقيدة فى القلب، وقولا باللسان ، وعملا بالجوارح . أنظر هل طبّقها المسلمون على أنفسهم فظهرت عليهم آثارها بحيث اعتقدوا أن الله وحده هو المدعو لا شريك له المصمود اليه بكل مادق وجل من الشؤون والرغبات ، أو انك ترى الواحد يلفظها وهو متعلق بأستار ذى قبة يدعوه بمثل مايدعو به ربّه !! وصدق الله اذ يقول (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

ثم سلهم عن خلطهم فى فهم الشفاعة والوسيلة ، وتخبطهم فى تعريف الولاية، جرياً وراء المتصوفة الدجالين ، وتقليد الفريق من الجهلة المتعالمين، مما يناهض

ما قصده القرآن منها على خط مستقيم . دعك من الصلاة والزكاة والصيام والحج وما أحدثوا فيها من بدع بالزيادة أو النقص ؛ وأنواع الحيل مما مزقوا به نسيجها ، ونقضوا به لبنانها ، فصارت هياكل مسيخة عن أصلها الروحانى الموحى به رحمة للناس وحياة لقلوبهم وطهرة لنفوسهم .

ولنتوسع لك بعض الشىء فى فهمهم للعلم ووجهة نظر القرآن اليه ، لتعلم كيف غيّر الله ما بالقوم من عزة ومجادة وسلطان وسعادة ، عندما غيّروا ما بأنفسهم ؛ وتلاعبوا بكتابه ، فصب عليهم سوط عذابه :

تدبّرْ معى قول الله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) إلى قوله عز وجل (إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) تجد أن فى تذييل الآية بقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) بعد التنويه بعجيب قدرته تعالى فى صبغ هذه المخلوقات بمختلف الألوان ندباً لطيفا الى دراسة خواصها ، والكشف عن أسرارها حتى يصبح بها عالما فتكسبه خشية الله ، وهى الغاية التى يجب أن تستخدم لها كل وسيلة لأن بها عز الدنيا وسعادة الآخرة .

ومن هذا التعقيب أيضاً نفهم أن القرآن وسّع مناوح العلم أمام طالبيه ، وحضهم على التبحر فيه ، ولكن على شرط أن يصلوا إلى الثمرة من كل علم وهى تقوى الله باستعماله فى خير البشرية وإقامة صرح المدنية . وأما اذا انتفخت به أوداجهم فخرجوا به على أوامر الله فاستذلوا عباده وعاثوا فى أرضه مفسدين ؛ وسعوا فى آياته معاجزين ، فعندئذ يكون إثمه أكبر من نفعه ، والشاهد بين أيدينا ، ذلك أن مايعانيه العالم اليوم من حرب أكلت الأخضر واليابس ؛ وأتت بنيان الحضارة من القواعد ؛ لم يورث ناره إلا التبحر فى العلم الكونى عندما تلقاه أهل الغرب استقلالا ؛ أى مجرداً عن الغاية منه وهى خشية الله ، فوردوا به موارد الهلكة وأحلهم دار البوار .

وهذه الآية الكريمة أشارت الى مبادىء كثير من العلوم التى يتوقف عليها اطراد العمران ونمو الحضارة ، فالماء ونزوله من السماء بعملية التبخير الالهية المعروفة

وجريانه ينابيع فى الأرض ، أو انهاراً يحتاج فى الانتفاع به وضبطه من حبسه بقدر وأطلاقه بقدر ، بواسطة الخزانات والقناطر والترع والمصارف وغيرها الى التخصص فى علم الهندسة المائية والبنائية وما يتفرع عن ذلك من معرفة المواد التى تبنى منه هذه المنشآت والانتفاع بمساقط المياه فى الخزانات والشلالات مما أصبح فنو مختلفة تخصص فيها المتخصصون .

وأنواع الزروع والفاكهة تحتاج فى كمال نموها ، وتكثير غلاتها ، وتجويد ثمراتها إلى فنيين يدرسون خصائصها وطبائعها ، ومايناسب كلاً منها من تربة وبذور وري وسماد ، والحيوان على اختلاف أنواعه ـ بما فيه الانسان ـ ترقت دراسته في هذا العصر برقى علم التشريح ، وتبحر فيها علماء وأطباء ، وكشفوا عن باطنه بأشعتهم ، فلم يعجزهم وصف عضو ولا تشخيص داء ، وشرحوا وظائف الأعضا شرحا يرد الجاحد الى حظيرة الايمان .

ولطبقات الأرض علم يسمونه (الجيلوجيا) يبحث فى طبيعتها ، ويكشف عم فى باطنها من معادن بتحليل شيء من تربتها ؛ ويعرف وظيفة الجبال التى جعلها الله أوتاداً تعريفاً علميا ، ويصف جددها أى طرائقها وصخورها وأحجارها . وفى القرآن كثير من الآيات ـ غير هذه الآية ـ يشير الى البحار وما فيها من أحياء مائية والى لأفلاك وما يربطها من جاذبية .

وإذ كان الدارس لشيء من هذه العلوم دراسة تدبر واستنباط ؛ أعلم بالله وبمظاهر قدرته من سواه فقد حصر الله عز وجل خشيته فى العلماء بها . ومن هنا تفهم معنى هذا التذييل فى الآية الكريمة ؛ ولكن المسلمين غفلة أو جهلا غيّروا معنى العلم المقصود فى القرآن الى تعريف اصطلحوا عليه حيث اصبح العالم عندهم هو من يحمل شهادة فى علوم مخصوصة ويلبس زيّاً مخصوصا وإن كانت هذه العلوم لا تكسبه خشية ، ولا تفيده تقوى .

ومن العجيب أن القرآن كله تقريباً يحض على التفكر فى خلق السموات والأرض

واختلاف الليـل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من ماء ، وهـذا الحض يستلزم الدراسة العلمية المنتجة ، ومع هـذا فقد أتى زمن على من احتكروا لقب (العلماء) حرموا فيه الاشتغال بهذه العـلوم بل كفّـروا المشتغل بها ، بينما نسمع القرآن يأمر بتعليمها صراحة أو ضمنا ، فالله إذ يقول لنا : سيروا فى الأرض ـ مثلا ـ لايكلفنا السير فيها من غـير ان نتعلم الجغرافيـا ، فنعرف أين الطريق الى امريكا وآسيا وهل يتوصل لهما بطريق البحر أو البر ، وما طباع سكانهما ، وما مبلغهم من معاشرة الناس ، وما عندهم من سلع ، وما يروج عندهم من سلعنا ، ومالا يروج ، وغير ذلك من لوازم امره بالسير فى الأرض . وهذا مثل بسيط قس عليه بقية ما أنزل .

ولنا فى المسلمين الأولين أسوة حسنة ، فقد نبغوا فى هذه العلوم (فابتكروا منها جديدا وأصلحوا قديما) عندما اتسعت رقعة ملكهم واستتب لهم الأمر ، نبوغا لازال مضرب المثل وموضع الاكبار من أعدائهم وإن نسيه المفرطون العاقون من أبنائهم .

نعم لاننكر فى هـذا المقام ان مما دعا أولئك العلماء الى تحريم الاشتغال بهذه العلوم رؤيتهم أغلب المشتغلين بها للكفر أقرب منهم للايمان ، ذلك لأنهم تلقوها عن مصادر أفرنجية تقرر أنها ظواهر طبيعية ، لا مظاهر للقدرة الالهية ، فأخذوها عنهم بخيرها وشرها ، ولم يجدوا من مثل أولئك العلماء من يردهم الى الجادة فيستفيدوا ايمانا ويفيدوا الناس علما وعرفانا ؛ فنفهم من هـذا أن زيغ بعض المشتغلين بهذه العـلوم يرجع الى سوء التوجيه فى استخدام هذه العـلوم لا فى طبيعتها ، اذ أنها فى الأصل مبعث الايمان بالله والحافز على خشيته .

كذلك لايفوتنا أن نقرر أن القرآن الكريم لايعبأ بهذه العـلوم كغـاية يقف بها أصحابها عند حد الانتفاع الدنيوى بها فحسب كما حكى الله عن فعل ذلك بقوله (يعلمون ظاهراً من الحيـاة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وانما يعبأ بها كوسيلة توصل الى خشية الله ويأتى الانتفاع الدنيوى بها عرضا ، بل ان استخدامها فى طاعة الله مجلبة لثوابه ، ودفع لعقابه ، وبأى وسيلة توصل الانسان الى خشية الله

فهو العالم كل العالم ولو كان محصوله من العلوم قليلا . وكم من الناس والعياذ بالله قد أضله الله على علم ؟ ألا تسمعه يقول (أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب)

فلو أن إنسانا حاز من علوم الدين والدنيا مابزّ به الناس جميعاً ، وما أخذ به أرقى الشهادات ، وأعلى الدرجات ، ثم خلا قلبه من خشية الله ، لم ينل من الله الشهادة التى يسمى بها عالما !!

ومن ثمرات العلم الذى يعترف به القرآن تزكية ماجاء به الرسول من عند ربه وشهادة أهله أنه سبيل السعادة كما يقول الله عن أهله (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد) فأين هم أهل هذا النوع من العلم اليوم ليُنافحوا عن القرآن الكريم ويدعوا الناس اليه باللسان إن كانوا لا يملكون إلا اللسان ، ويحملوهم على اتباعه حملا إن كانوا من ذوى السلطان.

وهكذا اذا أنصت الى أية آية ذكر فيها العلم أو العلماء فى القرآن الكريم أدركت تماما أنه يقصد منها غير الذى اصطلح عليه المسلمون ، وجرى عليه عرفهم وان (أل) فى لفظة (العلم) للعهد فلا يغيّر العرف الخاطىء معناها المعهود ولا يبدل مؤداها المقصود .

ومن أسلوب القرآن المعجز هذا الانسجام بين ادمان النظر فى آيات الله الكونية وبين تلاوة آياته القرآنية ؛ فبعد أن أخذت عين المدقق حظها من النظر ، وقلبه مايحبيه من العبر ، فامتلأ خشية من الله ، وتزوّد من تقواه ، رجع الى كلامه فتلاه فعرف منه كيف تقام الصلاة ، وكيف ينفق الأموال خالصة لوجهه سراً وعلانية فزاول بعزيمة هذه الفضائل تجارة ضمن كسبها ربٌّ كريم .

« وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

محمد صادق عرنوس

أحاديث الأحكام

﴿ للأستاذ الكبير محمد عبد العزيز الخولي رحمه الله ﴾

عن عائشة عن النبي ﷺ قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه » رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه

النذر أن توجب على نفسك ماليس بواجب لحدوث أمر ، كأن تنذر صدقة أو اعتكافا ، أو تهجدا اذا رزقت ولدا ، أو بلغت أملا . وفي هذا الحديث أمر الرسول ﷺ من نذر طاعة الله أن يطيعه ، ونهى من نذر معصيته أن يعصيه . فنذر الطاعة يجب الوفاء به ، قال تعالى (وليوفوا نذورهم) ونذر المعصية يحرم الوفاء به ، اذ لا بر في معصية الخالق . فمن نذر ارشاد الجاهلين أو انقاذ المظلومين أو مساعدة البائسين أو زيارة الأقربين أو الجهاد في سبيل الله ونشر دينه ومطاردة أعدائه ، وجب عليه الوفاء بما نذر . ومن نذر النكاية بعدوه باراقة دمه ، أو اغتصاب ماله أو نذر الانضمام لحزب مبطل أو انتخاب شخص مجرم أو شرب خمر أو لعب ميسر ، أو اقامة ليلة ساهرة ، تنتهك فيها الحرمات ، ويعصى الاله ، حرم عليه الوفاء ، والطاعة تشمل الواجبات كالصلاة المكتوبة والزكاة المفروضة ، وصيام رمضان والحج الواجب ، والنفقة على الزوجة والولد . وتشمل المندوبات كصلاة النافلة والصدقة الجارية والصيام المستحب وحج التطوع . فالواجبات اذا كانت عينية لا ينعقد نذرها لأنها واجبة بدون ايجاب العبد ، بل لا تدخل تحت عنوان النذر لأنه ايجاب ماليس بواجب ، وهذه واجبة ، أما الواجب على الكفاية كالجهاد ورد السلام ، والمندوب فينعقد نذره ، ويجب الوفاء به .

وأما نذر المباح كلبس الثوب وركوب الدابة والعروض ، فقد استدل لصحته بحديث عائشة « لا نذر فى معصية ، وكفارته كفارة يمين » رواه أصحاب السنن ، وجمهرة المحدثين على تضعيفه - فلما نفى نذر المعصية أفاد صحة ماعداه ، وبحديث بريدة عند أحمد والترمذى أن امرأة قالت : يارسول الله انى نذرت أن أضرب على رأسك بالدف ، فقال لها : « أوف بنذرك » وكان ذلك وقت خروجه فى غزوة . فنذرت الضرب بالدف إن رده الله تعالى سالما . وقال مالك والشافعى : لاينعقد نذر المباح واستدلا بحديث ابن عباس قال : بينا النبى ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبواسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ، ولا يقعد ، ولا يستظل ولا يتكلم، وأن يصوم . فقال النبى ﷺ « مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه» رواه البخارى وأبو داود وابن ماجة : فأمره بفعل الطاعة وأسقط عنه المباح .

وأصرح من هذا مارواه أحمد وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال « لا نذر إلا فيما ابتُغِىَ به وجه الله » فى سند هذا الحديث عند احمد عبدالله بن نافع المدنى وهو ضعيف . وأجابا عن حديث عائشة بضعفه ، وعن حديث بريدة بأنه لا مانع من ان يكون من قسم المباح مايصير مندوبا اذا قصد به القربة كالنوم فى القائلة للتقوى به على قيام الليل . والسحور للتقوِّى على صيام النهار . فيجوز أن يكون إظهار الفرح بعود النبى ﷺ سالما معنى مقصوداً يثاب عليه ، فيكون مندوبا .

وقد اختلف الفقهاء فى نذر المعصية هل تجب فيه كفارة أو لا تجب ؟ فقال بوجوبها الثورى وإسحق وابو حنيفة واصحابه واحمد وبعض الشافعية ، وهو مروى عن ابن مسعود وابن عباس وجابر وعمران بن حصين وسمرة بن جندب . وقال بعدم الوجوب مالك والشافعى والجمهور . وهو رواية عن احمد . واستدل الأولون بحديث عائشة السابق « لا نذر فى معصية وكفارته كفارة يمين » وبحديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال « من نذر نذراً فى معصية فكفارته كفارة يمين » رواه أبو داود .

وبحديث عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « كفارة النذر كفارة يمين » رواه مسلم واحمد . فعمومه يشمل نذر المعصية وبأن النذر يمين . ومن حلف على فعل معصية لزمته الكفارة فكذلك اذا نذرها ، والدليل على أنه يمين حديث ابن عباس قال : جاءت امرأة الى النبي ﷺ فقالت : يارسول الله ان أختي نذرت أن تحج ماشية ، فقال « إن الله لايصنع بشقاء أختك شيئا ، لتخرجْ راكبةً ، ولتكفر عن يمينها » رواه احمد وابو داود .

واستدل الجمهور بأنه نذر غير منعقد ، فلا يوجب شيئا كاليمين غير المنعقد ، بل لايسمى نذرا لأن النذر التزام الطاعة ، وهذا التزام معصية . وبالأحاديث التي أبطلت نذر المعصية ولم تذكر فيه كفارة ، كحديثنا ، وحديث مسلم « لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك العبد » وأجابوا عن أدلة الأولين بضعف حديث عائشة وبأن الأصح في حديث ابن عباس أنه موقوف عليه . وأما حديث عقبة ففيه زيادة تمنع العموم ، إذ رواه الترمذي بلفظ « كفارة النذر اذا لم يُسَمّ كفارة يمين » ورواه ابن ماجه بلفظ « من نذر نذراً لم يسمه ألخ » فكفارة اليمين في النذر المبهم كأن يقول: لله عليّ نذر ، ولا يزيد ، ولا يعلم خلاف في ذلك إلا عن الشافعي فانه قال: لاينعقد النذر المبهم ولا كفارة فيه ، والحديث حجة عليه .

من الأدب النبوى

قال عمر بن عبد العزيز لمن عاتبه على طول سهره في العبادة وكثرة صيامه :

اني وليت أمر هذه الأمة أسودها وأحمرها ثم ذكرت الفقير الجائع ، والغريب الضائع ، وذا المال القليل ، والعيال الكثير ، وأشباه ذلك في أقاصي البلاد وأطراف الأرض ، فعلمت أن الله سائلي عنهم ، وأن رسول الله ﷺ حجيجي فيهم ، فخفت أن لايقبل الله مني معذرة فيهم ولا تقوم لي مع رسول الله ﷺ حجة .

داؤنا ودواؤنا

٥ - الأخـلاق

ربّى الاسلام معتنقية الأولين الذين اعتنقوه مخلصين تربيـة نفسية سامية ، وجعلت منهم شعباً ممتازاً من شعوب الأرض بفضائله ونبل أخلاقه ، وسمو مزاياه ، لقد أخذهم بالصدق والوفاء بالوعد وأداء الأمانة ، ورباهم على العفة والنزاهة ، ومجافاة الأدناس ، والشجاعة والصراحة والوقوف عنـد الحد . وغرس فى نفوسهم المحبة والاخلاص والوفاء والتعاون على البر والتقوى . وأشرب فى قلوبهم البـذل والايثار والتضحية والحلم والتواضع والعفو والدماثة والبشاشة ، وطلاقة الوجه ولين الجانب وخفض الجناح والرحمة والعدل . وعوّدهم النظر فى أعقاب الأمور ، والحكمة والقصد والجد والمثابرة والثبات والصبر ، وعلو الهمة والطموح الى معالى الأمور . ودربهم على صيانة اللسان وكف الأذى والمراقبة وحسن التوكل ، وإسداء النصح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحب الحق والخير والجمال ، والقناعة والرضى وعـزة النفس . وغير ذلك من الفضائل التى نهضت بالأمة الاسلامية وأنافت بها على اليفاع .

نعِـمَ المسلمون بهذه الأخلاق حيناً من الدهر ، فسادوا الأمم وقهروا الشعوب ودانت لحـكمهم الأرضُ . وأصبحوا أئمة وأصبحوا وارثين لعروش الطغاة وتيجان الظالمين .

وثق بعضهم ببعض وأحب بعضهم بعضاً ، فائتلفوا وتعاضدوا وتوادّوا وتراحموا وتعاونوا ، وكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

أسسوا ملكهم على الفضيلة والخلق الكريم ، وأقاموا دولتهم على البر والتقوى ، وحصنوها بالعدل والانصاف وحاطوها بالشجاعة والكرم .

كان كبيرهم يعطف على صغيرهم ويرحمه ، وكان صغيرهم يجلُّ كبيرهم ويوقره .

كان القوى عند حاكهم ضعيفا حتى يأخذ الحق منه . وكان الضعيف عنده قويا حتى يأخذ الحق له . وكانت الرعية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، تعمل وتجد وتكسب وتنتج فى ظل الأمن والعدالة .

مضى الأولون وخلفوا فينا تراثا ثمينا ، وأورثونا كنوزاً غالية من الخلق العظيم والفضيلة . ولكن سرعان ما امتدت يد الاسراف الى هذا التراث ، وسرعان مافرطنا فى جنب هذه الذخائر وبددنا هذه الأخلاق . فترديبنا فى هوة الافلاس الخلقى الرهيب مازالت هذه الأخلاق تنحل ، وما برحت رياض الفضيلة تذبل وتذوى أزهارها وتتقصف أغصانها حتى أصبحت حطباً لا ظل له ولا ثمر .

انحلت الأخلاق ووهت الوشائج ، واسترخت الأواصر والأواخى وأصبح كل فرد أمة برأسه لايهتم إلا بمصلحته الخاصة . ولا يحفل بغير طعامه وشرابه ، ولذته وثيابه . أما المصلحة العامة فعليها العفاء .

اصبحت الأخلاق الكريمة سيَراً واقاصيص نقرؤها فى الكتب أو نسمعها من افواه القصّاص فنعجب لها اشد العجب . ونراها من الغرائب التى لا يكاد يصدقها العقل . ونرى أصحابها ابطالا من ابطال الأساطير الذين لا يسمح بمثلهم الزمان .

إذا تمسك متمسك منا بالفضيلة سخر منه الناس وتندّروا به ، وتهكموا عليه . ولقد كان خليقا منهم بالاعجاب والتشجيع والرضا والثناء . لو كانوا يعقلون .

فسدت المعاملات فساداً لا حد له . لقد كان الناس يعامل بعضهم بعضاً بغير وثيقة ولا شاهد إلا الأمانة وشرف النفس ومراقبة الله . فأصبحنا على الرغم من العقود والشهود ، نلوى بالحقوق . ونأبى ان نريحها على اهلها ، ونلوذ بألوان من الحيل لاتخطر ببال الشيطان لنتخلص منها ونحتجنها دون أصحابها .

أصبح أكل أموال الناس بالباطل صناعة لها ابطالها المعروفون ، وفرسانها المشهورون ، من اللصوص والسارقين ،والعيارين والنشالين، والمحتالين والدجالين .

فشا الكذب وهو أخبث الأدواء النفسية حتى أصبح أكثرَ ما نحن سامعون .

فصرنا لا نثق بخبر نتلقاه من أكثر المخبرين ، ولا نصدق قولا ولا نسمعه من أكثر القائلين ، صرنا نرى من لا يتأثم ولا يتحرج ، ولا يخزى ولا يستحيي حين يفتضح كذبه ، كأنه مافعل إلا ماجرت به العادة ، ومضى عليه العرف ، وتواضع عليه الناس

فشا الرياء والنفاق وخلف الوعد ، والازدلاف الى الرؤساء ، بالسعايات والوشايات والنمائم :

يرى الرئيس رأيا — إن صوابا وإن خطأ — فيثنى المرءوس عليه ويبدى إعجابه به ورضاه عنه ، ولا يزال يثر ويهضب فى تقريظه والاشادة به . فاذا استبدل بالرئيس وجاء آخر فأبدى رأياً يناقض ذلك الرأى ، لقى هذا الرأى الجديد من الثناء والاعجاب والرضا مالقى الرأى السابق . كأن المرءوسين أصداء تتردد فى الفضاء بأقوال الرؤساء . حتى فسدت الامور فساداً لا يرجى له صلاح . واضطربت الشؤون اضطرابا لا ينتظر له قرار مادمنا على هذه الأخلاق ، وما دام متغلغلا فى نفوسنا هذا النفاق .

لقد كانت العجائز فى العهد الصالح لا يحجمن عن رد الخليفة نفسه الى الصواب إذا بدرت منه هفوة : خطب عمر بن الخطاب مرة فحض الناس على عدم التغالى فى مهور النساء ، فقامت امرأة من جانب المسجد وقالت : على رسلك ياابن الخطاب : ان الله يمنحنا القنطار وأنت تمنعنا الدينار . ثم ذكرته بقول الله تعالى : (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا)

فالتفت عمر الى الرجال وقال : أليس منكم رجل رشيد يهدينى اذا ضللت ؟ أصابت امرأة وأخطأ عمر .

ونحن لا نكتفى بأن نقر المخطىء على خطئه ، بل نثنى عليه ونبدى إعجابنا به ونعت رأيه بأنه الرأى الأصيل الذى لا يغوص على مثله الغائصون ، ولا يهتدى اليه المهتدون .

ذلك بأن أكثر الرؤساء تؤذيهم النصيحة ولا تروقهم المصارحة بالحق . فمن صارحهم فقد تعرض منهم لصنوف الأذى وألوان النكال . وأكثر المرءوسين يؤثرون العافية ولا يصطبرون على المحنة ، ولا يرضون أن يكونوا سلفاً ومثلا للآخرين .

ولست أريد أن أطيل عليك أو أسك سمعك أو أقذى عينيك بسرد مظاهر الفساد التى بدت على أخلاق المسلمين ، فكانت من أقوى المعاول التى هدمت كيانهم ، وأشد العوامل التى فتت فى اعضادهم ، وذهبت بسعادتهم ، وجرت عليهم شر الويلات وأفظع النكبات . وسلمتهم لأيدى الغاصبين لقما سائغة وجرعا هنيئة ، ومغانم باردة . يتصرفون فيهم كما يتصرف السيد الظلوم فى المسود ، والحاكم الغشوم فى المحكوم ، والوصى الجشع فى مال اليتيم . ويحرصون على إماتة ما أسأرته احداث الزمان فيهم من الفضائل ، وإحياء ما أدخلوا عليهم من رذائل . ويعملون على بث روح التفرق والبغضاء ، ويزهقون روح الألفة والمودة والصفاء ، لأنهم يعلمون أن الأمة اذا سمت اخلاقها . واشتد التعاون والتآزر بين ابنائها واعتصمت بحبل الله ، ونبذت التفرق والانقسام فقد آذن فجر استقلالها بالانبلاج . وشدة أزمتها بالانفراج وقويت سواعدها على طرد الغاصبين وإقصاء الدخلاء المعتدين .

لا حياة لأمة خسرت خُلقها . وسفهت نفسها وفرطت فى جنب الفضيلة . لا أعنى أن افرادها يستبد بهم الموت ويستأثر بهم الفناء . ولكنى اقول : إن الأمة نفسها هى التى تموت . ولو بقى افرادها يتمتعون بالحياة . وما موت الأمة إلا فقد استقلالها وامّحاء اسمها من سجل الدول الحرة الكريمة التى لها كيان ووجود وسيادة ونفوذ . هذه بلاد الشرق مكتظة بالسكان ، ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، يزحمون السبل ويغلون الأسعار ، ونصيبهم من الانسانية قليل ، وحظهم من الكرامة منقوص.

تفرق المسلمون وتنازعوا ، وتمادوا وتحاسدوا . وامتلأت صدورهم بالأضغان والإحن والحفائظ والأحقاد ، وتمنى بعضهم لبعض الشر والضر . وأضاعوا التراث الثمين الذى خلفه لهم آباؤهم الأولون .

فإذا أردنا أن يرجع الينا المجد الذى ولى مدبراً ، وإذا حرصنا على أن تعاودنا القوة التى طارت شعاعا من بين أيدينا ، وإذا شئنا أن تعود الينا الحياة الحرة الكريمة التى زهدت فينا ، فلنصلح أخلاقنا .

إن هذه المفاخر العظيمة لاتقيم إلا حيث تقيم الأخلاق الكريمة .

إن هـذا النعيم لايتبوأ داراً مهدمة قد تفرقت أجزاؤها ، وتناثرت أنقاضها وأصبحت خاوية على عروشها .

* * *

لا دواء لهـذه الأدواء إلا الرجوع الى كتاب الله تعـالى والتمسك بأهدابه . والتأدب بآدابه .

لا دواء لهـذه الأدواء الفاتكة التى استعصى علاجها على كل طبيب . وأعيا شفاؤها على كل نطاسى أريب إلا دواء الله الحكيم الخبـير الذى أنزله رحمة للناس وشفاء لما فى الصدور .

لو أننا رجعنا الى كتاب الله وسنة رسوله وقبسنا من نورها الوهاج قبساً نضىء به ظلمات أنفسنا ، ونحيي به ميت قلوبنا ، لانتعشنا من عثرتنا ونهضنا من كبوتنا ودبت الحياة فينا وعادت الينا مظاهرها من الحركة والنماء

* * *

لاينهض المسلمون الآخرون إلا بما نهض به المسلمون الأولون . وما نهض الأولون إلا بما أسبغ عليهم الاسلام من فضيلة وما أضفى عليهم من خلق كريم . فان نحن أقمنا صرح الأخـلاق الذى تقوض . وشيدنا بناء الفضيلة الذى تهدم : قويت آمالنا فى النهوض . وتحققت أحلامنا بالعزة والكرامة .

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون .

أبو الوفا محمد درويش

الأزياء فى الاسلام

بهذا العنوان نشرت الاهرام فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٢ حديثاً لأحد حضرات العلماء ، صرح فيه بأن ارتداء الزى الأفرنجى ولبس القبعة لايتنافى مع التقاليد الاسلامية لأن الاسلام لايعرف زياً خاصا ، أما القول بأن للرأس أو الجسم لباساً خاصاً فلا نعلم له سنداً لا من النصوص الاسلامية ولا من التاريخ ، ويظهر أنها مسألة قومية اكتسبت على تعاقب الأجيال حرمة خاصة وضعتها فى مصاف المسائل الدينية وما هى منها فى قليل ولا كثير . واذا صح أنه ورد فى بعض الأحاديث النهى عن التشبه بمن يخالفون الدين فذلك لأن بعض هذا اللباس الذى كان يلبسه غير المسلمين فى بعض العصور كان شعاراً لهم بحيث اذا رؤى أحدهم يعرف أنه غير مسلم أما الآن فقد تبدلت المسألة القومية ، فلكل قوم أن يتخذوا من اللباس مايناسب بيئتهم .

وقال فضيلته إن علاقة كل فرد فى الاسلام بينه وبين ربه فلا وساطة ولا شفاعة ! . وقال أيضاً ان الاسلام اشتمل على تشريع دنيوى ينظم علاقة الفرد بسائر الأفراد ، وعلاقة الدولة بسائر الدول . كما اشتمل على مجموعة من العقائد والعبادات تحدد علاقة العبد بربه . وأصول هذه العقائد هى ماورد فى حديث « بنى الاسلام على خمس » وما عدا الوارد فى هذا الحديث فليس من أصول العقائد ولا من واجبات الاسلام ! انتهى ملخصا .

فأما قول فضيلته إن الاسلام لايلزم معتنقيه زياً خاصا فيرده الأحاديث الصحيحة المستفيضة ، والآثار الثابتة عن الصحابة وغيرهم ، وهدى الخلفاء الراشدين ونظام المجتمع العام . وكل ذلك ناطق بوجوب مخالفة المسلمين للمشركين وأهل الكتاب فى زيهم وعاداتهم وملابسهم ؛ ولا يسع المقام ذكر النصوص بالتفصيل فنقتصر منها على القليل .

الأحاديث : روى الشيخان أنه ﷺ قال « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » وفى لفظ للترمذى وقال حسن صحيح « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » وروى احمد وابن ماجه والطبرانى عن أبى أمامة قلنا : يارسول الله ان أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون . فقال ﷺ « تسرولوا وأتزروا وخالفوا أهل الكتاب »

وروى مسلم وغيره أنه ﷺ قال « خالفوا المشركين : احفوا الشوارب وأوفوا اللحى » وفى رواية أيضاً له قال « جزوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس »

وروى مسلم أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها فى البيوت ، فسأل الصحابة النبى ﷺ فأنزل الله « و يسألونك عن المحيض» الآية . فقال ﷺ « اصنعوا كل شىء إلا النكاح » فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه ، الحديث .

وروى النسائى وابن حبان فى صحيحه أنه ﷺ رأى فى يد رجل خاتما من حديد فقال « مالى أرى عليك حلية أهل النار » وروى الشيخان أن معاوية عام حج خطب على المنبر وتناول قبضة من شعر كانت فى يد حرسى فقال : ياأهل المدينة أين علماؤكم . سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول « انما هلكت بنو اسرائيل حين اتخذها نساؤهم »

وفى رواية فى الصحيح ان معاوية قال : إنكم اتخذتم زى سوء وإن النبى ﷺ نهى عن الزور (المنهى عنه فى وصل هذا الشعر)

وروى ابو داود والنسائى وابن ماجه أنه ﷺ نهى عن عشر : وذكر منها أن يجعل الرجل بأسفل ثوبه حريراً مثل الأعاجم أو يجعل على منكبيه حريراً مثل الأعاجم .

وروى مسلم ان رسول الله ﷺ رأى على عبد الله بن عمرو ثوبين معصفرين فقال « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها »

وروى أبو داود والطبرانى وابن حبان وصححه أنه ﷺ قال « من تشبه بقوم

فهو منهم » وفى لفظ لأبى يعلى أنه ﷺ نهى عن التشبه بالأعاجم وقال « من تشبه بقوم فهو منهم » وله شاهد عند الترمذى بسند ضعيف « ليس منا من تشبه بغيرنا» وروى أبو داود أنه ﷺ قال « فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس » يعنى ان زى المسلمين هو لبس العمائم على القلانس .

قال الامام ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم : وهذا بيّن فى أن مفارقة المسلم المشرك فى اللباس مطلوبة للشارع . إذ الفرق فى الاعتقاد والعمل بلا عمامه حاصل . فلولا أنه مطلوب أيضاً لم يكن فيه فائدة .

وروى البخارى أنه ﷺ قال « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا اليهود والنصارى قال « فمن ؟ » وفى رواية له معناه وأنهم قالوا فارس والروم قال« فمن الناس إلا أولئك» وهو ﷺ لم يكن يتنبأ لأمته بالكفر بعد ما أخبر ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى جزيرة العرب . ولكنه أخبر بأن أمته ستقلد الأمم السالفة وأهل الكتابين فى أزيائهم وعاداتهم

فهذه الأحاديث وغيرها مما لم نذكره صريحة فى حرمة التزيى بغير زى المسلمين ومنه لبس القبعة .

الآثار : منها مارواه البخارى ان عمر كان يوصى قواده الفاتحين لبلاد الأعاجم وعماله فيها بالمحافظة على عادات العرب وزيها و ينهاهم عن التشبه بالأعاجم . وما رواه حرب الكرمانى والخلال إن عمر فى الصحابة ثم عامة الأئمة بعده وسائر الفقهاء جعلوا فى الشروط المشروطة على أهل الذمة والنصارى وغيرهم فيما شرطوا على أنفسهم ألا نتشبه بالمسلمين فى شىء من ملابسهم : قلنسوة أو عمامة أو نعلين أو فرق شعر . وأن نلزم زينا حيث كنا ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ـ وما رواه البخارى عن أنس أنه رأى جماعة عليهم الطيالسة فقال ما أشبههم بيهود خيبر .

وما روى أبو بكر الخلال باسناده ان حذيفة بن اليمان أتى بيتاً فرأى شيئاً من زى العجم فخرج وقال « من تشبه بقوم فهو منهم » وما روى أبو الشيخ الاصبهانى

أن عمر كتب إلى عماله أن مُروا نساء أهل الذمة أن يعقدن زناراتهن ويرخين نواصيهن ويرفعن من سوقهن حتى نعرف زيهن من المسلمات » وعن مَعْمَر أن عمر ابن عبد العزيز كتب الى بعض عماله من كتاب طويل : بلغني أن من قِبَلك من النصارى قد راجعوا لبس العمائم وتركوا لبس المناطق على أوساطهم، ولعمرى إن كان يصنع ذلك فيما قِبَلك ان ذلك ضعف وعجز .

والآثار فى ذلك لاتحصى كثرة ، وقد نص علماء المذاهب الأربعة على حرمة التزيى بزى الكفار والتشبه بهم ؛ وقد كان لعمر رضى الله عنه فى هذا الباب من السياسة الحكيمة شيء كثير يناسب سيرته العادلة التي أعز الله بها الاسلام وأهله

أسرار منع تشبه المسلمين بغيرهم :

وانما منع الاسلام التشبه بالكفار فى زيهم وعاداتهم ، لأسرار تعود عليهم بأجلّ الفوائد . منها ان تقليدهم لغيرهم ينافى العزة التي كفلها الله لهم بقوله عز وجل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فان التابع عادة يكون أدنى حالا من المتبوع كما يشاهد فى الأمم الضعيفة التي تسارع فى هوى الأمم القوية . ومنها ان التشابه الظاهرى يقود إلى التشابه الباطنى كما ان مباينتهم ظاهراً أدعى الى موالاة المؤمنين . ومنها وجوب أن يكون المسلمين مشخصات من العادات خاصة بهم لأن استقلال الامم فى عاداتها وزيها يزيد استقلالها الحقيقى رسوخا وثباتا ، وتقليدها لغيرها يفضى الى فناء مقوّماتها . ومنها ان التقليد يؤدى الى ضياع كثير من حقوق المسلم على أخيه كابتدائه بالسلام وغسله والصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين اذا وجد ميتاً بأرض لايعرف فيها دينه .

وأما دعوى ان مسألة الزى مسألة قومية ترقت الى مصاف المسائل الدينية فيردها التعرض فى الاحاديث السابقة للوصف العنوانى كقوله : خالفوا اليهود والنصارى ؛ خالفوا المشركين ، خالفوا المجوس . ممّا يدل على أنها مسألة دينية لا عربية .

وأما قول فضيلته إن النهى عن التشبه بغير المسلمين اذا صح ، فذلك لأن بعض هذا اللباس الذى كان يلبسه غير المسلمين فى بعض العصور كان شعاراً لهم ، أما الآن فقد تبدلت المسألة القومية فلكل قوم أن يتخذوا من اللباس ما يناسب بيئتهم — فيرده ماقدمنا فى علل منع التشبه من أن مقصوده تمييز المسلم من غيره حتى يعرف هذا من ذاك ، وليس أدل على ذلك من أنه أمر بصبغ الشعر اذ كانوا لايصبغون ، ومعلوم ان إبقاء الشعر على حاله الأصلية ليس شعاراً لأحد ؛ فبان ان المقصود هو مخالفة المسلمين لغيرهم وتحصيل هذا المقصود يكون بمنع تقليد المسلمين لغيرهم ، فاذا تشبه بهم غيرهم وجب على ولى الأمر منع الغير من ذلك التشبه

أما إنكار فضيلته الشفاعة بين المسلم وربه ، فترده النصوص المستفيضة فى إثباتها كحديث الصحيحين « ان لكل نبى دعوة مستجابة وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى فهى نائلة منكم ان شاء الله من مات لايشرك بالله شيئاً » وحديث مسلم « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة — الى أن قال — فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى » وحديث الصحيحين فى استشفاع أهل الموقف بالأنبياء — الى أن قال — ثم يأتون محمداً فيستأذن على ربه ويسجد تحت العرش الخ .

وأما ماورد فى كتاب الله من نفى الشفاعة فهو خاص بالكفار — جمعاً بين الأدلة —

وأما دعوى فضيلته إن مالم يرد فى حديث « بنى الاسلام على خمس » فليس من أصول العقائد ولا من واجبات الاسلام ، فيردها ان الايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ؛ وكثيراً من شعب الايمان المذكورة فى حديث البخارى « الايمان بضع وستون شعبة » كل ذلك من أصول العقائد . وأن تحريم الزنا والخمر والميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الى غير ذلك من واجبات الاسلام التى لايترخص احد فيها هذه كلمة قصدت بها احقاق الحق ، والخروج من عهدة كتمان العلم ، وما توفيقى إلا بالله عبد الحليم قطاط إمام برشيد

يوم عاشوراء

لم يكن اليوم العاشر من شهر المحرم معروفا بمزية تفضله على غيره من الأيام على عهد موسى ﷺ على مايرشد اليه القرآن الكريم. حتى اذا كان اليوم الذى هاجر فيه ببنى اسرائيل من مصر تخلصاً من تعبيد فرعون واضطهاده لهم، ظهرت مزية ذلك اليوم وأنه موضع نعمة كبرى ذكّرهم الله بها فى التنزيل إذ قال (يابنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) الآية . فصامه وبنو اسرائيل من ذلك الحين شكراً لله على انجائه إياهم من عدوهم باغراقه فرعون وجنوده .

وقد اعتدى فرعون على أعلى مقام فى الوجود فوق تكذيبه رسوله بعد وضوح الآيات التى تدل على نبوته، فقال لرعيته (أنا ربكم الأعلى) وهى الكلمة الأولى التى لم يسبقه بها مخلوق، ثم بالكلمة الآخرة بعد بعث موسى وهارون له وهى قوله (ما علمت لكم من إلـه غيرى) فلما جمع لنفسه الربوبية الخاصة بالله والألوهية، استحق أن ينكل الله به عقوبة له على الكلمتين فقال عز وجل (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى) صح ذلك التفسير عن النبى ﷺ واتفقت عليه كلمة السلف .

فلما كان المحرم سنة اثنتين من الهجرة وصل الى علم النبى ﷺ أن بنى اسرائيل يصومون العاشر من المحرم فقال « أنا أحق بموسى منكم » فصامه وأمر الناس بصيامه وأخبرهم بأن الله فرض عليهم صيامه . والسر فى ذلك أن النعمة التى تصيب أحد الرسل تكون نعمة على جميعهم من حيث انها نصر للحق على الباطل واعزازاً لكلمة الله على غيرها . وقد شارك نبينا ﷺ موسى فى تلك النعمة فكان فى هجرته الى المدينة نصر للحق على الباطل واعزاز لكلمة الله على غيرها كما قال تعالى : (الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ، ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها

وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

فلما وقع له ﷺ بالهجرة الانجاء الذى وقع لموسى ، ورأى أنه شريكه فى كل ماوقع له من النصر والانجاء من العدو ، وأنهما قد اتحدا فى النعمة التى من أجلها صام موسى يوم عاشوراء : صامه (ص) وأمر الناس بصيامه .

غير أن فرض صيام هذا اليوم على هذه الأمة كان سنة واحدة ثم فرض رمضان بعد ذلك فى السنة نفسها ، فلما كان المحرم من السنة الثالثة من الهجرة وصاموا يوم عاشوراء على نسق العام الماضى ، أخبرهم (ص) فى ذلك اليوم برفع فرضيته عنهم بفرض رمضان ورغبهم فى صيامه تطوعاً باظهار ثوابه بقوله لهم « صيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى بعده » وظل الحال على انفراد يوم عاشوراء بالصيام حتى أوحى الله الى رسوله وجوب مخالفة اهل الكتاب وأن ذلك أصل من اصول الاسلام ، وكان ذلك بعد عودته من حجة الوداع فى المحرم سنة احدى عشرة من الهجرة فقال لهم « خالفوا اهل الكتاب صوموا التاسع مع العاشر ولئن عشت الى قابل لأصومن التاسع » اى مع العاشر لتحقيق المخالفة ، فصار صيام اليومين بعد ذلك من سنن الاسلام المؤكدة .

دل ماتقدم من مشاركة الرسول وأمته لموسى وبنى اسرائيل فى شكر الله تعالى بصيام يوم عاشورا على أن المسلمين ملزمون بالاقتداء بجميع الرسل فيما حكى الله عنهم من الخير ومحاسن الأخلاق والأعمال التى تقربهم الى الله مما تقرب به من قبلنا من الرسل (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ومن هنا نعلم السر فيما قصه الله علينا من سير الأولين ، وأن كل مايؤدى الى سعادة البشر فى الدنيا والآخرة وان اختص تشريعه بقوم لايختص عمله بهم بل يشاركهم فيه جميع الخلق مادام المقصود التقرب الى الله تعالى

على أنه لم يصح فى فضل يوم عاشوراء شىء غير ماتقدم من الحوادث التاريخية الا مارواه النسائى عن ابن عباس رضى الله عنه باسناد حسن انه اليوم الذى استوت فيه سفينة نوح على الجودى . أما نسبة حوادث أخرى فى ذلك اليوم الى بعض الرسل كملاقاة

أيوب من بلائه وانجاء ابراهيم الخليل من نار نمرود ، وخروج يونس من بطن الحوت وغير ذلك مما احتوى عليه الدعاء المشهور بمسلسل عاشوراء فلا يرتقى عن درجة الأساطير الخيالية .

التوسعة

« حديث التوسعة يوم عاشوراء على العيال »

فى الترمذى وغيره ان النبى ﷺ قال « من أحيا ليلة العيد أحيا قلبه يوم تموت القلوب ، ومن وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه فى سنته كلها » وهذا الحديث قد اختلف فيه الحفاظ من أئمة الحديث ، فمن قائل بوضعه ومن قائل بضعفه ومن قائل بحسنه ومن قائل بصحته ، وأقصى ما يقال فيه أنه حسن ، ولكن للأئمة فى فهمه طريقتان : الأولى أن يعود الضمير فى عياله على الله عز وجل ويكون حثاً للمسلمين على التصدق على الفقراء فى ذلك اليوم ، واستدل قائل هذا بحديث « الفقراء عيالى والأغنياء وكلائى ، فاذا بخل وكلائى على عيالى أذقتهم وبالى ولا أبالى » وهو وإن كان حديثاً فيه لين ولكنه يشهد لهذا الفهم ، ولا شك أن الصدقة فى يوم عاشوراء عمل من أعمال البر ونوع من أنواع الشكر الذى كان سبباً فى شرع الصيام فيه - ومنهم من أعاده على الشخص الموسع على أولاده ، والنفقة على العيال وإن كانت صدقة محمودة مطلوبة ولكن لم يؤثر عن أئمة الهدى أنهم خصوا هذا اليوم بزيادة النفقة على عيالهم فيه ، فحمله على المعنى الأول أولى . وأما ما اعتاده الناس من التوسع فى المآكل والمشارب فى ذلك اليوم ، وصنع حبوب خاصة يضاف اليها السكر ، والاغتسال والاكتحال فيه ، فان ذلك كله من البدع التى لا مستند لهم فى شىء منها من الشرع ، والتى صرح فقهاء الاسلام بأنها بدع وأن الخير فى تركها ، والاهتمام بما شرع فيه .

محمد محمد مخيمر

أدبيات

أمنية

« إقامة القباب على الأضرحة بدعة تأباها السنة الصحيحة ، فالى متى نحيي البدعة ونميت السنة !! »

أُمْنيةٌ ياليتها تتحققُ ... يمضى الزمان ولم أزلْ أتحرّقُ
ياليتَ قومى يعلمون فيُدْركوا ... أن القبابَ تُهَدُّ لا تُسْتَنْجَقُ
هَدْمُ القباب عقيدةٌ سلفيّةٌ ... تُرْضى (الحديثَ) إذا اطّاعتَ وتصدق
مابال طائفة تطِنُّ وتدّعى ... أنّ (الكرامة) بابُها لا يُغْلَق
يُوحَى بها الميْتِ بعد حياته ... هذا كلامٌ فى الجهالة مُغْرِق

***

نذروا لغير الله وهى كبيرة ... ساءت عقيدتهم وساء المنطق
خشُبٌ وقفْتُ حيالها متعجّباً ... أوَينفعُ الانسانَ ما لاينطق !!
إنا نَضِنُّ على الفقير بخرقةٍ ... ولباسُها من جهلنا إستبرق
رَمَزُوا اليها خيفةً من شرها ... ورَجاوَةً فى خيرها وتملّقوا
وثنيّةٌ فى أبشع الصُّور التى ... عُرفتْ فانْ دَفَنُوا فذاك تشدّق
عُكستْ مقاييس التديُّن غفلةً ... وَعفا على الأذهان جهل مطبق
تقديسنا الأشخاص لا يَرضَى به ... دينٌ - ولله الكمال المطلق -

محمد سيد سلمان

للذكرى

من قصيدة للشاعر الكبير أحمد الكاشف

إذا الحرب بين الناس للبغى سعرت ... فسيان فى الحرب الشجاعة والجبن
جنوها بلا أمر الزمان وإذنه ... وهل يعوز الأمر الضوارى والاذن
وعلماً وفناً أصبح القتل بينهم ... وما العلم إلا للحياة ولا الفن
زلازل من أيديهم وصواعق ... بها اليوم صار الضرب فى الأرض والطعن
أجنا عليها بدل الدهر ناسها ... فقد فعلوا ماليس يفعله الجن
يريدونها غنما وهم يهدمونها ... فهل عقلوا فيما أرادوه أم جنوا
وان يبق حى منهم لبنائها ... فهل يقدر الجرحى المهازيل أن يبنوا
وان ينج منها جانب لجناتها ... فما هو إلا للجناة غداً سجن
تقطعت الأسباب والسبل بينهم ... فما النقل إلا للدمار ولا الشحن
وعزت ضرورات الحياة عليهم ... فكاد يقام الكيل للريح والوزن
أيغنى عن الزاد السلاح وغيره ... وهل يستقيم الظهر ان فرغ البطن
ومن يتخذ فى أزمة العالم الغنى ... فأولى له من ربحه الأثم الغبن
أيلتمس القوت الجياع من الثرى ... ويأبون إلا أن يخالطه السمن
ويغضبهم خلط الدقيق وحولهم ... من الحرب فى أبدان غيرهم الطحن
وان لم يجد من خلقه الشعب مشبعا ... فلا القمح يغنى الشعب يوماً ولا القطن
سيكفى بالكفاف اليوم فيه مؤونة ... لمن فاته للضيق فى السعة الخزن
وأى طعام فى الأسى لا أعافه ... وان كانت السلوى أمامى والمن
أفى الغصن يوماً يرغب الطير ان خلا ... من الثمر المنضود والورق الغصن
وهل يدرك الوجدان والذهن غاية ... اذا اضطرب الوجدان واختلط الذهن
ومن أين يلقى أو يرى الضأن مترف ... اذا فقد المرعى لدى المترف الضأن

وانى لأدعو للعفاة سراتهم عسى حاتم فى أمة اليوم أو معن
وقد شغلت أهل الزمان صروفه فلم يبق فيه من يحن ومن يحنو
وانى لأرضى بيع نفسى ورهنها لنجدتهم لو أمكن البيع والرهن
ومن يحتمل عن قومه العبء لم يفق له ساعة بال ولم يسترح جفن
فمن للهيب الأرض بالمزن رحمة ورفقا عسى أن تطفىء اللهب المزن
ومن لى بعد الصلح فيها بساعة لأشهد من يعلو وأعرف من يعنو

بحث لغوى

(عود على بدء)

فى عدد ربيع الثانى من السنة السادسة نشرت بحثاً لغويا عن بعض ألفاظ أقليمية تستعمل فى جهات من بلاد مديرتى أسيوط وجرجا ولا يقصدون مدلولها الظاهر وانما يريدون لازم معناها كما شرحت ذلك فى الكلمة التى قدمت بها لهذا البحث ، وأرجو من القارىء الكريم أن يرجع عند قراءة هذا البحث الى تلك المقدمة

ولقد وعدت القراء الأفاضل باتمام هذا البحث كلما تصيدت شيئاً من هذه الكلمات اذ أنها لاتأتى الا بطريق الصدفة والتنبه الى المتخاطبين بها أثناء حوارهم وانى ملحق ماسأشرحه من الألفاظ بسابقتها ولا أقول انى استوعبت جميع معانيها فقد يكون لها معنى آخر لم يفتح علىّ ، ولكنى أقول ومن الله أستمد العون والهداية:

١٠ - (تيّر) اشتقاق هذه الكلمة من التيار وهو تدفق الماء بشدة ويريدون بها لازمها وهو اتجاه الحديث أو الرأى الى جهة بعيدة عن الصواب كما يتجه الماء بفعل التيار الى جهة بعيدة فيقذف ماعلى سطحه من سفينة وغيرها الى حيث يتجه.

١١ - (ينقاس) يقولون هذا البناء يكاد أن ينقاس ، يريدون لازم هذا الفعل أى ينقض اذ أنه متى انقض سهل قياسه على الطريقة الفطرية البسيطة التى لاتعرف

الهندسة التكميبية ! ومن هذا كلمة القيّاسة التى يطلقونها على السفينة الكبيرة فكأنها إذ تقطع البحر تقيسه .

١٢ - (بقّم) السمك يقصدون بهذا الفعل ظهور حركة منه قريبة من سطح الماء تدل على وجوده فى بقع كثيرة منه .

١٣ (يَرُجُّ النخلة أو الشجرة أى يحصبها لاسقاط ثمرها ومن لازم الحصب الارتجاج ، والواقع أن التعبير (بالرج) أقوى من الحصب لأن الرج يتناولها كلها أما الحصب فيتناول جزء منها

١٤ - (ميّل أعداله) يقال فلان شتم فلانا حتى ميّل أعداله والأعدال جمع عدل وهو وعاء يكون على الراحلة يوضع فيه الزاد وخلافه ويقصدون به لازم إمالة الأعدال وهو اختلال نظام التفكير من أثر الشتيمة المقذعة أو كأنه لم يُبْقِ فيه وصفا معتدلا إلا أماله وجرّحه تجريحاً شديدا

١٥ - (جاءته فحمة) من الإفحام دعوة على من يبغضون يقصدون لازمها وهو الصمت الدائم أو البكم

١٦ - (حلّق عليه) و (قطّب عليه) بمعنى واحد وهو ضيّق عليه، فحلّق من الحلقة أى مازال به حتى وضعه فى الحلقة وقطّب من التقطيب وهو تضييق طيات الجبين والجامع التضييق فى كل

١٧ (قرّط عليه) أى شدد عليه إما أن تكون من القيراط أو من القُرْط وهو حلية الأذن (الحلَق) فان كانت من القيراط فانهم يقصدون أن المشدد عليه كان يمرح فى أرض واسعة فاجتازه المضيّق فى مثل القيراط وإن كانت من القُرط فكأنه صار من عيشه فى ضيق موضع القرط من الأذن

١٨ (كوّع) أمر بالنوم يقصدون لازمه وهو توسد الانسان كوعه أى ذراعه من باب تسمية الشىء بجزء منه خصوصاً والكوع أول الذراع

١٩ - (شملق أو شغلق) بالعين المهملة أو الغين المعجمة سواء فيقول قائلهم

لاحاجة يملكها هـذه شملق بالعين المهملة وهـذه شغلتى بالغين المعجمة فان نطقها بالعين فهى من الشـعْلة أى مجمرة ويقصد بها أنها ملكه وحبها فى قلبه متقد اتقاد الشعلة . وان نطقها بالغين فتدل على ملكيته إياها كذلك فهى شغله أو شغلته التى انشغل بها، فالتعبير بكلا اللفظين يقصد به الملكية . ومن هذا الباب لفظة (بتاعى) التى تدل على الملكية ويحسب الناس أنها عامية مع انها عربية فصيحة إذ أن أصلها متاعى انقلبت ميمها باء وكثيراً ماتنوب الباء عن الميم فى مثل مكة وبكة

٢٠ — (بلّغُوا المريض) يريدون أعطوه شيئاً خفيفا يمسك الرمق ويناسب المرض حتى بلغوه الشفاء فالمفعول محذوف يدل عليه المقام

٢١ — (يتجاون) مثل (يتكامل) سادسة الألفاظ الواردة بالبحث الأول بمعنى يعكر عن طريق معناها اللازم ، والجون الأسود والأبيض فهو من الاضداد إلا أنهم يقصدون السواد فى هذا المقام أو الظلام فكأن المخاطب أحس أن المتكلم سلك به سبيلا مظلما أو سبيل التعمية بعد أن كان يسير به فى طريق النور أو الصراحة

٢٢ — (عرص البهيمة) يقصدون ربطها من أذنها خاصة ولكن معناها اللازم انه ربطها فى أى عضو لتلزم عرصة الدار

٢٣ — (دَرَعْنى) هذا الفعل معناه عندهم طلع عليه فجأة فأخافه وكيف يكون ذلك والكلمة مشتقة من الدرع وهو اللباس الواقى عند الحرب ، ذلك أن من لوازم المحارب أن يدّرع عند لقاء عدوه ولازمه الخوف على حياته من ضربة أو طعنة فكأن الخوف المفاجىء اضطره للبس الدرع فاشتق من الدرع مايفيد شعوره بالخوف

٢٤ - (تسبّل) بمعنى امتنع عن فعل ماكلّف به عن طريق تصيد الحيل من كافة السبل فلم يمتنع امتناعا ظاهراً

٢٥ - (عزُّه) يوصف به الشىء بلغ حدّ الاعتدال بلا نقص أو زيادة ، فيقال هذا الثوب عزه على صاحبه أى انه منسجم على جسمه انسجاما أكسبه عزا

٢٦ — (مدوّم) يوصف به الجالس ذاهلا عما حوله من شدة التفكير وهو مشتق

من الدوامة وهى دوران الماء فى بعض جهاته دورانا شديداً ذا خطر على السفينة التى تقترب منه ويقصد بالجالس هكذا أن أفكاره تدور فى رأسه دوران الدوامة فى البحر وتذهله عمن حوله .

٢٧ ـ (لا أسوِّكك) هذا الشيء أى لا أجعلك تذوق شيئاً منه ولو بمقدار ما يتخلف فى الفم من السواك بعد استعماله فهو مبالغة فى الحرمان

٢٨ ـ (لا أقنطر عليه) أى لا يقدر على توفية مطالبه ، واشتقاقه إما من القنطرة أى لا يستطيع أن يبنى أمام رغباته قنطرة تحجزه عنها أو من القنطار بمعنى أنه لا يستطيع أن يجمع له القناطير التى تسد هذه الرغبات .

٢٩ ـ (شَمَّخ) يعبر به عن نوع من السباحة لا يضرب فيه السابح سطح البحر بذراعيه بل تتحركان تحت الماء كما يفعل الحيوان مع ارتفاع رأسه الى أعلى كهيئة الشامخ بأنفه .

٣٠ ـ (يوارب الباب) يقارب بين درفتيه بدون انطباق بقصد الاستتار ؛ وهى من المواربة فى الحديث ، وهى حالة بين التلميح والتصريح كما أن مواربة الباب حالة بين الفتح والايصاد .

محمد صادق عرنوس
وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

هجرة منقذ البشر

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد البنا مدير الادارة الدينية

١

فى بطاح بلاد العرب كان يعيش قوم من البدو طغاة عابثون، ينحتون الأصنام ويعبدونها ، ويصنعون الأوثان ويقدسونها ؛ لم يبق الشرك من عقائدهم إلا رسما محيلا ، وأثراً ضئيلا ، وكثير منهم كان قائماً بعقيدته راضياً بضلاله ، وقليل منهم كان يتنبه فيه داعى الفطرة السليمة فتأخذه الحيرة ويسائل نفسه : لماذا نعبد الأوثان ونهيم فى هذا الاثم المبين ؟

اجتمع قوم منهم لاحياء عيد للعزى . فقال أحدهم لأخيه هامساً فى أذنه : « والله ما أنتم على شىء وإنكم لفى ضلال ، فما حجر نطيف به لا يبصر ولا يسمع ، لا يضر ولا ينفع ، ومن فوقه يجرى دم النحور ؟ ياقوم التمسوا لكم غير هذا » .

هذا القليل ينكر الباطل ولا يعرف الحق ، ويزدرى الخطأ ولا يهتدى الى الصواب ، تطلعوا بقلوبهم الى السماء أين الهداية ؛ أين الرشاد ، وفى فينة من الزمان وجدوا رجلا اعتزل عبادتهم فى فتوته ؛ وناديهم فى صبوته ، واتجه بنفسه وبما هيأ له الى نوع آخر من العبادة ، وضرب من ضروب التدين لم يألفوه ولم يعرفوه .

ثم فاجأهم صوت هادىء : ياقوم انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم ضراً ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، وانما الأمر كله للواحد القهار فاعبدوه واشكروا له اليه ترجعون.

راع ذلك الصوت أفئدة العرب ، وهالهم أن يقوم رجل منهم يأتيهم ببدع من الدين جديد ، يسفه أحلامهم ، ويضلل آباءهم . فقالوا خذوا على يديه قبل أن تجتمع العرب عليه . . .

لكن الباطل دائما فى تفرق وانخذال . فلم يفلح مع هذا الداعى ، حتى لقد

ساوموا فيه أهله ومواليه ليسلموه فلم ينجحوا ، فلما برموا بأمره أجمعوا كيدهم وقالوا نحبسه ، أو ننفيه ، أو نقتله ، واستقر الرأى على القتل ليستريحوا راحة كبرى ، وما هم بفاعلين .

هنا بدأ المعترك الذى اصطرع فيه حب الوطن وحب العقيدة ، ولكن الفوز دائما للحق والايمان :

الوطن عزيز على النفس محبب اليها ، فكل مافيه يوحى اليها أطيب الذكر وأكرم الأثر ، ففيه أول متع تمتعت بها النفس ، وأول مشاهد اجتلتها العين . وأصدقاء الفتوة وحديث الشباب العذب وأيامه الغر ...

وحبب أوطان الرجال اليهمو   مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكرت أوطانهم ذكرت لهم   عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

لكن هنالك أمراً أعز على الحر وأثمن من كل شىء سواه ، هو خلاصة معنى الانسان وهو الذى يرفع الانسانية الى أعلى درجاتها ، وذلك هو العقيدة اذا تغلغلت فى النفوس ، والايمان اذا خالط القلوب فأصاب شاكلتها .

لا مفر إذن من وطن يحوط هذه العقيدة بالعزة ، ويصونها من المهانة والابتذال فخرج صاحب العقيدة يلتمس الوطن ولم يكن إلا ما أراد الله : أهل خير من أهل ، وجيران خير من جيران ، ودعاة كثير يبثون عقيدته ، ويحملون نوره ، ويمنعونه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وذلك هو الفوز المبين .

همس « أبو بكر » فى أذن صديقه الأكبر « إننا فى هذه الديار مغلوبون .
وأولوا الفضل فى أوطانهم غرباء ، وفى الأرض عن دار القلى متحول »

يعبر بذلك لصديقه الأكبر على أن الحيلة قد نفدت ، ولم يبق فى قوس الصبر منزع ، ولكن الصبر درجات بعضها فوق بعض ، والاحتمال على قدر الطاقة ، وماظنك بطاقة النبى الكريم ، وصبر الرسول الرحيم ، قال ياأبا بكر : لم يؤذن لى بعد ...

وفى هزيع ليل من الليالى قال الصديق الأكبر لصديقه الوفى : قد أذن لى الليلة

فى الهجرة يا أبا بكر . فلم تتطلع نفس أبية كالتى يحملها أبو بكر إلى مال ولا نشب ، ولا جاه ولا سلطان ، ولا أهل ولا جيران ، ولكن له طلبة واحدة هى الصحبة يارسول الله !

خرج الراحلان وضل الناس ، وملكتهم الحيرة حتى جعلوا لمن يقتل محمداً أن دينه ملكاً لنفسه ، وتبارى الباحثون واتبعهما « سراقة » أحد الباحثين طمعاً فى المال ، وحباً فى المآل ، ولكن الله الذى أراد لنبيه أن يظفر ، ولدينه أن ينتصر ، تجلت معجزاته ، وبهرت آياته ، فرجع «سراقة» يرد الطرف وهو حسير ... وأخذ الراحلان طريقهما الى مدينة النور ، وكانت النجاة ، وكان النصر . . .

دخل الرسول وصاحبه المدينة بين ضياء الحق وبهائه ، ومهابة الدين وروائه ، يبسطون رحمة الله على الانسان ، ويحوطون من انضوى إلى رايتهم بالأمان ، وينشرون مدنية الاسلام الفاضلة لاتستغل ولا تذل ، ولكنها تثمر وتعز ، وينتقمون للتوحيد ، فاذا العزة لله ولرسوله والمؤمنين . ويضربون عنق الشرك فاذا الهوان الأليم للمشركين الضالين ، وهم لايملكون مع ذلك عدة إلا عظمة النفس ، وعظمة النفس لاتقهر ، وليس عندهم قوة إلا قوة الله وبأسه . والله أشد بأساً وأشد تنكيلا .

وإن تعجب فعجب أمر ذلك النفر الذين كانوا بالأمس مستضعفين يتخافتون بينهم همساً ، ولا تكاد تسمع لهم ركزا ، قد أصبحوا فاتحين غانمين يصيحون بدعوتهم ، فاذا كل صوت بجانبها خافت ، وكل جبار لسطوتها ذليل خاضع ، ويحولون العالم أجمع من ركود إلى حركة ، ومن فوضى الى نظام ، وينقلون البشر من حظيرة الوحشية إلى باحة الحضارة ، ومن ظلمات الجهالة الى شموس العرفان . ولكنه نور الله اذا ظهر لايخفى ، واذا أشرق لايحجب ، « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »

محمد البنا

من دروس الهجرة

للأستاذ زكريا على يوسف إمام وخطيب مسجد الحصرى

روى البخارى وغيره من الأئمة حديث الهجرة ، وهو حديث طويل مشهور معلوم ، وقد اعتاد الناس فى مستهل كل عام هجرى أن يكتبوا ويخطبوا فى موضوع هجرة الرسول ﷺ ، ولكنى أكتب اليوم لهذه المناسبة مايتسع له المقام من الدروس البليغة التى تلقيها علينا قصة الهجرة ، تاركا سرد القصة نفسها ، مكتفياً باحاطة القراء بها :

(١) ينبغى لصاحب الدعوة أن يكون حريصاً على أسرارها ، ولا يبوح بها إلا للقليل ممن يثق بهم كل الثقة . وبغير ذلك لايضمن نجاح دعوته مهما كانت حقة ؛ لأن أسرار الدعوة اذا سارت بين الناس لاتعدم من يقوم فى وجهها ويقاوم تقدمها. يدلنا على هذا أن الرسول لما ذهب الى بيت أبى بكر ليخبره بعزمه على الهجرة أمره قبل أن يخبره بأن يُخرج من عنده ؛ فأجابه بأنما هم أهله .

(٢) على كل صاحب دعوة يحرص على نجاحها أن يحتاط كل الحيطة فى أعماله التى توصله الى غايته ، ولا يغفل عن كبيرة ؛ ولا تفوته صغيرة . ألا ترى ان النبى ﷺ عند خروجه من مكة لم يركب راحلته هو وصاحبه ، ولم يخرجا جهاراً نهاراً ، بل خرجا باستخفاء ، وكانت الرواحل مع غيرهما .

(٣) على كل صاحب دعوة أن يصبر على مايناله من تعب ومشقة ، فالتعب والنصب من لوازم نجاح كل دعوة . وناهيك بما لقيه ﷺ من ذلك قبل الهجرة وفيها . واذا كانت دعوة الرسل كذلك فما بالك بمن ينادى الآن باصلاح أى ناحيه من النواحى التى طال على فسادها الزمن فأصبحت هى الأصل الحق ، وماعداها الضلال

(٤) انه يجب على كل صاحب دعوة أن يكون بصيراً بالمدعوين، ولا يغنى عمره

مع أناس لا فائدة للدعوة منهم . فان النبي ﷺ لما بلغ أهل مكة وما حولها دعوته، ومكث بينهم عشر سنوات ورأى قلة المستجيبين له، هاجر منها الى آخرين، فانتفعت بهم الدعوة ، وعم بهم النور .

(٥) على صاحب الدعوة أن يكون عزوفا عما في أيدي الناس حتى ولو كان في حاجة اليه . ألا ترى أن سراقة حين عرض على الرسول زاداً فأبى ﷺ مع أنه في سفر ونصب وتعب .

ومن هنا أستطيع أن أصرح في غير غموض ولا إبهام : إن من دعا الى مبدأ في الاصلاح الخُلقي أو السياسي أو غير ذلك ، ثم رأيناه قد اغتنى من بعد فقر ، واكتسى من بعد عُري ، وشبع من بعد جوع ، فقد أقام الدليل الناصع الذي لا يُدفع ، على كذبه في دعوته، وعلى أنه يتجر بها، وأنه مضلل لأمته، خائن لدينه ووطنه

(٦) على كل صاحب دعوة أن لا ييأس من عدم نجاحها مهما طال الزمن . فما دام يعتقد صحة دعوته ، فليصبر وليصابر حتى تهيأ الأذهان والقلوب لقبولها ؛ فهذا محمد ﷺ مضى عليه عشر سنوات في مكة ولم يستجب له إلا القليل، ولكنه صبر حتى قبلها غيرهم ثم قبلوها هم راغبين راهبين .

(٧) على كل صاحب دعوة أن يكوّن ممن يعتنقونها كتلة واحدة تتعاون في هذه الحياة ، ويؤاخي بين أعضائها ، ويجعل منهم أسرة واحدة يعطف غنيها على فقيرها، ويساعد قويها ضعيفها ، ويُضحي كلٌّ بما في وسعه لاخوانه ودعوته ، وتطهير هذه الكتلة من الحشائش الفاسدة ، والحشرات الدخيلة حتى لا يعتور هذه الكتلة ضعف ولا انحلال ، فتموت الدعوة في مهدها .

ألا ترى كيف ضحى من آمن بالنبي ﷺ في سبيل ايمانه بكل ما يملك من مال وعقار ، ووالد وولد ، وهاجر معه الى بلد نائية ليس له فيها قليل ولا كثير ، وسرعان ما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، حتى عرضوا على المهاجرين أن يقاسموهم أموالهم وبيوتهم . ومن هنا اتخذت الدعوة لونا جديداً ،

وأصبحت راسخة كالجبال حتى عمت الآفاق ، ودخلت الشام ومصر والعراق .

أما لو كان المؤمنون بالدعوة عند ظهورها : أمثالنا من التقاطع والتدابر، والتعالى بالأنساب والأحساب والألوان ، والأثرة والأنانيـة ، فوالله ماوصلت الدعوة إلى ماوصلت اليه ، ولماتت فى مَهْـدِها ، وَلَصارُوا سبَّـة عليها .

هذا بعض مايؤخذ من هجرة الرسول ﷺ من الدروس القيمة التى اذا لم ينتفع بها الناس مع هذه الاحتفالات والخطب والـكتابة فلا معنى لذلك كله ، وأولى بهم أن لايفعلوا ذلك حتى لايزيدوا الطين بلة ؛ فان دعاة الاصـلاح الصادقين ليزداد ألمهم كلما رأوا إعراض المسلمين عن دينهم ، وعدم انتفاعهم بالذكريات المجيدة .

وأختم كلمة اليوم بتوجيه القراء الى دراسة الهجرة دراسة تعمق وتنقيب فانهم سيخرجون منها بأضعاف ماذكرت من دروس ، وليحرصوا على تطبيق ذلك فى أنفسهم لاسيما وهم ألسنة السنة الناطقة ، وحجة الله القائمـة (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

تجديد الاشتراك

نذكّر قراء « الهدى النبوى » الذين انتهت مدة اشتراكهم بأن يسارعوا إلى إرسال الاشتراك عن السنة السابعة وهو ٢٠ قرشا فى البلاد المصرية و ٣٠ بالخارج والادارة ترجو عدم الابطاء حتى يتسنى لها الخروج من هذا الغلاء الفاحش

وكذلك ترجو الادارة من المتعهـدين أن يوالوا إرسال حسابهم أولا فأولا ؛ لأن الظروف الآن لاتساعد على التأخير .

إنا لله وإنا إليه راجعون

احتسب فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية في ولده الطاهر رحمه الله حيث توفاه الله في فجر الثلاثاء لأربعة عشر خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦١ وهو في الحلقة الثالثة من عمره . وقد حدث هذا المصاب ووالده الأستاذ متغيب في الديار الحجازية ، فكان الكبير من أنصار السنة للفقيد والداً شفيقاً والصغير له أخاً شقيقاً ، إذ المصاب مصابهم جميعاً . ولقد اشترك المقيم منهم في القاهرة وضواحيها في تشييع الجنازة إلى مدفن العائلة بقرافة المجاورين ، كما اشترك بقية الاخوان في مختلف البلاد بعد ذلك إما بالحضور من بلادهم وإما بارسال الاشارات البرقية أو الرسائل ، وكلها تفيض إخلاصاً وتقديراً للمصاب والدعاء بالصبر عليه . وقد عتب علينا بعضهم لعدم إخبارنا إياهم بالنبأ في حينه حتى كان يمكنهم الاشتراك في تشييع الجنازة

ولقد أكرم الله الفقيد بأن جعل جنازته تطابق السنة من كل وجه فلله الحمد والمنة ، ووجدنا على تطبيق السنة يوم وفاته أكبر نصير من أعمامه الأفاضل فقد كانوا حقاً وبقية أفراد العائلة من الصابرين المحتسبين ، الوقافين في مثل هذا المقام عند حدود ما أمر الله ورسوله .

ولقد شارك أنصار السنة في مصابهم كثير من أصدقاء والد الفقيد كحضرة صاحب السيادة الشيخ فوزان السابق وزير المملكة العربية السعودية وصاحبي الفضيلة الأستاذين الكريمين الشيخ عبد المجيد سليم مفتي المملكة المصرية والشيخ أحمد حسين مفتي وزارة الأوقاف والأستاذ العالم الشيخ أحمد شاكر القاضي الشرعي وغيرهم من القضاة والعلماء والسراة . والله نسأله أن يثيبهم جميعاً ثواب المحسنين كما نضرع إليه تعالى أن يلهم والده الصبر الجميل وينزل على قلبه السكينة وأن يحل الفقيد واسع جنته

هذا وقد جاءتنا مرثية رقيقة الأبيات من الشاب النابه محمد علي أبي العز الطالب بمدرسة الفيوم الثانوية تدل على نبل شعوره ورقة إحساسه نكتفي بالتنويه عنها ، معتذرين عن عدم نشرها لظروف خاصة .

العدد ١٥ مليما الاشتراك ٣٠ قرشا
صفر سنة ١٣٦٢ العدد الثاني السنة السابعة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم



مجلة دينية علمية إسلامية (شهرية مؤقتاً)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقى

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصرى والسودان
و٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية



الداء والدواء

قال الله تبارك وتعالى من سورة المعارج (إن الانسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . والذين يصدقون بيوم الدين ، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم غير مأمون . والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم بشهاداتهم قائمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك فى جنات مكرمون)

نجّم الله سبحانه وتعالى أوصاف يوم القيامة على كثير من سور القرآن بأساليب إن اختلفت فى التعبير ، فهى اتحدت فى الغايات ، إذ الغرض منها إنذار الناس (يوما يجعل الولدان شيبا ، السماء منفطر به كان وعده مفعولا) حتى يقام الساهي ويثوب الغافل . ومن هذه الأوصاف ماجاء بأول سورة المعارج حيث يقول (يوم تكون السماء كالمهل . وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميم حميما) . هذه السماء المتماسكة الأجزاء التى بناها الله بأيد أى بقوة ، تصبح فى ذلك اليوم كالمعدن المذاب على مَهل ليكون ذوبانه تاما وأجزاؤه أشد انحلالا . وهذه الجبال الشامخات التى سماها الله أوتادا فتمسك الأرض أن تميد بنا تصبح كالصوف المنفوش الملوّن ، وحكمة تشبيهها بالصوف الملون لاختلاف ألوان الجبال : والصوف فى ذاته خفيف ، فما بالك اذا نفش فانحلت شعراته ؟ لا جرَم يزداد خفة حتى ليطير مع الريح . وهذه الصداقة

المتينة والمودة الصميمة لا تنفع الصاحبين يومئذ بل لا يسأل فيه أحدهما الآخر لكل منهما من هول الموقف ما يشغله ، وعما حوله ما يذهله .

ثم تابع سبحانه هذا الوصف الرائع فقال (يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه . كلا إنها لظى ، نزاعة للشوى ، تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى أولئك الأصدقاء ولو أنهم لا يتساءلون ولا ينفع بعضهم بعضا ، ولكن يرى كل موقف صاحبه ، فيود المجرم منهم لما يلقاه من بلاء لا يحده وصف ، وشقاء لم يعهد عرف ، لو يضحي في سبيل نجاته بأحب الناس اليه من بنين كانوا له قرة عين ، وزوجة كانت له نعم العون ، وأخ شقيق وقبيلة تشد أزره في النعمة والضيق . بل بالناس جميعاً لو قبل الفداء . وهيهات فقد سدت عليه الطرق إلا طريق النار التي وصفتها الآية بأنها لظى نزاعة للشوى ، أي ملتهبة متسعرة ، تنزع جلدة رأس المجرم والعياذ بالله أما التعبير بـ (تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى) فغاية في الروعة ودقة التصوير ، فكأنه يقول إن هذه الصفات وهي الادبار عن الحق والتولي عن الداعين اليه وجمع الأموال لمجرد الجمع لا لسداد متربة ولا لدفع مسغبة ، صيرت صاحبها من (عملاء النار) تدعوه فتجذبه اليها ، وتشير اليه فيقبل عليها !!

ثم بعد ذلك وصف الحكيم الخبير في الآية التي نحن بصدد شرحها داء الانسان المعضل ، وأرشده إلى دوائه الفعال ، حتى لا يكون من المرشحين لأعمالهم السيئة ، لدعوة النار إياه .

أما الداء فوصفه بقوله (إن الانسان خلق هلوعا ، وف[illegible] بقوله ـ إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا) وأما الدواء فهو قوله (إلا المصلين) الخ من مفردات ذلك الدواء الناجع ، والطب النافع .

والمعنى والله أعلم أنه سبحانه [illegible] داء فطري في طبيعة الانسان ، فإذا ترك من غير علاج [illegible] وقضى على ما فيه من فضائل [illegible] بل وذروة سنامها : الصبر عند الملمات

والمسارعة فى الخيرات، حتى اذا خرج من الدنيا وهو على حاله هذه كان من ضيوف النار الذين تدعوهم فينجذبون اليها . لذلك أرشد الله الانسان إلى الدواء الذى إن تعاطاه أكسبه مناعة ضد هذا الداء فيكون بمنجاة والناس حوله مصابون . وعلى ثقة من ربه والناس فى ريبهم يترددون .

وفصل مفرداته وبدأها بأقواها مفعولا وهى :

(١) الصلاة التى فيها (الألف واللام) للعهد ، أى المعروفة عند المخاطبين سواء من شهد أو من بلغ ، الموصوفة بشروطها وأركانها وخشوعها وأثرها ، لا صلاة الناقر نقر الغراب . ولا المار فى أدائها مر السحاب . وبالنسبة لعظم أهميتها وخطر مسئوليتها ، بدأ الآية بالدوام عليها وختمها بالمحافظة عليها ، والمعنيان متقاربان إلا أن معنى المحافظة يشمل الاستمرار من جهة ويشمل أداءها فى أوقاتها كاملة غير منقوصة من جهة أخرى . وفى المحافظة معنى الاقامة التى حض الله عليها والتى تدل على تقويمها كما يقوّم الرمح ، وعلى تجويدها كما يجوّد كل شىء يعنى به الانسان .

وإنك لتقرأ جميع الآيات الواردة فى شأن الصلاه فى القرآن — وما أكثرها — فتراها ترتب على إقامتها كل خير وسعادة ، وعلى إضاعتها كل شر ليس وراءه زيادة . واسمعه إذ يقول : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) فجعل أثر ترك الصلاة أتباع الشهوات . كما قال بلسان من غلبت عليهم الشقوة جوابا عن سبب ما لهم : « لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين » الخ . فرتب مصيرهم هذا على أس كل شر وهو ترك الصلاة وغير ذلك كثير .

وفى الحالة العكسية تراه رتب الهناء والنعيم المقيم على أداء الصلاة كما أمر أن تؤدى حتى تؤتى الثمرات المقصودة والنتائج المنشودة بل جعلها هى الحائز على معالى الأمور ، ومزاولة التجارة التى لن تبور ، فقال : (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور) وقال (قل لعبادى الذين آمنوا يقيمون الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم

لا بيعٌ فيه ولا خلال) وقال (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) وقال (وأقم الصلاة طرفى النهار وزُلَفاً من الليل، إن الحسنات يذهبن السيئات) وجعلها فى مواطن من كتابه مما يستعان به فى قضاء المصالح فقال (واستعينوا بالصبر والصلاة) والاستعانة تصدق فى مهام الدنيا والآخرة .

وهكذا يجد المتتبعُ للآيات التى ذكرت فيها الصلاة عناية كبرى من الله عز وجل بهذه الشعيرة العظيمة، والواقع أنها كذلك إذ هى مفتاح الوصول بين العبد وربه متى أقامها كما أمره ، وقد فرّقها على الليل والنهار ليديم اتصال عبده به ليستمر له ذاكراً ، وليكون مولاه له ناصرا .

ومع أن هذه الفريضة فى المنزلة التى علمت ؛ فانك تجد من تصدروا لتثقيف العامة فى دينهم لا يتناولون الصلاة إلا من جانبها المادى الذى لا يكاد يجهله أحد من الناس كالوضوء وأحكامه ونواقضه ، والمياه وأنواعها من حيث طهارتها وتطهيرها ، والاغتسال من الجنابة والصلاة (الاصطلاحية) وكيفية أدائها والفوائت والتشديد فى قضائها وغير ذلك مما تفيض به كتب الفروع المذهبية مع ما فيها من الخلط وتشويش الأذهان ، والفروض التى ما أنزل الله بها من سلطان. ثم تراهم يغفلون من الصلاة أحسن ما فرضت لأجله من تهذيب النفوس وتزكيتها وتقريبها الى ربها ولا يبينون للناس حكمة تشريعها ، وسر توزيعها على أوقات اليوم؛ ولِمَ اعتنى بها القرآن عناية لم تفز بها فريضة أخرى ، وما معنى الارتباط بينها وبين الزكاة ؟ بل وبين كل إحسان فى قول أو عمل .

كل ذلك عندهم هيّن ، أو غامض غير بيّن ؛ وتراهم يوردون فيما يوردون حكم تارك الصلاة وانه لا يكفر ولو تركها متعمداً إلا أن يكون تركها جحودا !! ويسمون تاركها عمداً (مؤمنا عاصيا) فقط !! وأنّى لتارك الصلاة المتجافى عن لقاء ربه ، المتكبر عليه إيمان أو شبه ايمان ، وهذه نصوص القرآن صريحة فى تكفير تارك الصلاة مطلقاً ، وكذلك نصوص السنة الصحيحة ؛ حتى ان الرسول ﷺ همّ بتخليف

أحد أصحابه فى الصلاة وتحريق دور من ترك صلاة الجماعة فحسب ، لا من ترك الصلاة أساساً .

وكذلك أطبق من يعتد برأيهم من علماء السلف على تكفير تارك الصلاة . أما التفرقة بين تاركها عمداً وتاركها جحودا ، فهذه تفرقة حادثة لم يصرح بها قرآن ولم تأت بها سنة ، بل نصوصهما بخلاف ذلك على خط مستقيم . ويكفى أن نورد فى هذا المقام قوله تعالى (ماسلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين) ولا عبرة بما أوردوا على هذه الآية من تأويل وتمحل بعيدين كل البعد عن مقصد القرآن الكريم. وكذلك قوله (فان تابوا ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين) وبغير إقامة الصلاة ليسوا باخوان لهم أو ليسوا بمسلمين .

أما نصوص السنة المستفيضة فى هذا المعنى فهى أكثر من أن يسعها هذا المقام ونجتزىء منه بحديث مسلم فى صحيحه « بين العبد والشرك والكفر ترك الصلاة »

وأنا لا أفهم الى الآن معنى قصر الكفر على تاركها جحوداً بل افهم انه عند ماتأتى مسألة الجحود يستوفى حكم الجاحد بأقل كلمة فى القرآن بالجاحد بأكبر أمر فيه ، فالمؤدى هو الكفر على كل حال . إذن نفهم من هذا ان الحكم يتناول من نراه تاركا للصلاة على اى صورة كانت نيته فى تركها .

ولكن دأب أولئك العلماء عفا الله عنهم على تهوين الذنوب عند العامة ليفوزوا برضاهم حتى ترى الواحد منهم يجترح الكبائر مطمئناً الى إسلامه الموروث، ولو كان بينه وبين الاسلام الحقيقى الذى يقول الله عن الموصوف به (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) بعد المشرقين ، فان تاب فتوبة لسانية لاتدحض ذنبا، وان ندم فندامة ظاهرة لاتلين قلبا . ولو انصفوا لردوهم الى مقطع الحق فى ذلك ، وهو ان الاصرار على الذنوب من موجبات دخول النار، وغضب الجبار ، والتوبة النصوح تجب الذنوب مهما عظمت : على شرط الصدق فيها وأخذها بقوة بدون تلاعب او اصطناع حيلة، فالله هو الرقيب وناهيك به من حسيب .

ولقد جرى القرآن الكريم على أن يحض على الصلاة ، لتكون وسيلة لاصطناع المعروف وإغاثة الملهوف فقال بعد ذكرها :

(٢) «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . والحق المعلوم وإن كان هو النصاب المعروف إلا أن القرآن كثيراً ماحض الناس جميعا ـ سواء من وجبت عليه الزكاة أو من لم تجب ـ على فعل الخير حتى يكون ملكة راسخة فى النفوس كلها ، وحتى لا يجد من ليس عنده فضل مال عذراً فى التقصير ، وإنك لتراه يأمر من لا يملك إلا لسانه ألا يضن به فى التنبيه على مساعدة المحتاج ، فقال : (كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) وقال (أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدعُّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) حتى يكون المسلمون يداً واحدة فى بناء صرح المجتمع ولا تكون بينهم يد شلاء وحتى يصدروا جميعاً عن عقيدة واحدة وهى التصديق بالحسنى ، فيحسوا إحساساً واحدا ، هـذا معنى قوله تعالى : « انما المؤمنون إخوة » .

ولك أيها القارىء الكريم أن ترسم بريشة الخيال على لوح ذهنك أمة على هذا النمط . كل منها يساعد أخاه فى دائرة قوته ، أيكون بينها محروم؟ أيكون فيها متشرد ؟ أيعبث بأمنها مجرم ؟ كلا لن تجـد فيها من هـذه العينات أحدا . وحالة الاستقرار والأمن والسعادة هذه هى التى أرادها الكتاب العزيز من وراء تلك الأوامر لو عقل الناس ، وهى التى لو نفذت لأنقذت البشرية جمعاء مما تعانيه من بؤس وأهوال كانت خاتمتها هذه الحرب الضروس التى هزت الكرة الأرضية هزا .

(٣) « والذين يصدقون بيوم الدين» لأن التصديق به شرط أساسى لقبول عمل العامل من جهة أولا ولاحسانه فيه وتحرى صدق النية فيه من جهة أخرى .

(٤) « والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم غير مأمون» والاشفاق من عذاب الله ، جزء متمم للتصديق بيوم الدين ، والانسان الموفق كلما تقرب بالأعمال الصالحة الى ربه كلما رجا رحمته وخاف عقابه وكانت خشيته له أشد ، ولذلك كان

أخوف الناس من الله الأنبياء فمن دونهم من الصالحين . ومن الخوف والرجاء يتكون مزيج من الإيمان لا يستقيم شأن الانسان إلا به ، ويقول الله فى آل زكريا عليه السلام (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا عابدين)

(٥) « [illegible] حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم [illegible] ض [illegible] لا [illegible] الفتاكة ، هذه الرذيلة فإن لها من الآثار السيئة ما تسأل عنه المستشفيات وعيادات الأطباء التى تعالج الأمراض السرية كالزهرى والسيلان والجمرة الخبيثة وغير ذلك من ثمرات هذه الجريمة الملعونة ، فهى زيادة عما ينتشر بسببها من الأمراض الفتاكة التى تهد كيان الأمة هداً ، وتضعف نسلها بل تلاشيه كما حصل فى أمم ليست منا ببعيد ، فانها تكون سببا فى اختلاط الأنساب فلا يدرى والد ولده على وجه التحقيق فينتشر الفساد فى كل جانب ، ويستولى على الحقوق من ليس لها بصاحب ، لذلك شدد الله فى النهى عن تلك الجريمة وجعل عقوبة من يأتيها محصناً الرجم حتى الموت ومن يأتيها أعزب الجلد مائة سوط وتغريب عام . ويا حبذا لو ألهم الله أولى الأمر فنفذوا حكمه فى عباده إذن لكفاهم ذلك مؤنة هذه المتاعب وما هم بسبيله من مشاكل إلغاء البغاء ، نسأله تعالى أن يلهمهم الرشد ويدلهم على الصالح

(٦) « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وأية فضيلة هى أطيب أثرا . وأزكى خبرا ، من فضيلة الأمانة : والمحافظة على العهد ؟ يقول الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ويقول : (فليؤد الذى ائتمن أمانته وليتق الله ربه) وانك لتجد الرجل غير المسلم أميناً فتراه محبوبا وموثوقا به إن كان تاجراً راجت تجارته ، أو صانعاً نفقت صناعته ، لأن الأمانة رأس مال لا يعتريه الكساد أبداً . ومن الأسف انها كادت ترتفع من بين أوساط من يدعون الاسلام فلا تجد من بين كل ألف منهم واحدا يؤدى الأمانة كما احتفظ عليها ، او يرعى عهداً قطعه على نفسه ؟ ولقد كانت الأمانة أظهر صفات

الرسول ﷺ فى الجاهلية حتى لقب بالأمين ، وكان اشتهاره بهذا الخلق الزاكى قبل الرسالة ليقضى على مانسبوه اليه افتياتا او يوهنه — حتى عند انفسهم — بعد الرسالة

وأفضل أنواع الأمانة أن تؤدى مافرضه الله عليك، وتتجافى عما حرّمه عليك لأن المضيع لحق الله يكون لحقوق غيره أضيع :

(٧) « والذين هم بشهاداتهم قائمون » والقيام بالشهادة على وجهها يعتبر جزء من الأمانة ، لكنها جاءت فى الآية على جهة التفصيل بعد الاجمال إشعاراً بما لها من منزلة فى حفظ كيان المجتمع سليما ، إذ ان شهادة الزور طالما قضت على بيوت عامرة ، وأحدثت مشاكل وجرت مفاسد . ويكفى أن يقول الله سبحانه فى النهى عنها (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه)

(٨) « والذين هم على صلاتهم يحافظون » سبق أن أوردنا لك معناها آنفا فى مفتتح هذه الآية الكريمة .

« اولئك فى جنات مكرمون » هذا هو الجزاء الذى يلقاه من عالج نفسه بهذا الدواء الذى سلف وصف مفرداته، فالتزم أيها المريض أن تبرىء به داءك فتضمن شفاءك . وهذه المثوبة العظيمة التى اختتم الله بها هذه الآية هى كقوله فى سورة المؤمنون بعد أن ذكر فريقا من الناس عالجوا أنفسهم بالتزام مثل هذه الصفات (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

وفقنا الله إلى سلوك هذا السبيل، وجعلنا من هذا القبيل . وأحلنا دار المقامة من فضله ، إن ربنا لغفور شكور .

محمد صادق عرنوس

أحاديث الأحكام

فى أدب المناجاة

﴿ لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز الخولى رحمه الله ﴾

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، أجْلَ أن ذلك يحزنه » رواه البخارى ومسلم

اللغة : المناجاة ، المسارّة ، وأصله أن تخلو به فى نجوة من الارض أى مكان مرتفع ، وقيل : أصله من النجاة لأنك تعاونه على مافيه خلاصه ، وأجْلَ بمعنى من أجل ، يقال . فعلت كذا من أجلِ كذا ، وأجْلَ كذا أى بسببه ، ويجوز فى همزته الفتح والكسر ، وأصل الأجل الجناية التى تخشى عاقبتها فى الآجل ، ثم استعمل فى التعليل

الشرح : قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى اليه تحشرون . انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، وليس بضارهم شيئا إلا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) نهانا الله جل شأنه عن التناجى بما فيه ضرر أو إضرار . فلا نتناجى بآثام يعود ضررها أولا الى نفوسنا ، وتبعدنا من رحمة ربنا ، كاسراف فى طعام أو شراب أو لباس ، ولا بجرائم يتطاير شررها الى الناس أولا ، و يعود منه الينا ثانيا ، كزنى وقتل ، وسرقة ونهب ، ولا بعصيان الرسول فيما أمر ، او الخروج على ماشرع ، وأباح لنا التناجى بالأعمال الخيرية ، من نشر علم وتقويم خلق ، وبذل مال واصلاح خصم . وبالأمور التى تقينا الاضرار وتحفظنا من الغوائل ، كاعداد القوة للعدو ، واتخاذ الحصون من دونه ،

وادخار المال للنوائب ، والحمية الواقية من الأمراض، وبين أن النجوى بالأوزار من وسوسة الشيطان ليحزن بها الذين آمنوا، إذ يسرهم البر والتقوى ، ويحزنهم اقتراف الآثام والتحدث بها، والائتمار عليها . وقد تكون كيداً لهم وتآمراً عليهم ؛ فالنجوى بالسوء محرمة مطلقا بين اثنين انفردا بها عن ثالث ، أو عن ثالث ورابع . أو بين جماعة انفردوا بها عن واحد أو أكثر ، استأذنوا فيها أم لم يستأذنوا . أما النجوى بالخير فحلال للمتناجين، غير أن هناك أدبا يتعلق بها ، تجب رعايته بالنسبة للحاضرين ، ذلك ما بينه الرسول ﷺ في هذا الحديث ؛ فإن كان المجلس مؤلفا من ثلاثة فلا يتسار اثنان بحديث دون الثالث لأن هذا يوحشه ويحزنه ؛ وقد يظن أنهما ينهشان في عرضه، أو يحطان من قدره أو يكيدان له ، فيقوم من المجلس موغر الصدر ؛ تساوره الظنون وتخالجه الريب . فللابقاء على المودة والمحافظة على الألفة ، منعا المناجاة من دونه إلا أن يستأذناه فيأذن ؛ فلا حرج إذاً لأن المنع لحقه ، فيستباح بأذنه . وكذلك الحكم لو تناجى ثلاثة من دون رابع ، أو أربعة من دون خامس ، أو خمسة من دون سادس ، أو ... الخ لتحقق علة النهي في كل ذلك، بل العلة هنا أشد تحققا ، فإن انفراد جمع بالمناجاة من دون واحد أشد إيغاراً لصدره ، وبدل أن يكون النفور من شخصين يكون من أكثر ، فالأثر أفحش ، فكان بالمنع أجدر . وكأن الحكمة في تخصيص الثلاثة بالذكر أنها أول عدد يتصور فيه المعنى ، فما كان مثله في تحقق العلة ألحق به ، وإن كان المجلس مؤلفا من أربعة فأكثر وكان الباقي بعد من يتناجى اثنين فأزيد جازت النجوى ؛ إذ يمكن الباقين التآنس والتناجي ، ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ « حتى تختلطوا بالناس » وعملُ ابن عمر راوي الحديث ، فانه كان اذا أراد أن يسارّ رجلا وكانوا ثلاثة دعا رابعا ، وقال للاثنين : استريحا شيئا فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا ... الخ ، ويؤيده أيضاً مارواه البخاري عن عبد الله قال: قسم النبي ﷺ يوما قسمة ، فقال رجل من الأنصار : إن هذه لقسمة ما أريد به وجه الله ، قلت : أما والله لآتين النبي ﷺ فأتيته وهو في ملأ ؛ فساررته ، فغضب

حتى احمر وجهه ، ثم قال : رحمة الله على موسى أوذى بأكثر من هذا ، فصبر .
نعم لو كان الباقون تحزنهم المناجاة تركت لوقت آخر ، مالم تكن فى أمر مهم لا خطر فيه ، ولو تسارّ الحديث اثنان ، فقدم عليهما ثالث ، أو كان بحضرتهما ثالث لايسمع جهرهما لايقرب منهما ليتسمع حديثهما إلا بأذنهما .

روى البخارى فى الأدب المفرد عن سعيد المقبرى قال : مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث ، فقمت اليهما ، فلطم صدرى ، وقال : اذا وجدت اثنين يتحدثان فلا تقم معهما حتى تستأذنهما ، وذكر أن رسول الله ﷺ نهى ذلك .

من الأدب النبوى

(الهدى النبوى) هذا الحديث دعامة قوية من الدعائم التى أرشدنا اليها الاسلام لدوام المحبة بين الناس ، وسلامة صدورهم من الضغائن ، ولو علم المسلم مافى دينه من أمثال هذا الحديث الكريم الذى يقتلع السخائم من جذورها ، ثم عمل بما علم من ذلك لسادت الأخلاق الكريمة بين الناس ، ولاختفى من بينهم هذا التناحر المستمر ، الذى لايتفق بحال مع دعوى الأخوة الاسلامية ولايلتئم مع قوله ﷺ « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

ومما يدخل فى نهى الاثنين عن التناجى دون الثالث أنه لو تكلم الاثنان جهراً بلسان أفرنجى أو أعجمى ، وكان الثالث لايعرف هذا اللسان فكأنهما يتناجيان دونه ، فان صورة الثالث فى الحديث أنه لايسمع فتذهب به الظنون كل مذهب ، وهو فى صورتنا لايفهم مايقولون ، فالنتيجة واحدة . والله الموفق .

وفد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامله من اليمن وعليه حلة فاخرة وهو معطر دهين . فقال له عمر : أهكذا بعثناك ؟ وأمر بالحلة فنزعت وألبس جبة من صوف ثم أخذ يحاسبه .

داؤنا ودواؤنا

٦ — القــدر

وهذا بحث شائك يبسط ألسنة المعاندين بالسوء ، ويدفعهم الى الصياح والنباح ولكنني سأخترق غابه ، وأخترط قتاده ، على الرغم من كل هذا ، فقد ألفت وطء الأشواك ، واحتمال السلق بالألسنة الحداد ، وإنغاض الرءوس واتئاد النظر الشزر ، ومن مرن على الاطمئنان إلى زئير الليوث لا يحفل بطنين الذباب .

ولم يكون للانسان عقيدتان : عقيدة يسرها فى نفسه ، وعقيدة يبديها للناس؟ وفيم النفاق ولن تصيبنا إلا ما كتب الله لنا ؟ وعلام نخشى الناس والله أحق أن نخشاه ، لأنه الواحد القهار النافع الضار ، الذى لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه .

* * *

جرت عقيدة القدر بالمسلمين شوطين متناقضين أشد التناقض . متباينين أتم التباين . فلقد كانت فى أول الأمر دافعة الى العمل ، باعثة على الجد ، حاملة المسلمين على خوض المعارك الدامية ، وركوب الأخطار الدانية . واقتحام الأقطار المترامية . ذلك يوم كانوا يعتقدون أن الآجال مقدرة ، وأن الموت لا يصيب الانسان قبل عمره المكتوب وأجله المسمى ، وأن العمل واجب وأن كل امرىء ميسر لما خلق له .

أجل لقد دفعت عقيدة القدر المسلمين الأولين الى ساحات القتال دفعا ، وألقت بهم بين براثن الموت الزؤام إلقاء ، وطوحت بهم الى أجواز القفار وأثباج البحار ، دفاعا عن دينهم . وذوداً عن حياضهم ، وسعياً وراء أرزاقهم . وهم واثقون كل الثقة أنه لن يصيبهم إلا ما كتب لهم . وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، وأنه ما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتابا مؤجلا . فكان الايمان بالقدر باعثا دافعا مشجعا لا مثبطا ولا مبطئا ، ولا مفزعا ولا مخيفا .

وهذا خالد بن الوليد البطل المغوار، والفارس النجيد، والقائد المنجد يقول: لقد خضت كذا وكذا معركة، وما فى بدنى موضع أنملة إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح. وها أنذا أموت على فراشى كما يموت العير، فلا قرت أعين الجبناء!

حفزت هذه العقيدة هممهم الى ابتغاء المعالى. وجعلتهم سباقين الى غايات المجد غير هيابين ولا وجلين، حتى ملكوا الدنيا، وسيطروا على شعوب الأرض وكانوا سادة الأمم، وملوك الأنام:

أما الآخرون فقد فهموها فهماً معقداً، خاذلا مثبطا. فقعدوا عن الجد وتخاذلوا عن التماس المعالى: وقبعوا فى كسور ديارهم ينتظرون الأرزاق التى تسوقهم اليهم الأقدار بغير سعى ولا جد، ولا عمل ولا كد. فخرج الأمر من أيديهم، وطمع فيهم من لا يذب عن نفسه. وغلبهم المغلوبون، وباءوا بخسران مبين:

* * *

وقبل أن ألج فى هذا الباب، أو أخوض فى هذا العباب. أرى لزاما أن أوضح لك حقيقة القدر كما استطعت ان أستنبطها من نصوص الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. غير ناظر الى ما بين الأشعرية والماتريدية من خلاف.

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق هذا العالم كما أراد على أتم نظام، وأبدع إحكام، وأن يدبره بعلمه وحكمته خير تدبير. وأن يضع له نواميس دقيقة محكمة، وقوانين ثابتة، وسنناً لا تتبدل ولا تتحول، ترتبط فيها الأسباب بالمسببات، وتعتمد النتائج على المقدمات.

هذا النظام الحكيم، والتدبير المتقن بأسبابه ومسبباته، ونواميسه وقوانينه وسننه وأحكامه، هو القدر.

قال تعالى: (إنا كل شىء خلقناه بقدر) وقال جل شأنه (وما ننزله إلا بقدر معلوم) وقال تقدست أسماؤه (فالتقى الماء على أمر قد قدر)

وقال تعـالى جده : (ثم جئت على قدر ياموسى)

ومن القدر أن منح الله الانسان قدرة وإرادة يزاول بهما - باذن ربه - مصالحه ويسعى فى كسب رزقه ، وجلب ماينفعه ، ودفع مايضره ؛ ويؤدى مافرض عليه . ويجتنب مانهى عنه ؛ وأمره أن يصرف بهما - باذنه - جميـع ما أنعم به عليه فيما خلق من أجله ، وناط بذلك ثوابه وعقابه ، وسعادته وشقوته . ومن القدر أن كلفه مايستطيع ووضع عنه مالا يستطيع . قال عز وجل: (لايكلف الله نفساً إلا وسعها) وقال عز من قائل (لا تكلف نفس إلا وسعها) . وقال سبحانه : (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها) .

ومن القـدر أمور لاتخضع لارادة الانسان ولا تنالها قدرته . وذلك هو القدر الذى نهينا عن أن نخوض فيه ، أو نجوس خلال واديه ، لأنه من أسرار ذى الجلال والاكرام الذى استأثر بعلمها . مثال ذلك: هذه المصادفات البحتة التى لايد للانسان فى حدوثها كالكوارث المفاجئة التى تعترى الانسان ولم يكن ينتظرها ، والأرزاق التى تأتيه من حيث لايحتسب ولا يقدر :

وذلك هو القـدر الذى يجب أن يتلقاه الانسان بالقبـول والتسليم والرضا . قال تعالى : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ؛ إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله . ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم)

قف قليلا عند هـذه الآيات ، وامنحها فضل تأمل ، وتدبرها بعض التدبر ، تجدها تملى عليك مابسطته لك ، وتوضح لك ما أوردته عليك ، فهى واشباهها مما ينادى بأن كل مايقع فى هـذا الوجود كان فى الكتاب مسطورا - تنطق بالحق وتشهد بالصدق وتعلن ان الله سبحانه يدبر هذا الكون بعلمه وحكمته فلا يقع فيه شىء إلا باذنه . وفيها عزاء للذين تعتريهم الكوارث ، وتعممهم النكبات . إذ تنزل

السكينة فى قلوبهم وترد اليهم عازب الصبر ، وتلهمهم الرضا والتسليم ، وفيها كبح لجماح النفوس السادرة فى غلوائها ، المدلة بما خولهـا ربها من الخير والنعمة . تلك النفوس التى يستهويها شيطان الغرور ، فينسيها شكر المنعم ، وحمد المتفضل .

* * *

أما القـدر الذى علمنا أسبابه ، فقد أوجب علينا أن نمارس هـذه الأسباب لتصل بنا الى ما نريد .

قدّر تعالى ان الجد سبب الظفر فى الدنيا ، وأن الصالحات سبب الفوز بالنعيم فى الآخرة . فان قصّرنا فى العمل وحاق بنا سوء تقصيرنا ، كنا خلقاء باللوم والتثريب أحرياء بما أعد للمقصرين ، من الخيبة أو العذاب الأليم .

لا ينبغى أن نحتج بالأقدار إذا قصرنا فى عمل كان فى وسعنا أن نعمله ، فلم نعمله فحاق بنا سوء تقصيرنا ، لأننا مأمورون أن نأخـذ الحذر ، وأن نحتاط للأمر ، وأن نجلب الخير ، وأن ندفع الشر ما استطعنا الى ذلك سبيلا .

وكل امرىء يشعر شعوراً قويا ، ويحس إحساساً تاما ، ويدرك إدراكا حقا ـ الفرق بين ما يأتيه أو يدعه طوعا واختياراً ، وما يصيبه وليس له فيـه اختيار . ومن أنكر ذلك فقد سفه نفسه ، وأنكر عقله . إنك لترى الانسان اذا أخفق فى الحصول على مطلوب التمسه لتقصير بدا منه عاد باللوم على نفسه ، ثم عاود الطلب بعد إحكام وسائله وإتقان ذرائعه ، واتخاذ الأسباب التى يعتقد أنها كفيلة بأن تحقق أمله وتظفره بحاجته .

وإن رأى أن سبب إخفاقه منافسة خصم اشتد غضبه عليه وود بجدع الأنف لو أراق دمه ومشى الى حاجته على جثته . وان اعتدى عليه معتد بالقول أو الفعل لم يقف أمامه مكتوف اليدين متى كان قادراً على الانتقام بل يحدث نفسه بالثأر منه إن استطاع ، ويستعدى عليه الحاكم إن عجز .

أما ان كان الأمر وراء قدرته ووراء الأسـباب الظاهرة ، كأن علق آماله على انسان فقضى نحبه ، أو وضع ماله فى سفينة عصفت بها ريح غير منتظرة فغرقت ،

او أصابها اعصار فيه نار فاحترقت ، فان الفطرة تهديه الى أن هناك قوة فوق قوى البشر ، هى قوة الله تعالى الغالب على أمره ، القائم على كل نفس بما كسبت ، فيسلم الأمر اليه ويعلم أن الأمر قد خرج من بين يديه وأنه لا حيلة له فيه ولا قدرة له على تلافيه.

ضلت أفهام فريق من المتصوفة ، وزلت اقدامهم ونفثوا سمومهم فى أرواح كثير من المسلمين فجعلوهم جبرية شل الارادة ، لا يفكرون فى جلب خير ولا دفع ضر ، كأنهم بين ايدى الأقدار كالريشة فى مهب الهواء ، أو قشرة الجوزة على تيار الماء ، وفشت عقيدتهم هذه فى سواد المسلمين فكانت من الأدواء التى نخرت فى جسم الاسلام ، ورمته بشر ألوان السقام

نفثوا فى أرواح المسلمين روح الخنوع والاستسلام حتى ضعفت منهم وسقطت هممهم ، واستخذوا امام اعدائهم حتى ملكوا أرضهم وديارهم ، وساموهم الخسف . رديئوهم بالصغار وهم غافلون مستسلمون ، ووصموا الاسلام فى نظر أعدائه بشر الوصمات ، حتى وقر فى انفسهم أن الاسلام دين الجمود والتأخر ، وأن كل أمة تدين بالاسلام لا يرجى لها تقدم ولا فلاح .

أثمر هذا التوجيه أمر الثمرات طعما ، وأبشعها مذاقا . صار الرجل يترك الصلاة ويشرب الخمر ، ويقترف الفحشاء والمنكر . فاذا وجهت اليه كلمة عتب فى ذلك أو نصحت له بأن يصلح من شأنه وان يسلك سبيل الخير ، احتج بالقدر ، وحمل الأقدار تبعة ماجنى من اوزار ، وما اقترف من آثام . وهذا اقبح ما انتهى اليه جهل الجاهل ، وغفلة الغافل . وحمق الأحمق . وغباء الغبى .

يعتذرون بالقدر . ولو اعتذر لأحدهم خادمه عن تقصيره بالقدر لأوسعه تأنيباً وتعذيباً ولوماً وتثريبا . بل لأقصاه من خدمته وطرده من عمله .

عجزوا عن السعى فى كسب المجد . وجهلوا أسباب المسببات الكونية . فراحوا يسترون عجزهم وجهلهم بالاحتماء بالقدر تمويهاً وخداعا لا تديناً ولا تقوى .

هذا داؤنا فأين الدواء ؟ فى العدد المقبل ان شاء الله. أبو الوفا محمد درويش

من قصص القرآن

ذكر فى تفسير سورة الفاتحة من هذه المجلة أن من مقاصد القرآن الخمس ما أشار اليه النبى ﷺ فى حديث أبى أمامة الباهلى أن تعتبر الأمة بما يذكر فى القرآن من القصص، فقد أشير فى تفسير السورة المذكورة الى اشتمال القرآن على الوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والقصص ، وأن سرد القصص فى القرآن انما هو للعبرة والموعظة التى تستخرج من الحوادث . فمن هذا النوع قصة سبأ ، وقد بين ﷺ لسائل سأله عنه أنه رجل أعقب عشرة أولاد سكن أحدهم الشام وكان من ذريته ملوكها الى عهد عمر رضى الله عنه ، واستوطن اثنان منهم المدينة وهم الأوس والخزرج ، وتفرق الباقون فى مواضع شتى من بلاد العرب . وأكثر المفسرين على أن قصة سبأ كانت بين عيسى وبين نبينا ﷺ لكن يعكر على هذا ماورد فى قصة سليمان مع ملكتها فانه يدل على أن سبأ أبعد من زمن عيسى بكثير ، وأيا كان فنحن نذكر القصة مع استخراج العبر منها .

وأول مايلفت النظر فى هذه القصة هو ماجرت به سنة الله فى الأمم من أن طاعة الله سبب لكثرة النعم ودوامها ، وأن معصيته سبب فى زوالها واهلاك أهلها أو تشتيتهم فى الأرض كما وقع لأهل سبأ .

قال تعالى : (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور)

بعث الله تعالى الى أهل تلك الجهة وهى إقليم حضرموت ، الرسل فآمنوا واتبعوا ففتح الله عليهم من أبواب نعمه ما أشار الى بعضه بقوله (جنتان عن يمين وشمال) قال المؤرخون والمفسرون : كان من أمر اهل سبأ أن أرضهم كانت منبسطة بين جبال مرتفعة فبنوا فيها خزانا للمياه ارتفعت المياه بسببه الى حالة استطاعوا معها أن يزرعوا ما ارتفع من الأرض حول هذا الخزان ، فغرسوا الأشجار لأنواع الفاكهة

وبنوا بين تلك المزارع القصور والمساكن حتى كان السائر فيها والساكن بها يرى البساتين عن يمينه وشماله ممتدة مع تلك المدينة الواسعة ، ورزقهم الله من قوة الأبدان وصحتها وجمالها مايتناسب مع تلك النعم ؛ وقال لهم رسلهم (كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة) لم يكن بها بعوض ولا غيره مما يجده أهل المدن من الحشرات الضارة فى مساكنهم ومزارعهم مع اعتدال هوائها وصفاء جوها .

واستطاع أهل سبأ بعد إتمام النعمة لهم فى بلادهم أن يتخذوا من الفضاء الذى بين الشام واليمن قرى متصلة تتخللها البساتين والزروع حتى ان المسافر منهم الى الشام كان لايحمل معه شيئا من الزاد ولا يحتاج الى مايركبه من المطايا ، بل كان اذا احتاج للطعام شبع مما يتساقط من ثمرات الاشجار وبات فيما يشاء من القرى حتى يصل من اليمن الى الشام دون أن يتجشم شيئاً من المشاق كما قال عز وجل : (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) يعنى أرض الشام (قرى ظاهرة) واضحة المسالك ، سهلة الطرق ، كثيرة الثمرات والزروع ؛ مع تيسير السير فيها من اليمن الى الشام وبالعكس ، ليس فيها شىء من أسباب الخوف على طول طرقها وكثرة بنيانها وأشجارها يسير المسافر فيها لايخاف إلا الله عز وجل (وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين) قدرنا فيها السير يعنى يسرنا فيها السفر لمن أراده .

(فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أُكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل) أى أعرضوا عن هدى الرسل وشكر ماهم فيه من النعم . فكفر أكثرهم وكانوا مشركين . فتسببوا بذلك فى زوال نعمهم وفشت فيهم المعاصى تبعاً لما هم فيه من الترف والبطر ، وكأن ملكة سبأ التى أسلمت مع سليمان ﷺ كانت من بقايا سبأ الذين اختاروا أن يستمروا على سكنى بلادهم مع مافيها من شظف العيش ، وأن الدين الذى كانت عليه هو دين أسلافها بعد التخريب هو عبادة الشمس من دون الله ، وهذا ما رجح عندنا أن التخريب لتلك البقاع كان قبل سليمان فضلا عن زمن عيسى ، فان هذا البلاء لم يصبهم إلا بعد إعراضهم كما هو صريح الآية .

اغتر أهل سبأ بما هم فيه من السلطان وما يكتنفهم من النعم، فنبذوا هدى الله وتحكمت فيهم شهواتهم شأن المترفين من كل أمة ، فسلط الله عليهم دابة من أضعف جنده وصب عليهم سوط عذاب بسببها وهى دابة الفأر، فعملت على نقب ذلك الخزان فانساب الماء منه بقوة هائلة فيما انخفض من أرض تلك الجهة وحطم كل ماوقف فى طريقه . فبادت أشجارهم وذهبت زروعهم . والعرم: الشديد القوى، فلم يبق لهم إلا ماقص الله بقوله (وبدلناهم بجنتيهم جنتين) الى قوله (من سدر قليل) أى جعل لهم بدل تلك البساتين النضرة والثمار الوفيرة والبنيان الشامخ ـ جعل لهم بدل ذلك كله حدائق من الأشجار لاتنبت إلا ثمراً مراً هزيلا ، وأشجاراً لاتنبت شيئا من الثمار المأكولة وهى الأثل المعروف عند العامة بالطرفة أو العبل ـ وأبقى لهم تذكيراً بما كانوا فيه من النعمة وتجديداً لما أصابهم من الحسرة والنقمة قليلا من شجر النبق (وشىء من سدر قليل) ليعتبر من لم يدرك الكارثة منهم اذا سمع بما كانوا فيه من آلاء الله وبركاته .

وقد جعل الله تلك القصة نكالا لما بين يديها وماخلفها وموعظة للمتقين كما صنع ببنى اسرائيل لتشابه الفريقين فى اسباب زوال نعمهم عنهم . وتلك الاسباب هى مابينها الله على وجه الايجاز بقوله (ذلك جزيناهم بما كفروا) بربهم فلم يؤدوا حقه ولم يستمروا على طاعة رسله وكفروا بما أنعم عليهم به فلم يؤدوا شكره (واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

وبين الله تعالى أن مافعله بهم هو سنته فى كل أمة عتت عن أمر ربها ورسله وبطرت معيشتها واضاعت العدل بينها، حتى أكل قويها ضعيفها ولم يؤخذ للمظلومين بحقهم من الظالمين، فان اهل سبأ لو عدلوا فيما بينهم وأصلحوا شئونهم الدنيوية ولو كانوا كفاراً بربهم لم يصبهم العذاب كما قال تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) أى لايهلك الله قوماً بظلمهم انفسهم بالكفر والشرك اذا عدلوا فيما بينهم ولم يفسدوا فى الارض ولم تختل امورهم الدنيوية، ولكن اهل سبأ جمعوا انواعا من الفساد فى حكوماتهم وممالكهم اختلت به شؤون دنياهم كما أخلوا بأمور دينهم ، فعاملهم الله بسنته العامة التى

لأتتعدى الظالمين كما قال (وهل نجازى إلا الكفور) أى الذى كفر بكل أنواع الكفر بما فى ذلك كفر النعم ، واختلال شئون العدل وضياع الحقوق على أصحابها وتحريم ما أحل الله وحل ما حرم . وكذلك كان أهل سبأ حتى طلبوا من الله تعالى أن يزيل عنهم ماهم فيه من النعم شأن العابث المستهتر الجاهل بسنن الله فى خلقه البعيد عن التبصرة بعواقب الأمور الغافل عما فى الكون من بدائع الصنعة، المتعامى عما أودعه الله فى أفعاله من بالغ العبرة والعظة كما يدل على ذلك قوله (فأعرضوا) دون أن يبين ما أعرضوا عنه وكما فى قوله (بما كفروا) دون تعرض لتفصيل مفاسدهم وأنواع كفرهم وهو نوع من أنواع البلاغة التى امتاز بها التنزيل من بين أنواع الكلام . (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين .

«للكلام بقية» — محمد محمد مخيمر

حزم عمر

إن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وضع نظاما دقيقا محكما لمحاسبة ولاته وعماله فى جميع الأمصار ، ولم ينج من هذه المحاسبة أهله وأبناؤه ، وكان رضى الله عنه اذا استعمل عاملا كتب ماله وأحصى عليه مايملك ، وقد قاسم غير واحد منهم ماله بعد أن كان يسألهم فيما ظهر من طارىء الأموال لهم ويحاسبهم، وكان يحتم عليهم اذا عادوا الى بلادهم أن يدخلوا المدن نهاراً ولا يدخلوها ليلا ، لكيلا يحجب شىء مما جلبوه معهم من المال والمتاع .

وكان يحاسبهم بنفسه تارة ، ويوفد اليهم محتسبين لمراجعتهم تارة أخرى ، وكان المحتسبون يوافونه بما يلاحظون على الولاة والعمال ، غير مفرقين فى المعاملة أو مجاملين .

مر عمر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له على البحرين فنظر عمر الى قمة البناء المرتفع وقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ثم حاسبه

دروس بغير طلاب

فى المساجد التى تديرها وزارة الأوقاف دروس يلقيها أئمتها بين المغرب والعشاء ولا جرم أن تلك سنة حميدة ، وعمل مجيد ، يثمر نشر الثقافة الدينية ، وإنارة أذهان المسلمين ، وإحاطتهم علما بأمور دينهم ، وأسرار شريعتهم . أما الوقت فهو أنسب الأوقات وأشدها مواءمة ، فيه يفرغ الناس من اعمال دنياهم ، ويقبلون على العمل لدينهم . والأمكنة فسيحة نظيفة مريحة ، لا حرّ فيها ولا قر . تسود فيها السكينة ويبسط الهدوء عليها جناحيه . ولا شىء يحول بين كلمات المدرس ، وبلوغها آذان المستمعين .

فان ساقتك الأقدار الى مسجد من هذه المساجد فى إبان الدرس ، ألفيت به مَدْرسة ومُدَرسا ، ودرسا وكتابا منشورا ، وسراجا منيرا ، ولكنك لا تجد طلابا .

تعجب وتأسف وتفكر : على من تقع التبعة ؟

أعلى وزارة الاوقاف ؟ لا . فقد أعدت المكان . وأقامت المدرس وأذنت له فى أن يتخذ سراجا تضيئه الكهرباء أو الزيت ليقرأ على ضوئه وتعهدت بأن تدفع ثمن الكهرباء او الزيت . وتقدمت اليه فى ان يدعو الناس لسماع الدرس ، وان يأمر بفتح الأبواب على مصاريعها ، وألا يرد أحداً من الداخلين ، فقد قضت الوزارة واجبها ولم تقصر .

أعلى المدرس ؟ لا . فقد دعا الناس الى درسه ، وجلس فى المسجد فى مكان بارز . ونشر كتابه ، وأدنى منه السراج الوهاج ، ليكشف له السطور والكلمات ، وقرأ بصوت جهورى يسمعه القريب والبعيد . ولكن لم يستجب لدعوته إلا القليل ، فقد أدى المدرس واجبه ولم يقصر !

أعلى المصلين ؟

لقد دُعى المصلون إلى الدرس فلبوا الدعوة وجلسوا يستمعون ، فاذا هم يسمعون

كلاما فى الوضوء ؛ فرائضه وسننه ومستحباته ؛ وفى الصلاة : أركانها وسننها ومستحباتها وهم يعلمون الوضوء حق العلم ؛ ويفقهون الصلاة حق الفقه ، فهم يتوضأون فى اليوم خمس مرات ، ويصلون فى اليوم خمس صلوات؛ بله النوافل والمندوبات . فرأوا أنهم يسمعون كلاما معاداً هم له حافظون وبه ملمون . ولا يسمعون طريفا منه يستفيدون ، فانصرفوا زاهدين . فقد أدى المصلون واجبهم ولم يقصروا .

الحق أن التبعة تقع على مناهج الدراسة التى ينقصها التنويع ، وعلى طريقة الالقاء التى يعوزها التشويق ، فلو تنوعت الدروس فصارت مرة فى التفسير ومرة فى الحديث ، وتارة فى الفقه وتارة فى السيرة النبوية ، وألقيت بطريقة جذابة ، شائقة خلابة ، تحمل الناس على أن يؤثروا الاستماع اليها ، على إنفاق الأوقات فى المشارب والمقاهى ، لامتلأت المساجد بالطالبين والراغبين والمستمعين والمستفيدين .

كل الذين يختلفون الى هذه الدروس من المصلين وهم يتقنون الوضوء ويحسنون الصلاة ، فيرون من ضياع الوقت الاستماع الى مايعرفون فينصرفون عن هذه الدروس الى حيث يجدون الفائدة أو اللذة أو التسلية أو الأنس فى غيرها .

أئمة المساجد أكثر الناس حظا من أوقات الفراغ ، فلو أنهم أنفقوا بعض هذه الأوقات فى الاتصال بمن لا يصلون ممن يقطنون الأحياء التى تقوم فيها مساجدهم ، يزورونهم ويستزيرونهم ، ويداخلونهم ويعاشرونهم ويعاملونهم ويلاينونهم ليستميلوهم إلى الصلاة ، لأفادوا أمتهم فائدة جديرة بأن تكسبهم ثواب الله وثناء الناس . ولو انهم نجحوا كل يوم او كل اسبوع او كل شهر فى هداية شخص واحد لكان ذلك غنما كبيراً وكسباً عظيما .

أولئك المهتدون هم الذين يكونون طلابا يحضرون تلك الدروس التى يعوزها التنويع وينقصها التشويق لأنها طريفة بالقياس اليهم ، يجدون فيها لذة وفائدة ومتعة وخاصة اذا وقفوا على سبب الصلاة وعلتها ؛ وعرفوا نتيجتها وثمرتها ، وذاقوا لذتها وحلاوتها .

لا ينبغي لأئمة المساجد أن يكونوا أقل نشاطا من مشايخ الطرق الذين يتنافسون في كسب المريدين يجمعونهم على البدع والخرافات والحماقات والسخافات .

الدين يهيب بهم ، والتقوى تناشدهم ، أن ينفقوا نشاطهم في هداية الناس الى الحق ، وجمعهم على الهدى ، وترغيبهم في طاعة الله وإقامة عماد الدين ، وتحبيبهم في أن يتعلموا أمور دينهم وحقائق شريعتهم ، حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، وعلى ثقة من أمور ملتهم .

وليست مناشدة الدين للوعاظ بأخفت صوتاً ولا أقل إلحاحا من مناشدته للأئمة وأصحاب الصلاة . ففي الحق ان هذا العبء مفروض عليهم قبل غيرهم . وملقى على كواهلهم قبل سواهم . فان نهض به أصحاب الصلاة في المساجد كان نافلة يثابون عليها ويستوجبون بها حسن الثناء .

أما الواعظون فهم الذين أعدوا له ، وتكفلت الدولة بأرزاقهم ليقوموا به ، فلو فعلوا لكان خيراً لهم من بث روح الشغب والفتنة في البلاد ، وإثارة الضغائن وتأريث الأحقاد ، وتوسيع مسافة الخلف والتفرق بين الناس

إنك اذا جلست الى رجل من عامة الناس ممن يدينون بغير الاسلام وجدته ملماً بتعاليم دينه إلماما حسنا ، ولكنك اذا جلست الى رجل من عامة المسلمين وجدته يجهل دينه جهلا فاضحا مخزيا .

ليس الدين محصوراً في الوضوء والصلاة فحسب ، بل للدين تعاليم أخرى وحكم وأسرار ، لو أنها عولجت في هذه الدروس ، ولو أن هذه الدروس كانت شائقة يقبل عليها الناس ، لاستنار هؤلاء الجهال وعرفوا حقيقة دينهم ، فأحبوه وحرصوا عليه ودافعوا عنه وذادوا عن حياضه وشجعوا المصلحين ولم يقفوا في سبيلهم.

هذه كلمة حق أرجو ألا تكون صيحة في واد ولا نفخة في رماد .

أبو الوفا محمد درويش

الاصلاح الخلقى

﴿ بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام بك ﴾

نتحدث إليكم اليوم عن الدعوة المحمدية وأثرها فى الأخلاق كوسيلة لاصلاح المجتمع البشرى ، ولكى نتبين مدى الانقلاب النفسى الذى أحدثته هذه الدعوة يجب أن نرجع الى حالة الجاهلية الأولى ، فمن لا يعرف الجاهلية لا يعرف الاسلام، غير أن الافاضة فى وصف الحالة السابقة لا يتسع لها مثل هذه الكلمات المستعجلة ؛ فأنى لنا أن نحيط بتلك الفترة المظلمة لعالم كان بعضه فوضويا ، وبعضه تنتظمه دول حق السلطان فيها حق مقدس وحق العامة ضائع ، لم يكن لذى السلطان حق فى صيانته .

كان الناس فيه من غير أن تنتظمهم عقائد طاهرة ، أو أخلاق فاضلة، أو شرع محبوب ، يقرون له من صميم ضمائرهم بالحرمة والطاعة ، أو مبادىء سامية ، يتميز بها الحق من الباطل ، وتعتبر منارات الهدى فى تقرير الحقوق والواجبات للجميع أسياداً أو مسودين ، حكاما ومحكومين .

كان العالم فى العهد الجاهلى جديراً بهذه التسمية ، وكانت جزيرة العرب أسرع هذا العالم الى التناحر وضياع حقوق المستضعفين أمام القوة الغاشمة . وكان العالم العربى لا تنتظمه إلا عقائد هى مجموعة من الخرافات الوهمية التى ليس لها إلا أثر ضئيل فى الحياة الخلقية والعائلية والاجتماعية والمعيشية . ولو أن أحدكم قلب صفحات التاريخ لهذا العهد السابق للاسلام ونظر فى حالة الأمم من جبال الهملايا إلى بحر الظلمات ، لعجب أشد العجب للأثر الهائل الذى أحدثه ظهور رجل واحد داعية الى الله فى شعاب مكة ، يواجه هذا العالم وحيداً يريد أن يخرجه من الظلمات

إلى النور ، بتغيير دوله ومبادئه وأخلاقه ونظمه ، وإحلال مبادئه وتعاليمه ونظمه محل كل ذلك :

جاء محمد ﷺ بدعواته ، فأنكرها عليه القوم واضطهدوه وقاتلوه ؛ فخرج فى ٢٠ سنة من المعمعة ظافراً ، وأحل حقه محل باطلهم ، وتركهم فى يد تلاميذه يحملون نوره الى أقصى الأرض ، ويبشرون مبادئه ، فكانت الثورة الاجتماعية التى مهما قلبنا عن شبيه لها فى الشرق والغرب ، والقديم والحديث ، لانجد مثلا كاملا ، وأعظم آثار هذه الثورة الانقلاب الخلقى والنفسانى الذى أحدثه محمد ﷺ بعمله ومُثله ، وأحدثه بمبادئه ، فكان نتيجة ملازمة مباشرة لدعوته .

يقول تعالى فى وصف محمد ﷺ (وانك لعلى خلق عظيم) ويقول محمد ﷺ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » تمثلت الأخلاق الفاضلة فى شخصه الكريم ، فالصدق والبر ومعرفة الواجب وأداؤه ، والحلم والورع ، والحياء والصبر والشجاعة ، والعزة والتواضع ، والعزة والوفاء : كل ذلك كان بعض صفاته البارزة التى قربته الى القلوب ، فتعلق الناس به ، وتركوا فى حبه جاهليتهم وآباءهم وأبناءهم .

كنت مرة فى لوندرة أتحدث الى السير ونسون روس ، وكان من العلماء المستشرقين فذكرنا محمد ﷺ . فسألته هل يعتقد أن محمداً كان ينافق ويكذب ، فقال : « كلا ان صدقه واستقامته لاشك فيهما ، ولم يكن يعمل إلا بما يعتقد » . فها هى القرون تتتابع وأخلاق محمد ﷺ من الوضوح والقوة بحيث لاينكرها عليه جاحد برسالته ، مصداق ذلك قوله تعالى : (فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

كان مثله الشخصى له أكبر الأثر فى الانقلاب الروحى والخلقى الذى تم فى أيامه وبعد وفاته .

كذلك كان أثر المبادىء التى سنها ، والعقيدة التى دعا اليها ، مبادىء الاخاء والمساواة والعدالة والحرية التى جعلها أجزاء متممة للايمان قد فعلت فعلها فى إصلاح

الأخلاق والسمو الروحى للجماعة . وكذلك فعلت عقيدة الايمان بالله وحده لاشريك له ، له الملك وله السلطان ، بيده النفع والضر والمنع والعطاء ، يتساوى الناس فى ملكوته ، وفى العبودية له ، فسما بالروح البشرية وحررها ، ووجهها الى الخير العام ، يقصد وجه الله القدير الذى بيده كل شىء . ووجهها الى الخير وجعل مناط الأعمال النية التى يعلمها ويحيط بها علام الغيوب .

فهيأ بهذه العقيدة السبيل الى الأخلاق الفاضلة ، فالذى يدين بها لايكذب لأن الكذب لايخفى على الله ولاينفع صاحبه ؛ فصار الصدق من دعامات الأخلاق فى الدعوة المحمدية لأن الرياء والنفاق يبعدان من الله ولا يكسبان الأعمال إلا بواراً . واستحال بذلك على المسلم المؤمن أن يكون كاذبا أو مرائياً أو منافقا . هذا الاله الذى دعا الاسلام الى عبادته دون سواه ؛ هو الذى بيده الموت والحياة فالمؤمن لايهاب الموت الذى لايملكه سوى الله ، وبذلك ارتفعت نفسه الى العزة والاباء

والمؤمن بهذه العقيدة يعتقد أن الله هو الذى يعطى ويمنع ويرزق من يشاء بغير حساب . لذلك لايبخل بما فى يده بل يبذله إرضاء لهذا الرازق وطلباً فى بره وكرمه وهو لايمكن إلا ان يكون سخياً كريما مع إخوانه عباد الله .

كذلك لايمكن أن يكون المؤمن أنانياً ، فان عقيدته تمنعه من أن يخص نفسه بالمتاع وهو يعلم أن فى ذلك حرمانا لعباد الله من المشاركة فى فضل الله ، فهو انسان كملت إنسانيته يعيش لنفسه وأهله وجيرته وأمته والناس جميعا .

فهو حسن المعاملة والعشرة ، وفى ودود ، لأن كل ذلك من متممات إيمانه ومستلزمات خضوعه للذات العلية الذى رفعته واستخلفته فى الارض .

فالعقيدة الاسلامية التى دعا اليها محمد ﷺ والتى مكنها فى نفوس أصحابه وأتباعه هى بذاتها الدعامة الكبرى للاصلاح الاجتماعى ، فقد نشأت عنها ، وترتبت عليها حياة روحية خلقية فاضلة ، لها المقام الاول فى نفس المسلم ، وما بعدها من مادة انما تكسب أهميته بقدر صلاحه لاعزاز هذه الروح وتمكينها .

شهادة !!

« إن الجنود الروس — بإيمانهم وثقتهم التي لاتتزعزع ، بنيل النصر وبروح التضحية — يعيدون الى الاذهان ذكر المجاهدين العرب فى صدر الاسلام »

هذا ماجاء بجريدة الاهرام نقلا عن مجلة سويسرية فى تعليقها على وصف ماقام به المدافعون عن مدينة ستالينجراد الروسية .

والحق أن هذا تشبيه مطابق للواقع من نواح كثيرة ، أنطق الله به هذه الصحيفة غير المسلمة انتصافا لعهد الاسلام الذهبي وتمجيداً لذكرى حماته . ولقد كان لها مندوحة فى أن تشبه بطولة أولئك المدافعين عن بلادهم بغير بطولة أولئك السادة الذادة رضى الله عنهم ممن خاضوا غمار الحروب قديمها وحديثها من الشرق والغرب ، وأظهروا من ضروب التضحية فى سبيل أوطانهم ماتفيض به السير ، ولكن لعلها استعرضت هذه السير ودرستها بانصاف فلم تجد أوفق من هذا التشبيه الذى ربما أغفله كتاب المسلمين أنفسهم وراحوا يلتمسون الأمثلة من غير تاريخهم السنى ويستجدون الأشباه من سواهم وهم ذوو الماضى الغنى

وهذه الصحيفة وإن كانت قد أنصفت سلفنا الصالح من حيث وصفهم بروح التضحية والايمان والثقة بنيل النصر ، ولكن أنى لها فهم هذه الصفات على حقيقتها واكتناه معانيها بحسب ما كانوا يفهمونها ؟

ولقد تناولت هذه المعانى باسهاب فى كلمتى عن الجندية فى الاسلام فى باب التفسير المنشور فى صدر عدد الحجة الماضى وقلت ماملخصه : « ان الدافع الذى كان يقف المسلم الاول هذا الموقف فى حروبه هو ثقته بوعود ربه ، فهو يرجو إحدى الحسنيين: فأما النصر وإما الشهادة وكلاهما حبيب عنده ، وكان كما قلنا لايعتنق الحسام إلا مضطراً لانه كان يحمل الى الناس رسالة الهدى والعلم والنور ويود لو أنهم جميعاً هدوا اليها عن طريق الموازنة بين ماهم عليه ،وما يدعوهم اليه ، اذن لأصبحوا له اخوانا ،

له مالهم وعليه ماعليهم ؛ وهو لا يحمل لمن يؤدى اليهم الرسالة ضغنا ولا يطلب منهم لنفسه دنيا يصيبها وانما يعاملهم معاملة الطبيب للمريض ، يجرعه الدواء المر طلباً للعافية ؛ فان أبى جرعه اياه بالقوة .

وكان يفرح المسلم الأول فرح الضال الواجد ؛ والعقيم الوالد ، اذا مادخل فى دين الله قوم بغير إراقة دماء لأنه لم يطف الأرض ليعبث فيها فساداً، ولكن ليعمرها بهداية أهلها وارشادهم الى الحق ، فان وجد من يعاجز هذا الحق أجلاه عن طريقه مضطرا . ولتعلم ان غرضهم انما كان اتماما لرسالة محمد ﷺ وهو إخراج الناس باذن ربهم من الظلمات الى النور بدون إعنات ولا ارهاق ، ولا نظر لما فى أيديهم .

نسوق لك مثلا واحدا وهو أن أهل الذمة كثر دخولهم فى دين الله أفواجا فى زمن الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ، فكتب اليه أحد ولاته : إن كثرة دخول الناس فى الاسلام ورفع الجزية عنهم قد أثر فى بيت المال . فكان مما كتبه اليه «أما بعد فان الله سبحانه قد بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا» وأمره أن يعامل من يدخل من أهل الذمة فى الاسلام معاملة المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم .

ولقد زهد مجاهدو المسلمين فيما أيدى الناس زهداً منقطع النظير، وما كان ذلك طاعة للخلفاء فيما كانوا يبعثونه اليهم من عهود ومراسيم فى هذا المعنى ولكن غرضهم الأسمى ومثلهم الأعلى الذى ضحوا بأنفسهم وخرجوا من ديارهم من أجله يجافى بينهم وبين كل دنية تعكر هذا الغرض أو تغض من شأنه ؛ وكانت الدنيا وما فيها حقيرة عندهم بجانب تحقيقه .

ولقد بلغت الدرجة أن قائداً من قواد المسلمين فى الشام اضطرته الخطط الحربية أن يجلو جيشه عن مدينة ، أخذ المسلمون من أهلها شيئاً من المال فى نظير الدفاع عنهم ، فلما أرادوا الجلاء دفعوا اليهم ما أخذوه منهم كاملا !!

هذا بينهم وبين الناس ، أما بينهم وبين أنفسهم من الشفقة والحدب والعدل وغيرها من الخلال العالية التى كان يعامل بها القائد جنده ، فما كان لهم فى ذلك مسدد

ولا مقارب . ألا ترى كيف قال أبو عبيد بن مسعود الثقفي عند ماهم قوم من الفرس بإكرامه بأنواع من الأطعمة الفارسية : هل أكرمتم الجند بمثلها . فقالوا لم يتيسر ونحن فاعلون . فقال لا حاجة لنا فيه ، بئس المرء أبو عبيد أن صحب قوما من بلادهم استأثر عليهم بشيء ، لا والله لا آكل ما أتيتم به ولا مما أفاء الله إلا مثل ما يأكل أوساطهم . وهذه المعاملة اذا أضيفت الى الغرض الأسمى الذى يفهمه الجندى ويقاتل لأجله اقتحم بها النار وخاض البحار .

إن معنى التضحية الذى كان يطوف بذهن الجندى المغير على مدينة ستالينجراد والمعنى الذى كان يطوف بذهن الجندى المدافع عنها — هذا يريد امتلاكها وهذا يريد فكاكها — غير معناها عند البراء بن مالك الأنصارى الذى أمر المسلمين أن يلقوه على رءوس أصحاب مسيلمة الكذاب — فى حروب الردة — من سور البستان الذى تحصنوا فيه وكانوا يسمونه حديقة الرحمن ، فألقوه عليهم ، فقاتل عن الباب حتى فتحه فدخله المسلمون ، وكان النصر المبين .

ومالنا نضرب الأمثلة الفردية مع أن جميع المغازى من عهد رسول الله ﷺ الى العهد الذى أريدت الدنيا بها — لم تشهد إلا أبطالا لا يستطيع التاريخ أن يضع أحداً بجانبهم لا بروح التضحية المطلقة ، فان ذلك كما قلنا ، له نظائر وأشباه — ولكن بروح التضحية النبيلة التى يبيع البطل فى سبيلها حياته ليشترى حياة غيره .

وكيفما كان فهم الصحيفة السويسرية لهذا التشبيه ، فقد أدت المسلمين الأولين شهادة ليتها تكون لأحفادهم برة .

محمد صادق عرنوس

تجديد الاشتراك

نذكر حضرات الذين انتهت اشتراكاتهم أن يسارعوا بارسال ٢٠ قرشاً عن هذه السنة

كيف تكون داعيا

لكل فن أصوله وقواعده ، ولكل فنان طرقه ومقاصده ، والدعوة الى الله تعالى أشرف الأعمال والفنون ، فقد كانت وظيفة الرسل أجمعين . وقد رأينا ان أكثر الدعاة لاينجحون، لأنهم لايسيرون على أصول فن الدعاية وقواعده ، فرأينا أن نلخص من الاستطراد الذى نشره السيد رشيد رضا رحمه الله فى تفسير (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) الخ . ج ٤ من تفسيره ـ مالو انتهجه الدعاة اليوم لوصلوا إلى الغاية ولأدوا رسالتهم على أكمل وجوهها .

(١) أول مايجب على الداعى أن يكون عالما بالقرآن على انه هدى وعبرة وموعظة عالما بالسنة وما صح من أقوال الرسول ﷺ وسيرته ، عالما بسيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وسلف الأمة الصالح .

(٢) أن يكون عالما بأحوال من يوجه اليهم الدعوة فى شؤونهم واستعدادهم ، وطبائع بلادهم وأخلاقهم ، أو مايعبر عنه فى عرف العصر الحاضر بالحالة الاجتماعية

(٣) مناشىء علم التاريخ العام ليعرف الفساد فى العقائد والأخلاق والعادات فيبنون الدعوة على أصل صحيح ، ويعرفون كيف تنهض الحجة ، ويبلغ الكلام غايته من التأثير ، وكيف يمكن نقل هؤلاء المدعوين من حال الى حال ؛ ولهذا كان القرآن مملوءاً بعبر التاريخ

(٤) علم تقويم البلدان ليعد الدعاة لكل بلاد منها عدتها اذا ارادوا السفر اليها ، وقد كان الصحابة رضى الله عنهم أعلم أهل زمانهم بالتاريخ وما يسمى الآن بتقويم البلدان وبالجغرافية ، ولذلك أقدموا على الفتوح ومحاربة الأمم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل ، فلو كانوا يجهلون مسالك بلادهم وطرقها ومواقع المياه وما يصلح موقعاً للقتال فيها لهلكوا وكان الجهل أول أسباب هلاكهم . ومن قرأ

ماحفظ من خطبهم وكتبهم التى كانوا يتراسلون بها ومحاوراتهم فى تدبير الأعمال يظهر له ذلك بأجلى بيان.

(٥) علم النفس وهو يساوى علم التاريخ فى المكانة والفائدة أى العلم الباحث عن قوى النفس وتصرفها فى علومها وتأثير علومها فى أعمالها الارادية . مثال ذلك أن الأصل أن يكون العمل تابعاً للعلم ، ولكن كثيراً من الناس يعتقدون أن عمل كذا ضارّ ويأتونه وعمل كذا نافع ويتركونه (والمحرم شرعا كله ضار والحلال كله نافع) فما هو السبب فى ذلك وهل يُحسن دعوة هؤلاء الى الخير واقناعهم بترك الشر مَن لا يعرف لماذا تركوا الخير واقترفوا الشر ؟ فهذه المعرفة هى من علم النفس الذى يؤخذ منه ان من العلم مايكون صفة للنفس حاكمة على إرادتها معرفة لها فى أعمالها ومنها ماهو صورة تعرض للذهن لا أثر لها فى الارادة فلا تبعث على العمل وانما يكون مظهره القول أحيانا . وقد كان الصحابة عليهم الرضوان على حظ عظيم من هذا العلم فانهم كانوا بسلامة فطرتهم وذكاء قريحتهم وبما هداهم القرآن بآياته والرسول ببيناته وسيرته على بصيرة من هذا العلم وان لم يتدارسوه بطريقة صناعية

(٦) علم الأخلاق وهو العلم الذى يبحث فيه عن الفضائل وكيفية تربية المرء عليها وعن الرذائل وطرق توقيه منها وهو ضرورى وما ورد فيه من الآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين يغنى شهرته واستفاضته عن إطالة الكلام فيه.

(٧) علم الاجتماع وهو العلم الذى يبحث فيه عن أحوال الأمم فى بداوتها وحضارتها وأسباب ضعفها وقوتها وتدليها ورقيها . على أن هذا العلم مستمد من علم التاريخ وعلم الاخلاق ، فمن كان له حظ عظيم منهما فانه قد يستغنى به عن هذا العلم فى بناء الدعوة والارشاد ، على قواعد الحكمة والسداد ، وان كانت دراسته مزيد كمال فيه وفى فوائده العظيمة .

(٨) علم السياسة وإنما المراد به العلم بحال دول العصر وما بينها من الحقوق والمعاهدات وما لها من طرق الاستعمار . فالهيئة التى تؤلف للدعوة فى بلاد غير بلاد

المسلمين المستقلة لايتيسر لها ذلك اذا لم تكن عارفة بسياسة حكومة تلك البلاد . وهذا شيء غير ماتقدم من اشتراط معرفة حال من توجه اليهم الدعوة . والسياسة بهذا المعنى لم تكن فى عصر الصحابة .

(٩) العلم بلغات الأمم التى تراد دعوتها ، وقد ورد فى صحيح البخارى أن النبى ﷺ أمر بعض أصحابه بتعلم اللغة العبرانية لأجل اليهود الذين كانوا مجاورين له على أنهم كانوا قد استعربوا . فما كانت معرفة لغتهم الأصلية إلا مزيد كمال فى الفهم عنهم ومعرفة حقيقة شأنهم . ولا يقال ان الهيئة التى تؤلف للدعوة الى الاسلام يمكنها أن تستغنى عن تعلم لغات الأمم بالمترجمين من غير المسلمين فانها إن ظفرت بالمترجم الأجنبى الامين لايتيسر لها أن تفهم من حقيقة الدين عند الترجمة مايفهمه العالم المسلم ، وانما يلجأ الى مثل ذلك عند الضرورة ، أما اذا أمكن تأليف جمعية للدعوة فالواجب أن يكون فيها من المسلمين العارفين باللغات من يكفيها الحاجة الى ترجمة الاجنبى كما تفعل جمعيات الدعوة الى النصرانية ، فان أفراداً منها يتعلمون لغات جميع الامم

(١٠) العلم بالفنون والعلوم المتداولة فى الامم التى توجه اليها الدعوة ولو بقدر مايفهم به الدعاة مايورد على الدين من شبهات تلك العلوم ، والجواب عنها بما يليق بمعارف المخاطبين بالدعوة .

(١١) معرفة الملل والنحل ومذاهب الامم فيها ليتيسر للدعاة بيان مافيها من الباطل ، فان لم يتبين له بطلان ماهو عليه ، لايلتفت الى الحق الذى عليه غيره وإن دعاه اليه .

هذا أهم مايتوقف عليه نجاح الداعى من الناحية العلمية ، وهناك من الناحية العملية أمور أهمها أن يكون هو للمدعوين أسوة حسنة ، وقدوة طيبة ، مع الاخلاص فى القول والعمل ، ولو توفرت هذه الامور فى أئمة المساجد ووعاظها لتغيرت أخلاق الأمة من سيء إلى حسن ، والله الموفق .

أبو هريرة رضى الله عنه

« يعلل كثرة حديثه عن رسول الله ﷺ »

مما يأسف له أنصار السنة المحمدية ، ظهور فكرة خاطئة فى الأوساط الدينية ترمى إلى التفريق فى العمل بين السنة العملية وبين ماصح من أحاديث الرسول ﷺ القولية ، فيقولون باتباع الرسول ﷺ فى عمله دون قوله ولو جاء من طريق صحيح . معللين ذلك تارة بأنها أحاديث آحادية ، وتارة بأنها من رواية أبى هريرة رضى الله عنه. ولعل قراء (الهدى النبوى) لم ينسوا بعد صيحتهم فى إنكار أحاديث نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان ، وما نشرناه من الحجج الدامغة المثبتة فى ثلاثة أعداد متوالية . وها نحن نترك الميدان لأبى هريرة رضى الله عنه يدافع عن نفسه فى عبارة واضحة ، وحجة معقولة . خرج مسلم :

عن الأعرج : قال سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ والله الموعد . كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطنى وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فقال رسول الله ﷺ « من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه منى » فبسطت ثوبى حتى قضى حديثه ثم ضممته إلىّ فما نسيت شيئاً مما سمعته منه .

وأخرج البخارى عن الأعرج عن أبى هريرة قال « إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدّثت حديثا ، ثم يتلو (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس الخ . إن اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وان إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر مالا يحضرون ويحفظ مالا يحفظون»

أدبيات

اليوم آن أوان عودة مجدنا

جاءتنا قصيدة عامرة بهذا العنوان من الشاب المخلص صاحب الامضاء قالها إشادة بذكرى هجرة النبي ﷺ من مكة الى المدينة التي احتفل بها المسلمون منذ أمد قريب وقد اخترنا منها هذه الأبيات لضيق نطاق المجلة .

خرج النبي وما رأته جموعهم	وبذلك كلل سعيهم بالخيبة
وبصحبة الصديق تمت هجرة	كانت لدين الله أعظم نصرة
رفع الرسول بيثرب علم الهدى	إن الرسول مثال كل فتوة
فانساب نور الحق بين ربوعها	وتبددت ظلمات كل جهالة
ضحى الشباب الأولون بروحهم	فجزاهم الله الكريم بجنة
رفعوا لواء المصطفى بعزيمة	فأمدهم رب السماء بقوة
أين الشباب اليوم يحمى دينه؟	فالملحدون الآن أصل المحنة
قم يا شباب بنصرة الدين الذى	وعد الإله نصيره بالعزة
فعلى شباب الأمس قامت ملة	وعلى شباب اليوم حفظ الملة
اليوم آن أوان عودة مجدنا	والفجر لاح بنور أروع نهضة
فتكاتفوا متعاونين على الهدى	وتمسكوا بكتاب خير شريعة
وبحكم شرع الله دوما طالبوا	للناس بالاسلام دين الفطرة

محلة أبو على القنطره — أبو الفتوح عبد الكريم العباسى

لا خيالات ...!

جاءتنا قصيدة بهذا العنوان من الشاب الأديب مصطفى بهجت بدوى الضابط بالجيش المصرى ، يرد فيها بحمية الواثق من دينه ، الذائد عن يقينه ، على شعر سخيف نظمه أحد فروخ الألحاد المحدثين من أدعياء الشعر المتطفلين على موائده ولولا ماضمن شعره من فكرة خبيثة ، هى فكرة الالحاد ما أقام لهذا الشعر وزناً ، ولكن حمله على الرد عليه ، أن يكون خلاصة قول ذلك المفتون فى قصيدته :
« إن الدين ماهو إلا خيالات »

أما قصيدة شاعرنا الفاضل فطويلة وكلها سهام مريشة فى صدور الملحدين ، وقذائف منقضة على رءوس الجاحدين مطلعها :

حائر فى البيد ثورىُّ الفكر ... ضلّ عن عرفان رب مقتدر

ثم قال بعد أبيات :

أإذا كنا بلا رب فمن ... لضحايا الظلم منا ينتصر
من يجازى سارقاً أو قاتلا ... عاش فى الدنيا وماجوزى بشر
من يصب الماء عذباً طاهرا ... من سماء ثم يجرى فى نهر
ياترى من ينبت الزرع ومن ... يخرج الشطأ ومن يعطى الثمر
من ينير الكون بالشمس ومن ... يجعل الليل مضيئاً بالقمر
من بديع الأرض بنّاء السما ... هو رب العالمين المقتدر
دبّر الكون لنا سبحانه ... خير تدبير فهل من مدكر

وكلها على هذا الغرار من قوة البرهان ونصاعة الدليل ، وانا نجتزىء بما نشر معتذرين بضيق نطاق « الهدى » عن نشرها بجملتها ، داعين لناظمها الأديب بالتوفيق والتسديد .

دولاب الحياة

نحن والكون

﴿ للأستاذ محمد الأسمر ﴾

مانحن إلا قطع رُكّبت	في الكون والكون بنا سائر
يمشي بنا اليوم وقبلا مشى	بمثلنا دولابه الدائر
مازاد عمن حلّ فوق الثرى	مُحَلِّقٌ في جوّه طائر
كلاهما سير به مادرى	شيئاً ولا مايومة الآخر
سيان من أسرج أفراسه	يعدو بها والدالف العاثر
فهيم حث المرء مانحته	وما مدى مايزجر الزاجر
أبالغ مبلغ كسرى امرؤ	أو ثمّ يوماً قيصر آخر
كانا وزالا ولم يزل كوكب	ولم يفض السمر السامر
والصبح كالعهد به ضاحك	والليل كالعهد به باسر
ودورة الدولاب تجرى كما	كانت على ماقدّر القادر
اذا هوت في سيره قطعة	منه فألف غيرها حاضر
سبحانك اللهم لا صالح	باقٍ على الأرض ولا فاجر
الحمل الوادع يأتي بها	مصرعه والأسد الكاسر

﴿ عدالة السلف في الحكم ﴾

استعمل ابن عامر عمرو بن اصبغ على الأهواز، فلما عزله قال له ماجئت به؟ قال مامعي إلا مائة درهم وأثواب. قال كيف ذلك؟ قال أرسلتني الى بلد أهله رجلان رجل مسلم له مالي وعليه ماعليَّ. ورجل له ذمة الله ورسوله. فوالله مادريت أين أضع يدي. فأعطاه عشرين ألفا.

من هناء الأسرة :

اختيار الرجل زوجا لابنته

وكيف يعامله ؟

تحمل البيت المسلم من نتائج هجر المسلم لدينه وآدابه أكبر نصيب ، وأفدح رزء ، فمنذ أصيب الاسلام بالهجران، والبيت المسلم يعانى الفرقة والشتات والنكد ؛ وقلما نجد رجلا قد رضى اليوم بالحياة الزوجيه ، لما فيها من المنغصات والمتاعب ، واشتهر ذلك بين الناس حتى كاد يصبح عقيدة عامه . ولذلك قل الاقبال على الزواج قلة ملموسة ، وكثر الطلاق كثرة محسوسه ، وأصبحت الأمه تعانى من آثار هذه الحالة مالا يخفى على أحد ، فما هذه الفتن التى ملأت الشوارع والأزقه من أولئك الفتيات المتسكعات ليلا ونهاراً ، وما تجلبه على الأمه من الأمراض الخطرة ، وما تدمر من أخلاق ، وما تخرب من بيوت ، إلا من آثار الاعراض عن الزواج .

وأقولها صريحة لا غموض فيها : إن إعراض الشبان عن الزواج ليس تجنياً منهم على الحياة الزوجيه ، واللوم لا يتوجه اليهم أولا وبالذات ، وانما يتوجه اللوم الى آباء الفتيات وأمهاتهن الذين اخترعوا من تكاليف الخطوبه والزواج ما تنوء به العصبه أولوا القوة : فمن شبكة الى هدايا ، الى مالا آخر له ، وكل ذلك على رأس الخطيب المسكين !

ومن أسباب توجيه اللوم الى آباء الفتيات وأمهاتهن أنهم لا يخبرون أحداً من معارفهم بما عندهم من فتيات ، وانما يكتمون ذلك حتى ينزل الوحى على طالب الزواج ، فاذا تقدم اليهم كان منهم ما كان مما لست أذكره ، وهذا من الجهل بأحوال سلفهم الصالح الذى فهم الاسلام وطبقه على نفسه ومن يعول .

روى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر أن زوج أخته حفصة توفى ، فقال عمر :

لقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه أن ينكح حفصة ، فقال عثمان سأنظر فى أمرى .
فلبثت ليالى ثم لقينى فقال بدا لى أن لا أتزوج الآن . قال عمر : فلقيت أبا بكر فعرضتها عليه فسكت فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ لنفسه . فلقينى أبو بكر فقال انه لم يمنعنى أن أرجع اليك فيما عرضت إلا أنى قد علمت ان رسول الله قد ذكرها ، فلم أكن أفشى سر رسول الله ﷺ ولو تركها لقبلتها .

فهل يوجد اليوم بين المسلمين من يبحث لابنته عن زوج صالح ، ويعيد إلى المسلمين هذه السنه الحميدة ؟.

وإليك نقطة من بحر النبوة فى معاملة الصهر لصهره ، إذا وقع « سوء تفاهم » بين الرجل وزوجته .

دخل علىّ علَى فاطمة عليهما السلام وكأنه غضب منها ، فخرج فاضطجع فى المسجد ، فجاء الرسول ﷺ إلى بيت على وسأل عنه فقالت له فاطمة انه فى المسجد غضبان ، فذهب اليه ﷺ فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب الى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول « قم ياأبا تراب »

هذا رسول الله ﷺ مع علوّ مكانته يذهب الى زوج كريمته ويخطب وده ، ويعمل على إزالة مافى نفسه ويجتهد فى أن يحل الصفاء محل الجفاء ، ولم يأخذها الى بيته ، ولم يقل: فليأتنا صاغرا ، ولم يقل : كيف يغاضبكِ وأنتِ كريمة سيد الأولين والآخرين .

بهذه الروح الطيبة ، يمكن أن يعود الى البيوت هناءها ، وبهجتها ونعيمها ؛ وعندها نطمع أن تغلق مكاتب المحاماة الشرعية أبوابها ، أو يقل روادها .

أيها الأخ : لقد خالفت الناس فى أهم ماهم عليه ، فهل يعز عليك أن تخلع عنك رداء تقاليدهم وعاداتهم فى ذلك ؟ الأمر لايحتاج الى أكثر من شجاعة أدبية، وحزم ثابت ، وعزم صادق ، والله المستعان .

زكريا على يوسف
امام وخطيب مسجد الحصرى

فرع الجماعة بالاسكندرية

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع الجماعة بالاسكندرية وانتخبت حضرات الاخوان:

الشيخ محمد محمد ظافر رئيساً للجماعة . الحاج صالح عثمان وكيل أول . احمد افندى محمد خليل وكيل ثان . عبد الحميد افندى مصطفى فرج كاتم السر . عبد الرزاق افندى البرادعى مساعد كاتم السر . محمد افندى فتحى محمود أمين الخزينة . أحمد افندى يحيى مراقب الحسابات

على ابراهيم سليمان . خليفه أحمد بدر . محمد عبد الحميد سليمان زكى زيدان . عبد الرزاق محمد هاشم — أعضاء

فرع الجماعة بالرمل

اجتمعت الجمعية العمومية لجماعة أنصار السنة المحمدية برمل الاسكندرية فى يوم الجمعه ٢٣ المحرم سنة ١٣٦٢ ووافقت على الميزانية من ايرادات ومصروفات ثم أجرت عملية الانتخاب فكانت النتيجة كالآتى :

عبد العزيز محمد افندى حشيش رئيسا . محمود افندى رضوان وكيل ومحصل . ابراهيم افندى على أمين صندوق . ابراهيم افندى السيد خضر مراقب حسابات . الشيخ اسماعيل السيد سكرتير . محمد افندى عبد الباقى مساعد المحصل . الشيخ ابراهيم السمان مرشد الجماعه

ربيع الأول سنة ١٣٦٢   العدد الثالث   السنة السابعة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم



مجلة دينية علمية إسلامية (شهرية مؤقتاً)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقى

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصرى والسودان

و٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرهاً ، وظلالهم بالغُدُوّ والآصال ﴾ ١٥ الرعد

قال الراغب الأصبهاني رحمه الله : « السجود » أصله التطامن والتذلل . وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته . وهو عام في الانسان والحيوانات والجمادات . وذلك ضربان : سجود باختيار ، وليس ذلك إلا للانسان ، وبه استحق الثواب . نحو قوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) أى تذللوا لله : وسجود تسخير ، وهو للانسان والحيوان والنبات . وعلى ذلك قوله (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال) وقوله تعالى (أوَلم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سُجَّداً لله) فهذا سجود تسخير . وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة ، وأنها خلق فاعل حكيم . اه

و« الظلال » جمع ظل وهو خيال الشخص والجرم حين انعكاس أشعة الشمس عليه من الناحية الأخرى و « الغدو » جمع غدوة والمراد بالغدوات والغدوة والبكرة: أول النهار . و « الآصال » جمع أُصُل والأُصُل جمع أصيل والأصيل هو العشى ما بين العصر إلى غروب الشمس . وقيل الغدو مصدر الغداء ، فيكون المراد أوقات الغدو . والمراد : اليوم كله . وخص هذان الوقتان بالذكر لأن الظلال تعظم وتكبر فيهما

يقول الله جل ثناؤه : أيها الذين تدعون من دون الله أولياء تفزعون اليهم في شدائدكم وكروبكم ، وتدعونهم في مهاتكم ، وقضاء حوائجكم ، وهم عباد أمثالكم ،

لا يستجيبون لكم بشيء ، ولا ترجع أيديكم من دعائهم إلا صفراً فارغة ليس فيها ولا ذرة مما تطلبون ؛ لأنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، بل هم فقراء مذلولون ، خاضعون مقهورون لسلطان الله وعظمته وجبروته وتسخيره : سواء منهم من كان من أهل الأرض من الانس والجن والشجر والحيوان ، ومن كان من أهل السموات : من الملائكة والكواكب : الكل خاضع لسنة الله الكونية يجرى فى شأنه بمقتضاها ، لا يستطيع أن يشذ عن ذلك قيد شعرة

فالنبى والمؤمن وكل عبد لله صالح : خاضع لله بذل العبودية طاعة لله وتقربا اليه لا يجد اللذة والسرور والنعيم الا فى هذا الذل والخضوع والفقر إلى ربه ، وهو مع هذا خاضع بفطرته وطبيعته ـ كغيره من كل المخلوقات ـ لسنة الله الكونية تجرى فيه بالحمل والولادة والطفولة والنوم واليقظة والجوع والظمأ والشدائد والكروب ، والصغر والكبر والشيخوخة والهرم والمرض والموت (إنك ميت وانهم ميتون) وهو فى كل ذلك تحت قهر الله وسلطان قدرته ؛ يفزع إلى ربه ومدبره وقاهره فى شدته وكربه وضائقته فيسأله بذلة وخضوع وفقر ومسكنة واحتياج وفاقة بالغة ، ويضرع اليه فى تفريج كربه ، وتيسير أمره ، ونصره على عدوه ، فيستجيب الله له إن شاء ، وقصص الأنبياء فى القرآن كلها آيات ناطقات بذلك (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) والأنبياء هم أعلى طبقات البشر وأرفعهم درجة عند الله لما لهم من ولاية الله ومحبته وصدق إخلاصهم لله وطاعته وعبادته ؛ فغيرهم ممن هو دونهم من الأولياء والصالحين أولى وأحق بذلك أن تجرى عليهم سنة الله وأن يكونوا مقهورين لسلطانه مسخرين تحت أمره وتدبيره ، لا أنهم ـ كما يزعم المشركون ـ متصرفون معه فى الكون ، ولهم مجلس وديوان استشارى لله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، والمؤمن العارف بالله كلما رفعه الله درجة فى محبته وطاعته كلما ازداد لله ذلا وخضوعا وعبودية ، لذلك كان سيد العُبّاد الذى كان أشرف ألقابه « عبد الله ورسوله » محمداً صفوة الأولياء وخاتم المرسلين صلى الله عليهم أجمعين ، ليس كما يدعى المشركون

المستكبرون على الله : أنه بالولاية يكون شريكا لله يقول للشىء كن فيكون . فذلك ولاية الشياطين ، لا ولاية أرحم الراحمين . نعوذ بالله من الجاهلية التى أعمت القلوب التى فى الصدور .

والكواكب والحيوان والجماد أولى وأولى بهذا التسخير والانقياد التام لسلطان الله القاهر وسنته الكونية ، ليس فى شىء من ذلك مايدعيه المشركون الجاهلون من البركة التى يزعمون أنهم يأخذونها بعلى أيديهم ويفيضون منها على وجوههم وأجسامهم . ولو عقلوا لوجدوا أيديهم فارغة كفراغ رءوسهم من العقول . ولكنهم لا يعقلون .

فالذين يتخذون أولياء من دون الله ، من أهل الأرض أو من أهل السموات يدعونهم ويسألونهم ، ويحلفون بهم وينذرون لهم ، ويعكفون عند قبورهم متوسلين ومستشفعين ومتبركين بزعمهم ، حقت عليهم كلمة العذاب ووجبت عليهم لعنة الله وغضبه وغلبت عليهم شقوتهم وضلوا ضلالا بعيدا ، لأنهم مايدعون من دون الله إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا ، لعنه الله القاهر فوق عباده القوى العزيز الغالب سلطانه بقضاء الحاجات واستجابة الدعوات وإنالة الرغبات بما يتبعون من الظن وبما تهوى أنفسهم الكاذبة الخاطئة الجاهلة ، التى بلغ بها الافك والجهل ، أن تضرب لله رب السموات والأرض ومن فيهن ، القهار العليم الحكيم الرحيم : المثل بخلقه الذين لا يعلمون ، والذين تحكمت فيهم الأهواء والأغراض ، فلا يصدرون فى أعمالهم عن رحمة ولا علم ولا حكمة ، وإنما يصدرون عن ضعف وعجز وخوف ورهبة ورغبة ، فيمن يشفعون لديهم من ذوى الوجاهة الذين هم أعوانهم فى ملكهم وشركاؤهم فيما فى أيديهم من متاع الدنيا الذى مايقبلون شفاعتهم إلا لخدمة هذا المتاع وحرصاً على بقائه وخوفا من ضياعه ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيرا (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون ، فلا تضربوا لله الأمثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) (أولم يروا إلى ماخلق الله من شىء يتفيؤا ظلاله عن اليمين

والشمائل سجداً لله وهم داخرون . ولله يسجد مافى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) (وقال الله لا تتخذوا إلـهين اثنين ، إنما هو إلـه واحد ، فأياى فارهبون . وله مافى السموات والارض وله الدين واصبا ، أفغير الله تتقون ؟ وما بكم من نعمة فمن الله . ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ، ثم اذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون . ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم ، تالله لتُسألنّ عما كنتم تفترون) (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب . وكثير من النـاس ؛ وكثير حق عليه العذاب . ومن يُهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل مايشاء) (الرحمن علم القـرآن . خلق الانسان علمـه البيان . الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان) (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) (ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبـأ فى السموات والأرض ويعـلم ماتخفون وما تعلنون ؟ الله لا إله إلا هو رب رب العرش العظيم) (ومن آياته الليـل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فان استكبروا فالذين عنـد ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون)

فيالله ! أين الذين يقرءون هـذه الآيات البينات ، ثم يتخذون من الموتى وقبورهم وما نصب عليها من الأنصاب ، آلهـة يضرعون اليها فى ذلة وخضوع ، لا يضرعونه لله فى الصـلاة ، ويتقربون اليهم من خالص أموالهم بمـا لا يهون عليهم بعضه فى سبيل الله (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ؛ ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعـام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون) لأنهم ألغوا عقولهم وسمعهم وأبصارهم بالتقليد الأعمى للآباء والشيوخ ، فانطبق عليهم المثل الذى ضربه الله لاخوانهم المقلدين (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا

أحاديث الأحكام

باب آداب قضاء الحاجة

٨٩ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ اذا دخل الخلاء وضع خاتمه » رواه أبو داود وابن ماجة والترمذى - وصححه - والنسائى، وقال : هـذا الحديث غير محفوظ والحـاكم وقال : على شرطهما . وقال أبو داود : وهذا الحديث منكر . والوهم فيه من همام ، وقد روى من غير طريقه

أقول: الحديث أخرجه الترمذى فى باب ماجاء فى نقش الخاتم من أبواب اللباس . ولم يخرجه فى أبواب الطهارة . وقال الحافظ المنذرى فى تهذيبه لسنن أبى داود : قال أبو داود : هـذا حديث منكر ، وانما يعرف عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهرى عن أنس « أن النبى ﷺ اتخذ خاتما من وَرِق ثم ألقاه » والوهم فيه من

عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمى فهم لا يعقلون) يعنى كمثـل البهيمة التى ينعق بها الناعق بما لا تفقهمنه إلا دعاء ونداء لا تدرى ماوراءه من الذبح والهلاك . نسأل الله دوام العافية التى مَنّ علينا ، وأنقذنا بها من هذه الأدواء القتالة للارواح والقلوب . والحمد لله الذى أنعم علينا بنعمة البصيرة والفقه والتدبر لكتابه . ونسأله سبحانه أن يرزقنا العمل به واتباعه، وأن يجعله امامنا فى الدنيا والآخرة، وأن يسددنا فى أقوالنا وأعمالنا بسنة نبيه الأكرم ﷺ .

محمد حامد الفقى

همام ، ولم يروه إلا همام، وقال النسائي : وهذا الحديث غير محفوظ ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ، هذا آخر كلامه . وهمام هذا : هو أبو عبدالله، همام بن دينار الازدي العوذي مولاهم البصري وان كان تكلم فيه بعضهم ، فقد اتفق البخاري ومسلم على الاحتجاج بحديثه . وقال يزيد بن هارون : همام قوي في الحديث ، وقال يحيى بن معين . ثقة صالح . وقال احمد بن حنبل . همام ثبت في كل المشايخ . وقال ابن عدي الجرجاني : وهمام أشهر وأصدق من أن يذكر له حديث منكر ، أو له حديث منكر . وأحاديثه مستقيمة عن قتادة . وهو مقدم أيضا في يحيى بن أبي كثير . وعامة مايرويه مستقيم . هذا آخر كلامه . واذا كان حال همام كذلك فيترجح ماقاله الترمذي ، وتفرده به لا يوهن الحديث ، وانما يكون غريبا ، كما قال الترمذي . والله أعلم . اه كلام الحافظ المنذري .

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله في تهذيبه لسنن أبي داود : هذا الحديث رواه همام ـ وهو ثقة ـ عن ابن جريج عن الزهري عن أنس . قال الدارقطني في كتاب العلل : رواه سعيد بن عامر وهدبة بن خالد عن همام عن ابن جريج عن الزهري عن أنس « أن النبي ﷺ » وخالفهم عمرو بن عاصم . فرواه عن همام عن ابن جريج عن الزهري عن أنس « أنه كان اذا دخل الخلاء » موقوفا ، ولم يتابع عليه . ورواه يحيى بن المتوكل ويحيى بن الضريس عن ابن جريج عن الزهري عن أنس ، نحو قول سعيد بن عامر ومن تابعه عن همام . ورواه عبد الله بن الحرث المخزومي وأبو عاصم وهشام بن سليمان وموسى بن طارق عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهري عن أنس « أنه رأى في يد النبي ﷺ خاتما من ذهب ، فاضطرب الناس الخواتيم ، فرمى به النبي ﷺ وقال : لا ألبسه أبدا » وهذا هو المحفوظ ، والصحيح عن ابن جريج . اه كلام الدارقطني . وحديث يحيى بن المتوكل الذي أشار اليه ـ رواه البيهقي من حديث يحيى بن المتوكل عن ابن جريج به ، ثم قال : هذا شاهد ضعيف . وانما ضعفه لأن يحيى هذا قال فيه الامام أحمد : واهي الحديث . وقال ابن معين : ليس بشيء

وضعفه الجماعة كلهم . وأما حديث يحيى بن الضريس : فيحيى هذا ثقة ، فينظر الاسناد اليه . وهمام - وان كان ثقة صدوقا احتج به الشيخان فى الصحيح - فان يحيى بن سعيد كان لايحدث عنه ولا يرضى حفظه . قال أحمد : مارأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا منه فى حجاج - يعنى ابن أرطاة - وابن اسحاق وهمام ، لايستطيع أحد أن يراجعه فيهم . وقال يزيد بن زريع - وسئل عن همام - : كتابه صالح وحفظه لايساوى شيئا . وقال عفان : كان همام لايكاد يرجع الى كتابه ولا ينظر فيه ، وكان يخالف فلا يرجع الى كتابه ، وكان يكره ذلك ، قال : ثم رجع بعد فنظر فى كتبه ، فقال : ياعفان ، كنا نخطىء كثيرا فنستغفر الله عز وجل . ولا ريب أنه ثقة صدوق ، ولكنه قد خولف فى هذا الحديث ، فلعله مما حدث به من حفظه فغلط فيه . كما قال أبو داود والنسائى والدارقطنى ؛ وكذلك ذكر البيهقى : أن المشهور عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهرى عن أنس « أن النبى ﷺ اتخذ خاتما من وَرِق ، ثم ألقاه » وعلى هذا فالحديث شاذ أو منكر كما قال أبو داود . وغريب كما قال الترمذى

فان قيل : فغاية ماذكر فى تعليله : تفرد همام به ، وجواب هذا من وجهين : أحدهما : أن هماما لم ينفرد به ، كما تقدم . الثانى : أن هماما ثقة ، وتفرد الثقة لايوجب نكارة الحديث ، فقد تفرد عبد الله بن دينار بحديث « النهى عن بيع الولاء وهبته » وتفرد مالك بحديث « دخول النبى ﷺ مكة وعلى رأسه المغفر » فهذا غايته أن يكون غريبا كما قال الترمذى ؛ وأما أن يكون منكرا أو شاذا فلا .

قيل : التفرد نوعان : تفرد لم يخالف فيه من تفرد به ، كتفرد مالك وعبد الله ابن دينار بهذين الحديثين وأشباه ذلك ، وتفرد خولف فيه المتفرد ، كتفرد همام بهذا المتن على هذا الاسناد ، فان الناس خالفوه فيه ؛ وقالوا : « إن النبى ﷺ اتخذ خاتما من ورق - الحديث » فهذا هو المعروف عن ابن جريج عن الزهرى . فلو لم يرو هذا عن ابن جريج وتفرد همام بحديثه لكان نظير حديث عبد الله بن دينار ونحوه . فينبغى مراعاة هذا الفرق وعدم إهماله .

وأما متابعة يحيى بن المتوكل فضعيفة . وحديث ابن الضريس ينظر في حاله ومن أخرجه .

فإن قيل : هذا الحديث كان عند الزهري على وجوه كثيرة كلها قد رويت عنه في قصة الخاتم . فروى شعيب بن أبي حمزة ، وعبد الرحمن بن خلاد بن مسافر عن الزهري كرواية زياد بن سعد هذه « أن النبي ﷺ اتخذ خاتما من ورق » ورواه يونس بن يزيد عن الزهري عن أنس « كان خاتم النبي ﷺ من ورق . فصه حبشي » ورواه سليمان بن بلال وطلحة بن يحيى ، ويحيى بن نصير بن حاجب عن يونس عن الزهري وقالوا « إن النبي ﷺ لبس خاتما من فضة في يمينه ، فيه فص حبشي ، جعله في باطن كفه » ورواه ابراهيم بن سعد عن الزهري بلفظ آخر قريب من هذا . ورواه همام عن ابن جريج عن الزهري كما ذكره الترمذي وصححه .

واذا كانت هذه الروايات كلها عند الزهري ، فالظاهر أنه حدث بها في أوقات . فما الموجب لتغليط همام وحده ؟

قيل : هذه الروايات كلها تدل على غلط همام ، فانها مجمعة على أن الحديث انما هو في اتخاذ الخاتم ولبسه ، وليس في شيء منها نزعه اذا دخل الخلاء . فهذا هو الحكم الذي حكم لأجله هؤلاء الحفاظ بنكارة الحديث وشذوذه . والمصحح له لما لم يمكنه دفع هذه العلة حكم بغرابته لأجلها ، فلولم يكن مخالفا لرواية من ذكر فما وجه غرابته ؟ ولعل الترمذي موافق للجماعة فانه صححه من جهة السند لثقة الرواية ، واستغربه لهذه العلة . وهي التي منعت أبا داود من تصحيح متنه ، فلا يكون بينهما اختلاف ، بل هو صحيح السند لكنه معلول المتن ، والله أعلم اه كلام ابن القيم .

أقول : فلا يصلح الحديث مستندا لمن يمنع دخول الخلاء وفي داخل ثوبه شيء فيه اسم الله وليس معهم غير هذا الحديث ، فيكون الحكم في هذا على أصل الاباحة والجواز حتى يجيء دليل صحيح صريح غير هذا الحديث ، وما جعل الله على الناس من حرج .

محمد حامد الفقي

داؤنا ودواؤنا

٧ - وصْلُ ما انقطع

دواؤنا أن نرجع فى القدر إلى عقيدة السلف الصالح ، وأن ندفع القدرَ بقدر مثله .

قد يروعك هـذا التعبير ، وقد ترى فيها تجديفا وإلحاداً . ولكنك لو حققت النظر لعلمت أنه الحق الذى جاءت به الشريعـة المطهرة ، وأيده الكتاب المنزل ، ومضى عليـه رسول الله ﷺ واقتـدى به خلفاؤه الراشدون ، وسار على منهجهم السلف الصالحون .

اقتضى قدر الله ، أنه كلمـا جاء أمةً رسولها كذبوه ، ووقفوا فى سبيل دعوته ، وقد جرت هذه السنة على رسول الله ﷺ حين جاء قومه بالهدى ودين الحق، فقد كذبوه ، ورموه بما رموه به ، ونصبوا له ، وحالوا دون نشر دعوته وإعلان كلمة الحق ؛ ولا جرم أن ذلك كله من قدر الله . فماذا كان من أمره عليه الصلاة والسلام ؟

أستخذى لأحكام هذا القدر ، أوقف مكتوف اليدين ، أترك حبل الدعوة على غاربها وقبع فى كسر بيتـه انتظارا لما يأتى به القدر ؟ لا . بل قاوم وناضل ، وجاهد وقاتل ، وبذل كل مافى وسعه لينحى أعداء الحق من طريقه ، حتى أيده الله بنصره ، وذلك من قدر الله أيضا .

فها أنت ذا قد رأيت أن رسول الله ﷺ قد دفع قدراً بقـدر ، وأنت فى كل حين تدافع أقداراً بأقدار ، وأنت لا تشعر .

فأنت تشعر بالجوع والجوع من قدر الله ، فتدفعه بالطعام وهو من قدر الله ، وتشعر بالظمأ وهو من قدر الله ، فتدفعه بالمـاء وهو من قدر الله ، وتشعر بالمرض ، وهو من قدر الله ، فتدفعـه بالدواء ، وهو من قدر الله . فأنت فى تصرفاتك هـذه وأمثالها ، تدفع أقداراً بأقدار .

ولو أن امرءاً استسلم لقـدر الجوع مثلا ، وهو قادر على دفعه ، ثم مات ، مات عاصياً لله تعالى الذى نهاه أن يلقى بيده الى التهلكة . وقد أفصح رسول الله ﷺ عن هذا كل الافصاح ، وأوضحه كل الايضاح ، حين قيل له : يارسول الله ، أرأيت أدوية نتداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتـقى نتـقيى بها ، أترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هى من قدر الله !

فانظر إلى هـذا الجواب الحكيم الذى يحفز الهمم إلى العمل ، ويهيب بالناس إلى اتخاذ الأسباب والامعان فى الحذر .

وقد قال أبو عبيـدة لعمر بن الخطاب حين أراد الفرار من الطاعون بالشام : أتفرّ من قدر الله ؟ قال : نعم ، أفر من قدر الله إلى قدر الله !

فياله من جواب سديد ، يدفع فى صـدور المثبطين ، دعاة العجز والتخاذل ! وقد قال تعالى فى معرض الثناء على المؤمنين : « الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويدرءون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار » .

وقال أيضاً (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن) فقد أمر تعالى أن تدرأ السيئة وهى من القدر ، بالحسنة ـ وهى بغير شك من القدر .

والآيات الواردة فى الاعداد للعـدو ، واتخاذ الحذر ، وابتغاء الرزق ، تضيق بايرادها هذه العجالة .

ولا تتم مصالح العباد فى معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض :

ومدافعة الأقدار بالأقدار على ضربين :

مدافعة أقدار قد انعقدت أسبابها ولما تقع بأقدار تدفعها وتحول دون وقوعها ، كمدافعة عدو مغير بالاعداد له ، وقتاله وصده . وإليها يشير قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم)

ومدافعة أقدار قد وقعت بأقدار ترفعها ، كمدافعة المرض بالدواء ، وإليها الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « تداووا عباد الله ، فان الله لم يضع داء إلا وضع له دواء » . وكمدافعة السيئة بالحسنة ، واليها الاشارة بقوله تعالى (ادفع بالتى هى أحسن) وكمدافعة المعصية بالتوبة ، واليها الاشارة بقوله تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله ، يجد الله غفورا رحيما) وقوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما)

أما القعود عن مدافعة الأقدار مع القدرة عليها فهى من العجز الآثم الذى نهينا عنه . والذى كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله منه . فقد ورد أن رسول الله ﷺ كان يكثر أن يقول « اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل » وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال « احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز » . ولا جرم أن الحرص على ما ينفع هو الجد فى مدافعة الأقدار بالأقدار ، وأن العجز المنهى عنه هو الاستسلام للاقدار مع القدرة على مدافعتها .

لاينبغى أن يحول الايمان بالقدر بيننا وبين اتخاذ الحيطة والحذر ، والنظر فى أعقاب الأمور بالحزم ، والحرص على الخير والعمل على الظفر به ، والفرار من الشر ، والعمل على النجاة منه .

* * *

بلى — هنالك أقدار لا قبل لك بدفعها ، فأنت لاتستطيع أن تغير دورة الفلك ، ولا تستطيع أن تغير نظام الكون ، ولا تملك أن تخرج من حبة البُرِّ عدساً ، ولا من ماء الثور فرسا .

وهناك أقدار تستطيع أن تلطف حدتها ، وتخفف شدتها .

فمن الأقدار أن كنت ابن فلان ، وأن ورثت بعض سجاياه !

ومن القدر أن نشأت فى هذا الاقليم دون ذاك ، وفى هذه البيئة دون تلك ، وبين هؤلاء الناس دون أولئك .

ومن القدر أن كنت أسمر اللون أو أبيضه ، قصير القامة أو طويلها ، ضيق الفكر أو واسعه ، كليل الذهن أو حاده ، قليل الذكاء أو كثيره .

ومن القدر أن ولدت فى هذا الجيل دون الجيل الماضى أو الآتى .

ومن القدر أن ركبت فيك الغرائز المختلفة الدافعة الى حفظ الذات أو حفظ النوع

فمن هذه الأقدار مالا يمكن دفعه ولو اجتمع الجن والانس وكان بعضهم لبعض ظهيرا . ومنها ما يمكن تلطيف أثره ، ولذلك تذكر أن قواعد الشريعة التى نظمت قواعد الزواج والملكية ، لا يراد بها إلا أن تلطف من حدة غريزتى حفظ الذات ، وحفظ النوع .

وقد علم الله ضعف الانسان أمام قوة الغريزة أو البيئة أو الوراثة ، وعلم أنها قد تطغى عليه ، فتورطه فى الاثم . فاقتضت رحمته أن يمحوا بالتوبة النصوح أثر هذا الطغيان ، وأمر بالتوبة أمراً جازما ليمحوا بقدرها قدر المعصية التى دفع اليها قدر الغريزة أو البيئة أو الوراثة . فمن دفع بقدر التوبة قدر المعصية ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن لج فى عتوه ونفوره ، فعلى نفسه جنى وإياها أوبق ، وما ربك بظلام للعبيد .

* * *

إذا أغراك الشيطان بالمنكر ، وزين فى قلبك القعود عن صالح العمل ولوح لك بالقدر تتخذه تكأة تتكىء عليها ، وعذراً تعتذر به . فادفعه عنك بذكر الأمر والنهى . وقل له : إن الشريعة المطهرة ما أنزلها الله إلا ليسلح بها المكلفين ، ضد الأقدار ، ويعلمهم كيف يدافعونها بأمثالها ، واحرص على أن تشق أمواج الأقدار بسفينة الأمر والنهى ، تصل الى بر السلامة ، وتسلم من المعاطب ، وتنج من الأخطار

قل له : كيف وقد شرعت الشرائع ، وجاءت الاوامر والنواهى ، وأرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، وأنذر وبشر ، ورغب وحذر ، وجعل جنة ونعيما ، وناراً وجحيما

قل : لو كان الأمر كما زعمت لبطل الثواب والعقاب ، والتأديب والتهذيب .

السياسة التوجيهية العلمية فى الازهر

لفضيلة الأستاذ العلامة الكبير الشيخ محمود شلتوت

الغرض من الجامع الأزهر ، كما جاء فى المادة الأولى من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ باعادة تنظيم الجامع الأزهر ، وهو آخر تعديل لهذا التنظيم : —

١ — القيام على حفظ الشريعة الغراء : أصولها ، وفروعها ؛ واللغة العربيـة ، وعلى نشرهما .

٢ – تخريج علماء يوكل اليهم تعليم علوم الدين واللغة فى مختلف المعاهد والمدارس ، ويلون الوظائف الشرعية فى الدولة .

وهذا هو الغرض من الجامع الأزهر ، لا من تاريخ هذا القانون فقط ، ولا من

والنصح والارشاد ، والأمر بالمعروف ؛ والنهى عن المنكر ، والدعوة الى الخـير ، والصد عن الشر :

قل : لو كان الأمر كما زعمت لكان كل هـذا عبثاً من القول ، وضياعا من العمل . وحاش لله العليم الحكيم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون .!

دواؤنا أن نحرص على ماينفعنا مستعينين بالله تعالى ، متوكلين عليه ، مستمدين منه العون والتوفيق والهـداية ؛ وألا نستسلم للعجز والتوانى ، وأن ندفع الأقدار بالأقدار اقتداء برسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين وسلفنا الصالحين . وأن نرأب ما أتأته يد الغفلة والجمود ، والجهـل والعجز ، حتى نعيـد للاسلام مجـده وعزته ، وسطوته وقوته . جاعلين نصب أعيننا قوله تعـالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، ويعفو عن كثير » .

أبو الوفا محمد درويش

تاريخ أول قانون وضع لتنظيم الأزهر ، ولكنه غرضه من يوم أن انسلخت عن الأزهر الصبغة الشيعية التي أنشىء لتركيزها وتنميتها والقضاء بها على المذاهب الأخرى . من يوم أن تولّى الظاهر بيبرس ملك مصر سنة ٦٥٨ هجرية وأعاد إلى الأزهر حياته العلمية التي أبطلها صلاح الدين الأيوبي عملا منه على إزالة كل أثر للفاطميين. من ذلك الحين ـ فقط ـ تبتدىء حياة الأزهر العلمية التي لا تتقيد برأى ولا مذهب ؛ ولا تقتصر على علم من العلوم ، فقد درست فيه جميع العلوم الشرعية على اختلاف المذاهب والأصول ، ودرست فيه علوم اللغة العربية بجميع مذاهبها وآرائها ؛ ودرست فيه آراء علماء العقيدة لا فرق بين فرقة وفرقة ، كما درس فيه كثير من العلوم الرياضية والعقلية ، مما رأى سلفنا أن له نفعاً فى تكوين الفكرة الاسلامية ؛ وخدمة الشريعة واللغة .

كان هـذا هو الغرض من الجامع الأزهر منذ ذلك الحين ، ولم يكن موزعاً على طلاب العلم بحيث يختص كل فريق منهم بناحية معينة على نحو ما نرى اليوم ؛ بل كان جميع طلابه ينهلون من جميع علومه ، لا اختصاص لأحد بعلم ، إلا ما كان عن طريق الاستعداد الفطرى ، والميل النفسى .

وقد مرت بالأزهر أطوار مختلفة ، كان فيها بين الصحة والمرض ، والتقدم والتأخر ، والنهوض والتقاعد ، والانتاج والعقم . ولسنا بصدد الكلام عن هذه الأطوار التي طواها التاريخ بما لها أو عليها ؛ ولكن مما يهمنا فى هذا الحديث : أن نعرف أن هـذه الأطوار ختمت بعهد تجمعت فيه علل ماض طويل ، وأخذت تعمل عملها فى صرف الأزهر عن التفكير والانتاج ، وعن كل نافع من العلوم العقلية والكونية ، واندثرت مظاهر العلم والتفكير فيه إلى أن تغلبت المبادىء الآتية :

١ - تغلبت العناية بالمناقشات اللفظيـة ، وتتبع كلمات المؤلفين فى المصنفات والشروح والحواشى والتقارير على الروح العلمية الموضوعية التي من شأنها أن تخدم الفكرة ؛ بقطع النظر عما يتصل بها من ألفاظ وعبارات .

٢ - تغلبت روح التقديس للآراء والأفهام التي دونها السابقون، والسمو بها عن مستوى النقد، وعدم الاكتراث بما قد يظهر من آراء جديدة، ولو كان لها من السداد والقوة ما لها .

٣ - تغلبت نزعة الاشتغال بالفروض والاحتمالات العقلية التي لا تقع وما يتصل بها من أحكام . فتراهم يقولون : لو طلقها نصف تطليقة أو ربع تطليقة . لو قال لها أنت طالق : إن شئت ، فقالت له : شئت إن شئت ، وتراهم يقولون : لو تزوج جنية ، فالحكم في النسب والميراث كذا . . .

ولقد أكثروا من هذا في العبادات والمعاملات ، وأنفقوا فيه من الوقت والتفكير ما كان جديراً بهم أن يدخروه للنافع المفيد ، ووصل الأمر في ذلك الى أن الكمال بن الهمام وهو من أفذاذ علماء القرن التاسع يقول : ومن مسائل قبل وبعد ماقيل منظوما

رجل علق الطلاق بشهر قبل مابعد قبله رمضان

ثم يندفع في تخريج هذا الفرض وبيان حكمه ، ثم يأتي بعده ابن نجيم الحنفي صاحب البحر والأشباه فيتولى الشرح والبيان والتكميل ويقول : إن هذا البيت يمكن انشاده على ثمانية أوجه :

قبل ماقبل قبله قبل مابعد قبله قبل ماقبل بعده قبل مابعد بعده

بعد مابعد بعده بعد ماقبل بعده بعد مابعد قبله بعد ماقبله قبله

ويشاركه في ذلك علماء عصره ، ثم يأتي من بعدهم ابن عابدين من علماء القرن الثالث عشر فيضع رسالة في هذا الفرض تحت عنوان (اتحاف الذكي النبيه ، بجواب مايقول الفقيه) يشرح فيها أبياتا أولها :

مايقول الفقيه أيده اللـ ـه ولا زال عنده الاحسان

في فتى علق الطلاق بشهر قبل مابعد قبله رمضان

ويورد في الرسالة آراء جميع من تقدمه من العلماء في الشرح والحكم ، ولا بد أن يحمل الجواب ثنايا كالسؤال ، وهكذا اشتغل المتأخرون بمثل هذه الفروض وأعرضوا بها عن تنمية الفقه العملي الذي يحتاج اليه الناس في معاملاتهم وقضاياهم .

٤ - تغلبت نزعة الاشتغال باختراع الحيل التى يُتخلص بها من الحكم الشرعى ، ولقد تناولت هذه الحيل كثيرا من أبواب الفقه ، ولم تقف عند الحد الذى أثر عن الأئمة من جعلها وسيلة للتخلص من ضرر أو مكروه . بل افترضوا حيلا يسقطون بها الواجبات ، ويفسدون بها الالتزامات . فتجد حيلا لاسقاط الزكاة وحيلا لاسقاط حق الشفعة ، وحيلا لاسقاط عدة المطلقة ، وحيلا لاسقاط الحدود .. وهكذا مما لا يتفق ومقاصد الشريعة - ولقد أطنب ابن القيم أحد أفذاذ علماء القرن الثامن فى كتابيه (أعلام الموقعين ، واغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) فى الرد على فكرة الاحتيال على هذا النحو ، وبين أنها مضادة لروح التشريع [1] ، وقال : « إن المتأخرين أحدثوا حيلا لم يصح القول بها عن أحد من الأئمة ، ونسبوها اليهم وهم مخطئون » .

وإذا علمنا أن العناية بالاحتيال الفقهى وصل أمرها إلى أن جعلوه فنا من كتبهم ، وبابا من أبوابها ؛ لأخذ منا العجب مأخذه ، فهذا ابن نجيم من علماء القرن العاشر يضع عنوانا فى كتابه (الأشباه والنظائر) فيقول « الفن الخامس من الأشباه والنظائر وهو فن الحيل » [2]

٥ - تغلبت روح التعصب المذهبى الشديد ، حتى وصل الأمر فى ذلك بين أتباع الأئمة الى المناقشة فى صحة الاقتداء بالمخالف فى المذهب ، وأخذت هذه المسألة فى كل مذهب مجالا واسعا فى البحث والتفريع . ووصل الأمر أيضا الى البحث عن حكم التزوج من الشافعية ؛ فترى الكمال ابن الهمام وهو فى الكلام على حكم التزوج بالوثنيات ينقل عن أحد علماء الحنفية (أنه لا يجوز المناكحة بين أهل السنة والاعتزال) .

---

(١) ومن قبله شيخه الامام المجدد شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله فى كتابه (اقامة الدليل على إبطال التحليل)

(٢) وكذلك صنع مثل صنيع ابن نجيم الحنفى ، الجلال السيوطى الشافعى من علماء القرن العاشر فى كتابه (الأشباه والنظائر)

ثم يقول بعد هذا النقل «ومقتضاه منع مناكحة الشافعية، واختلف فيها هكذا : قيل يجوز ، وقيل يتزوج بنتهم ولا يزوجهم بنته » .

ونرى أثر هذه النزعة فى حكم الانتقال من مذهب الى آخر ، وفى حكم الحاكم بحل متروك التسمية عمدا ، وفى حكم العقد الذى يشترط فيه بعض المذاهب مالا يشترط البعض الآخر . . .

وهكذا وصل التعصب المذهبى الى مثل هـذا الحد ، وصارت المذاهب بين المسلمين ـ أو بين أبناء الأزهر ـ أديانا يتقاتل أهلها ، ويضلل بعضهم بعضا ، وهى لاتخرج عن أنها آراء وأفهام حـذر أئمتها الأولون من تقليدها والعمل بها دون الاطمئنان اليها بمعرفة الحجة والبرهان . ويعز علىّ فى هذا المقام أن أذكر قوله تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء)

٦ - تغلبت الفـكرة القائلة بتحريم تقليد غير المذاهب الأربعـة ، فحجّروا واسعاً ، ومنعوا رحمـة اختص الله بها هذه الأمة ، ولقـد ظهرت هذه الفكرة على وجه أوضح منذ عهد قريب ، يوم وضع الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، مشروع الزواج والطلاق ، فقام ثلاثة من علماء الأزهر بعمل مذكرة تناهض هذا المشروع . وتبنى مناهضتها على أن لايجوز تقليد غير المذاهب الاربعة . فكتب الأستاذ الأكبر مذكرة قيّمة ، لها خطرها فى التوجيـه الفقهى والتشريعى ، بيّن فيها كثيرا من مسائل الاجتهاد والتقليد ، كما بين آراء العلماء فى تأثر الفقه بالعرف والعادة . ويجدر بنا فى هذا المقام أن نعلم ان العلماء الذين تناولوا هذه المسألة قديما واستساغوا أن يحكموا بمنع تقليد غير الاربعة لم ينظروا إلى خصوصية فى ذات المذاهب الأربعـة، وانما جعلوا مناط التقليد على وجه العموم الثقة بالمذهب الذى يقلد ، واطمئنان النفس الى صحة النقل عنه . فمن ثبت عنده رأى من آراء الأئمة او الصحابة جاز له تقليده والعمل بمقتضاه ، لا فرق بين إمام وإمام ، ولا بين الأربعــة وغيرهم . ولهذا يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام « لا خلاف بين الفريقين فى الحقيقة ، بل ان تحقق ثبوت

مذهب عن واحد منهم جاز تقليده . وفاقاً ، وإلا فلا » ويقول أيضا : « إذا صح عن بعض الصحابة مذهب فى حكم من الأحكام لم تجز مخالفته إلا بدليل أوضح من دليله» . ومن هنا يقول القرافى « انعقد الاجماع على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء بغير حجر، وأجمع الصحابة على أن من استفتى أبا بكر وعمر فله ان يستفتى أبا هريرة ومعاذ بن جبل وغيرهما ، ويعمل بقولهما من غير نكير، فمن ادعى دفع هذين الاجماعين فعليه الدليل » اه .

هـذا هو أصل الفكرة فانظروا كيف حُرِّفت وجُعل التقليد خاصا بالمذاهب الأربعة ، بل جعل واجبا يذكر بين مايجب على المكلف ان يدين به ويعتقده فيقول بعض المؤلفين فى منظومته : (وواجب تقليد حبر منهم !)

ورث الأزهر أيضا فكرة أن من قلّد إماما من الأئمة الاربعة فليس له أن يحيد عنه ، بل يجب عليه أن يلتزمه بدون حجة ولا بحث وراء دليل ؛ ولا يصح أن يقلد غيره ولو فى غير ماقلده فيه . ومذكرة الثلاثة التى أشرنا اليها قد تأثرت بهذه الفكرة أيضا ، فأوجبت على القاضى ان يحكم بمذهبه ، وحظرت عليه ان يحكم بغيره ؛ وذلك على الرغم من أن علماء الاصول يقولون فى هذه المسألة « والأصح انه لا يلزم، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة فيقلده فى دينه وفى كل مايأتى ويذر دون غيره »

ورث الازهر أيضاً القول بحرمة تتبع رخص المذاهب حتى جعلوا عدم تتبع ذلك شرطا فى صحة تقليد غير الامام ، وصاحب التحرير يقول ايضاً فى هـذه المسألة « ولا يمنع منه مانع شرعى ، إذ للانسان ان يسلك الأخف عليه إذا كان له اليه سبيل . ولا أدرى مايمنع هـذا من العقل والسمع . وكون الانسان يتتبع ماهو أخف على نفسه من قول مجتهد مسوّغ له الاجتهادُ ماعلمت من الشرع ذمه عليه ، وكان ﷺ يحب مايخفف على أمته » .

ورث الازهر فكرة كان لها أثر خطير فى انحرافه عن سبيل التفكير الصحيح

وتقدير الآراء بقيمتها العلمية : هي خطة المعاداة لطائفة من العلماء نضجت عقولهم وأدركوا أسرار الشريعة ، وخالفوا الناس في كثير مما درجوا عليه ، وتحرروا من الأغلال التي قيد المقلدون بها أنفسهم . حكم الازهر عليهم بأحكام جائرة وشكك في تدينهم واخلاصهم وآرائهم ، وشوهوا في الكتب وعلى ألسنة الدعاة بغير حق ، وجعل ذلك سبيلا الى رفض العمل بآرائهم ، وعدم الاعتداد بأفكارهم ، فصرفت الانظار عنهم ؛ وصرنا نسمع من أسباب رفض الرأى : هذا رأى ابن تيمية ، وابن تيمية ضال مضل . وهذا قول ابن القيم تلميذه ، كما يقال : هذا رأى الزمخشرى وهو معتزلى ، أو ابن رشد وهو فيلسوف ... وهكذا ، كأن هؤلاء ليسوا من أهل العلم ؛ ولا من رجال البحث ، أو كأن الحق وقف على طائفة من الناس لا يعدوها .

وأخيراً ورث الازهر في ذلك العهد : القول بتحريم الاشتغال بالعلوم العقلية والرياضية وأخذ يحارب المشتغلين بها جيلا من الزمن ، ولعل من الطريف في ذلك أن نشير إلى الاستفتاء الذى تقدم به بعض الناس الى الشيخ الانبابى شيخ الجامع الأزهر ؛ والى مفتى الديار المصرية الشيخ محمد البنا سنة ١٣٠٥ ﻫ يسألون فيه : هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية ، مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وغيرها من سائر المعارف ؟ وهل يجوز قراءتها كما تقرأ العلوم الآلية من نحو وغيره في الجامع الازهر ؟

هذه هى التركة المثقلة التى خلفتها العصور المظلمة ، واحتملها الازهر فى طور مرضه الشديد كعقائد دينية ، وواجبات يرى أن يتمسك بها ، وأن يذود عنها ، وأن يرمى خارج محيطه من يفكر في التحلل منها .

ولقد كانت النتيجة الحتمية لهذا الميراث الثقيل أن وقفت حركة التفكير العلمى فى الازهر وحرم نفسه لذة البحث والنقد ، وانحصرت مظاهر التبريز والنبوغ فيه فى القدرة على حل المشاكل اللفظية فى المتون والشروح والحواشى ـ التى لا تعود على العلم بكبير فائدة ، وبهذا انقطعت علاقة الازهر بالأمة فى تفكيره وعلومه وتشريعه ؛ وأصبحت النظرات المتبادلة بينهما كالنظرات المتبادلة بين طائفتين ضاقت كل

منهما ذرعا بصاحبها ، وأخذت تتربص بها الأحداث والدوائر .

ظل الأزهر كذلك حتى هيأ الله له — على سنة الله سبحانه : من عدم إخلاء الأمم ممن يعرف الحق ويدعو اليه — واحداً من أبنائه لا ينسى التاريخ فضله ، هو الأستاذ الامام المصلح له الشيخ محمد عبده رحمه الله ورضى عنه .

صاح بالازهر صيحة أيقظته من نومه ، ونبهته بعض الشيء إلى واجبه ، وكانت مبادئه وأفكاره بمثابة شعاع انبثق فى أفق الازهر ، انتفع به من انتفع ، وازور عنه من ازور ، ولكنه مع ماقوبل به من محاولات متعددة لاطفائه ، ظل قويا وهاجا يجذب اليه أنظار المؤمنين ، وينفذ إلى بصائر المخلصين ، ويعلو ويتسع أفقه شيئاً بعد شيء . ومنذ ذلك الحين اتجهت الأنظار إلى وضع نظم من شأنها أن تمكن الأزهر من الانتفاع بهذا النور ، والسير على هداه حتى يقوم برسالته ، ويصل الى غرضه المنشود . فوضعت نظم متلاحقة متشابهة ضمت الى العلوم الشرعية والعربية كثيراً من العلوم العقلية والرياضية فانسع لها صدر الازهر ، وهضمتها عقليته الجديدة . والأزهر الآن فى كلياته ومعاهده والقضاء الشرعى والإفتاء ، والوعظ والارشاد فى المساجد وغيرها ، كل أولئك يدتفعون بطائفة كبيرة من العلماء الذين تخرجوا فى ظلال هذه النظم ، لهم أثر واضح فى حياة الامة من جميع نواحيها .

واستمر الازهر كذلك الى أن تولى مشيخة الازهر المرة الأولى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وهو من أبناء الازهر الذين عرفوا تاريخه ، وأدركوا علله وأمراضه . وهو الى جانب ذلك تلميذ بروحه وعلمه وعقله وتفكيره للاستاذ الامام محمد عبده ، فوضع مذكرته الكبرى التى تصف علل الازهر وأدواءه ، وتصف الدواء الناجع لهذه العلل . تلك المذكرة التى لا أعلم مثلها فى تاريخ الازهر — حديثه وقديمه — قوة وفهما ، وإدراكا للعوامل المختلفة المحيطة بالازهر ، والتى جعلها برنامجه فى الاصلاح المنشود ، ودستوره الذى عاهد الناس على أن يسير على مبادئه فى النهوض بالازهر ، واعلاء شأنه ، وتحقيق آمال الأمة الاسلامية فيه ، ولست أرى بدآ من أن

أعرض على مسامعكم عدة فقرات مما تضمنته هذه المذكرة فى نواحيها المختلفة

يقول فضيلته فى وصف علماء القرون الاخيرة :

« ولكن العلماء فى القرون الاخيرة استكانوا الى الراحة ، وظنوا أن لا مطمع لهم فى الاجتهاد ، فأقفلوا أبوابه ، ورضوا بالتقليد ، وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة ، وطرق البحث الحديث ، وجهلوا ماجد فى الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء ، فأعرض الناس عنهم ، ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له ، وأصبح الاسلام بلا حملة ؛ وبلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين » .

ويقول فضيلته فى شأن النظم المتقدمة :

« وإنى أقرر مع الأسف أن كل الجهود التى بذلت لاصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر فى إصلاح التعليم ؛ وأقرر أن نتائج الازهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه ، وقد صار من الحتم لحماية الدين ، لا لحماية الازهر ، أن يغير التعليم فى المعاهد ، وأن تكون الخطوة الى هذا جريئة ؛ يقصد بها وجه الله تعالى ، فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ ، فقد قرنت كل الاصلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة » .

ويقول فضيلته فى وصف الكتب :

« هى كتب معقدة لها طريقة خاصة فى التأليف ، لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية ، وانما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها ؛ وعرف اصطلاح مؤلفيها » .

ويقول فضيلته فيما يختص بدراسة الفقه :

« يجب أن يدرس الفقه الاسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عليها من الكتاب والسنة ؛ والاحكام المجمع عليها ؛

والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والامكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفه ، كما كان يفعل السلف من الفقهاء ».

ويقول فيما يختص بدراسة التفسير والحديث :

« يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهما على وفق ماتتطلبه اللغة العربيه ، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحه ، وأن يبتعد في تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه ، وعن كل مالا يتفق وقواعد اللغة العربيه » .

هذه هي مذكرة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى التي جعلها دستوره في الاصلاح، والتي علقت عليه الأمة من أجلها آمالها الكبرى في إعلاء شأن الدين وانهاض أهله، وقد رأى فضيلته تنفيذاً لأغراض هذه المذكرة الاصلاحيه ، توزيع التعليم العالى فى الأزهر على شعب ثلاث : شعبة للتفسير والتوحيد وتعرف باسم (كليه أصول الدين) وشعبة للغة العربيه وتعرف باسم (كليه اللغة العربيه) وشعبة للفقه والأصول وتعرف باسم (كلية الشريعه) .

تنوع التعليم العالى الى هذه الكليات الثلاث ، ووضعت مناهج لكل كليه تبين علومها الأساسية والاضافيه ، وجعل وراء ذلك تخصصات «وإجازات» موزعة على هذه الكليات الثلاث ، وليس من غرضنا الآن أن نعرض للعلوم الجديدة التي تضمنتها مناهج هذه الكليات واجازاتها ، وانما أريد أن أحدث اليكم عن السياسة التوجيهية التي رافقت هذا الاصلاح . وسأتخذ كلية الشريعه - التي تظلني مدرساً فيها ووكيلاً - مثلا لهذه السياسة ، فأعرض لمهمتها بمقتضى هذا النظام ، ثم لموقفها ازاء هذه المهمة .

أيها السادة :

إن الناس ينظرون الى « كلية الشريعه » نظرة خاصة ، لانها هي الكلية التي تهيمن على الشريعة الاسلاميه بدراستها ودراسة أصولها ومصادرها . هي الكلية التي

تخرج المسلمين ـ بحكم القانون ـ رجال القضاء الشرعى الذين يحكمون فى الأعراض والاموال . هى الكلية التى تخرج أساتذة فى الشريعة يستطيعون توجيه التشريع الواقعى الذى تدعو اليه حالة البلاد الى ناحية التشريع الاسلامى ، وبيان سعة صدر الشريعة الاسلامية لكل ما يجد من أنواع المعاملات الضرورية والحاجية ، وقدرتها على حل المشاكل الاجتماعية بما لا يقف دون تقدم البلاد ونهضتها . وأخيراً هى الكلية التى يقع على كاهلها غرض الدفاع عن الدين الاسلامى الآن ، ذلك بأن أكثر ما يهاجم به الاسلام الآن إنما هو من ناحية الفقه والتشريع . أما عقيدته فهى باعتراف المستشرقين وغيرهم عقيدة واضحة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض . وأما لغته وهى اللغة العربية التى نزل بها كتابه فهم يعترفون أيضاً بأنها لغة ناضجة قادرة على تلبية ما وضعت اللغات من أجله ، فلم يبق أمامنا هدفا للمستشرقين أو للطاعنين سوى الفقه والتشريع ، وذلك من جهة أن التشريع يجب أن يكون عملياً ملبياً لحاجة العصر ، وفقهنا الحاضر منه ما كان تلبية للعصور التى استنبط لها ، ومنه فروض وتقديرات دعا اليها مجرد البحث والنظر ، وفيه بعد هذا وذاك أصول ومبادىء لا أكون مغالياً ولا مسرفا فى تقديرها إذا قلت أنها تصلح لأن تكون مصدراً لنظام تشريعى يساير ما يمكن أن يجود به الزمن من حضارة ورقى .

وصل الفقه إلينا والى الناس فى تلك الكتب التى تحمل فى طياتها هذه الأنواع الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ، فتلقيناه على هذا النحو ، واطلع عليه غيرنا على هذا النحو ، فكان له فى نفوسنا أثر وكان له فى نفوس الناس أثر : فأما أثره فى نفوسنا فهو شعورنا بأننا نعالج صوراً ذهنية لا صلة لها بالحياة العملية التى تحيط بنا ، نتناولها موضوعات نظرية ، ونجعلها ميدانا للمناقشة والجدل ، فضاقت صدورنا بدراسته ، وأصبحنا نتكلف المضى فى هذه الدراسة ، ونتلمس الخلاص منها على أى وجه . وأما أثره فى نفوس الناس فجفوة للفقه الاسلامى ، وعدم تقدير له ، وانصراف عنه الى الشرائع الأجنبية ، ذلك بأنه لم تبد لهم صلته بتنظيم الحياة الاجتماعية التى تجمعهم

أمرها ، وبأن أسلوبه التأليفى الذى أفرغ فيه لايطمع فى الانتفاع به إلا من كرس حياته عليه ، وعرف موضع الشرح من المتن ، وموضع الحاشية من الشرح ، وموضع التقرير من الحاشية . وقد مهدت هذه الحالة لخصوم الاسلام أن يهاجموه من جهة تشريعه ؛ فرموه بأنه تشريع جاف جامد لايتفق والعصور الحاضرة ، وضربوا لذلك الأمثال، وأخذوا يشوهون هذه الثروة التشريعية العظيمة التى ضيعها أهلها .

لهذا كانت كلية الشريعة جديرة بأن ينظر الناس اليها نظرة خاصة ؛ وأن يعلقوا عليها آمال المسلمين فى تحقيق عظمة الشريعة وخلودها ، و بيان صلاحيتها لكل زمان ومكان .

هذه كلية الشريعة ؛ وهذه هى مهمتها التى يرقبها الناس منها ، وقد وضعها القانون الحالى نصب عينيه ، فوضع لها منهاجا علمياً واسعا من شأنه أن يصل بها على أيدى العاملين الجادين الى قمة النجاح ، وضم الى علميها الأساسيين «الفقه والأصول» تفسير آيات الأحكام وشرح أحاديث الأحكام ، وتاريخ التشريع ، ودراسة أحوال الرجال، والمقارنة الفقهية فى نخبة صالحة من المسائل والمنطق، كما أدخل فى علوم إجازة القضاء الشرعى جميع العلوم القضائية، والقانون الدولى الخاص، والاقتصاد السياسى؛ والسياسة الشرعية، ولا ريب أن هذه علوم لو درست حق دراستها واستوعبت بجميع مباحثها ، لكونت فكرة فقهية وثقافة شرعية تسهل علينا تخليص الفقه ومبادئه التشريعية مما لحق به وعاق الناس عن معرفته ؛ كما تسهل علينا عرضه على الناس عرضا يستسيغونه، ويكشف لهم وجه الانتفاع به فى تنظيم حياتهم الاجتماعية وتلبية حاجاتهم؛ وبذلك يؤمنون بصلاحية هذا الفقه وحاجتهم اليه والى أهله الذين يشتغلون به ، فتزول الجفوة ؛ ويحل محلها التفاهم والتقارب .

أيها الاخوان ، أيها الأبناء :

يجدر بنا بعد هذا أن نسأل : هل قامت كلية الشريعة بواجبها ؟ هل خطت فى سبيل القيام بهذا الواجب خطوات تستريح النفوس اليها ؟ هل أشعرت

الناس بأنها تريد أن تخطو فى طريقها الذى رسم لها ؟

أسئلة لابد أن نسائل أنفسنا بها، فلقد مضى من عمر هذه الكلية اثنى عشر عاما وهو أمد فيما يرى المصلحون غير قصير .

نسائل أنفسنا بهذه الأسئلة قبل أن يسألنا الناس ، ونجيب عنها قبل أن يجيب عنها الناس .

ولكن بماذا نجيب ؟ أنقول : لم تقم بواجبها ، لم تخط فى سبيل هذا الواجب خطوة واحدة ، لم تشعر الناس بأنها تريد المضى فى طريقها الذى رسم لها . أم ماذا نقول؟

لم تزل كتبنا هى الكتب التى يقول فيها أستاذنا الأكبر : « انها كتب معقدة لها طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية ، وانما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها » .

لم نحاول أن نقرب للناس ولا لأنفسنا هذه الكتب، ولم نحاول أن نأخذ النافع منها لنعرضه عرضا ، يروج عند أهل العصر . لم نزل ننفق أوقاتنا الثمينة فى المناقشات اللفظية ، وفى خدمة نصوص المتون وعبارات المؤلفين ، لم نزل نشغل أنفسنا بالفروض الفقهية كما اشتغل بها السابقون ، لم نزل نحس ثقل العلم ولا نجد فى أنفسنا اندفاعا الى تحصيله ، ولا رغبة فى المثابرة على طلبه . لم نزل نحضر العلم حضوراً زمنياً لنقطع به أعوامنا الدراسية عاما فى أثر عام .

ثم ماذا نقرأ فى هذه الأعوام الدراسية ؟ إننا نقرأ من المقررات نسباً ضئيلة تافهة لاتكوّن ملكة ولا تعد تحصيلا .

هذه هى حالتنا التوجيهية الواقعية ، وهى حالة عامة تشترك فيها الكليات جميعها على اختلاف بينها فى النسب ، وهى مسجلة فى التقارير التى تقدمها لجان الامتحان الى الرياسة العامة إثر كل امتحان ، وفيها يقول حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الأكبر (وهناك أمثلة ظاهرة العوار فى قراءة المقررات تعلمونها كما أعلم ، وتشعرون بأنها أمثلة سيئة لايجوز أن تبقى ماثلة)

وانه ليؤلمني أن أصرح في موقفي هذا بأن جهودا كثيرة بذلت في سبيل إصلاح هذه الحالة ولكنها لم تقابل باخلاص ولا تضافر على تنفيذها ، فماتت تلك الجهود واستمرت هذه الحالة .

لست الآن بصدد تعيين من تقع عليهم التبعة في هذه الحالة ، ولا بصدد محاسبة أحد على ماقدم أو أخر ، فان مرد ذلك الى الله والى التاريخ ، ولكني أريد فقط أن أبحث عن العامل أو العوامل التي وقفت بنا هذا الموقف :

إنني لا أشك في أن طلاب الأزهر قد هجروا بلادهم ، ونفروا من كل صوب إلى هذا المعهد العظيم ، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ، وأنهم قد سلموا أنفسهم خاضعين لهذا النظام مستظلين بلواء الاصلاح .

ولا أشك في أن أساتذة الأزهر أيضاً شديدو الحرص على ماينفع طلابهم ويرفع معهدهم ، ثم هم بعد ذلك خاضعون لنظام ينظمهم وقانون يوجههم .

ولا أشك في أن المناهج في جملتها مناهج قوية صالحة لتخريج أفذاذ من العلماء في الفقه والتشريع وفي غير الفقه والتشريع .

ولا أشك في أن فضيلة الأستاذ الأكبر — صاحب فكرة الاصلاح ، والمهيمن على تنفيذها ، والذي بيده زمامها — يسره ويثلج صدره أن يرى هذا الاصلاح وقد أصبح حقيقة واقعة ، أن يراه وقد نجح نجاحا عمليا وظهرت آثاره في الأمة ، فان هذا وحده هو الذي يُخلّد اسمه في المصلحين ، ويرفع ذكره بين العاملين .

لا أشك في أن هذه العوامل كلها موجودة ، ولا أشك في أنها جميعاً عوامل نجاح وتقدم فما هو السر إذاً في هذه الحالة ؟ ما هو العامل الذي استطاع أن يغلب هذه العوامل كلها ؟

إننا إذا رجعنا إلى المذكرة الأصلاحية التي وضعها الأستاذ الأكبر نجد فيها لفضيلته فقرة قوية صادقة ، وفي ظل هذه الفقرة نرى الجواب عن هذا السؤال ، وفي ظلها نجد العلاج .

يقول فضيلته : « يجب أن تكون الخطوة الى هذا الاصلاح خُطوةً جريئة

يقصد بها وجه الله تعالى ، فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ ، فقد قرنت كل الاصلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة » .

وإلى أن تحدث هـذه الخطوة الجريئة التى يقصـد بها وجه الله ، ولا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ ، سيبقى الأزهر فى عزلته عن الأمة ، ولا يسعفها بحاجتها ، ولا تقدره فى وجوده ، ولو سن له ألف قانون .

أيها الاخوان. أيها الأبناء: لاأحب أن أبرح مكانى هذا حتى أصارحكم بما يجب أن نحسب حسابه ، وأن نجعله نصب أعيننا من التفكير والعناية : إن الأزهر حقيقة كان مقصراً فيما مضى، ولكن الأمة لم تكن قد نهضت هذه النهضة ، ولم تكن قد مارست من الشؤون ما تمارس اليوم ، فلم يكن الفرق يومئذ بينها وبين الأزهر ملحوظا . أما اليوم فان الأمة قد تنبهت وأصبحت تكلف أبناءها نشاطا فى خدمتها ودأباً على ترقية شؤونها ، وإخلاصاً وتفانيا فى أداء واجباتها ، وهى ترقب عن كثب ما تعمله كل طائفة لتسجل هذه الطائفة محلها من الاعتبار أو الاهمال .

إن رجال الأمة والمفكرين فيها قد أدركوا أن نجاح هذه الأمة مقرون بما ينبغى أن ترجع اليه من تقاليـدها وشريعتها ، وها هى ذى سفينة الحيـاة فى مصر والعالم الاسلامى كله تتجه الى هذا المرفأ الأمين ، مرفأ السلامة الالـهية ، وأنها لواصلة اليه إن شاء الله ، ونحن اذا لم نتنبه ، كما تنبهت أمتنا ، ونعمل على مساعدتها فى إدراك هذا الغرض النبيل ، كما تنتظر منا ، فستصدر علينا حكمها القاسى ، وستعمل جادة على إحياء تراثها المجيد من فقه وأخلاق وآداب .

أيها السادة : لست أشك فى أن أبناء الأزهر اليوم قد وسعت الحياة مداركهم وملأت بالآمال نفوسهم، وخلقت فيهم استعداداً حسنا للاضطلاع بأكبر المهام، ومنافسة أعظم الجامعات وانه لاينقصهم سوى شىء من العناية الجادة الحازمة يتصل بهم فيربط بين قلوبهم، ويكشف لهم عن وجهتهم، وينظم جهودهم، ويبرز أعمالهم، وليس من الرأى أن تترك هذه النفوس المستعدة المتطلعة الى المجد حائرة دون أن تهدى بها السبيل.

لذلك أرى لزاماً على أن أدلى اليكم بمقترحات أعتقد أنها وسائل فعالة تمكن الأزهر من القيام بما يجب عليه ، وتنشر بين الناس علمه وثقافته .

هذه المقترحات منها مايرجع إلى الكلية كوحدة تعليمية ، ومنها مايرجع إلى الكليات بعضها وبعض ، ومنها مايرجع الى الأزهر عامة :

أولا — وضع خطة توجيهية تكفل لأبناء الكليات أن يلموا بمناهج العلوم إلماماً يفيدهم فى حياتهم العلميـة ، ويفتح أمامهم طرق البحث والتفكير ، ويحقق لهم منزلة العلماء المحصلين .

ثانياً — تكوين لجنـة من الكليات الثلاث تقوم بتنظيم محاضرات فى مختلف العلوم التى تدرس فى الكليات لينال كل طالب حظه من العـلوم التى لايدرسها مع حاجته فيما يدرسه اليها ، ولتحقق بذلك روح التعاون العـلمى بين أبناء الكليات ، كما توجد بينهم روح التقارب والتفاهم والاخاء .

ثالثا — تكوين مجمع علمى شرعى ، تكون مهمته العمل على نشر الثقافة الاسلاميه فى الدين واللغة ، والنظر فى حاجة الأمة من هذه الناحية ، وبالتالى تكون مهمته تنفيذ مقترحات الاصلاح التى رفعت فى العام الماضى إلى جماعة كبار العلماء من بعض أعضائها فأحيلت الى لجنة منها أقرتها واقترحت طرق تنفيذها ، ثم لم تخط بعد ذلك خطوة الى الامام !

أيها الاخوان . أيها الأبناء : هذه هى المقترحات أعرضها عليكم ، وأضعها بين أيديكم ، فان رأيتم فيها مثل ما أرى ، عملنا جميعا على تقديمها الى فضيلة الأستاذ الأكبر وأخذ الضمان الكافى من فضيلته لتنفيذها . وإن تكن الأخرى فقد أبرأت ذمتى ، وأديت أمانتى : « إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب » .

محمود شلتوت

(الهدى النبوى) نحمد الله على توفيقه العلامه الجليل المجاهد المخلص الشيخ

شلتوت أن يصبح هذه الصيحة المدوّية مشخصاً داء الأزهر ومرضه ، وداعياً إلى تدارك المريض بالعلاج قبل فوات الوقت ، فلا ينفع دواء ، ولا يرجى شفاء . وان استماع أربعة آلاف من خيرة علماء الازهر وطلابه ، وتصفيقهم الحاد المتكرر عند كل فقرة من فقرات هذه المحاضرة ، ونداءهم بحياة الشيخ شلتوت المصلح - مراراً ، لأقوى دليل على أن الأزهريين بدأوا يحسون بالمرض ، واذا أحس المريض مرضه استبشر أهله بقرب الشفاء والعافية إن شاء الله

ولقد طال على الأزهر الأمد ، والمرض يغزوه فى كل جارحة وعضو منه ، والأزهريون لايحسون ولايشعرون ، بل يفخرون بأن الأزهر قد بلغ من العافية والقوة والحياة أقصى الغاية ، ونهاية المطلب ، وأنه بهذه العافية وتلك القوة ليقوم بوظيفته على خير وجه ، والناس يسمعون هذا التفاخر فيُخدعون بالأمل الموهوم من هذه الدعاية الخادعة ، ومايزال الناس كذلك والدعاة يزيدون فى التغرير بهم ، والمريض يلاحقه المرض وتشتد وطأته عليه حتى ليخشى أن يشل كل أعضائه ، والمشفقون يهمسون بالنصيحة ، ويتناجون بالتحذير ، من سوء العاقبة فى قلق وخوف وفزع أن ينكشف حال المريض ويظهر للناس على حقيقته ، فلا تقف المسألة يومئذ عند اللوم بل ربما تعدته إلى ما لايحبه المخلصون للأزهر من حفظ الكرامة ، وصيانة المكانة .

ويظهر أن الهمس والمناجاة بالنصح لم يأت بالثمرة المطلوبة ، فانفجرت الصدور عن هذه الصيحة معبرة عما ضاق به صدر أهل الأزهر المريض المشفقين عليه ، وهو معقد أمل الاسلام إذا عوفى وأدى وظيفته على الوجه المنصوص عليه فى القانون والمرجوة عند الناس . واننا لكبيرو الأمل أن تلقى هذه الصيحة آذاناً صاغية وقلوباً واعية من رجال الازهر وقادة سفينته ، وانهم مسارعون ان شاء الله إلى تلافى الامر ، وتدارك المريض وانهم لقادرون على ذلك مع الصدق والاخلاص وتوفيق الله الذى بيده الخير وهو على كل شىء قدير . وهو الهادى إلى سواء السبيل

من قصص القرآن

— ٢ —

قلنا فى العدد السابق: إن أهل سبأ طلبوا من الله تعالى أن يزيل عنهم ماهم فيه من النعمة والنعيم، شأن العابث المستهتر — بما قص الله عنهم فى قوله عز وجل: (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) طلبوا من الله عز وجل أن يجعل بينهم وبين مقاصدهم التى يحتاجون إلى السفر الطويل فى تحصيلها فلوات ومفاوز خرابا خالية من الماء والزاد والظل، ليظهر فضل غنيهم وقويهم على فقيرهم وضعيفهم — فاستجاب الله لهم دعاءهم بالشر، لاستحقاقهم إياه بظلمهم أنفسهم بأنواع الظلم التى أشرنا اليها فيما سلف (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير، وكان الانسان عجولا) وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة النهى عن الدعاء بالشر لئلا يصادف وقت إجابة — فمزقهم الله كل ممزق، وفرق قبائلهم فى البلاد كل التفريق بارسال سيل العرم، وإذهاب القرى الظاهرة بأشجارها وزروعها بين اليمن والشام، فانقلبت إلى أرض جرداء مخيفة موحشة.

قال أهل التاريخ: كان بأرض سبأ عظيم من عظمائها يقال له عمرو بن عامر، قد رأى فى يوم من الأيام ان طوائف من الفأر يحفرون تحت السد الذى كان يمكنهم من تصريف الماء فى سقى الزروع والأشجار التى كانت سبباً فى نعمتهم، فأيقن أنه لابد من ذهاب ذلك النعيم وأن السد لابد أن ينهار — فعمد الى التخلص من الاقامة بتلك البلاد مع محافظته على ماله وأبنائه. فاتفق مع أصغرهم على ألا ينفذ مايأمره به وعلى أنه اذا ضربه أبوه قابله بالمثل. فلما نفذ تلك الحيلة قال لاأقيم ببلد يلطمنى فيه أصغر أولادى ثم يحال بينى وبين الانتقام منه. وكان قد تظاهر بالتصميم على ذبحه، فمنعه أخوال الولد عن تنفيذ مايريد، فقال اشتروا منى دورى وضياعى،

فتسابقوا إلى شرائها ، فلما وضع الثمن فى جيبه قال لأولاده وكان ذا بصر بعواقب الأمور : يابنى أرى أن العذاب قد أظلكم وأن الخراب سينزل بهذه البلاد فمن أراد منكم الخمر والعصير والملك فليرحل الى بلاد الشام ، فرحل اليها من أولاده عاملة وغسان ولخم وجذام ، ومن أراد النخل فليرحل الى يثرب من أرض الحجاز ، فرحل اليها الأوس والخزرج ، وتخلف خزاعة عن اخوانهم فى طريقهم بين اليمن والحجاز وانخزعوا عنهم فسموا خزاعة . وبقى باليمن منهم أنمار وحمير ومذحج والأزد وقبائل أخرى . وذهب جماعة منهم الى عمان وهى المعروفة الآن بمدائن صالح وما حولها . ومن ذلك الحين صار يضرب بتفريقهم المثل فيقال (تفرقوا أيدى سبا) وبنى الغسانيون منهم ملكا عظيما بالشام بقى الى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فذلك قوله عز وجل (ومزقناهم كل ممزق) وقد روى فى سبأ وأولاده أحاديث لم يصل شىء منها الى درجة الصحة رأينا عدم التطويل بذكرها .

يقول الله : إن فى ذلك القصص الذى قصصناه على الناس من شأن أهل سبأ (لآيات) لعبراً ومواعظ بالغة لا يهتدى بها هداية نافعة إلا كل صبار شكور .

لما كان الايمان مركباً من صبر وشكر ، وكان أثر الأول ترك المعاصى ومجاهدة النفس ، وكان أثر الثانى فعل الطاعات الظاهرة والباطنة ، كانت المواعظ لا ينتفع بها إلا من شكر بفعل الطاعة وصبر على مشاقها وعلى ترك المعصية ، كما قال تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) وكما قال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور ، وذكرهم بأيام الله ، إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

فمن استكمل الايمان بتحصيل الصبر والشكر فاجتنب المعاصى ووطن نفسه على ما يبتليه الله به من الخوف والجوع والنقص من الأموال والأنفس والثمرات وقابل ذلك بالتسليم والرضا وأدى ما أمره الله من الطاعات بقدر الطاقة كان أثر المواعظ فيه أبلغ وانتفاعه بها أشد وأوقع .

وبالجملة فمرجع الصبر الى ثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى ؛ فهو مستلزم لوجود داعى الدين وداعى الهوى عند الصابر وانه لا يتحقق فيه الصبر إلا اذا تغلب دينه على هواه ، ولهذا كان الصبر مقاما من مقامات الدين وخاصة من خواص الآدميين فلا يوجد فى الملائكة لتجردهم عن دواعى الهوى ، ولا فى البهائم لتجردهم عن باعث الدين - ومرجع الشكر الى شغل الظاهر والباطن بطاعة الله تعـالى ، ولهذا لا يوجد الشكر إلا مع الصبر ولا الصبر إلا مع الشكر .

فما بناه كثير من العلمـاء فى هذا البحث من تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر أو العكس كلام لا محصل له عنـد المتأمل ، بل آيات القرآن والأحاديث فى مجموعهما دالة على أن الشكر أعظم من الصبر لأن النجاة لا تحصل إلا بجانب الشكر ، من حيث ان الايمان أساس لقبول جميع الأعمال وهو عمل طاعة وأساس للشكر ، ولهذا كان تارك الطاعات مع أساسها وهو الايمان غير ناج . وكان فاعل الطاعات مع فعله للمعاصى خيراً من تارك المعاصى والطاعات جميعا .

ثم بيّن الله عز وجل ان ما أصاب أهل سـبأ راجع الى طاعتهم للشيطان فيما زين لهم ومعصيتهم لرسل الله فيما أمروهم به ونهوهم عنه كما بين أن طائفة من أهل سبأ ظلوا على ايمانهم وطاعتهم للرسل لتقوم الحجة لله تعـالى بهم على من عصوه منهم ، وأن هؤلاء المؤمنين لم يزالوا يحذرونهم وينذرونهم وهم عما أنذروا معرضون ، فقال : (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) يخبر الله تعالى فى هذه الآية ان إبليس لعنه الله حقق فى أهل سبأ ظنه الذى أخبر به الله عند طرده وهو أن لا يترك وسيلة لاضلال ذرية آدم إلا فعلها ، كما حكى الله ذلك عنه فى سورة الأعراف بقوله (قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) فلم يزل بأهل سبأ يغريهم بالمعاصى حتى تمكن مما أراده منهم . فأضاع عليهم نعيمهم وكانت

عاقبة الذين أساؤا السوأى (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون)

ثم بين الله عز وجل أنه إنما مكن الشيطان من إغواء أكثر الناس ليظهر الخبيث من عباده من الطيب ، وأنه لو شاء تعالى لهدى الناس أجمعين من غير حاجة الى إرسال الرسل ولا إنزال كتب ، ولكنه تعالى لما خلق الخلق مؤمنهم وكافرهم وانفرد بعلم كل من الفريقين وعلم أنه لايتبع الشيطان إلا من حقت عليه الضلالة وسلط الشيطان على الكل ليتبين للعباد المؤمن من الكافر حتى تنقطع حجة الكافر يوم القيامة ، وتلك الحجة هي أن يقول الكافرون لربهم عز وجل: لو أرسلت الينا الرسل لآمنا بك ، وقد علم الله أنهم كاذبون . فلكى تسقط تلك الحجة أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وأحق الحق وأبطل الباطل، وترك الشيطان متسلطا على المؤمن والكافر فظهر ما كان خافياً على العباد من ثبات المؤمن على ايمانه والكافر على كفره ، وتبين لخلقه ما أراده عز وجل ؛ فتميز من يؤمن بالآخرة وجميع ماجاءت به الرسل ممن لم يؤمن وكان من الآخرة فى شك .

ونبه الله تعالى بذكر الإيمان بالآخرة والشك فيها - وإن كان المراد الايمان بالدين كله والكفر به كله - على أن الايمان بالآخرة أو الكفر بها أساس للايمان والكفر بما عداها ، والله تعالى محيط بشئون المؤمنين والكافرين، بل بجميع شؤون ملكه ، كما يدل على ذلك قوله (وربك على كل شيء حفيظ) أى هو تعالى محيط علماً بجميع شؤون ملكه سواء فى ذلك مايشاهد منه وما هو عنا غائب . وقد قامت بذلك لله الحجة على من علق هداه على مشيئته من المعاندين (سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ؛ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وان أنتم إلا تخرصون . قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما) .

نذكر هنا بعض العبر المستخرجة من قصة سبأ كأنموذج ، للنظر في قصص القرآن واستخراج العبر منه . فأول مايلمسه الباحث في هذه القصة من العبرة أن الطاعة تديم النعمة وتزيدها (ولئن شكرتم لأزيدنكم) وأن المعصية تكدرها أو تزيلها ، فتكون النعمة المصحوبة بالمعصية داعية ومبعث هم وكرب لصاحبها (ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)

ومن عدل الله تعالى أنه لايأخذ طائفة من أهل الأرض بالعذاب حتى يقيم الحجة عليهم ويقطع جميع معاذيرهم ، من تعلل بمرض أو فقر أو عدم وجود من يحذرهم وينذرهم ، وأمثال تلك الأسباب الواهية مما يتعلل به أهل المعاصي ، وذلك منتهى الرحمة ومبلغ العلم والحكمة (وما كان ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

ومن سنن الله تعالى أن بسط النعمة للعبد ليس دليلا على أنه مرضي عنه حتى يؤديها حقها من الشكر ، أما بمجرد أن يتمتع بها كما يشاء وأن ينال بها كل مايريد من مطالب الحياة الدنيا وما يحصل عليه من المال والجاه وما يستكمل به لذائذ نفسه اعتماداً على سعة النعمة مع غفلته عن شكرها ، فهو إن دل على شيء فهو انما يدل على سخط الله عليه وعدم مبالاته به ، لاسيما اذا اندفع وراء شهواته وملاذ نفسه ولم يبال بحرام ولا حلال (قل مايعبأ بكم ربكم لولا دعاؤكم) لولا ايمانكم وطاعتكم .

وليس ظلم العبد لنفسه في الحقوق التي بينه وبين ربه دون أن يتعدى العباد بسبب في إذهاب النعمة عنه لمجرد ذلك النوع من الظلم فان جزاء ذلك موكول الى الله تعالى يوم القيامة بينه وبين عبده الظالم ، فان شاء أخذه وان شاء عفا عنه (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون) فالعبد ان سلم الناس من ظلمه لم يمنعه ظلمه لنفسه من بقاء النعمة مهما اتسعت مواردها وتفتحت أبوابها (ولا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد)

ولما اقتضت الحكمة الالهية المغايرة بين شؤون الدنيا وشؤون الآخرة واقتضت

أن يكون خلق النوع الانسانى فى الأرض لاستعمارها والمحافظة على العدل فيها من غير نظر الى الطاعات والمعاصى والكفر والايمان ، استلزم ذلك الحكم الالهى أن تستقيم شؤون الدنيا لمن حافظ على مقتضى حكمة الله تعالى ، فطال عمر الدول وقصر تبعاً لهذا القانون حتى صار أهم ما يحافظ عليه أرباب الملك والسلطان أن يقيموا القسطاس بين رعاياهم لا طاعة لله ولكن محافظة على ملكهم وسلطانهم . وبرهان ذلك ما عليه المسلمون وغير المسلمين اليوم وقبل اليوم ، فميزان ضعف أى دولة وقوتها وبقاؤها وزوالها مربوط فقط بمحافظتها على العدل فى شؤون دنياها او تركها له ، فكم من تائب عابد قانت ذهب عنه ذلك الميزان ، يرى انه أولى بالنعمة من غيره ممن ليس قانتا ولا عابدا ، ومنشأ ذلك الرأى الفاسد غفلته عن ان ما اصابه من الضيق انما كان بسبب اختلال العدل فى شؤون دنياه وغفلته عن سنن الله فى الخلق .

لقد قال كثير حتى من حفاظ القرآن الملازمين للصلوات الخمس فى المساجد : مابال أرزاقنا ضيقة مع سعة ارزاق العصاة وغير المؤمنين ؟ وتلك الشبهة الناشئة عن الجهل بسنن الله تعالى ، ضل بها كثير من الناس مع كثرة صلاته وصيامه ، بل مع سعة علمه وحصافة عقله ، لأنه انما نظر الى باب واحد وهو مايعمله من الطاعات فى نظره وغفل عن أن هذا الباب فى الواقع مغلق بمغاليق مما يجرى حوله من المعاصى والظلم للعباد وهو لا يحرك حيال ذلك ساكنا ، من غيرة دينية أو غضبة لله عز وجل ولو التفت الى أبواب الفساد المفتحة حوله ، والتى كانت سبباً فى ضيق رزقه وكثرة همه لعرف أنه متمتع بأكثر مما يستحق .

فليتبصر المسلمون فيما قص الله عليهم من أخبار الأمم الماضية والقرون الغابرة ، وليطبقوا أحوالهم على مايرشدهم اليه القرآن فانهم يجدون أنفسهم فى وادٍ والقرآن وهداه فى وادٍ آخر .

بصر الله المسلمين بكتابهم ، ووفقهم الى إقامته ، كما يحب الله ويرضى .

محمد محمد مخيمر

مثل من حرص آل سعود

﴿ أيد الله ملكهم بالحق والعدل ﴾

« على إقامة الدين الذى من أهمه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، الى من يراه من أمراء قاصد وزهران وغيرهم ، وفقنا الله وإياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات . وعافانا وإياهم من فتنة الشهوات والشبهات ، آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ثم بعده تعلمون أن أوجب الواجبات ، وأهم المهمات ؛ هو القيام لله تعالى بما فرض على عباده من معرفته ومعرفة دينه والعمل به. وبيان ذلك للعامه والجهال ، والدعوة الى توحيده الذى هو أكبر حقوق الله على عباده. ولأجله أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق السموات والأرض . وبه قامت الشرائع وصحت السنة والفرض . وانقسم الناس الى شقىّ وسعيد ؛ ومقبول وطريد . ولا يخفاكم ماحصل فيه من الجهل العظيم الذى طبق الآفاق ؛ حتى كاد أن تذهب رسومه وأعلامه فى بعض الديار التى تنتسب اليه وتدعى أنها عرفته ونشأت عليه . وبالأخص طرفكم الذى أنتم فيه وأمثاله من قبل . فان الضلال قد أناخ بخيامه واعتكر فيه الغى بقتامه وظلامه . حتى مَنَّ الله عليكم بولاية اسلاميه ، تقيم قواعد الدين وأصوله الايمانيه، وتزيل مايضاد ذلك وينافيه . وما يهدمه من أساسه ويقدح فيه ؛ وقد بلغنا من خبرة الثقات أنه توجد فى طرفكم الآن أشياء ينكرها الشرع ويأباها ، وتردها الفطر السليمه ولا ترضاها . فمنها إعراض الأكثر عن دين الله لايتعلمه ولا يعمل به . وهذا من المصائب الدينيه ، والعقوبات القاسيه ، والدواهى الرزيه ، ومن كيد الشيطان وصده عن سبيل الرحمن، فان الجهل بهذا الدين ، وعدم العمل به

هو فين شقاوة الدنيا والآخرة ، وقد عدّ ذلك جمهور العلماء من نواقض الاسلام.
ومنها التكاسل عن الصلوات فى الجمع والجماعات حتى أصبحت أكثر المساجد عندكم مهجورة . وليس لذلك منكر ولا مغير ، وهذا والعياذ بالله من أسباب موت القلوب وتراكم الذنوب والغفلة عن علام الغيوب ، بل هو من خصال أهل النفاق ، كما نطق بذلك الكتاب العزيز والسنه المطهرة . ومنها إتيان الكهان وتصديقهم ، وهذا ذنب عظيم . وفى الحديث انه ﷺ قال « من أتى كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » ومنها اجتماع الرجال والنساء فى الملاعب وضرب الدفوف وكشف النساء الحجب أمام الرجال الأجانب وخلوة الرجل بالمرأة الأجنبيه . وهذا كله حرام فى الشرع قبيح فى العقل ، مناف للغيرة الدينيه ، والحمية الاسلاميه ، . وفى الحديث انه ﷺ قال « ماخلا رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما » قالوا يارسول الله . والحم . قال : « الحم الموت » وهذا والعياذ بالله يدل على قلة الدين وضعف الايمان ونزع الحياء ، وفى الحديث « ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت » ووجود هذه الأمور يدل بلا شك على ان سوق الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر عندكم كاسد . ولم يبلغنا عنكم فى ذلك انكار يرضى الرب وتبرأ به الذمة ، وترك ذلك سبب لزوال النعم وحلول النقم (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

وأعظم أمر يعتنى به ويقصد ، هو الأمر بالمعروف الذى أصله ورأسه التوحيد وفعل مايحبه الله ويرضاه ، والنهى عن المنكر الذى أقبحه وأفحشه الشرك وجميع مايكرهه الله ويأباه . وأدلة ذلك فى القرآن والسنه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر . فلا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم ، ولا يصلح لهم شأن معاشهم ومعادهم الا بالقيام به علماً وعملا ، صدقا واخلاصا . والواجب على الولاة والأمراء والقضاة فوق الواجب على غيرهم كل على حسب وسعه واقتداره ، ولا يكلف الله نفساً الا وسعها . كما دل على ذلك الشرع الشريف . وفى الحديث «مامنكم من احد إلا وهو على ثغر من ثغور الاسلام » فالله الله فى ان يؤتى الاسلام من قبله

اذا تقرر هذا لديكم فليكن عندكم معلوماً ، إنا ملزمون عليكم بالقيام التام فى هذا الأمر العظيم والجد فيه وصدق المعاملة فيما بينكم وبين ربكم ومساعدة من قام به فى أطرافكم على الوجه الشرعى ، والنهج المرضى ، وتأديب من عُرف بشىء من ملابسة المنكرات التى حرمها الشرع المطهر ، وتنفيذ ذلك على الكبير والصغير والشريف والوضيع ، والحر والعبد . وازالة ما يوجد لديكم من العادات الجاهلية التى أبطلها الاسلام . فاتقوا الله حق التقوى ، واستمسكوا من الاسلام بالعروة الوثقى ، وقوموا لله مثنى وفرادى ، واصبروا وصابروا ، وأصلحوا النية ، وأحسنوا الطوية ، وأخلصوا فى معاملة رب البرية ، ولا تأخذكم فيمن عصا الله لومة لائم ، وفق ماتقضى به الشريعة الغراء . واحذروا تخويف الشيطان وكيده وإرهابه ، فان صاحب الحق منصور ، والعاقبة له فى كل زمان ومكان ، ولله عاقبة الأمور

ونحن ان شاء الله عون لكم ولمن قام بهذا الأمر فى مملكتنا ، أين كان وحيث كان ؛ ولله علينا المنة فى ذلك والفضل ، ولولاه لم نكن لذلك أهلا

ثم أيضاً يلزمكم أن تجمعوا فقيه كل قرية وعريفها وتأمروهم بما أمرناكم به وذكرناه لكم ؛ لتلزموهم به إلزاما تاما ؛ وتأمروهم أيضا بتعليم الناس أمر دينهم وما خلقوا له ؛ وسؤالهم عن ثلاثة الأصول التى صنفها شيخ الاسلام إمام هذه الدعوة الاسلامية : الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ، وتفقدوهم فى مساجدهم للصلاة مع الجماعة ؛ وابذلوا للناس النصيحة سراً وعلانية بالتى هى أحسن عملا بقوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وطلباً للثواب من رب الأرباب . وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم »

هذا مانأمركم به ونرضاه لكم ديناً ندين الله تعالى به وقربة نتقرب بها اليه ونرجو ثوابها يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . ونسأله جل شأنه أن ينصر دينه ، ويعلى كلمته ، وأن يجعلنا من أنصاره ، وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا واليه أنيب

ختم الأمير سعود

صدى محاضرة

نشرت مجلة الكاشف ما نصه :

ألقى فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء ووكيل كلية الشريعة محاضرة عن (السياسة التوجيهية التعليمية فى الازهر) فانبعث صوت الاصلاح لاول مرة مدوياً عاليا فى أركان الازهر المعمور . !

وكان موفقا رائعا فأفاد وأجاد ، ونطق بأمنية عظيمة طالما ترددت فى صدور شباب الازهر منذ سنوات ؛ وكنا نود دائما أن نجد بين صفوف العلماء من يجرؤ على التصريح عما يجب توجيه الازهر اليه فى العصر الحديث حتى يؤدى رسالته

وقد عبر أستاذنا « شلتوت » عن أمانيه فتكلم بصراحة تامة ، ولا أدرى ما الذى يمنعه عن التنفيذ ؟ وعلى كل فقد أدى الشيخ واجبه وجهر برأيه

ولعل هذا يكون فاتحة خير وحافزاً لانهاض الهمم فى حل المشكلات الازهرية التى طال عليها الامد .. وانا لمنتظرون

(الهدى النبوى) وقد نشرنا فى هذا العدد نص هذه المحاضرة القيمة ؛ كما اننا سنطبعها فى رسالة مستقلة ليعم انتشارها ان شاء الله

دعوة عامة

ستنعقد الجمعية العمومية لجماعة أنصار السنة المحمديه (المركز العام) لانتخاب أعضاء مجلس الادارة الجديد ، وذلك يوم السبت الموافق ٢١ ربيع الاول ـ ٢٧ مارس ، بعد صلاة المغرب مباشرة . فعلى حضرات الاخوان بالقاهرة وضواحيها الحضور فى هذا الموعد بدار الجماعه للمساهمه فى هذا الواجب ولهم الشكر ؟ الادارة

ربيع الثانى سنة ١٣٦٢ العدد الرابع السنة السابعة



مجلة دينية علمية إسلامية (شهرية مؤقتاً)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقى

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة
قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصرى والسودان
و٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره ﴿ قل مَن رب السموات والأرض ؟ قل الله . قل أفاتخذتم من دونه أولياء لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ؟ قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾ ١٦ الرعد

لما كان السؤال عن أمر واضح أتم الوضوح لازم أشد اللزوم ، لا يمكن لأحد أن يدفعه لما استقر عندهم من العلم الضرورى به ، ولأنهم يعترفون به فى غير خفاء ولا مواربة : كان الجواب على هذا السؤال من السائل مبادرة بالسبق ليكون أقوى فى الاحتجاج ، وأبلغ فى قطعهم من انتظار الجواب منهم ، ولأن المقصود بالسؤال والجواب أن يكونا مقدمة لنتيجة حتمية لازمة هى المقصودة بالكلام ، فان السياق هو لتقريرهم واعترافهم بتوحيد الالهية الذى هو ثمرة لازمة ونتيجة حتمية لما يعترفون به ويقرون من توحيد الربوبية الذى سجل الله عليهم الاعتراف به فى غير آية كقوله تعالى فى سورة يونس (قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ؟ فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) وقوله فى سورة سبأ (قل من يرزقكم من السموات والأرض ؟ قل الله) وقوله فى سورة فاطر (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم . هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ؟ لا إله الا هو . فأنى تؤفكون ؟) وقوله فى سورة العنكبوت (ولئن سألتهم من

خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله . فأنى يؤفكون) (ولئن سألتهم من أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله . قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) وقوله في سورة لقمان (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله . قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) وقوله في سورة الزمر (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله : إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبي الله) وقوله في سورة الزخرف (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى تؤفكون) وقوله في سورة المؤمنون (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله . قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله . قل فأنى تسحرون ؟)

فأنت ترى أن الله سبحانه يقرر في هذه الآيات أن المشركين موحدون لله في ربوبيته ، لكنهم مشركون في إلـهيته وعبادته : فيؤلهون غيره من المخلوقين ، ويعبدونهم باسم الأولياء ، ويجعلون لهم من العبادة والولاية ما هو من خصائص الله بصفته رب السموات والأرض ورب كل شيء ، وأن أولئك الذين اتخذوهم أولياء هم مربوبون لله ، كما أن عابديهم مربوبون كذلك لله ، والله يرب الجميع من عابد ومعبود بصفة واحدة لا تختلف . وأولئك الأولياء المربوبون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، بل ذلك بيد الله ربهم وخالقهم ومدبرهم ، فهم في ذلك مثل عابديهم سواء : فليس لهم أي شيء ولا ميزة تكون شبه حجة لأولئك العابدين . فما عبدوهم عن حجة ولا برهان عقلي ولا نقلي أصلا ، انما هو هوى الأنفس الجاهلة ، واتباع الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن)

فالله سبحانه يلزمهم الحجة القاطعة من اعترافهم أنفسهم ، ثم يوبخهم أشد

التوبيخ بقوله لنبيه ﷺ ولكل داع بدعوة نبيه (قل أفتخذتم) أيها الجاهلون الذين هم شر الدواب الصم البكم الذين لا يعقلون ، لأنهم قلدوا الآباء والشيوخ والسادة والكبراء تقليداً أعمى جعلهم يسوون الله الحي القيوم القوي العزيز السميع البصير العليم بالعباد الذين هم أمثالهم بل هم موتى عاجزون ، إذا دعوهم في العجز والفقر والضعف والعمى لا يستجيبون لهم إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون : أفتخذتم (من دونه أولياء) تعطونهم من قلوبكم الولاية والذل والخضوع والمحبة والعقيدة الصادقة أنهم يتولون شأنكم ويقومون على حفظكم وحفظ بلادكم وزروعكم وأولادكم مما تخافون ، فهم يدفعون عنكم البلاء ، ويمنعون عنكم الأعداء ، ويحمون بلادكم من المصائب والضراء . وهم في الواقع لا يقدرون على شيء من كل ذلك ولا بعضه ، وأنتم في دعواكم كاذبون وفي عقيدتكم واهمون . وما حملكم على ذلك إلا الجهل الشنيع ؛ وفساد عقولكم بالخرافات المستولية عليها والمتحكمة فيها تحكما أضاع ميزتها وأفقدكم نفعها وحقيقتها حتى صرتم دواب في مسلاخ إنسان . فلو كشفتم عن عقولكم ظلمات تلك الخرافات لعلمتم أن أولياءكم هؤلاء (لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً) فإنهم عبيد أمثالكم (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) فكيف تجعلون من هؤلاء أولياء تتولونهم كما تتولون الله وتحبونهم كحب الله ؛ وتدعونهم كما تدعون الله ، وتحلفون بهم كما تحلفون بالله ، وتتقربون إليهم بخالص أموالكم كما تتقربون لله . وتعتقدون أن لهم من القوة على دفع البلاء عنكم ونصركم ، واجابة سؤالكم وتحصيل مطلوبكم كما تعتقدون لله . بل ربما كان اعتقادكم فيهم ، وخوفكم ورغبتكم ورهبتكم أشد من الله . ثم تبررون شرككم هذا وكفركم القبيح الشنيع بضرب الأمثال لله بأنه كالملك أو الرئيس العظيم ، ولأوليائكم بأنهم كالوزراء بالنسبة للملك أو كالحجاب بالنسبة الى الرئيس أو نحو ذلك . تعالى الله عما تقولون وتظنون علوا كبيرا أين هذا الرئيس الأعمى الذي لا يرى ما تحت قدميه ولا يعلم ما يحيط به : من الله

الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء أحاط بكل شىء علما (إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله . ان الله لطيف خبير) (قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟) (لا تضربوا لله الأمثال . ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) (والذين اتخذوا من دون الله أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه . ان عذاب ربك كان محذورا)

وقد يكون المعنى : هل يستوى من أعمت بصيرته ظلمات هذه الخرافات والعقائد الفاسدة والتقاليد الجاهلية ، فأصبح يتخبط بوثنيته وشركه وجهله وعماه فى طريق ملتو كله عقبات ومهاو ومتالف . هل يستوى هذا الأعمى ـ والمؤمن الذى أنار الله بصيرته بنور العلم الصحيح وأحيا قلبه بالهداية القرآنية وشرح صدره بالاسلام ، فهو على نور من ربه عرفه فجرد قلبه له عبادة وإجلالا وحبا وطاعة ، وذلا وتوكلا واعتماداً ورغبة ورهبة ؛ وتولاه من كل قلبه بجميع أنواع الولاية ، فتولاه الله بكل ما يحب من التوفيق والتسديد والتثبيت ، والنصرة والتأييد والعزة والتمكين و (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) هل يستوى هذا الأعمى الضال الغوى الشقى الهالك وهذا البصير المهتـدى السعيد الفائز بسعادة الدنيـا والآخرة ؟ كلا والله لا يستويان (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ؟) (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع : هل يستويان مثلا ؟ أفلا تذكرون)

« أم هل تستوى الظلمات » التى هى الخرافات والتقاليد ، ومزاعم الشيوخ ، وعادات الآباء ، وقول السادة والرؤساء وما يفترون من الأكاذيب التى يروجون بها عبادة الموتى و يسمونها كرامات ؛ والتى هى عمدة المشركين فى كل زمان ؛ وحجتهم

في كل أوان ، واعتقادهم أن العلم هو قول فلان ورأى فلان ، وتلك طريقة أهل بلدنا ، وإنا وجدنا الناس على ذلك من قديم الزمان. وحدث فلانا قلبه عن وجده عن شهوده ، وفلان كاشف بهذا ورآه من عالم الغيب ، وهذا مما علمه فلان من عالم الأرواح وللارواح كذا وكذا من التصرفات ، وانها حين تخرج من قفص الجسد تكون طليقة تسبح وتأتى وتذهب وتقضى لـ ـسائليهـا الحاجات ، وأنه قد وُكـّـل بقـبر كل ولى من الملائكة على عدد السائلين واللاجئين يرفعون الحاجات ويقضون الطلبات . وغير هذا من الأكاذيب الباطلة ، والخرافات السخيفة ، المنافيـة للفطرة والقاتلة للعقول ، والماسخة للإنسانية .

هل تستوى هذه الظلمات « والنور » الذى هو العـلم المنزل من السماء والقول الحق الصادر من النبى المعصوم الذى لاينطق عن الهوى ، الذى جاء لينقذ القلوب من أغلال التقليد الأعمى ، ويُخرج الناس من ظلمات الجاهلية التقليدية التى تجعل الناس عبيداً للدجالين والمخرفين والشياطين ، ويهديهم بنور العلم الصحيـح الى طريق سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، ويكمل إنسانيتهم بحياة عقولهم وإضاءة أفكارهم ، ليميزوا الطيب من الخبيث والحق من الباطـل ، والعمى من الهدى ، وليعرفوا الله بصفاته ، ويخصوه بحقه من العبادة والالهية كاملا ، ويعرفوا العبد بصفاته وأفعاله ، فيحبوا المؤمن ويوالوه وينصروه ، ويبغضوا الكافر ويعادوه ويخذلوه ، ويعرفوا الكفر بصفاته وأعماله القبيحة الشنيعة مهما لبسها شياطين الانس والجن أجمل الألفاظ ، وخلعوا عليها زخرف القول غرورا ، فيجانبوه و يتقوه وينهوا الناس عنه ، ويحذروهم من عاقبته الوخيمة . ويعرفوا الايمـان بصفاته وأعماله الحلوة الجميـلة ، و يستمسكوا بعروته ويزدادوا من حلاوته وعذوبته ، ويأمروا الناس به ويرغبوهم فيه ، ويدعوهم اليه بكل مايستطيعون . فهل تستوى هذه الظلمات وذلك النور ؟ كلا ثم كلا . والله لا يستويان

ثم انتقل الله تعالى من خطابهم الى الإخبار عنهم بضمير الغائب تحقيرا لشأنهم وإهانة لهم وتوبيخا ، اذ جعلوا لله شركاء من أولئك الموتى الذين لا يملكون لأنفسهم

نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا ، وهو فى صورة التعجيب من شأن أولئك الصم البكم الذين لا يعقلون . فقال « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم » يعنى هل لأولئك الأولياء خلق كخلق الله اشتبه خلقهم بخلق الله ، فاستحقوا من قلوب أولئك العابدين تلك العبادة التى جعلتهم يلجئون اليهم فى الشدائد ، ويدعونهم فى الكروب وطلب الحوائج ، ويفزعون اليهم عند المهمات ، ويرفعون قبورهم ويشرفونها ، ثم يتمسحون بها التماساً للبركات ، ويتعبدون لها بالأعياد والموالد وشتى الاحتفالات والاجتماعات ، ويقفون عليها الدور والعقار كأن المقبورين فيها هم الذين أعطوهم تلك الديارات . لا حول ولا قوة بالله

لقد ضحك الشيطان على الناس فاستعبدهم لنفسه وأغواهم باسم أولئك الأولياء الذين إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (وان يدعون الا شيطانا مريداً لعنه الله) فوالله ما وليهم فلان ولا فلانة من الصالحين ، وانما وليهم ومدعوهم الذى قام تحت تلك القباب والمقاصير هو أبو مرة الرجيم (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) والاسم الذى تسمى به يوم أغوى الناس باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، هو الاسم الذى خدع به الناس يوم أغواهم بالحسن والحسين وزينب رضى الله عنهم : هو اسم «الأولياء» كما فى هذه الآية من سورة الرعد . وفى سورة الأنعام (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يُطعِم ولا يُطعَم) وفى سورة الكهف (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ؟) وفى سورة الفرقان (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا . فقد كذبوكم بما تقولون) أى فيقول الله لهم : فقد كذبكم اليوم من كنتم فى الدنيا تتخذونهم أولياء وتعبدونهم بالدعاء والحلف والطواف حول قبورهم وتشركونهم معى . وتبرأوا منكم (فما تستطيعون صرفا ولا نصراً) وفى سورة العنكبوت (مثل

الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)

وفيها في قصة دعوة ابراهيم لقومه سماهم أوثانا (وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي توددا واستنصاراً وتقربا بهم في قبورهم وتصوير التماثيل على أشكالهم للتبرك بها ، وزعم أن الملائكة تحضر عندها (ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ، ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)

وفي سورة الزمر (والذين اتخذوا من دونه أولياء — الآية) وفي سورة الشورى (والذين اتخذوا من دونه أولياء . الله حفيظ عليهم) وفيها (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) وفيها (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) وفي سورة الجاثية (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم) وفي سورة الأعراف يأمر نبيه ﷺ أن يتحدى المشركين الذين اتخذوا أولئك الأولياء (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون . ان وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)

وقد سماهم الله تعالى في آيات كثيرة «شفعاء» قال في سورة يونس (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وفي سورة الأنعام (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) وفيها (ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) وفي سورة الأعراف (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) وفي سورة الروم (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) وفي سورة يس (أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ؟ إني إذاً لفي ضلال مبين) وفي سورة الزمر (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ؟ قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض)

وأمثال ذلك في القرآن كثير لقوم يعقلون وينتفعون ويفهمون أن الشيطان الذى

أحاديث الأحكام

٩٠ - وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال «كنت مع النبى ﷺ فى سفر، فقال يامغيرة خذ الاداوة، فأخذتها، فانطلق رسول الله ﷺ حتى توارى عنى فقضى حاجته» متفق عليه

«الاداوة» بكسر الهمزة: الاناء الصغير من الجلد. والحديث يدل على أن الأدب

أضل السابقين وزين لهم أن يتخذوا من الموتى والصالحين أولياء يشركونهم مع الله فى العبادة والالهية بأسماء سموها وآباء هم ما أنزل الله بها من سلطان، وأوقع فى وهمهم أنهم ليسوا بذلك مشركين ولا كافرين، ولا خارجين على دين ابراهيم وغيره من الأنبياء حتى انهم كانوا يحلفون بالله أنهم أولى بابراهيم من رسول الله ﷺ ورد الله عليهم هذا

هذا الشيطان لم يمت، وانه كذلك زين لأهل هذا الزمان الشرك والوثنية باسم الاولياء والصالحين، وما زال بهم حتى اتخذوها آلهة مثل الجاهلين الاولين وأشد، وأعطوها من العبادة والتقديس والاعتقاد ما لم يبلغه الشيطان من أهل الجاهليـة الاولى. فليعتبر الناس بهذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وليقرؤه وليتدبروه ليهتـدوا به ويعرفوا الشرك من التوحيد، والايمان من الكفر، والله يهدينا ويهديهم الى صراطه المستقيم

نسأل الله سبحانه أن ينقذ الناس من هذه الجاهلية الثانية ويبعث فيهم من يأخذهم بالقرآن ويحملهم عليه فى كل دينهم لعلهم يهتدون. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

محمد حامد الفقى

المطلوب عند قضاء الحاجة هو الابعاد عن الناس حتى لا يروا ولا يسمعوا ما يستكرهون

وفى الباب عن جابر قال « خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فكان لا يأتى البراز حتى يغيب فلا يُرى » رواه ابن ماجه . ورواه أبو داود بلفظ « كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد »

وقد كان يحمل الاداوة للنبى ﷺ ويذهب معه لقضاء الحاجة أيضا : أنس بن مالك ، وغلام نحوه من الأنصار كما روى ذلك البخارى ومسلم وغيرهما . وكان ابن مسعود أيضاً ممن يرافقه عند قضاء الحاجة ، وكذلك أبو هريرة . رواه البخارى ومسلم وغيرهما . وكذلك كان حذيفة بن اليمان رضى الله عنهم

٩١ — وعن عبد الله بن جعفر قال « أردفنى النبى ﷺ خلفه . وكان أحب ما استتر به لحاجته : هدَف أو حائش نخل » رواه مسلم

« الهدف » محركة : كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل أو نحو ذلك . وسمى هدفا لأنهم يتخذونه هدفا يتمرنون على إصابة المرمى فيه . و «حائش النخل» جماعة النخل أى النخل الكثير المجتمع

والحديث يدل على أن الأدب المطلوب — إذا لم يتيسر الابعاد لضيق المكان — فليستتر عن الأعين فى بيت الخلاء أو ما أشبه ذلك مما يمنعه من أعين الناس . وسيأتى فى رقم ٩٥ النهى أن يتقارب اللذان يقضيان الحاجة وأن يتكلما، وأمرهما بأن يستترا

وعبد الله بن جعفر هو ابن جعفر بن أبى طالب ، عمه على بن أبى طالب ، والإرداف الإركاب من خلف . وكان ذلك على خلاف ما تعود المستكبرون من رؤساء العرب : يرون أن إرداف أحد معهم على الدابة حطة ، فقضى النبى ﷺ على تلك الكبرياء كما قضى على غيرها من عاداتهم السخيفة . ويدل على جواز ركوب اثنين فأكثر على الدابة اذا كانت تطيق ذلك وتتحمله ، أما إذا ضعفت عن ذلك فلا ينبغى إرهاقها ، فان ذلك من القسوة التى تنافى ما جاء به الرسول ﷺ من الرفق والشفقة والرحمة ، فقد كان ذلك أبرز صفاته ﷺ

٩٣ - وعن أنس قال « كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء قال : اللهم انى أعوذ بك من الخبُث والخبائث » متفق عليه وقال البخارى فى كتاب الآدب المفرد : وقال سعيد بن زيد حدثنا عبد العزيز « اذا أراد أن يدخل الخلاء » ولسعيد ابن منصور فى سننه « كان يقول بسم الله »

« الخبث » بضم الخاء والباء الموحدة : جمع خبيث . و« الخبائث » جمع خبيثة والمراد التعوذ من الشياطين أو من الأفعال والأحوال والصفات المذمومة القبيحة القذرة . وقضاء الحاجة يذكر بكل قذر خبيث .

ورواية سعيد بن منصور تفيد أنه كان يقول « بسم الله اللهم انى أعوذ بك » الخ والقصد من قول البخارى فى كتابه الأدب المفرد : الاحتراز مما يفهم ظاهر الحديث أنه كان يقول هذا الذكر داخل الخلاء . ولا نستطيع أن نقدم روايته فى الأدب المفرد على روايته فى صحيحه الذى تحرى فيه أصح الروايات وأضبط الألفاظ وتثبت فيه غاية التثبت . ولا داعى إلى كل هذا التشدد من الفقهاء ، فقد سبق قول عائشة « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » وليس معنى هذا أن يتخذ الخلاء مجلساً للذكر فان ذلك زندقة بلاشك ، ولكن الذى ينبغى أن لا ينسى العبد ربه فى أى حال من الأحوال ، حفظ الله قلوبنا من الغفلة عن ذكره

محمد حامد الفقى

تجديد الاشتراك

اضطرتنا ظروف قهرية إلى قطع المجلة عن كل مشترك فيها لم يجدد اشتراكه فمن أحب منهم إرسال مافاته منها فليرسل ٢٠ قرشاً فى داخل القطر و ٣٠ فى الخارج

داؤنا ودواؤنا

٨ - التوكل : فاسده داء وصحيحه دواء

ما لقى دين من جهل أهله وتهاونهم ما لقى الاسلام ، وما أصيبت ملة بغفلة أهلها وتخاذلهم كما أصيبت هذه السمحة البيضاء

إن الاسلام الذى هو دين الجد والعمل ، والسعى والكدح ، والصبر والاحتمال : صيره أهله بجهلهم وغفلتهم دين تواكل وقعود وعجز وكسل

ليس من شك فى أن التوكل على الله من ألزم لوازم الايمان ، فقد قال جل شأنه (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقال تقدست أسماؤه (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا)

وقال سبحانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى جده حاكياً ما يقول المؤمنون (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) وقال تبارك اسمه حاكيا ما يقول المرسلون (على الله توكلنا : ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)

ولقد كان التوكل على الله فى صدر الاسلام من أبرز صفات المؤمنين ، وأخص مميزاتهم ، فكانت ثمرة هذا التوكل التى جنوها يانعة شهية أن الله تعالى لم يكلهم إلى أنفسهم ، وإنما أيدهم بنصره ، وتولاهم بتوفيقه ، ومكن لهم فى الأرض ، وأظفرهم على أعدائهم ، وأفاض عليهم من القوة والمنعة ما جعل أقوى دول الأرض تخشى بأسهم ، وترهب سلطانهم ، وتزدلف اليهم ، وتخطب ودهم ، وتتمنى رضاهم

كانت جيوشهم تسير الى الغزو متوكلة على الله تعالى ، فما كانت تعرف التردد ولا الهزيمة ، وما سقطت لها راية ولا نال منها عدو نيلا ، بل كانت تعود من فتح الى فتح ،

وترجع من نصر إلى نصر ، وترقى من مجد إلى مجد . والشعوب بين يديها يلقون بالأيدى ، و يدينون بالطاعة ، ويدخلون فى دين الله أفواجا ، أو يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون

كان ذلك يوم كان التوكل على الله فى نظر المؤمنين هو استمداد القوة والعون من الله تعالى وحده لاشريك له بعد إعداد العدة، والأخذ بأسباب النصر والغلب

كان ذلك يوم كان المؤمن يبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ، ويعتقد اعتقاداً جازما يملأ مابين جوانحه أن النصر من عند الله ، وأن الله يجعل النصر جزاء الصبر ، وأجر الجلد ، وثمرة الإعداد ومثوبة الاجتهاد

لم يكن التوكل على الله من خصائص الغزاة والمجاهدين وحدهم، بل كان من سجايا المسلمين الصادقين جميعاً . كان التاجر يدرس أحوال الأسواق ، ويضرب أكباد الابل يبتغى أكثر السلع رواجا ، ويرتاد أكثر الأسواق نفاقا ، ويتحلى بالصدق والأمانة ، وحسن المعاملة وطلاقة الوجه ودماثة الخلق ، ويرى أنه أعد بذلك أسباب الربح التى يعرفها ويقدر عليها ، ثم يتوكل على الله فيما عجز عنه وفيما لايعلمه ، ولا يقدر عليه ، ويسأله تعالى أن يصرف عنه السوء الذى لا قبل له بدفعه ، ويهيىء له أسباب النجح التى لا يهتدى اليها سبيلا

كان الزارع يجدّ فى حرث الأرض وسقيها والعناية بها ، وإقصاء الطفيليات عنها ، وإمدادها بأجود السماد ، وانتقاء خير البذر لها، ثم يتوكل على الله فيما وراء ذلك مما لايدخل فى طوق قدرته ولا فى نطاق إمكانه . ويضرع اليه أن يجعل هذه الاسباب موصلة الى الظفر بالمأمول و بلوغ الرغاب

كان الصانع يحذق صناعته ويحرص على إجادتها وإتقانها ويفى بوعده ، ويصدق حديثه ويتخذ جميع الوسائل التى تكفل له النجاح ، وهو مع هذا كله متوكل على الله واثق أن الخير بيده وأن الانسان مهما أوتى من أسباب القوة والمعرفة لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً : فهو ينتظر الرزق من ربه ويرجو منه الخير و يسأله إنجاح العمل

كذلك كانوا يفهمون معنى التوكل . وكذلك كانوا يصدرون عنه فى أفعالهم وتصرفاتهم ولكن وا أسفاه ! خلف من بعدهم خلف نسوا هذه المعانى السامية وأخلدوا إلى الكسل والراحة ، وغفلوا عن الأسباب غفلة عميقة ، وحسبوا أن التوكل على الله أن يقعد الانسان عن كل عمل ، ويتخاذل عن كل سعى ، ويلوذ بجانب الكسل ، ويعتصم بالعجز و ينتظر أن يأتيه رزقه رغداً من مدارج التوكل وبوارق المصادفات

وقد انتدبت طائفة من المسلمين نفسها للتبشير بهذا المبدأ الخطير ، والدعوة اليه بكل ما تملك من حيلة وخديعة : أولئك هم متصوفة هذا الزمان وشيوخهم الذين يسمون مشايخ الطريق ، وكانوا خلقاء أن يدعوا قطاع الطرق . لأنهم يقعدون بكل طريق يوعدون ، ويصدون عن طريق الحق ويحولون دون كل إصلاح دينى وخلقى . أولئك الذين يجوسون خلال الديار يدعون إلى هذا المبدأ دعاية عملية بتكاسلهم وتراخيهم وقعودهم عن كل عمل شريف مُجْدٍ نافع للامة والوطن ، أو للدين والعقيدة ، أو للخُلق والفضيلة ، وينفثون فى أرواع الناس وساوس التواكل والاهمال والغفلة ويسمونها بغير أسمائها ويدعونها توكلا على الله كذبا وزوراً

وكأنهم يقولون للناس : أرأيتم ؟ هانحن أولاء لا عمل لنا ولا حرفة ولا صناعة ولا تجارة ولا زراعة ولكنا متوكلون على الله ، فانظروا إلى ماخولنا الله من رزق يأتينا رغداً من كل مكان

لو ساغ لهم أن يقولوا هذه المقالة لساغ للصوص وقطاع الطريق والسالبين والناهبين والعيارين والطرارين والدجالين والمحتالين ، والبغايا والمخنثين ـ أن يملأوا بها مواضغهم ، لأن الكسب الخبيث قدر مشترك بينهم جميعاً ، فكلهم عاطل ، وكلهم يجمع المال بوسائل تقشعر منها جلود الفضائل ، ومن سبل تندى لها جبهة الأدب والحياء

سرى الينا داء الأمم من قبلنا ، وأصبح مثلنا كمثل بنى إسرائيل يوم دعاهم موسى لدخول الأرض المقدسة . فقالوا ياموسى ان فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون

العجب لهم ! من ذا الذى يُخرج لهم هؤلاء الجبارين ان لم يكونوا هم الذين يقتحمون عليهم ويخرجونهم بقوة سواعدهم ؟ ولكن روح الذلة والخنوع الذى استحوذ عليهم ، وسرى فى نفوسهم من استعباد الفراعنة إياهم ، سلبهم البأس والشجاعة ، والنخوة والشهامة ، وجعلهم يجبنون ، وترتعد فرائصهم من التفكير فى هؤلاء الجبارين. استخذوا للذلة والاستكانة والضعف والخور ، حتى أصبحت ملكات راسخة فى أنفسهم ، لا تزيلها نصيحة الناصحين ، ولا عظة الواعظين .

ألم تر كيف قابلوا النصح والتحريض حين قيل لهم (ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) ؟ اصروا على جبنهم وخورهم وقالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون .

بخ بخ أيها الجبناء الرعاديد ! أهكذا يكون التوكل على الله ؟ لم يبق الا أن يهيء لكم المائدة ، ويمهد لكم الفراش . ألا ساء ما تحكمون

أرض كتبها الله لهم ، وجعل دخولها موقوفا على همتهم وشجاعتهم ، واستبسالهم فى مقاتلة أعدائهم ، فلما نكصوا على أعقابهم ولاذوا بجانب الجبن واعتصموا بالفشل والقعود ، حرمها الله عليهم ، وكتب عليهم أن يتيهوا فى الأرض أربعين سنة حتى ينقرض ذلك الجيل الناشىء فى أحضان الذلة والخنوع والعبودية ، وينشأ جيل آخر يتربى فى فضاء الحرية الفسيح ، ويتنسم نسيم العزة والكرامة ، ويسترد فضائله الفطرية من الشجاعة والاقدام والعزم والمضاء ، فيستطيع أن يقتحم المدينة على الرغم من متانة أسوارها ، وقوة حصونها ، وشدة أسر المدافعين عنها والذائدين عن حياضها

سرى الينا داؤهم فأصبحنا نتهيب الأعمال ، ونحجم عن طَرق أبواب النافع المفيد من المشروعات ، ونستلين مهاد البطالة ، ونزعم أننا نتوكل على الله ، وننتظر ما تأتى به الأقدار

من لى بمن يبدلنا بهذه النفوس الضعيفة الواهنة نفوساً قوية عاملة مجدة ، عَزوما

صابرة تتوكل على الله حق التوكل بعد اتخاذ الأسباب التى تكفل لها تحقيق آمالها، ونجاح مقاصدها ؟ :

من لى بمن يبدلنا بهذه القلوب الهواء المنخوبة قلوبا زاخرة بالايمان، عامرة باليقين تعرف حقيقة التوكل؛ وتعلم أن العمل واتخاذ الأسباب وإعداد العدة لاتنافى التوكل يحتج دعاة التواكل، والتوكل الباطل بقوله ﷺ « لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خِماصاً وتروح بِطانا » ويقولون ان هذه الطير التى لا تملك زرعا ولا ضرعا، قد كفل الله لها أرزاقها، وهى لاتمارس صناعة، ولا تزاول حرفة، ولا تكابد عملا.

ونقول لهؤلاء السادرين فى غلوائهم: على رسلكم ياقوم، لا تنظروا فى الحديث نظرة طائرة حمقاء، بل تدبروه حق التدبر، وامنحوه فضل تأمل، تجدوه يحض على العمل أكثر مما يحض على التوكل: فهذه الطير التى ليس لها زرع ولا ضرع تخرج من عشاشها والطل لم يجر ذائبه، والصبح لم يسفر، والشمس لم تزحزح عن وجهها حجاب الليل، تخرج جائعة خميصة، تبحث عن قوتها وقوت صغارها من الحب والدود والثمار وغيرها، ثم تعود فى أعقاب النهار مفعمة البطون والحواصل مما جمعت. هذه الطير قد ضمن الله لها أرزاقها ولكن بالسعى والبحث والتجوال، والتماس الرزق من مظانه. ولم يقل الحديث: تجثم فى عشاشها ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان، ولكنه قال. تغدو خماصاً وتروح بطانا - فرواحها بطانا ثمرة لغدوّها، ولو لم تغدُ وتخرج من عشها مبكرة باحثة عن رزقها لماتت فى عشها جوعا. تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا

فالحديث الشريف يعلمنا أننا إذا زاولنا أعمالنا، وسعينا باحثين عن أرزاقنا ونحن متوكلون على الله حق التوكل؛ فلن يضل سعينا، ولن يخيب أملنا، ولن يردنا خاسرين، بل يرزقنا كما يرزق الطير التى تغدو على جمع قوتها واثقة برزق الله؛ ثم لاتعود إلا وهى مفعمة البطون

ألم تر الى رسول الله ﷺ كيف نصح للأعرابى الذى ترك راحلته هملا بغير

عقال وزعم أنه متوكل على الله فقال له « اعقلها وتوكل »

قول حكيم من نبي عليم . يقول لا تسلم راحلتك ليد الضياع ، بل احرص عليها واعتني بعقالها ثم توكل على الله بعد أن تكون قد أخذت بأسباب الحفظ والرعاية ، وبذلت ما تقدر عليه في سبيل الاحتفاظ بها ، فإن أصابها بعد ذلك ما تكره كنت معذوراً لأنك لم تقصر فيما وجب عليك .

نسينا كل هذه النصائح ، وأغفلنا كل هذه العظات ، وضربنا الذكر صفحاً عن هذه الحكم الغوالي حتى كأن الرسول ﷺ لم يقل ، وكأن الرواة لم يرووا عنه ، وكأن حكمته لم تصل الينا ولم تقرع أسماعنا . فرطنا في جنب العمل وادعينا التوكل على الله. ألقينا حبل الأمور على غاربها وادعينا التوكل على الله حتى ساءت أحوالنا واضطربت أمورنا وأصبحت مصائر الأمم الاسلامية في أيدي غيرها ، وقضي في شئونها وهي غائبة ، وذلك أنكى ما تُمْنى به الأمم ، وأقتل ما تصاب به الشعوب

يُغير المُغير على أمة من الأمم الاسلامية فيجتمع رجالها في المساجد ليقرأوا صحيح البخاري ويحسبون هذا من التوكل ، ويظنون أنه يغني عنهم شيئاً أمام قوة العدو المغير التي لا يغني منها إلا السواعد المفتولة ، والسلاح والكراع والعدة والذخيرة والعتاد الحربي الموائم للعصر ، والايمان والصبر والاستعداد للمقاومة والكفاح

لو قرأت البخاري وشروحه وحواشيه وتقريراته وتعليقاته ألف مرة ومرة ما أغنى عنك شيئاً ما دمت لا تعمل بما فيه ، وهو يحضك في كل باب من أبوابه على إعداد العدة واستجاشة القوة وارتباط الخيل

تنخر الأدواء في أجسامنا فلا نداويها ولا نعالجها ونزعم أننا متوكلون على الله. والله يأمرنا على لسان رسوله الأمين أن نكافح الأدواء ، ونلتمس الشفاء . قال ﷺ « تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء » فالتوكل المبني على اطراح الأسباب معصية تنبغي التوبة منها والاقلاع عنها

***

هذا التوكل الفاسد هو أس دائنا وأصل بلائنا

أما الدواء فهو التوكل الصحيح الحق الذى هو ثمرة الايمان الكامل بالله .

التوكل الصحيح أن تعتمد على الله وتجعله كفيلا عليك ، وتعتقد أن نجاح الأمور بيده ، وتحقيق الآمال بمشيئته ، والظفر بالرغائب باذنه ، فتبرأ من حولك وقوتك إلى حوله تعالى وقوته ، ثم لا تغفل عن سنة الله التى اقتضت أن ترتبط الأمور بأسبابها ، وتعتمد الغايات على مبادئها ، فتأخذ بالأسباب التى أمر الله أن تأخذ بها ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

لقد كان رسول الله ﷺ أول المتوكلين على الحى الذى لا يموت ، ولكنه لم يكن يدخر وسعاً فى اتخاذ الأسباب التى تكفل له بلوغ المراد

ألم تر كيف فعل فى هجرته من مكة إلى المدينه ؟ أعد راحلتين له ولرفيقه ، واستخفى فى الغار عن أعين الكفار ، واستأجر دليلا خريتاً يهديه السبيل ، وسلك وادياً غير مطروق حتى لا يهتدى اليه الباحثون عنه الحريصون على الظفر به . وهذه وسائل تحقق له النجاة من أعدائه — لم يتركها توكلا على الله وثقة به ، لأنه خير من يعلم أن التوكل واتخاذ الأسباب لا يتجافيان ، وأن الأمور موقوفة على أسبابها ، وان سنن الله لا تتحول ولا تتبدل ، وأن التفريط فى الأخذ بالأسباب اثم مبين

ولقد كان ﷺ فى جميع تصرفاته مثال الحازم الحكيم الحصيف المحتاط الحذر ، وهو أشد الناس توكلا على الله ، فلمَ لا يكون لنا فيه أسوة حسنة ؟

هذا هو دواؤنا الناجع ، فان تداوينا به استقامت أمورنا ، وحسنت أحوالنا ، وعاودتنا القوة والمنعة ، وأزهرت آمالنا وصدقت أحلامنا . وأدبر ليل شقائنا ، وأسفر صبح نجاحنا ، وعدنا كما كنا خير أمة أخرجت للناس . ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

أبو الوفا محمد درويش

حول ذكرى مولد النبي ﷺ

﴿ لفضيلة الأستاذ العلامة الكبير الشيخ محمود شلتوت ﴾

في شهر ربيع الأول من كل عام يقيم المسلمون حفلات الذكرى لميلاد النبي محمد ﷺ ، فينصبون السرادقات ، ويرفعون الأعلام ، ويلقون الخطب ، ويذيعون الأحاديث ، ويكتبون الفصول ، يشرحون للناس فيما يخطبون ويذيعون ويكتبون سيرة الرسول محمد ﷺ أو ناحية من نواحي سيرته ، ويذكرون تشريعه وأحكامه ، وطريقته في التأديب ، وانهاض النفوس وتهذيب الأخلاق . يذكرون أطواره التي مر بها في حياته قبل البعثة وهو طفل رضيع في صحراء بني سعد ، وهو غلام حدث يرعى الغنم بمكة ، وهو شاب قوي جلد يتجر ويسافر ، ويحضر حرب الفجار وحلف الفضول

ثم يذكرون دعوته وكيف بدأت سرية ثم كانت جهرية . ويذكرون مانالة من أذى قومه ، واضطهادهم له ، ، وتضييقهم عليه حتى أخرجوه من دياره وأمواله إلى المدينة ، فكانت الهجرة ، وكانت الحروب ، وكان التشريع والأحكام إلى أن نزل قوله تعالى بعد ثلاث وعشرين سنة من مبعثه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

يحتفلون على هذا النحو في يوم أو أيام ، ويقولون إنها ذكرى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) ولقد كان المسلمون في عصورهم الأولى لا يعرفون احتفالا خاصاً يقام في مثل هذه الأيام بقصد إحياء ذكرى الرسول ﷺ ، لأنهم كانوا يرون أن عظمته ليست من جنس هذه العظمات التي يألفها الناس في أفذاذهم ورجالهم ، والتي يخلعها الزمن على بعض الناس في بعض نواحي الحياة : لم تكن عظمته ﷺ من جنس هذه العظمات المحدودة في نوعها ، المحدودة في أمدها . لم تكن من جنس هذه العظمات التي

يخشى عليها من الضياع والتلاشي في بطون التاريخ بمضي الأزمان والأيام ، فيحتاج بقاؤها في أذهان الناس إلى مذكر .

كانوا يعرفون أن عظمته ﷺ ليست من جنس هذه العظمات ، وانما هي العظمة الخالدة التي ينبغي أن تكون دائما قارة في النفوس ، ماثلة في القلوب ، ممتزجة بالدماء ، مؤاخية للعقيدة . لذلك كانت هذه العظمة المحمدية ظاهرة في قولهم إذا نطقوا ، في حركتهم إذا تحركوا ، في سكونهم إذا سكنوا ؛ في جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، السرية والعلنية ، الدنيوية والأخروية . فهي عظمة قد رسمت لهم باطن الحياة وظاهرها وحدودها ودوائرها ، لم تقف عند ناحية من نواحي الحياة ، بل لم تقف عند حدود هذه الحياة الفانية ، فشملت جميع نواحي الحياة وامتدت إلى الحياة الآخرة فكشفت لهم عن حجب فيها ، وصورت لهم ما يكون للمحسن فيها من نعيم ، وما يكون للمسيء فيها من شقاء .

لم تكن عظمته عندهم بانتصار في معركة ، ولا برأى في علم ، ولا باختراع في صلاح ، ولا بنظرية في أرض أو سماء . وانما كانت عظمة عامة شاملة (ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) الاسراء

بهذا آمن المسلمون في عصورهم الأولى يوم كان الايمان قويا في النفوس ، تشتعل جذوته فتلتهب الجوارح وتبذل الأنفس ، ويضحى بالأرواح في ترسّم خطى تلك العظمة والجد في معرفتها ، ونشرها على العالم مهذبة نقية حتى تحيا بها النفوس وتطمئن اليها القلوب ، وبذلك كانت جميع أيامهم وجميع أوقاتهم ذكرى عملية لهذه العظمة : ذكرى عملية يتمثلون فيها مبادئه وأحكامه وارشاداته الحكيمة ويسيرون على نهجها ، فكانت حالتهم مثالا صادقا ومرآة صافية ترى منها عظمة الرسول محمد ﷺ ، ولم يكن الأمر بحاجة إلى مذكر بعظمة هم فيها سابحون ، وبنورها مهتدون

كانوا يرون النبي محمداً ﷺ وقد كرم الله قدره ، ورفع ذكره ، أرفع قدراً وأعلا

شأنا من أن يكرم كما يكرم آحاد الناس بخطبة تلقى أو حديث يذاع، أو فصل يكتب
كرمه الله وليس بعد تكريم الله تكريم، خلد اسمه فى كتابه الخالد، ذكر اسمه
الصريح. ذكره بوصف الرسالة مبعث العظمة. ذكره بوصف العبودية لله الواحد.
ذكره بعظمة خُلقه. ذكره برحمته للمؤمنين. برحمته للناس أجمعين. ذكره بأنه
المزكى للنفوس والمعلم للكتاب والحكمة. ذكره بكل هذا كما ذكره بالتبشير والانذار،
وبأنه شهيد على أمته، وبأنه صاحب المقام المحمود. جعل محبته من محبته، وطاعته
من طاعته، ذكره فى كتابه الخالد بهذا وبغيره من أوصاف التكريم بل من الأوصاف
التى طبعه عليها وصاغه بها، بيانا لحقيقته ورسماً لوظيفته

لم يقف التكريم الالهى لمحمد ﷺ عند هذا الحد، بل جعل له ذكراً فى الأولين
إذ كتبه فى التوراة والانجيل، وبشّر به على لسان عيسى بن مريم، وجعل له ذكراً
فى الآخرين إذ قرن بينه وبين اسمه الكريم فى كلمة التوحيد التى بها يكون المرء
مسلما، والتى هى الحد الفاصل بين الايمان والكفر، وإذ جعل المناداة باسمه جزءا من
الأذان الذى يكرر فى كل يوم خمس مرات بصوت مسموع إيذانا بالصلوات المفروضة
وجمعاً للمسلمين على عبادة الله. وفى التشهد كلما صلى مسلم فرضاً أو نفلا. فكم إذاً من
ملايين تفتر شفاههم، وتنطق ألسنتهم بذكر محمد ﷺ فى كل يوم وليلة كلما أذن
مؤذن أو أجاب مجيب، أو صلى مصل أو أمّن مؤمن، أو تلا قارىء أو حدّث محدث

لم يكن بعد هذا كله ما يُلتمس أن يكون تكريماً لمحمد ﷺ، ومتى كانت هذه
العظمة تُنسى حتى تُذكر، ومتى كان هذا التكريم يخفى حتى يظهر؟ تلك روح خص
الله بها نبيه ومصطفاه، لم تكن لتخفى على قلب يؤمن بالله وبرسول الله

***

آمن الأولون بهذا كله. آمنوا بأن تمجيد رسولهم وتكريمه إنما يكون عن طريق
اتباعه وإحياء سنته والتحلى بأخلاقه، واقامة شرعه ودينه. آمنوا بهذا وعلموا أن
الايمان الحق يثمر المحبة الصادقة، وللمحبة الصادقة حقوق وعليها تبعات: فمن

حقوقها المتابعة لمن نحب ، والرضا بما يرضيه ، والغضب لما يغضبه . ومن تبعاتها تحمل المشاق والتضحية بالنفس فى سبيل رضا المحبوب

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها : أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه ممن سواهما »

ظل المسلمون كذلك حتى ضعفوا واستكانوا ، فانطفأ نور تلك العظمة من قلوبهم ؛ وأقفرت بصائرهم من أسرارها ، ولم يبق لهم منها إلا صور مرسومة بحروف فى الصحف والكتب يرجعون اليها كلما عاودتهم ذكرى تلك العظمة ، وكلما تذكروها بشهر ربيع

طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وأعرضوا عن تعاليم تلك العظمة ، وصاروا لا يذكرونها إلا اذا ذكروا ميلاد صاحبها ، فوضعوها فى مستوى العظمات الأخرى التى يألفها الناس فى أفذاذهم ، وجاروا الناس فى تكريم عظمائهم بأساليبهم : بالأناشيد . بالأزجال بالأنغام . بالصور والزينات . بالخطب والاذاعات . وتفننوا فى المحاكاة ، حتى صاغوا عظمة محمد فى أسلوب روائى قصصى وقالوا : تلك قصة المولد الشريف . وما كان لعظمة محمد ﷺ أن تكون قصة وهى الحقيقة الخالدة : ما كان لها أن تنسى وهى التهذيب الانسانى الدائم . ولكن هكذا ابتدع المسلمون هذا الأسلوب من التكريم ، وصار لهم ليال معدودة كليالى شم النسيم وليالى عيد الفصح ووفاء النيل . وهكذا

ابتدع هذا الأسلوب كأثر من آثار الضعف حينما ابتلى المسلمون بالقول دون العمل . حينما انقطعت الصلة العملية بين المسلمين وشريعة محمد ﷺ .

ابتدع هذا الأسلوب من التكريم بعد أن لم يكن ، فهل بحث الناس عن سبب ابتداعه ؟ وهل تساءلوا عن السر فى أنه لم يكن ثم كان ؟ هل انصرفوا إلى هذا الجانب الذى كان يرجى أن يعرفوا منه أسباب ضعفهم ؟ كلا ولكنهم انصرفوا إلى البحث فى أنه بدعة أو ليس بدعة ؟ واذا كان بدعة فهل هى بدعة حسنة أو بدعة غير حسنة ؟

وهكذا اختلفت بهم المذاهب ، وتعددت الآراء ، وظلوا إلى يومنا هذا بين محبذ ومنكر ، شأنهم فى كل شىء تناولوه بروح الجدل الذى صرفهم عن العمل . وما ابتليت أمة فى حياتها بشر من كثرة القول وقلة العمل . وقد ابتلى الله المسلمين بالجدل فى كل شىء فصرفهم عن العمل بمقدار ما جادلوا : جادلوا فى العقائد . جادلوا فى الأحكام . جادلوا فيما ليس من العقائد ولا من الاحكام . جادلوا فى كلماتهم وألفاظهم . جادلوا حتى فى القواعد التى وضعوها للجدل . وهكذا صار الجدل شغلهم الشاغل فتاهوا به عن فهم الاسلام ، وعظمة الاسلام وسر دعوة الاسلام . تلهوا به عن فهم كلام الله ، وعن إدراك مقومات الحياة التى لا تستطيع أمة أن ترفع رأسها إلا بها ، واكتفوا بذكر محمد ﷺ فى شهر ربيع ، وأنه كان على خلق عظيم ، وأن شريعته صالحة لكل زمان ومكان ، فانخفضت رءوسهم ، والتوت أعناقهم ، وضعف سلطانهم ، وتفرق شملهم ، وتناثرت عزتهم ، شغلوا بالقول ونسوا أن دينهم ، ومنبع عظمة نبيهم أساسه العمل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)

أيها السادة : لا نعلم فى القرآن ولا فى تعاليم الرسول ﷺ آية واحدة أو حديثاً واحداً يجعل سبيل السعادة مجرد القول ، بل نراهما ينوطان النجاح دائماً بالعمل ، وينعيان على القوالين الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)

نعم قد نجد القول فى شىء من الآيات والأحاديث ولكن مقرونا بطالب العمل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) « قل آمنت بالله ثم استقم »

وهكذا كان صاحب الرسالة صلوات الله عليه فعالا لا قوالا . كان فعله أكثر من قوله ، ذلك أن القول إذا لم يتبعه العمل كان الايمان بالقائل ضعيفاً ، وربما عد القائل الذى لا يعمل منافقا أو مخادعا (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون)

ولقد كثر فى أيامنا الدعاة إلى الخير وإلى الفضيلة والى الاصلاح وإلى الانقاذ ، ولم تتجاوز دعواتهم حناجرهم ، فمادت عليهم بالخسران والوبال ، وسيخرجهم الزمن طوعا أو كرهاً من صفوف المصلحين ، وسيعلم الناس أنهم فيما يدعون كاذبون ، وانهم فيما يقولون مخادعون ، ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون

كان النبى ﷺ معلما بالعمل لا بالقول ، كان داعيا للفضيلة بالفضيلة تفيض من نفسه ، كان قدوة فى أعماله ، وأسوة بأفعاله ، يتوضأ ويقول لأصحابه : هذا وضوئى ووضوء الأنبياء قبلى . لم يشرح لهم فرضا ولا سنة ولا مستحباً . كان يصلى ويقول لأصحابه « صلوا كما رأيتمونى أصلى » كان يحج ويقول خذوا عنى مناسككم

لذلك كان عظيما ، وعظيما فوق العظماء

ولنذكر لكم بعض المثل العملية فى ناحيتين من نواحى تلك العظمة العملية : ناحية تربيته للنفوس على الفضائل ، وناحية إصلاحه للمجتمع إصلاحا منظما ثابت الأركان ، مدعم الجوانب

١ - طريقة الرسول فى التهذيب :

يقول الله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين)

ولنقف فى هذه الآية عند قوله تعالى (ويزكيهم)

التزكية تطهير النفوس ، وتقويم الأخلاق . ولذلك طريقان :

أحدهما : شرح ما للاخلاق الطيبة من مزايا وآثار تعود على المرء وعلى المجتمع بالخير والسعادة : وهى الطريقة الوحيدة التى يعتمد عليها دعاة الاسلام ورؤساؤه اليوم

والثانى : ضرب المثل العملية فى هذه الاخلاق الفاضلة ، ليرى الناس آثارها بأعينهم ، وتنفعل بها نفوسهم ، فيتسابقون إلى التحلى بها ، والانتفاع بآثارها

وهذا هو الطريق الحكيم الذى سلكه محمد ﷺ فى تزكية النفوس ، وتقويم الاخلاق ، وكان قليلا مايكتفى بالطريق الاول

١ ـ كان يدعو إلى الرحمة ، ويضرب المثل العملية فى جميع تصرفاته ، وليس أدل على هذا من موقفه من قومه ، وقد كادوا له ما كادوا ، فجاءه جبريل يقول له : ان الله قد علم ما رد به قومك عليك ، وقد أمر ملك الجبال أن يصنع ما شئت بهم ، فناداه ملك الجبال : مرنى يا محمد بما شئت : إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت . فماذا كان جوابه ؟ ماذا كان جوابه وقد أتته القوة التى لا تبقى ولا تذر ؟ ماذا كان جوابه وقد مكن له من الذين نكلوا به وبأصحابه وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ؟

كان جوابه . لا . بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله !

جاءه عمر بن الخطاب بعد غزوة أحد وقال له : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا عن آخرنا ، فلقد وطىء ظهرك ، وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك ؛ فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون

لذلك يقول الله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) ويقول (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ؛ بالمؤمنين رؤوف رحيم)

٢ ـ كان يعلمهم العفو عند المقدرة : تجلى ذلك منه عمليا يوم الفتح ، يوم أن دخل مكة ظافراً منتصراً يكاد رأسه يمس سرج فرسه من الخضوع . يوم أن دخلها فى خضوع المؤمنين لا فى صلف الجبارين والمتعنتين ، وقد اجتمع حوله أقطاب قريش وصناديدهم ينظرون ما هو فاعل بهم ، تصطك مفاصلهم ، وترتجف قلوبهم من هول ما ينظرون ، جرياً على عادة الفاتحين المتغلبين . يومئذ قال لهم : يا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال اذهبوا فأنتم الطلقاء

وقد قصده غورث بن الحارث ليفتك به وهو نائم فى حر الظهيرة تحت شجرة بعيداً عن أصحابه وهم جميعاً نائمون . فأحس ﷺ بحركة فانتبه فاذا رجل قائم على

رأسه والسيف مصلت فى يده قائلا : ما يمنعك منى يا محمد ؟ فقال : الله يمنعنى منك ويعصمنى . فسقط السيف من يد الرجل ، فتناوله النبى ﷺ وقال للرجل ما يمنعك منى يا أخا العرب ؟ فقال حلمك وعفوك . فتركه النبى وعفا عنه . فرجع الرجل إلى قومه مسلما يقول لهم : جئتكم من عند خير الناس

وجاءه رجل لم يسلم وكان له دين عليه : جاءه يتقاضاه دينه ، فجبذ ثوبه عن منكبيه وأخذ بمجامع ثيابه ، وأغلظ له ثم قال : انكم يابنى عبد المطلب مُطُل ؛ فانتهره عمر وشدد له فى القول، والنبى (ص) يبتسم فقال رسول الله (ص) « أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج ياعمر . تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى » ثم قال : لقد بقى من أجله ثلاث ، وأمر عمر بأن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه . فكان سبب إسلامه

***

ولقد كان رسول الله (ص) شجاعا كأتم ماتكون الشجاعة ، لم يكن شجاعا بالقول فقط ، وانما كان شجاعا بالفعل . وفى ذلك يقول على رضى الله عنه : لقد كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدَق ، اتقينا برسول الله (ص) فما يكون أحد أقرب الى العدو منه . ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً . وكان الشجاع هو الذى يقرب منه (ص) إذا دنا العدو لقربه منه

وليس يعرف التاريخ قائداً بطلا كمحمد (ص) فر أصحابه من مواقعهم يوم أحد متلهين بالغنائم ، مخالفين عن أمره : ألا يبرحوا الشعب ولو رأوه وأصحابه يقتلون ؛ فوقف رسول الله (ص) يرمى بنفسه عن قوسه حتى اندقت سيتُها ، وأحاط نفر من المسلمين به يدفعون عنه ويحمونه ، وترس ابو دجانة بنفسه دون رسول الله ، فحنى ظهره والنبل يقع فيه . ووقف سعد بن ابى وقاص إلى جانبه يرمى بالنبل دونه ورسول الله يناوله النبل ويقول له : ارم فداك أبى وأمى . وأصيب النبى (ص) فوقع لشقه وكسرت رباعيته ، وشج وجهه ، وكُلِمت شفته ، ودخلت حلقتان من المغفر

الذى يستر به وجهه - فى وجنته ، ولكنه مع هذا كان مالك نفسه وأخذ ينادى المسلمين « إلىّ عباد الله . الى عباد الله » فاذا به يقع فى حفرة حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون ، فيأخذ علىّ بيده ويرفعه طلحة بن عبيد الله حتى يستوى

موقف من مواقف البطولة لا يمهد لقائد غير رسول الله ، وفى هذا الموقف العملى يقول الله فى كتابه العزيز (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون : منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين . إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، والرسول يدعوكم فى أخراكم ، فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ، والله خبير بما تعملون)

ولقد كان محمد ﷺ يشترك مع أصحابه فيما يفعلون من شئون الحرب كأنه جندى من جنوده . وكان يحمل التراب فى غزوة الخندق على كاهله ، وهو يعلم أن فيهم من يكفيه ذلك راضياً مسروراً ، ولكنه يضرب لهم الأمثال بما يفعل ، و يثير فى قلوبهم حماسة الايمان .

٢ - إصلاحه لنواحى المجتمع :

كان له ﷺ طرق عملية فى تأديب الذين ينحرفون عن واجب الايمان ، وسبيل المؤمنين المخلصين :

تخلف بعض أصحابه عن الخروج إلى غزوة من الغزوات ، ولم يقدموا عذراً يشفع لهم فى هذا التخلف ، ولما رجع الرسول وصحبه إلى المدينة جاءه أولئك المتخلفون وصدقوه الحديث ، فقرر النبى (ص) مقاطعتهم حتى عن رد السلام وإلقائه ، وفى هذا التأديب الذى أقره الله عليه يقول الله تعالى (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم ، إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خُلفوا حتى إذا ضاقت عليهم

الأرض بما رحُبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ؛ ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

هكذا كان تأديب النبي لأصحابه وتربيته لأخلاقهم

كان الاصلاح الالهي للأمم أنجع الأدوية يقدرها الحكيم العليم الخبير بناء على علمه بحالة المريض وبما تحتمله صحته وجسمه . وقد وزع الاصلاح على الرسل كما وزعت الرسل على الأمم ، فلما كمل استعداد الانسانية لتلقي جميع انواع الاصلاح أرسل خاتم الأنبياء إلى جميع العالم ، مذكراً بما مضى من اصلاح إخوانه المرسلين ، متمما لرسالة الله معمما الناس أجمعين ؛ فجاءت رسالته إصلاحا عاما شاملا ، لم يترك سبيلا للسعادة إلا شرعه ، ودعا اليه ، ولا آخر للشقاء إلا منعه ونفّر منه ، ولم يعرف العالم هذا الاصلاح الشامل العام قبل رسالة محمد ﷺ (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

١ـ أصلح العقيدة ، وكانت من قبل بين الافراط والتفريط ، كانت بين عقل ينكر الله ، ولا يعترف بوجوده ويقول (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) وبين داع يدعو مع الله الهاً آخر ويشرك به ما لا ينفعه ولا يضره فجاء بالعقيدة القويمة : أنبأهم بأن ربهم واحد ، وأنه هو القادر العليم الحكيم المستحق وحده للعبادة ، وأن تتوجه القلوب اليه .فكرم بذلك عقل الانسان وأزال عنه وصمة الشرك ، والعبودية لغير الله

ثم أمد هذه العقيدة بمدد دائم روحي لا ينقطع ، يذكر بها ويهيمن عليها : أمدّها بالصلوات التي تصل بين العبد وربه ، وتذكره كل يوم خمس مرات بخالقه ومنشئه ، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر . أمدها بالصوم تمريناً على الصبر ، وتعويداً على الطاعة ، ومراقبة الله في السر والعلن . أمدها بالزكاة ، تمرينا على العطف والبر والرحمة ، والرفق بالمحتاجين ، وشكراً لله تعالى الذي منح الأغنياء ما في أيديهم من الاموال ، وبارك لهم فيها .

٢ - وكما أصلح العقيدة وأمدّها بهذا وأمثاله من ألوان المدد : أصلح المجتمع، والاصلاح فى الأمم انما يعتمد على عُمُد، ويقوم على أسس، لا ينهض بدونه، ولا يثمر ثمراته الا بها :

انه يعتمد على العلم والمال والأسرة ونظام الدولة، والصحة العامة والقوة والعدل.

وفى هذه الدوائر يرسم الاسلام برنامج اصلاحه الشامل :

١ - حث على العلم، وسوى فيه بين الرجال والنساء

٢ - وضع نظاما للتعامل بالبيع والشراء والاجارة والوصية والميراث ونحو ذلك، من شأنه أن يبطل النزاع ويزيل الفساد ويقضى على أسباب الفتن

٣ - وضع نظاما للأسرة يقيها الانحلال ويربط برباط المحبة والتعاون ؛ للزوج فيه حقوق، وللزوجة حقوق، وللأبناء حقوق وللآباء والأمهات حقوق. وضع هذا النظام دقيقاً شاملا لكل علاقة من علاقات الأسرة صغيرة أو كبيرة، موافقا لما يقضى به العقل والعدل والرحمة وحسن الصلة.

٤ - جعل للدولة نظاما فى حكومتها وفى محكوميها، وفى علاقتها بغيرها من الدول، وفى سلمها وحربها ومعاهداتها.

٥ - أمر بالمحافظة على صحة الشعب العامة، وعلم الأفراد النظافة بالغسل والوضوء، ومنع الضرر الناشيء من العدوى والوباء

٦ - حث على اتخاذ الحيطة، واعداد القوة، لتكون الدولة قوية الجانب، مهيبة فى عيون أعدائها

٧ - أمر بالعدل فى كل شيء، بين الحاكم والمحكوم، بين السادة والمسودين، بين الأغنياء والفقراء، بين المتقاضين، بين المتعاملين (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) ويقول (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ؛ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا

أولياء الخيال وأولياء الطاغوت والشيطان

للعلامة المحقق ناصر السنة السيد رشيد رضا رحمه الله [1]

أولياء الله الذين يشهد لهم كتابه بالولاية له : هم المؤمنون الصالحون المتقون ، ولكن اشتهر بين المسلمين - بعد عصر السلف - مايدل على أن الأولياء عالم خيالى غير معقول ، لهم من الخصائص فى عالم الغيب ، والتصرف فى ملكوت السموات والأرض فوق كل ماورد فى كتاب الله وأخبار رسوله الصادقة فى أنبياء الله المرسلين ، بل فوق كل ماوصف به جميع الوثنيين آلهتهم وأربابهم التى اتخذوها من دون الله . وينقلون مثل هذه الدعاوى عن بعض من اشتهروا بالولاية : ممن لهم ذكر فى التاريخ ومن لا ذكر لهم الا فى كتب الأدعياء الذين فتنوا المسلمين والمسلمات بهم ، ممن يسمون بالمتصوفة وأهل الطريق ينقلون عنهم مايؤيدون به مزاعمهم الخرافية الشركية كما ستري فيما

هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

أيها السادة : ذلكم قل من كثر من شريعة محمد ﷺ وهديه ، التى كان سلفنا بها عاملين ، وعلى نهجها سائرين ، والتى أصبحنا من بعدهم لها ذاكرين ، وبالذكرى مكتفين !

قولوا ماشئتم ولكن لاتكتفوا بالقول (واعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون)

محمود شلتوت

---

١) تفسير المنار ج ١١ص ٤٢٠

ننقله من الشواهد الآتية

ولئن أنكر عليهم منكر ، واحتج عليهم بكتاب ربهم وحديث نبيهم مفسر أو محدث ليقولن : هذا ضال مضل منكر للكرامات مخالف للقرآن ، وقرأوا عليه (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهل هذه الآية إلا كقوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين : من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وغيرها من الشواهد لذلك

هذه الولاية الخيالية المبتدعة المحدثة : من محدثات الصوفية ألبسوها أولا ثوب الشريعة ، وجعلوا للشريعة مقابلا سموه « الحقيقة » ثم صاروا يلبسونها عليها لبسا ، ويبعدون بها عنها معنى وحسا ، بقدر ما يبعدون عن الاتباع ، ويوغلون في الابتداع ، واعتبر في ذلك بسيرة سلفهم الأولين ، كانوا يتحرون الكتاب والسنة ، ويحذرون أتباعهم من البدع ، ويحثون على اتباع السلف من الصحابة والتابعين وحفاظ السنة وعلماء الأمصار كالأربعة وطبقتهم . ولولا هذا لكان بينهم وبين غلاة متصوفة القرون الوسطى ومن بعدهم من المبتدعة والدجالين أصحاب الدعاوى المريضة والخرافات الشنيعة مثل ما بين صوفية البرهمية والاسلام ، وكتابهم « الفيدا » وكتاب القرآن

امرر ببصرك على طبقات الشعراني ، فانك لا ترى فيها فرقا كبيرا بين سيرة أئمة الحديث والفقه وأئمة التصوف في العبادة والتقوى والعلم والحكمة ، ثم انظر سيرة من بعدهم من متصوفة القرون الوسطى ثم قرن المؤلف - وهو العاشر - وتأمل ووازن : تر في أولياء الشعراني المجانين والمجان والقذرين الذين تتناثر الحشرات من رؤوسهم ولحاهم وثيابهم : تجد ذلك البون الشاسع فيهم ، وهم مع ذلك يفضلون أنفسهم على الأنبياء ، ومنهم من يدعي الاتحاد بالله ، أو الألوهية

تأمل ما كتبه في ترجمة الذين يسمونهم الأقطاب الأربعة ، فانك لا تجد فيه لأحد منهم أنه كان ينفع الناس بعلوم الشرع إلا الشيخ عبد القادر الجيلاني . وتجد

أن الشيخ أحمد الرفاعي كان يوبخه علماء عصره ويخاطبونه بلقب الدجال ، ويرمونه بالجمع بين النساء والرجال . وأما الدسوقي فكتب عنه أنه كان يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي وسائر لغات الطيور والوحوش . ونقل عنه كتابا من هذه اللغات أرسله الى أحد مريديه ، وهو خلط مخترع ، ليس منها في شيء . وسلاما مثله أرسله مع أحد الحجاج الى رسول الله ﷺ منه قوله « موز الرموز ، غموز النهوز ، سلاحات أفق ، فردانية أمق . شوامق البرامق ، حيد وفرقيد ، وفرغاط الأسباط » فما معنى هذا وأي فائدة للناس فيه ؟

ونقل عنه كلاما من المعهود من أمثاله الصوفية ، منه النافع والضار . فمن الحق النافع ما معناه : انه لو لم تغلب عليهم الأحوال لما قالوا في التفسير الا صحيح المأثور . ومن الضار الذي أفسد على المصدقين بولاية هؤلاء الناس دينهم – وهو مما نحن فيه – قوله : وكان يقول « أنا موسى في مناجاته ، أنا علي في حملاته ، أنا كل ولي في الأرض خلقته بيدي ، ألبس منهم من شئت . أنا في السماء شاهدت ربي على الكرسي خاطبته ، أنا بيدي أبواب النار غلقتها ، وبيدي جنة الفردوس فتحتها . من زارني أسكنته جنة الفردوس » الخ

وقوله « وقد كنت أنا وأولياء الله أشياخا في الأزل بين يدي قديم الأزل ، وبين يدي رسول الله ﷺ وان الله عز وجل خلقني من نور رسول الله (ص) وأمرني أن أخلع على جميع الأولياء بيدي ، فخلعت عليهم بيدي . وقال لي رسول الله (ص) يا ابراهيم أنت نقيب عليهم . ثم التفت إلي رسول الله (ص) وقال لي يا ابراهيم سر إلى مالك وقل له يغلق النيران . وسر الى رضوان وقل له يفتح الجنان . ففعل مالك ما أمر به ، ورضوان ما أمر به

وذكر الشعراني أنه أطال في هذا الكلام وهو من مقام الاستطالة تعطي الرتبة صاحبها أن ينطق بما ينطق به

وقد سبقه الى نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلي وغيره ، فلا ينبغي مخالفته الا بنص صريح . اه

ونقول ان مثبت هذه الدعاوى المنكرة فى عالم الغيب من شئون رب العالمين ؛ وملائكته وأكرم رسله ، وجنته وناره ، هو الذى يحتاج فى إثباته الى النص الصريح ، دون منكره فانه يتبع الأصل ؛ والاجماع على أن شيئا من ذلك لا يثبت الا بنص قطعى .

وسنذكر ماانتهت اليه هذه الدعاوى من افساد الدين وإضلال الملايين من المسلمين

جاء فى كتب الرفاعية ان الشيخ الرفاعى لمس بيده سمكة فأرادوا شيها بالنار ، فلم تؤثر فيها النار ، فذكروا له ذلك فقال وعدنى العزيز أن كل مالمسته يد هذا اللاش حميد لا تحرقه النار فى الدنيا ولا فى الآخرة . وجاء فيها ان الرفاعى كان يميت ويحيي ، ويُسعد ويشقى ، ويفقر ويغنى . وانه وصل الى مقام صارت السموات السبع فى رجله كالخلخال . وفى البهجة الرفاعية ان سيدهم احمد الرفاعى باع بستانا فى الجنة لبعض الناس وذكر له حدوداً أربعة

وجاء فى بعض كتب مناقب الجيلانى انه مات بعض مريديه ، فشكت اليه أمه وبكت ، فرَقّ لها ، فطار وراء ملك الموت فى المساء وهو صاعد الى السماء يحمل فى زنبيل ماقبض من الأرواح فى هذا اليوم ، فطلب منه أن يعطيه روح مريده أو أن يردها اليه فامتنع ، فجذب الزنبيل منه فأفلت ، فسقط جميع ماكان فيه من الأرواح فذهبت كل روح إلى جسدها ، فصعد ملك الموت إلى ربه وشكى له مافعله عبد القادر ؛ فأجابه الرب سبحانه بما امتنعنا من نقله تنزيها وأدبا مع ربنا عز وجل

وذكروا أن خطيبا خطب المسلمين بالهند ذاكراً مناقب الشيخ عبد القادر فقال ان حدأة خطفت قطعة لحم مما ذبح للشيخ عبد القادر فى مولده — كما كانوا يذبحون للاصنام — فوقعت عظمتها فى مقبرة ، فغفر الله تعالى لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ عبد القادر . وياويل من ينكر أمثال هذه الخرافات ، فانه يستهدف لرميه بمخالفة قوله

تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومخالفة قول اللقاني في جوهرته

وأثبتن للأوليا الكرامه ... ومن نفاها فانبذن كلامه

ومن هذه الكرامات - بزعمهم - ادعاء الوحي ولا ينافيها عندهم معارضة القرآن وعبادة الشيطان ، وعلم الغيب ، وملك النفع والضر ، وتدبير الأمر ، وترك الفرائض وارتكاب الفواحش ؛ لأنها لا تكون من أوليائهم إلا صورية لمصلحة . وكذا الكفر الصريح كما ترى في الشواهد الآتية :

١ - كرامات ولي شيطاني موحد ألوهية إبليس

قال الشعراني في ترجمة الشيخ محمد الحضري ج٢ ص٩٤ من الطبقات الكبرى « كان من أصحاب جدي ، وكان يتكلم بالغرائب والعجائب من دقائق العلوم والمعارف مادام صاحياً . فاذا قوى عليه الحال ، تكلم بألفاظ لا يطابق أحد عليها في حق الأنبياء وغيرهم وكان يرى في كذا وكذا بلداً في وقت واحد . وأخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي أنه جاءهم يوم الجمعة ، فسألوه الخطبة . فقال : بسم الله . فطلع المنبر فحمد الله وأثنى عليه ومجده ثم قال : وأشهد أن لا إله لكم الا ابليس عليه الصلاة والسلام . فقال الناس « كفر » فسل السيف ونزل ، فهرب الناس كلهم من الجامع ، فجلس عند المنبر الى أذان العصر ، وما يجرأ أحد أن يدخل الجامع . ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى بهم ، قال فعددنا له في ذلك اليوم ثلاثين خطبة - هذا ونحن نراه جالساً في بلدنا »

٢ - كرامة ولي العاهرات والزناة الفاعل بالأتان :

قال في ترجمة سيده علي وحيش من مجاذيب النحارية :

« كان من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال ، وكان يأتي مصر والمحلة وغيرهما من البلاد . وله كرامات وخوارق . أخبرني الشيخ الطنبدي قال : كان الشيخ وحيش يقيم عندنا في المحلة في خان بنات الخطا - أي العاهرات - وكان كل من

خرج يقول له : قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج ، فيشفع فيه ، وكان يحبس بعضهم اليوم واليومين ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب فى شفاعته . وقال يوما لبنات الخطا : اخرجوا فان الخان رايح يطبق عليكم . فما أطاعه منهن إلا واحدة فخرجت ، ووقع على الباقى فمتن كلهن . وكان إذا رأى شيخ بلد أوغيره ينزله من على الحمارة ويقول له امسك رأسها حتى أفعل فيها ، فان أبى شيخ البلد تسمر فى الأرض ولا يستطيع يمشى خطوة ، وان أطاع حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه . وكان له أحوال غريبة ، وقد أخبرت عنه سيدى محمد بن عنان فقال هؤلاء يخيلون للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة » اهـ ص١٢٩

وولاية هذا المجنون أنه قواد للعاهرات بضمانة المغفرة لمن يفجر بهن بشفاعته ، وأنه يفعل الفاحشة بالحمارة على قارعة الطريق . وأضل منه من يدعون له الكرامات وأنه من الأولياء

فاذا كان الشعرانى من أكبر علماء الأزهر ، وهو فيه يعد هذا المجنون من أولياء الله ويترضى عنه كلما ذكر اسمه وان تكرر ذكره فى سطر واحد ، فهل نكون مخطئين اذا قلنا إن جميع من شهد لهم بالولاية والكرامة كانوا خرافيين مجانين مثله ؟

وكان من فساد هذا التصوف الذى بثه الشعرانى وأمثاله فى المسلمين أن وجد فى المغرب الأقصى فى القرن الثالث عشر للهجرة شيخ اسمه أبو العباس احمد التجانى صار له طريقة من أشهر الطرق امتدت من المغرب الأقصى الى السودان الفرنسى والجزائر فتونس فمصر . وصار لها مئات الألوف من الأتباع لما فيها من الغلو فى الدعاوى والخرافات والابتداع وشنيع الكذب والبهتان ، وتفضيل التجانى نفسه على جميع من سبقه من الأولياء وكذا الأنبياء بأمور شنيعة يدعيها فى غاية الوقاحة والفجور . منها ضمان النبى ﷺ له ولأصوله وفروعه وأتباعه ولكل من يكرمه ويحسن اليه ولو بطعام : أعلا منازل الجنة مع رسول الله بغير حساب ، لأن معاصيهم تغفر لهم لأجله ، وهذا نص

كلامه وبهتانه « أسأل من فضل رسول الله ﷺ أن يضمن لى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب أنا وكل أب وأم ولدنى من آبوى إلى أول أب وأم لى فى الاسلام من جهة أبى أو من جهة أمى وجميع ما ولد آبائى وأخواتى من ابوى الى الجد الحادى عشر والجدة الحادية عشرة من وقتهم إلى أن يموت سيدنا عيسى بن مريم ، من جميع الذكور والاناث والصغار والكبار ، وكل من أحسن الى باحسان من مثقال ذرة فأكثر ؛ من خروجى من بطن أمى الى موتى . وكل من له على مشيخة فى علم أو ذكر أو سر ، من كل من لم يعادنى من هؤلاء ، وكل من والانى واتخذنى شيخا أو أخذ عنى ذكرا ، وكل من زارنى وكل من خدمنى أو دعا لى . كل هؤلاء من خروجى من بطن أمى إلى موتى وآباؤهم وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم ووالدى أزواجهم » الخ

(الهدى النبوى) اختصرنا ما ذكره أستاذنا السيد رشيد رحمه الله من كلامهم الفاجر الذى خدعوا به أتباعهم الذين هم أضل من الأنعام ، وأخبث من الشيطان . اختصرناه لأن مجلة الهدى لاتتسع لما كان يتسع له المنار فى وقته رحمه الله : ولعلنا نعود فى العدد القادم ان شاء الله إلى ذكر مخازى هذا التجانى مما بيدنا من كتبهم الكافرة التى حشوها بأفجر الدعاوى بمنتهى الوقاحة ، والتى ما سبقهم اليها ضال ، مثل قول شيطانهم التجانى : قدمى هاتان على رقبة كل ولى خلقه الله . وقوله أخزاه الله : ان صلاة الفاتح لما أغلق تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن . وغير ذلك مما سنشرحه مفصلا ان شاء الله . ونسأله تعالى أن يقطع دابر أولئك المتصوفة المجرمين ، ونحمده أن أنقذنا من هذا الضلال المبين .

محاضرة قيمة

يلقى الدكتور محمد والى خان محاضرة عن الدعوة الاسلامية باللغة الانكليزية ويترجمها على فهمى العمروسى بك . وذلك مساء يوم السبت ١٧ ابريل بدار الجماعة

جملة أسئلة أجاب عليها الأستاذ المحاضر . وكان أهم وأبرز هذه المسائل مسألة توحيد الله تعالى واخلاص العبادة له وحده ، وأن لا يتخذ من دونه شركاء لا يقدرون على شيء

وكان عدد الحاضرين كبيرا ؛ وكان الجمهور ينصتون أتم الانصات إلى الأدلة والحجج المنطقية التي ساقها المحاضر ليبرهن على عظمة الله واستحقاقه العبادة وحده لأنه القوى العزيز المدبر لكل شيء في السموات والأرض

ثم أبان المحاضر أن الطريق الوحيدة لخلاص الانسانية من ويلاتها وما تقاسى من محن ، هي تبديل القلب وتغييره باتخاذ السبيل الروحي والمعنوي للحياة ، ونبذ نظام الغرب الحاضر الذي يقوم على المادة والأثرة ، ويستند الى القوة الغاشمة

وقال الأستاذ : ان قيم الحياة الروحية يمكن أن تكتسبها أوربا وأمريكا إذا اعتنقتا الاسلام ، وعندئذ ، وعندئذ فقط يمكن للغرب أن يطرح نزعته الامبراطورية وأطماعه في التوسع والامتداد ، وحاجته إلى الاستعمار والانتداب ، والى استغلال الشعوب الضعيفة ؛ يستغنى عن ذلك بالحب الأخوى والمودة الخالصة

ومضى الأستاذ المحاضر فقال ان أعظم فيلسوف في انجلترا وهو « كارلايل » قد اختار بحق في كتابه « الأبطال » محمداً ﷺ كالبطل بين الأنبياء وقال « أن صحيفة حياة نبي العرب العظيم منشورة أمامي من عهد الطفولة حتى النفس الأخير »

واستطرد المحاضر بعدئذ فعرج على رأى الكاتب الشهير وفيلسوف العصر الحالي « برناردشو » الذي صرح أنه « اذا احتاج العالم المتكافح إلى سلام مقيم دائم وجب عليه أن يقبل الاسلام دينا ، وأن يؤمن بما دعا اليه محمد العربي »

***

ودامت المحاضرة الثانية ساعتين ، وفي نهايتها أعرب المستمعون عن رضاهم وسرورهم ، وتمنوا لو تتكرر هذه المحاضرات القيمة

على فهمى العمروسى

مجلس ادارة الجماعة

انعقدت الجمعية العمومية لجماعة أنصار السنة المحمدية يوم السبت ٢١ ربيع أول بمركزها العام بالقاهرة ، وأجرت انتخابها المعتاد فأسفرت العملية عما يأتى :

الاستاذ محمد صادق عرنوس وكيلا أول ومديراً للمجلة الأستاذ عبد اللطيف حسين وكيلا ثان . محمد افندى صالح سليمان أمينا للصندوق . سليمان افندى حسونة سكرتيرا أول . وهبى افندى جمال سليم سكرتيرا ثان . ابراهيم افندى حاكم مراقبا . محمد افندى عبد الوهاب البنا مساعداً له . شريف افندى عكاشه . محمد افندى طيفور الشيخ عبد الله الشيخ . عبد الله افندى محمد . محمد افندى حسين هاشم – أعضاء

فنسأل الله ان يوفق اولئك الاخوان للنهوض بالجماعة ، حتى يكونوا عند ظن اخوانهم الذين وضعوا فيهم ثقتهم ، انه سميع مجيب

نماذج عملية جديدة

١ – افتتح الاخوان محمد افندى عبد الوهاب ومحمد افندى البشار وعبد القادر افندى حمص بشارع العباسية رقم ٩٩ أمام قسم الوايلى محلا سموه « بور فو » جلبوا فيه أحسن انواع الخردوات صنفا وشكلا فى هذا الوقت الذى كثر فيه الغش وخربت الذمم – مع الاعتدال فى الأسعار . وقد قال فيه بعض عارفيه :

من زار « بور فو » مرارا   فوقته غير ضائع
يرى الذى ما رآه   من محدثات البضائع

٢ – وكذلك افتتح الاخوان محمد افندى صالح سليمان وشركاه محلا بشارع عبد المنعم بالقرب من دار الجماعة – أوجدوا فيه أجود أنواع البقالة خصوصا السمن المنوفى . فننصح الاخوان جميعاً بمعاملة هذين المحلين فهما أهل للثقة والتشجيع

جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ العدد الخامس الثمن ١٥ مليما السنة السابعة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة دينية علمية إسلامية (شهرية مؤقتاً)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير: محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصري والسودان

و٣٠ قرشاً خارج القطر

الإدارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أبي الهول بالقاهرة

درب الجماميز شارع محمد علي

تفسير القرآن الحكيم

١

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابياً ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله . كذلك يضرب الله الحق والباطل . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . كذلك يضرب الله الأمثال)

« أودية » جمع واد وهو مجرى الماء ومسيله مما انخفض من الأرض « بقدرها » بفتح الدال على قراءة الجمهور ، يعنى على قدر صغر كل منها وكبره « فاحتمل » أى حمل بشدة « زبداً » هو ما يطفو على وجه القدر حين غليانه وعلى وجه الماء حين يجرى من الرغوة والوسخ الذى يكون فى المطبوخ وفى قعر الوادى قبل مجىء السيل . فإن الماء يحمله فى أول جريته ثم يقذف به على جانبيه « رابياً » أى عالياً من الانتفاخ « ومما يوقدون عليه فى النار » وهى قراءة حمزة والكسائى وحفص وابن محيصن ومجاهد وأهل الكوفة « يوقدون » بالياء وقرأ باقى السبعة والحسن « توقدون » بالتاء على على الخطاب يعنى وكذلك أضرب لكم مثلا بالمعادن التى توقدون عليها فى النار « ابتغاء » أى طلب وإرادة « حلية » تتحلى بها نساؤكم من الذهب والفضة وأشباهها من المعادن الكريمة « أو متاع » أى لأجل ابتغاء وطلب الأوانى التى تتمتعون بها فى معايشكم وآلات حرثكم وزرعكم وصنائعكم كذلك « زبد مثله » أى

مثل مافى الأودية التى سال فيها الماء من الزبد كذلك فى هذه المعادن زبد ووسخ يربو ويظهر ويتحلل عنها حين تصهر بالنار ، فتخلص بعد تنقيتها من هذا الزبد نقية صافية صالحة ليتخذ منها الحلية والمتاع الذى ما كان ممكناً مع اختلاطها بهذه الأوساخ والأقذار . و «جفاء» منصوب على الحال . أى مضمحلا متلاشياً لا منفعة فيه ولا بقاء له . والجُفاء - بضم الجيم - اسم لما يجفاه السيل ، أى يرمى به . يقال : جفأت القدر بزبدها وجفأ السيل بزبده وأجفأ وأجفل .

هذان مثلان ضربهما الله للقرآن والقلوب للحق والباطل . فشبه القرآن والعلم الذى أنزله على رسوله ﷺ بالغيث الذى أنزله من السماء ، لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة ومصالح العباد فى معاشهم ومعادهم . وشبه القلوب بالأودية على اختلاف أقدارها فى السعة والضيق . فقلب كبير يسع علماً كثيراً كواد عظيم يسع ماءاً كثيراً ، ثم أقل وأقل وهكذا ، حتى يكون قلب كقناة ضيقة لا يسع إلا علماً قليلا ، وشبه ما يكون فى القلوب من آثار الجاهلية وعبادة الأولياء والموتى والخرافات وتقليد الآباء والشيوخ وكتبهم وآرائهم وتحكيم العادات الموروثة وهوى النفس الجاهلة ، بزعم أن كل ذلك علم ودين يتبع ويرجى من ورائه المثوبة فى الآخرة بالجنة . شبه الله كل ذلك بالوسخ والأقذار التى تكون فى قاع الوديان . فإذا أنعم الله على القلوب وفتحها لغيث القرآن وحياه انطلق يجرى فيها على قدرها . وكلما سرى غيث القرآن فى القلوب كلما قذف تلك الأقذار والزبد وطرحه خارجاً عن القلب فيحيى بعد موته ويهتز وينبت فيه شجرة الايمان الطيبة فتنمو وتفرع أغصانها وتؤتى ثمرها الطيب من العمل الصالح والخلق الكريم والأدب الفاضل . فالقلوب لا بد ملأى بأوساخ وأقذار الشهوات والشبهات ، ولا بد أن يجنى

الانسان من ثمرها الخبيث شركا بالله وفسوقاً عن أمره وطاعة لشياطين الجن والانس فيما يزخرفون من منكر القول والعمل والعقيدة . ولانجاة للقلب من ذلك أبداً . ولا سبيل إلى نظافته ونقائه وصفائه إلا بأن يتفتح لغيث القرآن . ومهما سال فيه من متون وشروح وعقائد ومذاهب وآراء ورقائق وتزهيد على غير السنن الأول والمنهل الذى كان يرده السلف الصالح من معين القرآن والسنة على سنن الاستقامة بدون تحريف ولا تأويل ولا التواء وراء الأهواء ولا زيغ تبع الآراء مهما وردت القلوب من هذه الموارد المعتصرة من حثالات الأفكار والمقذرة زائدالقذر بزبالات الأهواء والتقاليد . فلايزيدها ذلك إلا قسوة وتحجراً وبعداً عن حياة الايمان الصادق الذى لا يكون ولن يكون إلا من روح القرآن وغيث القرآن .

وضرب الله للقرآن والقلوب مثلا ثانياً ، مثّل القلوب بالمعادن المختلفة . فمنها الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص ومثّل هذه القلوب ممتزجاً بها قذر الشبهات والشهوات وهيئتهما بالمعادن حين تستخرج من مناجمها مختلطة بالأوساخ من تراب وغيره من المواد المباينة لتلك المعادن والمانعة من أداء هذه المعادن لوظيفتها التى خلقها الله لها من الحلى والمتاع . وشبّه القرآن بما فيه من نذر وتخويفات وتهديدات ووعيد بما أعد لمن أبقى قلبه معطلا عن الحياة الايمانية النافعة لأنه لم يعمل على تزكيته وتنقيته . شبّه القرآن بما فيه من ذلك بالنار التى ينفخها الصائغ ويوقدها على الذهب حتى يصهره ويذيبه ثم يخلصه سبيكة ذهبية صافية من وسخه مهيأة لاتخاذ النقود والحلى ونحو ذلك وكذلك بقية المعادن الأخرى .

فما فى القرآن من إيمان وعقيدة وأدب وخلق كريم وإصلاح المجتمع وللحكومة وللفرد تنال به الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة وتتحقق به السعادة

لمن أوسع قلبه ونفسه لذلك الغيث الذى يحي القلوب بعد موتها ، ويخرج النفوس من ظلمات الضلال والفساد والشرك والفسوق إلى نور الهدى والصلاح والاصلاح وإخلاص الدين كله لله ظاهراً وباطناً ـ هو المثل المائى فى عذوبته ورقته ولطفه وهذا المثل المائى قد ضربه الله للقرآن وما فيه من الحق والايمان والعقيدة التى تحيا بها النفوس وتسعد ـ فى غير موضع : فى أول البقرة (أو كصيب من السماء ـ الآية) وفى سورة الحديد (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها . قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون).

وفى الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً . فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا . وأصابت طائفة أخرى منها إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه الله بما بعثنى ونفع به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

ومافى القرآن من مواعظ ونذر ، وقصص من عذب الله من الماضين وانتقم منهم بسبب كفرهم وإماتة قلوبهم ـ هو المثل النارى وقد ضربه الله كذلك فى غير موضع للقرآن والحق الذى جاء به رسول الله ﷺ وشبه القرآن به لأنه يخالط القلب الذى يتوجه بوعظه إليه ويتخلله فى كل جزء منه متتبعاً لكل خبث فيه حتى يطرده وينحيه . كما تتخلل جميع أجزاء المعدن وتذيبه فينحل عنه كل خبث مهما كان متوغلا فى الصميم منه .

وشبه الباطل وشبهاته بالزبد مشيراً بذلك إلى أن الباطل مهما ربا وعلا وكثر أنصاره وانتشرت صحفه وكتبه ، واشتد تعلق أهله به فانه لاثبات له ولا بقاء أمام قوة الحق إذا صدق أهله فى الدعوة اليه وتوجيه ضرباته القوية إلى الباطل وأهله فانه لايلبث أن يذهب جفاء ويبقى للناس من الحق والقرآن والهدى ماينفعهم النفع الحقيق فى عقيدتهم وخلقهم وأدبهم ونظامهم وجميع شئونهم ويتبين لهم أنهم يوم كانوا ممسكون بحثالات الأفكار والآراء وتقاليد الشيوخ والآباء والغرور بالكثرة التى هى فى الواقع كالغثاء يتبين لهم أنهم كانوا فى شقاء ونكال . وأن الله استنقذهم بهذا الهدى والقرآن الذى حيت به قلوبهم فعرفت المعروف وأنكرت المنكر . وميزت بين الكفر والايمان والشرك والتوحيد . والخبيث والطيب . وقد كانت من قبله لا تفرق بين الرب والمربوب والخالق والمخلوق ، والغنى الحميد والفقير الذليل . (وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون) .

قال الامام ابن القيم رحمه الله فى كتاب مفتاح دار السعادة :

هذا مثل ضربه الله تعالى للعلم حين تخالط القلوب بشاشته . فانه يستخرج منها زبد الشبهات الباطلة فيطفو على وجه القلب كما يستخرج السيل من الوادى زبداً يعلو فوق الماء ، فأخبر سبحانه أنه راب يطفو ويعلو على الماء لايستقر فى أرض الوادى كذلك الشبهات الباطلة اذا أخرجها العلم ربت فوق القلوب وطفت فلا تستقر فيها بل تجفى وترمى فيستقر فى القلب ماينفع صاحبه والناس من الهدى ودين الحق كما يستقر فى الوادى الماء الصافى ويذهب الزبد جفاء ومايعقل عن الله أمثاله إلا العالمون ثم ضرب الله سبحانه لذلك مثلا آخر فقال (ومما يوقدون عليه فى النار الخ) يعنى أن مما يوقد عليه بنو آدم من الذهب والفضة والنحاس والحديد ليخرج منه خبثه وهو الزبد الذى تلقيه النار

أحاديث الأحكام

٩٣ — وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ قال: «اتقوا اللاعنين. قالوا: وما اللاعنان يارسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم» رواه مسلم

«اللاعنان» أى الأمران اللذان يجلبان لفاعلها لعن الناس وشتمهم ودعاءهم عليه. لما يترتب عليهما من الأذى الشديد والضرر الذي يثير حفيظة الناس وغضبهم فاذا دعوا عليه ولعنوه كان هو الجاني على نفسه تلك الجناية بسبب أذاه الذي أشعل نار غضب من أوذى بنتن ريح فضلاته وتقذيره الموضع الذي لاغنى للناس عنه، وبما يتسبب للناس عن ذلك من انتشار

وتخرجه من ذلك الجوهر بسبب مخالطتها فانه يقذف ويلقى به ويستقر الجوهر الخالص وحده، وضرب سبحانه مثلا بالماء لما فيه من الحياة والتبريد والمنفعة ومثلا بالنار لما فيها من الاضاءة والاشراق والاحراق فآيات القرآن تحيي القلوب كما تحيا الأرض بالماء وتحرق خبثها وشبهاتها وشهواتها وسخائمها كما تحرق النار مايلقى فيها وتميز جيدها من زبدها كما تميز النار الخبث من الذهب والفضة والنحاس ونحوه منه اه

جعلنا الله من العالمين الذين يعقلون عن الله أمثاله وينتفعون بها فى تقوية إيمانهم وتثبيت عقيدتهم وزيادة هدى قلوبهم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ومن اهتدى بهداه.

محمد حامد الفقى

الأمراض والأوباء المختلفة . وليس النهى قاصراً على طريق الناس والموضع الذى يستظلون به ، بل ذكر هذين الموضعين فى هذا الحديث يقصد منه كل مكان يتخذه الناس مرفقاً لهم ومنزلا فى الدور أو الغيطان أو الشوارع والأزقة ونحو ذلك، والحديث يدل على شدة عناية النبي ﷺ واهتمامه بالنظافة فى كل مايتصل بمساكن الناس ومنازلهم ومجالسهم ، وتحذيره من أن يتسبب المسلم فى تقذير تلك المواضع . وتلويثها بفضلاته سواء من البول والغائط . وغيرهما من زبالات وكناسات يترتب عليها من القذر والضرر ماينتج من البول والغائط . ويتبين من ذلك أن الإسلام أحرص الشرائع على النظافة والمحافظة على الصحة وتنقية الجو من كل مايفسده من ريح ونتن ومن منظر كريه يؤذى العين والأنف وينغص الحياة . ويستوجب اللعن والدعاء على المتسبب فيه . ولو أن الناس اتبعوا تلك الشرائع الحكيمة والآداب الكريمة لسلمهم الله مما يشكون من أمراض وأوباء ومن خصومات وعداوات كان أغلب أسبابها تركهم لشرائع الاسلام وآدابه .

والحديث رواه أحمد وأبو داود . ومثله ماروى أبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد الحميرى عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ : «اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل » قال ابن ماجه حديث مرسل لأن أبا سعيد لم يسمع من معاذ . وأخرجه الحاكم وصححه ابن السكن « الموارد » أى المياه التى يردونها للشرب والاستقاء وسقى الدواب . وروى الحاكم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « من سل سخيمته ـ أى غائطه ـ على طريق عامرة من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وإسناده ضعيف . وأخرج الطبرانى فى الكبير باسناد حسنه الحافظ المنذرى عن حذيفة بن أسيد أن النبي ﷺ قال : «من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت

عليه لعنتهم » وأخرج الطبراني عن ابن عمر النهي عن قضاء الحاجة تحت الأشجار المثمرة وضفة النهر الجاري». وروى أبو داود في مراسيله عن مكحول قال « نهى النبي ﷺ أن يبال بأبواب المساجد » وروى ابن ماجه باسناد قال الحافظ المنذري : رواته ثقات - عن جابر بن عبد الله قال قال النبي ﷺ «إياكم والتعريس على جواد الطريق والصلاة عليها فانها مأوى الحيات والسباع وقضاء الحاجة عليها فانها الملاعن » .

٩٤ - وعن حميد بن عبد الرحمن الحميري قال : (لقيت رجلا صحب النبي ﷺ كما صحبه أبو هريرة قال : نهى النبي ﷺ أن يمتشط أحدنا كل يوم أو يبول في مغتسله) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم . وهذا الرجل المبهم هو الحكم بن عمرو الغفاري قاله ابن السكن .

(الحكم بن عمر والغفاري) صحب النبي ﷺ حتى توفي . ثم سكن البصرة . واستعمله زياد بن أبيه على خراسان من غير قصد منه لولايته . إنما أرسل زياد يستدعي الحكم فمضى الرسول غلطاً منه وأحضر الحكم بن عمرو . فلما رآه زياد قال : هذا رجل من أصحاب النبي ﷺ واستعمله عليها وغزا الكفار فغنم غنائم كثيرة فكتب إليه زياد (إن أمير المؤمنين - يعني معاوية - كتب أن يصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم في الناس ذهباً ولا فضة) فكتب إليه الحكم (بلغني ماذكرت من كتاب أمير المؤمنين . وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين . وإنه والله لو أن السماء والأرض كانتا رتقاً على عبد ، ثم اتقى الله تعالى جعل له مخرجا والسلام) وقسم الفيء بين الناس . وقال الحكم : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك فمات بخراسان بمرور سنة خمسين اه من أسد الغابة .

وحميد بن عبد الرحمن الحميري البصري الفقيه . روى عن أبي هريرة

وأبي بكرة وغيرهما. وهو من رجال الصحيحين وثقه العجلي، وقال ابن سيرين هو أفقه أهل البصرة.

والحديث يدل على أنه ينبغي للانسان أن يعنى بنظافة شعر رأسه وأن يمشطه ولكن لا يكون ذلك كل يوم، حتى لا يكون متشبها بالنساء اللاتى أكثر همهن التجمل والتزين. فيجر ذلك إلى التخنث، كشأن أكثر شبان زمننا الذين بزوا النساء فى تصفيف الشعر وتزجيج الحواجب وصقل الخدود. فصاروا أشبه بالنساء وليتهم كانوا نساء، فليسوا بنافعين لوظائف النساء ولا نافعين لوظائف الرجال. وفرق عظيم بين النظافة فى الجسم والشعر والثياب التى يأمر بها الاسلام. وكان النبي ﷺ أحرص الناس عليها وأكمل مثلها. وبين هذا التجمل والتخنث الذى قتل الرجولة وأفقد الأمة خير ماتعتز به من شبابها ورجالها.

وقد روى أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وصححه عن عبد الله بن المغفل أن النبي ﷺ (نهى عن الترجل ـ وهو مشط الشعر ـ إلا غباً) أى فى كل أسبوع مرة كما روى ذلك عن الحسن، أو يوماً بعد يوم كما فهمه الامام أحمد. وروى النسائى عن أبي قتادة «أنه كانت له جمة ضخمة فأمر النبي ﷺ أن يحسن إليها ويكرمها» وروى أبو داود عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من كان له شعر فليكرمه» والمراد من هذه الأحاديث شدة العناية بنظافة الشعر خشية مايتجمع فيه ويتولد من الوسخ والقمل المؤذى والذى يجلب على صاحبه وعلى الناس ضرراً عظيما. ويدل على أن من لم يتيسر له إكرام الشعر ونظافته فليزله بالحلق أو القص المحفى الذى لا يبقى معه محل للوسخ والقمل.

وفى الحديث النهى عن البول فى المغتسل. والمراد به موضع الاغتسال

تحفظاً مما يصيب الانسان من رشاش الماء. وقد علل النهى فى حديث عبد الله بن مغفل الذى رواه أحمد وأصحاب السنن ـ وقال الترمذى غريب أن النبي ﷺ قال « لا يبولن أحد فى مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه » أى إنه مظنة الوسواس وذلك حين يكون المستحم مجتمعاً لماء: أما إذا كان الماء جارياً إلى خارج المستحم، بحيث لا يجتمع بل يذهب أولاً بأول، ويتبعه الماء الطاهر. كالمستحمات التى لها بالوعات على المجارى. فان ذلك لا بأس به ولا شيء فيه. وأن نجس البول الرخام أو البلاط فليرق عليه ماء طاهراً فان الأرض عندئذ تطهر. وما يصيب الانسان بعد ذلك من رشاشها لا يستجلب الوسواس إلا عند المتنطعين الذين غلبهم الجهل، أو تحكم فى رءوسهم شيطان الغلو. وهكذا الشأن فى كل أرض صلبة كالرخام والحجارة ونحوها يصيبها البول ويراق عليها الماء الذى يجرى إلى البالوعة فانها تطهر بذلك الماء فى أى موضع وأى مكان. والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله ومن تبعه. ونسأله سبحانه أن يجعلنا من حزبه المفلحين وأن يحفظنا من الوسواس والشيطان الرجيم.

محمد حامد الفقى

تجديد الاشتراك

اضطرتنا ظروف قهرية الى قطع المجلة عن كل مشترك فيها لم يجدد اشتراكه فمن أحب منهم ارسال مافاته منها فليرسل ٢٠ قرشا فى داخل القطر و ٣٠ فى الخارج

داؤنا ودواؤنا

٩ — الزهد

شاءت العناية الإلهية أن تزود الإنسان بغرائز تحفزه إلى العمل على ما يصون حياته ويحفظ ذاته . ويستبقى نوعه . حتى يعيش فى نفسه ، ويخلد فى نوعه الى أجل مسمى . ولولا هذه الغرائز لهلك كما تهلك نبتة ضئيلة حيل بينها وبين الهواء والغذاء والماء . ولانقرض نوعه كما ينقرض نوع شجرة فئة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار .

من هذه الغرائز التى فطر الله الناس عليها غريزة الاقتناء والتملك . وهذه الغريزة إذا استحوذت على الانسان ، نخضع لسلطانها القاهر ، واستخذى لقوتها الغالبة دفعته إلى أن يحرز كل ما تصل إليه يده . وكل ماتناله قدرته . مهما تكن الوسائل التى يتذرع بها إليه . وما الحروب التى شقى بها الناس فى كل زمان ومكان ، وسفكت فيها الدماء ، وازهقت أرواح الأبرياء ، وتمزقت الأوصال ، وتقطعت الأشلاء . وذاق الناس من أهوالها ما تقشعر له الجلود ، ورأوا من ويلاتها ما تشيب له ناصية الوليد — إلا أثر من آثار هذه الغريزة النزاعة التى تدفع الى الاستئثار بالمنافع ، وتنازع البقاء .

كان من أثر هذه الغريزة أن الاقوياء هم الذين كانوا يستأثرون بالخير ، ويملكون موارد العيش ، ويستمتعون بخيرات الأرض ، ولاينال الضعفاء منهم إلا ما يسد الرمق . ويبقى على الذماء جزاء ما يقومون لهم من خدمة وما يؤدون من عمل .

وإنك لاتزال ترى فى كل مدينة من المدن أو قرية من القرى ، أسرة من الأسر تملك من الثروة أكثر مما تملكه القرية كلها أو المدينة كلها ، وتستأثر دون أهل القرية بالسلطان والسؤدد ، ذلك بأن عميدها كان فى حين من الدهر يستمتع بقسط من القوة المادية أو المعنوية طوع له التغلب واحتياز ما سولت له مطامعه أن يحتاز

وهذه الظاهرة تلقاك أنى حللت من بقاع الارض . وحيث نزلت من أنحائها .

وليس الأمر قاصراً على الأفراد والأسر ، بل ينتظم الأمم والشعوب والممالك جميعـــاً .

فالدول التى أتيح لها من أسباب القوة والغلب ما لم يتح لغيرها هى التى تبسط سلطانها على الأمم المستضعفة . وتستأثر دونها بموارد الرزق وينابيع الثروة .

هذه الغريزة هى التى غذت فى الناس رذائل الأثرة والطمع والشح ودفعت إلى السرقة والغصب والنهب وقطع الطريق والخداع والاحتيال لأكل أموال الناس بالباطل . فالأقوياء يغتصبون وينهبون ، والضعفاء يحتالون ويخادعون ويمكرون

اقتضت حكمة الله أن يجعل الانسان خليفة فى الأرض وشاءت رحمته أن يصطفى من الناس رسلا يبعثهم الى أقوامهم مبشرين ومنذرين ، ليهدوهم إلى ربهم، ويبلغوهم شرائعه حتى يكبحوا من جماح غرائزهم ، ويحدوا من طغيانها ، ويقلموا أظفار سلطانها ، ويكفوا من غلوائها ، فيقفوا عند حدود ما أنزل الله على رسله حتى يكون لكل امرىء فى متع الحياة وخيراتها نصيب . وحتى يكون نصيب كل عامل على قدر عمله . وحتى لايستأثر القوى بالمنافع دون الضعيف ، وحتى لايعتدى قادر على عاجز . فيسلبه كده وجده بغير حق .

جاءت الشرائع بالتزهيد فى الدنيا حتى تقف قوة الدين والعقيدة فى وجه النوازع الفطرية ، والغرائز الدافعة إلى التملك والاستئثار ، فيقف الديانون من هذا التدافع فى منزلة وسط بين التهالك على العاجلة . والزهد التام فيها ، تدعو الغريزة الى الجمع والايعاء . ويدعو الدين الى الزهد فيقف الانسان بينهما آخذاً من كل بطرف، يبغى بما آتاه الله الدار الآخرة ، ولا ينسى نصيبه من الدنيا .

جاءت الشرائع بالتزهيد فى الدنيا لتعزى المستضعفين الذين لا تمكنهم قواهم الجسمية من العمل الكثير المنتج للخير الوفير ، أو الذين لاتيسر لهم ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية الجمع والادخار ، كهؤلاء الذين ألقت ظروف الحياة على كواهلهم أعباء الانفاق على أسر كثيرة العدد ليس بين أفرادها كاسب . أو كهؤلاء

الذين يعيشون تحت سيطرة دولة غالبة لا تبيح لهم الاستكثار من الخير ، أو لاتدعهم يستمتعون بما كسبوا ، فمثل هؤلاء تذهب أنفسهم حسرات على مافاتهم من الدنيا لو لم يجدوا فى نصوص الشريعة مايعزيهم عن هذا الحرمان .

جاءت الشرائع بالتزهيد فى الدنيا لتيسر للناس سبيل الانفاق فى سبيل الله أو الجماعة أو سبيل النفع العام حتى لا يحملهم الشح الذى أحضرته أنفسهم على فصم عرى التضامن الاجتماعى ، وبث أواصر التعاون القومى . وفى ذلك ما فيه من الافضاء الى هلاك الدولة وفنائها أو على أقل تقدير - ضعفها واضمحلالها .

* * *

لاينهانا الدين عن العمل والجد وكسب المال من وجوهه المشروعة . إنما ينهانا عن أن نكسب الحرام أو نظلم الناس أو نأكل أموالهم بالباطل أو يلهينا العمل للدنيا والصفق فى الأسواق عن إقامة الدين وأداء حقوق الله .

يبيح لنا الدين أن نجمع ماوسعنا جمعه من المال ما دمنا نتوخى الحق والعدل ونجتنب الظلم والفسق والخداع - على أن نؤدى حق الله فيما خولنا وأن نعرف حق السائل والمحروم فى أموالنا

إن صلاح الدنيا يعين على صلاح الدين ، والدنيا مزرعة الآخرة ، ومن لم تكن له دنيا صالحة يخشى عليه ألا تكون له آخرة صالحة وكاد الفقر يكون كفراً

إن رذائل كثيرة يلدها الفقر ، وتغذوها الحاجة ، وتنميها المتربة . فالذلة والاستكانة والخنوع والسرقة والغش والخداع والاحتيال والدجل لايوسوس بها فى صدور الناس إلا الفقر - (الفقر الحق أو الموهوم)

والغنى يلهم كثيراً من الفضائل . فالعزة والكرامة والبذل والكرم والبر والاحسان والشجاعة كلها ولائد الغنى والميسرة

ما جهز عثمان بن عفان ذو النورين جيش العسرة ، ولا تصدق بعير موقرة طعاماً على فقراء المسلمين إلا عن غنى - ولو كان فقيراً ما وجد الى هذا الفضل سبيلا كان رضوان الله عليه - يستمتع بهذا الثراء الواسع وكان من خيرة الزاهدين ولا

يمارى فى ذلك إلا مكابر .

كان المسلمون الأولون الذين فهموا الاسلام كما أنزله الله ، وكما بينه رسول الله ، قد جمعوا بين العمل للدين ، والسعى للدنيا ، وقسموا جهدهم بينهما قسمة سواء فلم يضر سعيهم للدنيا بدينهم ، ولم يؤثر عملهم لدينهم بدنياهم . وقد أثر سلوكهم هذا فى نظامهم الاقتصادى والاجتماعى تأثيراً رائعاً فتح عليهم الدنيا ، وملكهم الأرض وجاءهم برزقهم رغداً من كل مكان

* * *

مضى المسلمون على هذا حيناً من الدهر والأمور جارية على أذلالها ، والأخلاق عظيمة ، والعقائد سليمة ، والتقوى تملأ القلوب ، والإيمان حاكم على الناس ، والناس حراص على الدين عاملون للدنيا ، والإسلام عزيز جانبه منيع حماه ، لايطمع فيه الطامعون ، ولا ينال منه الحاسدون ، حتى نجمت طوائف تاقت أنفسها إلى الملك والسلطان وأغراها شيطان الطمع بالعمل للظفر بما صبت أنفسها اليه . ولكنها كانت أقصر باعاً ، وأضيق ذرعاً من أن تناله ، فانقلبت تذم الدنيا ، وتعيب المقبلين عليها والظافرين بها فكان مثلهم كمثل الثعلب الذى زعموا أنه رأى الأعناب متدلية من أعراشها فراقه شكلها وأراد أن ينال منها فحاول ذلك مراراً فلم يفلح فانصرف وهو يقول إنها مرة بشعة الطعم !

أعرضوا عن الدنيا وذموها ، ومدحوا الفقر ودعوا اليه . ووجدت هذه الدعوة مرتعاً خصيباً بين المتصوفة الجاهلين فنمت وترعرعت وأزهرت وأثمرت تلك الثمار المرة الكريهة البشعة التى لاتزال البلاد الاسلامية تقاسى آلام سمومها إلى الآن

تفشت فى الناس روح الزهد فى الدنيا والرغبة عن العمل ، فساد سلطان الكسل والتقاعد ومهد السبيل للفقر الذى ولج فى كل بيت من بيوت الديانين ، فصاروا ينظرون إلى الغنى نظرة تشف عن ازدراء واحتقار ، وكأنه فى نظرهم ليس صالحاً ولا مؤمناً ولا ديانا

كأن هذه العقيدة سرت اليهم من العقيدة المسيحية التى كانت تغزى معتنقيها عن

لام الفقر الذى هوى بهم إلى حضيضه خضوعهم للطغيان الرومانى فى فجر المسيحية فكان عزاءهم أن يقال لهم : (ان الغنى لن يدخل ملكوت السموات) لتعزف انفسهم عن الغنى وتتعزى عنه . وتقر عينا باصطحاب الفقر وارتداء أسماله البالية والقبوع فى أكسار اكواخه الحقيرة المتداعية ، وترضى بالكفاف من الخبز القفار ، والماء الرنق حتى يوافيها الأجل المحتوم فتنتقل ـ ملكوت السموات . وتنعم بما اعتاض عليها أن تنعم به فى الحياة الدنيا . تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

ارجع البصر هل ترى بين هؤلاء الذين تحرص على محاكاتهم والتمثل بهم فتميزاً واحداً ؟

لقد حاربوا الفقر وانتصروا عليه على الرغم من دعوة دينهم ، واصبحت الثروة فى ايديهم والغنى حليفاً لهم . وحالف المسلمون الفقر فأناخ بكلاكله فوق صدورهم عدوا الفقر طاعة وعبادة وتقوى ، وزلفى الى الله ، وندبت طائفة منهم نفسها لتبشر به وتدعو اليه . اولئك هم جهلة المتصوفة الذين لا يزالون ينفثون سمومهم فى الامم والذين هم داء الأمة العضال ، ومرضها القتال . اولئك الذين يزهدون فى كسب الحلال وتشرئب أنفسهم إلى ما فى أيدى الناس يلتهمونه بشر الوسائل من الخداع والتمويه والاتجار بدين الله والاحتيال باسمه على الناس .

هذا وضع للزهد فى غير موضعه ، وإبراز له فى غير زيه وتجلية له فى غير ثيابه الزهد الحق أن ترغب عما فى ايدى الناس مما ليس لك فيه حق ، والا يدفعك الحرص والجشع على أن تخدعهم عما يملكون ، والا تلوى بحق الله فى مالك بل تخرجه طيبة به نفسك ثم تدفعه إلى مستحقيه من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين أو تنفقه فى سبيل الأمة ومصلحة الجماعة والنفع العام . فإن فعلت كنت من الزاهدين ولو ملكت القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث .
الزهد الحق ما كان عن ظهر غنى وميسرة . أما ما كان عن معجزة فليس من الزهد فى شيء . إنما هو العجز والضعف والخيبة والفشل والحرمان والفقر وسقوط الهمة

وضعف العزيمة والجبن والخور . الزهد أن تستعف عما لا تحل لك . وأن تنف عند حدود الله عن قدرة واستطاعة ، وأن تقدع نفسك إذا استشرفت لما ليس لك فيه حق أو تطلعت إلى مامتع الله به الناس من دونك .

ليس التعود عن العمل والكسب وانتظار مايجود به العاملون الكاسبون — زهداً إنما هو الاسفاف والفسوق والذلة والمهانة والاصغار وإراقة ماء الوجه . ونضوب معين الحياء .

الزهد الباطل داء عقام ينخر فى جسم الأمة ويهد كيانها ويقضى على الروح العاملة فيها ويفنى ثروتها . ويهلك حرثها ونسلها ويجعل ديارها فريسة للطامعين . ونهبة للناهبين ولقمة سائغة للآكلين .

أما الزهد الصحيح فدواء ناجع فيه العزة والكرامة والهمة والشهامة . والمروءة والنجدة . والعمل النافع . والسعى المجدى والكسب الشريف الذى يصون ماء الوجه ويحفظ الحياء . وينمى الثروة ويهب القوة والجاه والمنعة ، ويدفع الى التعاون على البر والتقوى وحماية الدار ورعاية الذمار ، والذود عن حياض الوطن . ويمد الأمة بالمهابة والعظامة والسيادة ويجعلها ذات شوكة تحميها ، وقوة تذود عن كيانها وتحمى حمادا

دواؤنا أن نزهد فى هذا الزهد الكاذب ، وأن نتورع عن الورع الزائف وأن نعمل ونجد ونكدح فى سبيل الظفر بدنيا صالحة نشترى بها آخرة صالحة قال تعالى (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون . قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن والاثم والبغى بغير الحق . وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) .

وقال تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة . ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين) .

وفى الأثر : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

ذلك هو الدواء الناجع ، ورحم الله امرأً استطب لدائه ، وبحث عن دوائه وحرص على شفائه . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟ أبو الوفاء محمد درويش

الدعوى الى العصبيات

دعوى جاهلية ـ لا يقرها الاسلام

«ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» قرآن كريم ــ من سورة الحجرات .

« وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون» قرآن كريم من سورة سبأ

«إن الله قد أذهب عنكم عبية (١) الجاهلية وفخرها بالآباء . مؤمن تقى أو فاجر شقى أنتم بنو آدم وآدم من تراب» حديث صحيح .

منذ أن فشا التخاذل بين المسلمين ودب فيهم الوهن الذى أصاب الأمم من قبلهم والذى فسره الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم بأنه حب الدنيا وكراهية الموت ـ نسوا ذلك الرباط القدسى رباط الأخوة فى الدين الذى كان يجعلهم كالجسد الواحد إذا شكا منه عضواً تداعى له سائره بالسهر والحمى وهوالذى من الله به على سلفهم الصالح فى قوله تعالى : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) فكان من أثره هذه القوة الخارقة التى فتحوا بها العالم المعروف يومئذ لافتح جبرية وطغيان وفساد بل فتح تهذيب وتثقيف وإرشاد . هذه القوة التى مازالت موضع دراسة المفكرين من جميع الأمم إلى يوم الناس هذا فما يزيدهم البحث إلا إكباراً لعناصرها وإعظاماً لمآثرها .

نعم عند ماتدلى المسلمون إلى هذا الدرك أخذوا يتداعون إلى بعث العصبيات الجاهلية ويضفون عليها نعوتاً لاتجعل سافلها عالياً ولاعاطلها حالياً كأن يسموها الأمجاد القومية والمفاخر الوطنية فأخذ سكان كل قطر من أقطارهم يتغنون بآثار آبائهم الأولين التى ما جاء الاسلام إلا ليزيلها ويضع مكانها رابطة تضم سكان

---

(١) بضم العين وتشديد الباء : الكبر

البسيطة جميعاً فلا تضيق بانسان منهم مهما اختلفت العادات وتباعدت الجهات فكان نظاماً عجباً وآخى بين الناس وأزال الفروق من بينهم فتلاشى به نظام الطبقات ذلك النظام الذى كان وما زال عدو الانسانية اللدود .

ولم تنجح دسيسة مهما عظم ضررها وتطاير شررها نجاح هذه الدسيسة فى فصم عروة المسلمين وتشقيق عصاهم . ومانالت منهم مصيبة ما نالت منهم هذه البدعة عند ماقامت فرقة تدعو إلى الطورانية وفئة تنادى بالأشورية وأخرى تفاخر بالفرعونية حتى لقد أوحى شيطان الاستعمار إلى بعض هاتيك البلاد أن تتحاكم إلى الشريعة البربرية !! حتى حجب ظلام هذه النعرات ودخانها القاتم نور الدعوة إلى الجامعة الاسلامية .

وليس بغريب أن تستهوى هذه العصبيات الجاهلية بعض الأمم الأعجمية ولكن الغريب العجيب أن أبناء العرب أنفسهم وقعوا فيما وقع فيه غيرهم وهم الذين يعرفون من مرامى الكتاب وأسرار السنة مالايعرفه سواهم فهم سلالة الأمة التى نزل بلغتها القرآن واختير منها محمد صلى الله عليه وسلم ليكون رسولا ومعلماً للناس كافة .

والذى يحز فى النفس أن ترى من بينهم من ينادى بهذه العصبيات الجاهلية كالفرعونية والأشورية وغيرهما لمعان إن صح أن فيها شيئاً من الخير فهو لايقاس بجانب ماتحمله وتفيض به من شرور ومخاز وآثام من بينها الشرك فى أبشع صوره وأحط دركاته. وناهيك بعبادة العجول والجعلان وكثير من الحيوان والكواكب مما يعطينا فكرة صحيحة عن أولئك المتفخر بهم من حيث انحطاط درجة تفكيرهم إلى تحت الصفر !! ومبلغ فخر قصار النظر بمثل أولئك المشركين السذج بينة أقيمت على الظلم الصارخ والاستعباد البغيض أو فن بداهة العقل بسخفه وبالغ ضرره أو حكمة قالها حكيم من أولئك القدامى لاتساوى مساحة ماهى مدونة فيه من ورق وغير ذلك من مفاخر بزعمهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

نعم إن إثارة مثل هذه العصبيات مناط لوم شديد لمن دعا إليها ولكن هناك

دعوة يظن أهلها أنها سليمة لا جناح على من قام بها ولاملامة . تلك هى الدعوة إلى العصبية العربية أو كما يسميها دعاتها «الجامعة العربية» نحن لاننكر أنها أرحب ذرعاً وأوسع دائرة من باقى العصبيات ولكنها عصبية على كل حال لها خصائص العصبيات القومية وما ينشأ عنها من فصم عروة المسلمين وتشقيق عصاهم وقطع الوشائج القدسية التى عليها مدار عزتهم لأنها تحد من معنى الاسلام الذى جاء ليؤاخى بين أفراد البشر جميعاً لافرق بين جنس وجنس ولا بين قوم وقوم حيث أنهم ينتهون جميعاً إلى آدم وآدم من تراب وإنما التفاضل بالأعمال والكرامة عند الله بالتقوى . فمن آثار الدعوة إلى العصبية العربية تفضيل العربى النصرانى والعربى اليهودى بل والعربى اللادينى على المسلم الصينى والمسلم الهندى والمسلم الجاوى ولو كان لكل أولئك فى الاسلام المقام المحمود .

ولست أدرى كيف قابل بعض الناس ممن كنا نظن فيهم العقل والبصر بعواقب الأمور هذه الدعوة فى الأيام الأخيرة فى مصر وغيرها من البلاد العربية بالترحاب والسعى فى تحقيقها مع أنها دعوة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب . فليتصوروا عمق الهوة التى تفصلهم عن إخوانهم المسلمين من غير العرب إذا ماتشبثوا بهذه الفكرة الخاطئة وحصروا هذه الجامعة الرحبة التى تضم بين جناحيها جميع من تشهد لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة فى أنحاء المعمورة - فى محيط ضيق لايتعدى الناطقين بالضاد .

وماذا عليهم لو تناولوا الداء من أساسه وبحثوا فى أسباب تأخر المسلمين جميعا فعالجوها ونصبوا أنفسهم معلمين ودعاة للاسلام كما كان أسلافهم حملة مشاعل الهداية إلى الناس كافة لا أنهم يأرزون إلى عروبتهم فينظر إليهم المسلمون الآخرون نظر الغريب إلى الغريب .

إن نصوص القرآن والسنة وتطبيق الرسول لهذه النصوص فى عهده واتباع أصحابه له فى هذا التطبيق دالة على ماذهبنا إليه من حيث أن الاسلام لايفرق مطلقاً بين جنس وجنس أو بين قوم وقوم وإنما هو دين الانسانية فى أرقى معانيها

المساواة الحقة والديمقراطية الصحيحة المعقولة . فيكفى أن يعمل إنسان ـ كائناً من كان ـ بالقاعدة العامة التى يقول الله فى تمرينها «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» فاذا به من أبر أبناء الاسلام وأعزهم عليه . وهذا رسول الله ﷺ يقول فى مبدأ المساواة بل والاندماج وزوال الفروق : المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

واستمع إلى جابر بن عبد الله كيف يروى عن رسول الله ﷺ «اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار . فنادى المهاجرى يالِلمهاجرين . ونادى الأنصارى يالِلأنصار فخرج رسول الله ﷺ فقال ما هذا ؟ أدعوى الجاهلية قالوا : لا يارسول الله الا أن غلامين أقتتلا فكسع أحدهما الآخر فقال لا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً : ان كان ظالماً فلينهه فانه له نصر . وان كان مظلوماً فلينصره » ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث فى كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مانصه : فهذان الاسمان (المهاجرون والأنصار) اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة وسماهما الله بهما كما سمانا المسلمين من قبـــل وفى هذا

وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله ليس من المباح الذى يقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار ولا من المكروه أو المحرم كالانتساب إلى مايفضى إلى بدعة أو معصية أخرى ثم مع هذا لما دعا كل منهما طائفته منتصراً بها أنكر النبى ﷺ ذلك وسماها دعوى الجاهلية حتى قيل له إن الداعى بها إنما هما غلامان لم يصدر ذلك من الجماعة . فأمر بمنع الظالم وإعانة المظلوم ليبين النبى ﷺ إن المحذور انما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقاً فعل أهل الجاهلية اه وحدث أبو عقبة وكان مولى من أهل فارس قال : شهدت مع رسول الله ﷺ أحداً فضربت رجلا من المشركين فقلت خذها منى وأنا الغلام الفارسى فالتفت إلى فقال هلا قلت خذها وأنا الغلام الأنصارى وهو وإن لم يكن أنصارياً إلا بالولاء . ولكن انتسابه الى الأنصار فيه معنى أعم وهو أشبه أن يكون انتساباً للاسلام وهى الفكرة العامة لأن الاسلام لم يكن يخرج إذ ذاك عن

المهاجرين والأنصار. وليست كلمتى هذه فى حاجة إلى إيراد النصوص من الكتاب والسنة فأساس الأسلام هو المساواة بين الناس جميعاً ولا يأتى إلا إذا رمى المسلم ببصره إلى حيث يوجد أخوه المسلم فيكون معه بقلبه وروحه إن عجز أن يكون معه بشخصه. والقبلة التى أمروا أن يتجهوا اليها فى صلاتهم رمز ماثل لهذه الوحدة المتماسكة. إذن فليس من المصلحة فى شيء خصوصاً فى العهود الأخيرة التى بلغت أحوال المسلمين فيها من الضعف مالا يخفى على أحد - أن نخلق أسبابا تزيد فى ضعفهم وتنهر دامى جراحهم ببعث العصبيات على أية صورة من صورها بل الواجب أن ندعوهم الى أن الانضواء تحت راية الكتاب والسنة حتى يروا فى مرآتهما جرائيم هذا الضعف فيعملوا على التخلص منها جهد طاقتهم، ولعل فى هذه الحرب ما يحفزهم إلى ذلك فيبعثهم الله أحياء بعد موتة طال عهدها وما ذلك عليه بعزيز.

وهذه قصيدة سبق لى نظمها بعنوان (جامعتنا وقوميتهم) أنشرها تكملة لبحثى هذا:

أتنيد شيئا حسرة المتحسر	فى رد أيام الزمان المدبر
أيام كان المسلمون بحالة	م هو بة والعود صلب المكسر
أيام كان الدين ملء قلوبهم	فأتوا على كسرى العظيم وقيصر
كرمت نفوسهم فلم يجدوا لها	ثمنا فباعوها لأكرم مشترى
ومضوا ومشكاة الهدى بيمينهم	يهبون للأعمى أداة المبصر
بهم استقام على الطريقة معشر	ناهيك فى عصيانه من معشر
قرعوا على سمد الضلال رقى لهم	فاذا المخدر منه غير مخدر
أقوى العناصر فى نفوس دعاته	الشر قد تركوه أضعف عنصر
كانوا إذا اتجهوا لأبعد غاية	كفل النجاح لهم عفاف المئزر
لم يفتحوا الدنيا بحد سيوفهم	لكن بأخلاق الكريم المؤثر
ما إن أتت بلدا طليعة جيشهم	إلا تطور بعد خير تطور
تبدو له حربا فلما يبتلى	أخلاقها يسبيه صدق المخبر

المرأة في عهـــد النبوة

وفى عصرنا الحاضر (١)

كان أمر المرأة فى تاريخ العالم القديم والحديث عجباً ، كانت تشرى وتباع ، وتكره على الزواج والبغاء ، وكانت تملك وتورث ، ويتصرف فيها الرجل على سواه كأنها سلعة . ولم تكن الأمم الأخرى أقل اضطهاداً لها أو امتهاناً لها من عرب الجاهلية . وليس هذا موضع بتفصيل تاريخها عندهم ، وإنما الكلام فيما كانت عليه قبل الاسلام وفيما ارتفعت اليه بعده

كان العرب فى العهد الجاهلى فريقين : منهم من عبد المرأة بعـــد أن جعلوا الملائكة إناثا ، وجعلوهم بنات لله . ومنهم من وأدها أو أبقاها فاضطهدها ، وما

تمشى الفضيلة حيث يمشى ركبهم ... بل أنها معهم أبر العسكر

لولا قيامهم على استنباتها ... لم تظفر الدنيا بغصن مثمر

الدين عندهم الرباط وإن نأى ... ما بين أسودهم وبين الأصفر

مازال كوكب سعدهم فى رفعة ... ما كان همهم زوال المنكر

حتى إذا وكلوا الى شهواتهم ... وغدوا أساراها بدون تدبر

قطعوا العلاقات التى ربطتهم ... ربط القرابة من قديم الأعصر

ودعوا لجهلهم الى قومية ... تركتهم شاة بكفى قسور

وكذا التفرق ان أصاب جماعة ... يجعل عدوهم عليهم يجترى

كانت على الاسلام شر بلية ... مسعاتهم هذى وأخطر مصدر

حصروا الذى يجب اتساع نطاقه ... خسروا وأى مصال لم يخسر

محمد صادق عرنوس

---

(١) محاضرة لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار ألقاها فى ردهة المجمع العلمى العربى بدمشق الشام

ورد فى القرآن الكريم أصدق مثال للحال التى كانت عليها العرب قبل الاسلام . فهو يقص علينا كيف عبدوا الأنثى . ومن آياته فى ذلك قوله تعالى (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون) وقوله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً . أشهدوا خلقهم ؟ ستكتسب شهادتهم ويسألون وقالوا . لو شاء الرحمن ماعبدناهم ، مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) فهم لم يعبدوا الملائكة حتى جعلوهم بنات . وجعلوهم إناثا

وقال فى الفريق الآخر الظالم الآثم (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون ، وقال (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) فهذه الطفلة التى كانت تعيش ذليلة مهينة . أو تدس فى التراب حية دفينة ستقول : يارب قتلت بلا ذنب

هذان طرفان ذميمان من معاملة الأنثى فى الجاهلية . فلما جاءهم الاسلام أبطلهما معا ، ومنحها حقوقها ، وعرفها واجباتها ، وأنزلها المنزلة اللائقة بها ، وآية (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) لايوجد فى أرقى الشرائع القديمة والحديثة قانون أعدل ولا أجمع منها ، إذ قد ساوت بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات ولم تعين هذه الحقوق والواجبات لأنها تتبع العرف وتختلف باختلاف الطبقات والشرائع والعادات . وخصت الرجال بدرجة الرآسة إذ لابد لكل جماعة أو أسرة من نظام ، ولابد لكل نظام من رئيس منفذ ، والرجل أولى بتطبيق النظام المنزلى وتنفيذه . لأن له من القدرة على الرعاية والحماية والكسب والانفاق ماليس لها ، وهذا المراد من الآية الكريمة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . لكن هذه الرآسة رآسة شورية لا استبدادية ودليلها من القرآن قوله تعالى فى شأن الزوجين وطفلهما الرضيع وفطامه (فان أرادوا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) فهذا نص صريح فى إقامة سنة الشورى بين أعضاء الأسرة الواحدة .

فالأسلام نهى عن عبادة المرأة ولم يستعبدها كما فعلت الأمم السابقة ، ولم يقلب نظام الطبيعة ليجعل منها رجلا ثانياً كما فعل العصر الحديث ، فقد تخلى عنها الأب والأخ والزوج والابن ودفعوها جميعا فى تيار العمل واللهو خارج المنزل ، فاختل نظام البيوت ، ولا نزال نسمع الشكوى المرة فى الاذاعات العامة المرة بعد المرة من تقوض دعائم الأسرة والوطن

أثر المرأة فى الحروب الجاهلية والاسلامية

لم تفقد المرأة بعد الاسلام شيئاً من مكانتها الأدبية ولا شجاعتها الحربيه ، ولكن الاسلام وجهها وجهة صالحة ، ونفخ فيها روحاً جديداً لم يكن لها من قبل .

كان القتال الجاهلى حروباً أهلية داخلية ، وكان فيها إضعاف للأمة وتفريق لوحدتها وهد لقواها ، ومنهم من كان يصرح بأنه يشهد الوغى لا لغرض سوى شهود اللذات ، أو اليأس من الحياة ، كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فان كنت لاتستطيع دفع منيتى فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

وعنترة الذى يتغزل بعبلة ويحاول أن يسترضيها بوقائعه ومشاهده فيقول :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وكانوا إذا ساروا للحرب صحبوا نساءهم ابتغاء الحفيظة واتقاء الفرار ، وأخذوا معهم القيان والدفوف والمعازف والخمور ، ومنه ماوقع فى غزوة أحد فانه لما التحمت الصفوف واشتدت الحرب قام النسوة وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال وينشدن الأشعار تهييجاً لعواطفهم . وكان عليه الصلاة والسلام كلما سمع نشيد النساء قال : « اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبى الله ونعم الوكيل »

ويظهر لنا الفرق واضحاً بين هذه الأهداف القاصرة وبين الهدف السامى

الذى جاء به الاسلام وهو إعلاء كلمة الله ، أى نصرة الحق على الباطل ، والفضيلة على الرذيلة ، والتوحيد على الوثنية ، وأين ذكر عنترة لعبلة حين اشتداد القتال من ذكر الله فى قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)

فالثبات من أسباب النصر والظفر ، وذكر الله قوة معنوية تثبت القلوب من ناحية ، وتبعث فيها الرحمة من ناحية أخرى . فالذاكر لله لايقاتل ابتداء ولا اعتداء ، ولا يقاتل من لايقاتل كالنساء والصبيان والشيوخ والمرضى ومن ألقى السلم وكف عن الحرب .

كان تألق نور الاسلام له أثر فى تطور الحياة العربية الفكرية والاجتماعية والأدبية والسياسية ، وها نحن أولاء نقتصر الآن على ذكر المرأة العربية فى العصر النبوى بعد أن وصفنا عملها فى الدور الجاهلى

كان تعلم العلم الدينى فى عهد النبوة عاما للكبار والصغار والذكور والاناث ، فكان النساء يتدارسن القرآن ويروين الأحاديث ويحافظن على العبادات ، ويصلين صفوفاً فى المساجد ، ويستمعن الخطب والمواعظ ، ويحضرن صلاة العيدين فى المصلى العام ، ويسافرن لأداء فريضة الحج والعمرة ، بل كن أيضاً يشهدن الحروب ويهيئن للمجاهدين الطعام ويسقينهم الماء ، ويغسلن الثياب ويضمدن الجروح ، ويشتركن فى الجهاد أحياناً .

نعم أن الشريعة لم توجب على المرأة حضور الجماعة والجمعة إيجاباً ، ولم تفرض عليها القتال مع الرجال وحماية الدار ، والدفاع عن الحق بالقوة ، وانما خصت الرجال بذلك كله لأن للمرأة من نظامها الفطرى واختصاصها المنزلى مايعوقها عن مشاركة الرجال فى كل حين بمثل هذه الأعمال ، ومن أكبر موانعها الحمل والولادة وحضانة الأطفال وإعدادهم رجالا للمستقبل ، وإدارة شئون المنزل . وأما عملها الحربى الاسلامى ، فيظهر الفرق بينه وبين عمل النساء الحربى الجاهلى بما قامت به فى وقعة أحد نفسها بطلة الحروب والوقائع العربية الاسلامية الصحابية الجليلة أم

عمارة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية الشهيرة ، واليك الحوار الذى دار بينها وبين أم سعد بنت سعد بن الربيع :

قالت أم سعد : دخلت على أم عمارة فقلت ياخالة : أخبريني خبرك ، قالت : خرجت أول النهار ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح الى ، فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور ، فقلت من أصابك بهذا ؟ قالت ابن قمئة أقمأه الله (أذله وأصغره) : لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول . دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله فضربنى هذه الضربة ، ولكن ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان . وقد أثنى الرسول على شجاعتها فقال : ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالا إلا ورأيتها تقاتل دونى

شهدت بيعة الرضوان، ثم شهدت وقعة اليمامة فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثنتى عشرة جراحة ، وكانت فوق ذلك كله محدثة جليلة ، روى عنها ابنها عباد بن تميم ، ومولاتها ليلى ، وعكرمة ، والحارث بن كعب ، وأم سعد ، وحديثها فى كتب السنن الأربعة .

ومثل ماقامت به أيضاً خولة أخت ضرار بن الأزور الكندى التى كانت أشجع نساء العرب فى عصرها ، وكانت تشبه بخالد بن الوليد فى حملاته ، بل ظنها أناس فى بعض وقائعها خالداً ، بل خالد نفسه كان معجباً بفرط شجاعتها وما ظهر من خلالها وشمائلها ، ولها أخبار كثيرة فى فتوح الشام ومما حدث به الواقدى أنه أسر أخوها ضرار بن الأزور فى وقعة أجنادين سار خالد بن الوليد فى طليعة من جنده لاستنقاذه ، فبينا هو فى الطريق ، مر به فارس معتقل رمحه ، لايبين منه إلا الحدق ، وهو يقذف بنفسه ولا يلوى على ماوراءه ، فلما نظره خالد قال : ليت شعرى من هذا الفارس ؟ وأيم الله إنه لفارس ! ثم اتبعه خالد والناس من ورائه

حتى أدرك جند الروم ، لحمل عليهم ، وأمعن بين صفوفهم وصاح بين جوانبهم ، حتى زعزع كتائبهم وحطم مواكبهم ، فلم تكن غير جولة جائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء ، وقد قتل رجالا وجندل أبطالا ، ثم عرض نفسه للموت ثانية ، فاخترق صفوف القوم غير مكترث ، وخامر المسلمين من القلق والاشفاق عليه شيء كثير ، وظنه أناس خالدا ، حتى اذا قدم خالدا قال له رافع بن عميرة : من الفارس الذى تقدم أمامك ؟ فلقد بذل نفسه ومهجته ، فقال خالد : والله لأنا أشد الناس إنكاراً وإعجاباً لما ظهر من خلاله وشمائله . وبينا القوم فى حديثهم خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب ، والخيل تعدو فى أثره ، وكلما اقترب أحد منه ألوى عليه ، فأنهل رمحه من صدره حتى قدم على المسلمين فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه ورفع لثامه ، وناشده ذاك خالد وهو أمير القوم وقائدهم ، فلم يحر جواباً ، فلما أكثر خالد أجابه وهو ملثم فقال : أيها الأمير انى لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الشعور ، وانما حملنى على ذلك أنى محرقة الكبد ، زائدة الكمد فقال خالد : من أنت ؟ قالت : أنا خوله بنت الأوزا كنت مع نساء قومى فأتانى آت بأن أخى أسير ، فركبت وفعلت مارأيت . هنالك صاح خالد فى جنده ، فحملوا وحملت معهم خولة وعظم على الروم ما نزل بهم منها ، فانقلبوا على أعقابهم .

أدب المرأة وصبرها قبل الاسلام وبعده

كان لوحى الله المعجز سلطان على روح المرأة العربية ووجدانها ، وكان إيمانها عدتها فى الحروب والفجائع وعتادها ، فهو يفرغ على قلبها نعمة الصبر والثبات ، ويعدها إذا كانت فاقدة واجدة بالجزاء فى دار الرضوان ، وقد ظهر الفرق محسوساً بين حالتيها فى الجاهلية والإسلام . هذه الخنساء بنت عمرو بن الشريد الشاعرة المشهورة التى كانت تقول فى أول أمرها البيتين أو الثلاثة ، فلما قتل شقيقها معاوية بن عمرو وقتل أخوها لأبيها صخر ، أكثرت من الشعر حتى صارت بقصائدها الركبان ، واشتهر نواحها على صخر حتى غدا مضرب الأمثال ، وصارت هى أشهر

شواعر العرب ، فمن ذلك قولها فيه :

ألا يا صخر لا أنساك حتى   أفارق مهجتى ويشق رمسى
يذكرنى طلوع الشمس صخراً   وأبكيه لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى   من المتفجعين قتلت نفسى

ومن شعرها فيه :

ألا ياصخر إن أبكيت عينى   فقد أضحكتنى دهراً طويلا
ذكرتك فى نساء معولات   وكنت أحق من أبدى العويلا
دفعت بك الجليل وأنت حى   فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيل   رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقد قدمت على النبي ﷺ مع قومها من بنى سليم فأسلمت معهم ، فذكروا أن النبي ﷺ كان يستنشدها الشعر فيعجبه شعرها وهو يقول : هيه ياخناس ويومى بيده . حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فوعظتهم وحرضتهم على القتال ، فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

علم النساء فى العصر النبوى

وكما كانت المرأة العربية فى الحرب صاحبة سيف وسنان ، وفى السلم ربة برهان وبيان ، كانت فى حلقات الدروس تشاطر الرجل كل علم ، وتضرب معه بأوفر سهم ، وفى أوقات العبادة حمامة المسجد ، ومحدثات النساء فى عهد النبوة وما بعده كثيرات جداً وإنك لتجد أسماءهن مدونة فى كتب طبقات المحدثين وغيرهم .

وقد استغرقت المحدثات المجلد السادس من مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل إلا قليلا، ومسند السيدة عائشة ـ أى الأحاديث التى سمعتها وروتها ـ قد بلغ

وحده أكثر من خمسين صفحة بعد المائتين (ص ٢٩ - ص ٢٨٢) ، وقد تسلسل العلم فى بعض البيوتات فى السيدات حتى صارت الواحدة تروى أحاديث النبي عن أمها وجدتها ، ومن شواهد ذلك مارواه الامام أبو داود فى سننه قال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنى عبد الحميد بن عبد الواحد ، حدثتنى أم جنوب بنت نميلة عن أم سويدة بنت جابر عن أمها عقيلة بنت أسمر بن مضرس : أتيت النبي ﷺ فقال : من سبق إلى ما لم يسبق اليه مسلم فهو له ، قال فخرج الناس يتعادون ويتخاطون ، أى كل منهم يسبق صاحبه بالخط (١) ، وهذا الحديث يوضح لنا كيف كانت المسلمات راويات محدثات وكيف كانت الفتاة العربية المسلمة تحفظ السنة وترويها عن أمها وجدتها وهى فى العقائد والعبادت والمعاملات والأخلاق والآداب ؛ وبهذه العلوم النافعة كانت تعنى النساء والفتيات العربيات فى عصور الاسلام الزاهية ؛ فهل نجدد بذلك عهداً ونعيد لنسائنا وبناتنا مافقدنه من تراث دينى أدبى ؟

تلكم هى أوصاف العربيات المسلمات فى عهد سلفنا الصالح ، وفى ظلال العلوم والآداب الاسلامية ، فما حال المجتمع الاسلامى اليوم ، وما شأن المرأة العربية فى عصر المدنية الحديثة ؟

المتعلمات فى عصرنا الحديث

لايستطيع منصف أن ينكر النهضة الحاضرة ، فان الفتيات فى عصرنا هذا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية ، ومنهن من نالت الشهادات العالية فى العلوم أو الآداب أو الحقوق أو الطب أو شهادة التخصص بالفلسفة والتربية ، ولكنا لانرى إزاء هذه الشهادات المدنية مايماثلها أو يدانيها فى دروس الدين ، فان قيل وأين تخصص الفتاة الحاملة لشهادة العالمية أو الحقوق مثلا فى العلوم الدينية ؟ فالجواب من وجهين :

(١) يتخاطون : أى يعملون على الأرض علامات بالخطوط . تسمى الخطط واحدتها خطة . وهى الأرض يخطها الانسان لنفسه . ويخط عليها خطاً ليعلم أنه إختارها .

(١) مطالبة الحكومة بافتتاح فرع التخصص الديني الذى كانت اعتزمت انشاءه وجعله فرعاً للجامعة السورية ، ونفقاته قليلة وفوائده جزيلة ، ومطالبتها أيضاً بانشاء الكلية الشرعية الأسلامية التى أجمع طلاب المعاهد الدينية والمدنية على المطالبة بها ثم أيدهم بمطالبهم هذا مؤتمر الجمعيات الاسلامية وعززه بكتاب بعث به الى الحكومة ولعلها محققة للأمة هذا المشروع العظيم الذى يكون له إذا تم ـ كما قالوا ـ أبر الأثر فى البلاد العربية وفى الشرق عامة ان شاء الله [١]

(٢) ان الأزهر الشريف قد افتتح كليات التخصص الدينى وجعلها لأبناء المسلمين عامة لا المصريين خاصة ، فمن السهل على بناتنا من حاملات البكالوريا ولا سيما المجازات بالحقوق أن يصحبن بعض ذوى المحارم الى مصر وينهلن من معين الشريعة الصافى ويعدن رافعات ألوية الدين والعلم والاصلاح

كان النساء فى صدر الاسلام على علم بدينهن ، وما لهن وعليهن ، أما نساء عصرنا فهن يسألن ويستشكلن مسائل كان يرجى منهن أنفسهن الجواب عنها مثل شهادة المرأة وميراثها وديتها ، ومثل تعدد الزوجات (أو عدم المساواة كما يقال) ويسألن عن الحكمة فى كون أزواج الرسول أكثر من أربع ، وأمثال هذه المسائل ، ونحن نجيب عنها بايجاز :

شهادة المرأة

المرأة إنسان كامل كالرجل لها من الحقوق مثل ماله ، وعليها من الواجبات مثل ماعليه كما تقدم . ثم أن المرأة من طبيعة الأنوثة ونظام الفطرة أموراً خاصة بها كتدبير المنزل وإدارة شئونه ، كما أن للرجل

(١) لقد تحقق هذا المشروع العظيم وأنشئت الكلية الشرعية بدمشق عام ١٣٦١ هـ وسيكون لها الأثر المنتظر إن شاء الله .

خصائص لاتشاركه هى فيها كاحتمال المشاق ، والدفاع عن الحق بالقوة ، وبهذه الخصائص والمزايا التى انفرد كل نوع من الذكور والأناث ببعض منها ، كانت الأنثى أنثى ، والرجل رجلا . وان من المسائل التى لاتماثله فيها مسألة الشهادة ، فانها تارة تكون شهادتها مثل شهادته ، وطوراً تكون أقل من شهادته ، وأحيانا تقبل شهادة النساء منفردات عن الرجال ، بل تتعين عليهن الشهادة وحدهن ، وذلك فى الأمور النسائية التى لاتعلم إلا من جهتهن وقد راعى الاسلام فى ذلك كله الحكمة . ومشى مع المصلحة العامة التى تراعى فى كل زمان ومكان .

فأما مسألة الشهادة على المال فالأصل فيها آية المداينة وهى فى أواخر السورة الثانية (سورة البقرة) (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ـ الى قوله : واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) فقد علل إقامة الثنتين مقام الرجل الواحد بالخطأ الذى يعرض لهن فيما ليس من شأنهن أن يذكرنه ، لأنه شهادة على أمر مالى ، وليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ، ومن طبيعة الانسان أن يكثر ذكره لما يعنى به ويهمه أمره . ولا يرد علينا اشتغال بعض النساء فى هذا العصر فى الأمور المالية أو فى غيرها من أعمال الرجال كالهندسة والحقوق والزراعة والميكانيك وكالانخراط فى سلك الحكومة ، فان هذا خروج على نظام الفطرة والأسرة ، وتضييع لمصالح المنازل والأزواج والأولاد ، كما هو مشاهد محسوس ، وكما نسمع الشكوى المرة ممن يتخبطون فى بحران هذه الفوضى .

وأما ما كان من شأن النساء أن يذكرنه ولا ينسينه ، وهو من خصائصهن فقد قبل فيه رسول الله شهادة امرأة واحدة ، وثبت فى الصحيح عنه أنه سأله

عقبة بن الحارث فقال إنى تزوجت امرأة ، فجاءت أمة سوداء فقالت انها أرضعتنا ، فأمره بفراق امرأته ، فقال انها كاذبة ، فقال : دعها عنك . فهذا الحديث صريح فى قبول شهادة المرأة الواحدة وان كانت أمة وكانت شهادتها على فعل نفسها فى أمر الرضاع ، والنبى لم يتهمها بالخطأ ولا بالنسيان على تراخى العهد وطول السنين .

وأيضا فان الشريعة السمحة المنتظمة لمصالح البشر تقبل شهادة النساء منفردات عن الرجال فى الأمور الخاصة بهن ، والتى لاتعلم إلا من جهتهن كالأعراس والمآتم والحمامات . وكالولادة والرضاع ونحوها من الأمور التى تنفرد النساء بالحضور فيها والاطلاع عليها فان شهادة النساء وحدهن مقبولة فيما يقع فى تلك المجتمعات ، حفظا للحقوق وضبطا للشئون . ومتى كانت المرأة ممن يوثق بدينها وأمانتها كان المقصود بخبرها حاصلا كما يحصل بخبر الرجل ، وقد نقل الشعرانى فى ج ٢ من كتاب الكبريت الأحمر عن الشيخ محيي الدين أن المرأة تلحق الرجال فى الأبوة ، وتلحقهم أيضا فى بعض المواضع فتقوم مقام الرجلين ، ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين وذلك فى قبول الحاكم قولها فى مدة عدتها ، وقبول الزوج قولها : إن هذا ولده فقد تنزلت هاهنا مقام شاهدين عدلين ، كماتنزل الرجل فى شهادة الدين منزلة امرأتين ، فتداخلا فى الحكم ، فهذه تولية لها من الله .

ميراث المرأة

وأما الميراث فيقال فيه ماقيل فى الشهادة أيضاً ، وهو أنه يكون لها نصف ميراث تارة ، ويكون ميراثا كاملا كميراث الرجل تارة أخرى . والباحث فى مسألة الميراث من الوجهة الاسلامية ، ينبغى أن يذكر قبل كل شىء أن

الاسلام لم يجعل من المرأة رجلا ثانيا ، فيحملها أعباء الحياة الخارجية ، بل حافظ على عملها الفطرى ونظامها المنزلى ، وفرغها لتدبير مملكتها الداخلية ، وجعل الرجل كافلا لها ، فهى ليست مجبرة على الكسب والنفقة بنتا ولا زوجا ولا أماً ، بل الرجل هو الذى ينفق عليها زوجا وأباً . وأما مالها الذى يتكون لها من الارث والمهر والإستثمار فهو يبقى لها (رأس مال احتياطى) تنفق منه إذا اضطرت اليه .

ثم أن ميراثها الذى هو نصف ميراث الرجل هو فى الحقيقة خير لها وأبقى من ميراثه الكامل ، فان نصيب الرجل يكون مقسما بالنفقة مابين زوجه وولده ، ويكون نصيبها لها وحدها كاملا غير منقوص ، ولكن الاسلام لم يظلمه فى ذلك لأنه هو العامل الكاسب ، أما هى فيعوقها عن الكسب تلك العوائق الزوجية كالحمل والولادة والأمومة والحضانة ، وأما مالها الخاص فمال احتياطى تنفق منه متى احتاجت اليه كما قدمنا . على أنها أحيانا يكون لها مثل الرجل كما اذا خلف الميت ذكراً فأكثر وكان له والدان فلكل واحد منهما السدس ، فهما سواء فى هذه الفريضة لايتفاضلان فيها ، وذلك لعظم مقام الأم بحيث تساوى الأب بالنسبة الى ولدهما ، وان كانا يتفاضلان فى الزوجية وغيرها . وكما اذا كان الميت أخ وأخت من أم فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث على المساواة التامة بين ذكورهم واناثهم . والآيات فى سورة النساء ناطقة بذلك كله .

وجملة القول ان المرأة تارة يكون نصيبها نصف نصيب الرجل ، وتارة مثله وهى على كل حال بنته أو زوجته أو أمه ، وعليه وحده المشقة والنفقة ، ولها الراحة والهناء ، وعليه الغرم ، ولها الغنم ، فأنى تكون مهضومة أومظلومة ووارحمتاه للرجال فلسان حاله يقول قول المتنبي :

أفلح وسعد
من تأدب بالأدب النبوى

١ — عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه . من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » رواه أبو داود — واللفظ له — والترمذى . وقوله : « لا يثلمه » أى لا ينقصه ولا يعيبه .

٢ — عن ابن عمر قال : « صعد رسول الله ﷺ المنبر ، فنادى بصوت رفيع ، فقال : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم . فانه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه أنى بما أنا باك منه محسود !!

دين المرأة

وأما عبادتها ، فهى مطالبة بأدائها كاملة كالرجال ، ومنها الصيام والحج والزكاة ، اللهم إلا الصلوات الخمس فى كل يوم وليلة . فالشارع أسقطها عنها فى حال تلبسها بعذرها الطبيعى الشهرى ويمتد أياما ، وفى مدة النفاس فى الولادات أيضاً وتمتد عشرات الأيام ، ولم يوجب عليها قضاءها بعد انقضاء تلك الأيام دفعاً للحرج عنها (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » ، وهذا هو معنى نقصان دينها ، فما هو بالشيء الذى تستحق عليه الملام فى الاسلام . (يتبع)

ومن تتبـع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله . ونظر ابن عمر يوماً إلى الـكعبة فقال : ماأعظمك وما أعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» رواه الترمذى . وابن حبان .

٣ — عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من يضمن لى مابين لحييه ومابين رجليه تضمنت له بالجنة » رواه البخارى . يعنى لسانه وفرجه .

٤ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « مانقصت صدقة من مال . ومازاد الله بعفو إلا عزا . وماتواضع أحد لله إلا رفعه الله

٥ — عن أبى ذر رضى الله عنه قال « أوصانى خليلى ﷺ بخصال من الخير : أوصانى أن لاأنظر إلى من هو فوقى وأن أنظر إلى من هو دونى . وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم . وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت . وأوصانى أن لاأخاف فى الله لومة لائم . وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مراً . وأوصانى أن أكثر من لاحول ولاقوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » رواه الطبرانى . وابن حبان فى صحيحه .

٦ — عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « ليس الواصل بالمكافىء . ولـكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها »

٧ — عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا تـكونوا إمّعة ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا . وإن ظلموا ظلمنا . ولـكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن لاتظلموا » رواه الترمذى وقال حديث حسن . و«الامعة» بكسر الهمزة وبتشديد الميم المفتوحة : الذى لارأى له فهو يتابع كل أحد ويكون معه على رأيه .

٨ — عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم . وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ولا يعطى الدين إلا من أحب . فمن أعطاه الدين فقد أحبه والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه . قلت : يا رسول الله ، وما بوائقه ؟ قال : غشمه وظلمه — ولا يكتسب مالا من حرام فينفق منه فيبارك فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولايتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن . إن الخبيث لايمحو الخبيث » رواه أحمد

٩ — عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ؟ فقال أبو هريرة : فقلت : أنا يارسول الله ، فأخذ بيدى فعد خمساً ، فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس . وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً . ولا تكثر الضحك . فان كثرة الضحك تميت القلب » رواه الترمذى وغيره .

١٠ — عن ابن عمر قال « خطبنا رسول الله ﷺ فقال : إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . وإياكم والفحش والتفحش . وإياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح . أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالبخل فبخلوا . وأمرهم بالفجور ففجروا فقام رجل فقال : يارسول الله ، أى الاسلام أفضل قال : أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك ، فقال : ذلك الرجل وغيره يارسول الله ، أى الهجرة أفضل ؟ قال : أن تهجر ما كره ربك »

١١ — عن أبى قلابة « إن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قدموا يثنون على صاحب لهم خيراً . قالوا : مارأينا مثل فلان قط . ما كان فى مسير إلا كان فى قراءة . ولانزلنا منزلا إلا كان فى صلاة . قال : فمن كان يكفيه ضيعته ، حتى

ذكر . ومن كان يعلف جمله أو دابته ؟ قالوا نحن . قال كلكم خير منه » رواه أبو داود فى مراسيله .

١٢ — عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « الحياء من الايمان والايمان فى الجنة . والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » رواه الامام أحمد . و«البذاء» بفتح الباء الفحش فى الكلام .

١٣ — عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً . وكان يقول إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً » رواه البخارى ومسلم .

١٤ — عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » رواه الترمذى .

١٥ — عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها . وخالق الناس بخلق حسن »

١٦ — عن أبى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله (ص) «إن أحبكم إلى وأقربكم منى فى الآخرة محاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى فى الآخرة أسوأكم أخلاقا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون » رواه الامام أحمد

١٧ — عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» رواه البخارى ومسلم .

١٨ — عن أبى جرى الهجيمى قال : «أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئاً ينفعنا الله به فقال : لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط . وإياك وإسبال الازار فانه من المخيلة ولا يحبها الله . وان امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه ، فان أجره لك ووباله على من قاله » رواه أبو داود والترمذى .

محكمة ملوى الأهلية

إعلان بيع فى القضية نمرة ٤٩٣٥ سنة ١٩٤١ ملوى

انه فى يوم السبت ١٩ يونيه سنة ١٩٤٣ الساعة ٨ أفرنكى صباحاً بأودة المزايدات بالمحكمة سيباع بطريق المزاد العقارات الآتى بيانها بعد ملك ورثة محمد على عثمان العنجير وهم حسن محمد على عثمان العنجير ورضوان محمد على عثمان العنجير وشحاته محمد على عثمان العنجير وهانم بنت حسوبه عطية عن نفسها وبصفتها .وصية على ولديها سعد ومحمود القصر ولدى محمد على عثمان العنجير ثم نظله محمد على عثمان العنجير من ملوى ونجيه محمد على عثمان العنجير زوجة عبد المالك عبد النبى السواق بشركة ماتوسيان بالمنيا وهذا العقار كائن ببندر ملوى مركزها مديرية أسيوط وبيانه :٧٨ متراً و ١٠ سنتى فقط ثمانية وسبعون متراً مربعاً وعشرة ديسمتراً عبارة عن منزل مبنى دورين بالطوب الأحمر والأخضر وبعضه مهدوم كائن بشارع الشيخ الأقطم ن ٨٧ ملك ن٧٨ وذلك الملك وارد فى تكليف محمد على عثمان العنجير مكلفه ن٤٨ سنة ٩٤١ الحد البحرى ورثة محمد حسين الأطرم بطول ٧ متر و ٩٠ سنتى والشرق ورثة على هلال بطول ٧ متر و ٤٠ سنتى والقبلى بعضه زقاق وبعضه محمد على عثمان العنجير بطول ١٥ متر و ٢٥ سنتى متر على خمسة خطوط مستقيمة والغربى ورثة حسين جابر بطول ١٠ متر و ٢٠ سنتى

٧٨ متراً و ١٠ سنتى الجملة ثمانية وسبعون متراً مربعاً وعشرة ديسمتراً لا غير

وهذا البيع بناءاً على طلب محمود افندى فوزى درويش إبراهيم من ملوى والست نظله محمد على عثمان من بندر ملوى بناء على حكم نزع الملكية الصادر من محكمة ملوى الأهلية بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ٩٤١ ومسجل بقلم كتاب محكمة المنيا الابتدائية الأهلية فى ١٠ ديسمبر سنة ٩٤١ ن٧٨ وذلك وفاء لمبلغ ٣٦٣,٢٠ قيمة باقى المحكوم به بالحكم ن٢٢٧٤ سنة ١٩٣٣ مدنى ملوى للأول ، مبلغ ١١٥٧ صاغ المحكوم به والمصاريف بالحكم ن٣٤٤ سنة ٩٤٢ مدنى ملوى للثانية بخلاف المصاريف

وسيكون البيع قسماً واحداً بثمن أساسى قدره ٢٠٠٠ ألفى قرش صاغ وشروط البيع وباقى الأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمة لاطلاع من يرغب الاطلاع عليها فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه .كاتب البيوع

جمادى الثانية — العدد السادس — الثمن ١٥ مليما — السنة السابعة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة دينية اسلامية اجتماعية « شهرية مؤقتا »

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير . محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصرى والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . بمصر

المطبعة الفخرية

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره (للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد)

« الاستجابة » التحرى للجواب والتهيؤ له ، وعبر بها عن الاجابة لعدم انفكاكها عنها . يعنى أنها انما تقال للاجابة التى تكون عن تبصر وعلم بحقيقة ما يُدعى اليه وبعاقبته وما يستفاد منه من فوائد ، ويجنى منه من ثمرات . وهى تدل أيضا على الاسراع فى الاجابة وعدم التلكؤ فى طاعة الداعى . فالله تعالى يصفهم بأنهم سريعوا الفهم لما يدعوهم الله اليه ، والتفقه فيه وتدبره مما يتلى عليهم من الآيات وما يضرب لهم من الأمثال . فاذا فقهوا عن الله ذلك سارعوا إلى الايمان والاتباع والطاعة . ليسوا بلداء ولا متغافلين ولا متكاسلين لأنهم يعلمون أن الله ورسوله (ص) لايدعوانهم إلا لما يحييهم الحياة الطيبة التى لا ضلال ولا شقوة فيها . ولأنهم تجردوا عن التقليد الاعمى للآباء والشيوخ وعرفوا نعمة الله فى السمع والبصر والفؤاد فشكروها بالانتفاع بها

و « الحسنى » قال ابن عباس رضى الله عنهما : هى الجنة . وهى فى اللغة تأنيث « الأحسن » وهى جامعة لكل المحاسن ، فهى المنفعة العظمى فى الحسن . قال ابن الانبارى : والعرب توقعها على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها المفروح بها . ولذلك لم توصف فى القرآن ولم تنعت بشىء ، لان ماتعرفه العرب من أمرها يغنى عن نعتها . يدل على ذلك قول امرىء القيس

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ورُضْتُ فذلت صعبةٌ أىَّ إذلال

أراد : فصرنا إلى الامر المحبوب المأمول . فالحسنى هي المثوبة العظمى التى لا أنفع ولا أعظم ولا أحسن منها فى الدنيا والآخرة . وتطلق « الحسنى » على العمل الصالح والنية الطيبة والقصد الحسن فى الدنيا كما حكى الله من قول المنافقين حين بنوا مسجد الضرار فى المدينة واتخذوه ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله وحلفوا بالله (إن أردنا إلا الحسنى) ولم يكن قصدهم إلا السوءى .

وقد وصف الله كلمته وأسماءه بأنها «الحسنى» لانها جمعت كل خير وكمال لائق بالله سبحانه . وكل الاعمال الصالحة والخيرات والاخلاق الكريمة والثواب والنعيم فى الاخرة ، يستعمل القرآن فيه الاحسان والحسنة والاحسن والحسن . وفى ضدها السوء والسيئة والاساءة والسيء والسوءى

« لافتدوا به » الافتداء جعل أحد الشيئين بدلا من الاخر . ومفعول « افتدوا » محذوف . تقديره أنفسهم . أى لافتدوا بما فى الارض ومثله معه — إن كان مملوكا لهم — أنفسهم ، ليخلصوا من العاقبة السوءى التى أعدت لهم مثوبة فى الآخرة جزاء وفاقا

و«سوء الحساب» قال ابن عباس لاتقبل لهم حسنة ، ولا يتجاوز لهم عن سيئة

و«الحساب» ضبط الاشياء وإحصاؤها بالعدد . ويريد الله تعالى منه ضبط الاعمال وإحصاءها بالعدد ثم سردها يوم القيامة على العبد بالدقة التامة بحيث لا يغيب ولا ينقص منها مثقال الذرة . ثم مقابلتها بما يكافئها من المثوبة والجزاء ؛ فالذين آمنوا وأحسنوا فى الدنيا أعمالهم يحاسبهم الحساب الحسن ويجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون . والذين أساءوا عقيدتهم وأعمالهم فى الدنيا لهم سوء الحساب ، ويجزيهم بأسوأ ما كانوا يعملون . قال الله تعالى فى سورة يونس (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة . أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة . مالهم من الله من عاصم . كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلما . أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال فى سورة الكهف (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) وقال فى سورة الانبياء (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) أى عن النار . وقال فى سورة النجم (ولله

ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وقال فى سورة والليل (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقال فى سورة آل عمران (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به) وقال فى سورة المائدة (إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم) وقال فى سورة يونس (ولو أن لكل نفس ظلمت مافى الأرض لافتدت به . وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وقضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون) وقال فى سورة الزمر (ولو أن للذين ظلموا مافى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة ، وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون . وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقال فى سورة المعارج (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه . وفصيلته التى تؤويه . ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه . كلا)

والآيات فى السيء والسوءى من العقائد والأعمال والاخلاق والجزاء كثيرة جداً . من أوضحها قول الله تعالى فى سورة النحل (وقال الذين أوتوا العلم إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين) وفيها (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها . وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم) وقوله فى سورة الروم (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) وفى سورة الرعد (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) وفى سورة النمل (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون . أولئك الذين لهم سوء العذاب)

وقول الله تعالى (ومأواهم جهنم) أى مرجعهم الذى يلجئهم الله اليه ولا مخرج لهم منه : هو جهنم (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ولهم عذاب مقيم) (لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) (انه من يأت ربه مجرما فان له

أحاديث الأحكام

٩٥— وعن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبدالرحمن عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله (ص) « إذا تغوط الرجلان فليتوار كل واحد منهما عن صاحبه . ولا يتحدثان على طوفهما فان الله يمقت على ذلك » أخرجه ابن السكن ، وقال ابن القطان، هو حديث صحيح . ومحمد بن عبدالرحمن ثقة . و «الطوف» الغائط . قاله الجوهرى .

أقول ، يحيى بن أبي كثير . هو أبو النضر اليمامى ، أحد أعلام التابعين . روى عن أنس وجابر وأبى أمامة مرسلا . قال شعبة : هو أحسن حديثا من الزهرى . توفى سنة ١٢٩ ــ و (ابن السكن) هو الامام الحافظ أبو على سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادى نزيل مصر . ولد سنة ٢٩٤ كان من أئمة الحديث وحفاظه الذين رحلوا فى سماعه ، وألف كتابه (الصحيح المنتقى) فنال شهرة وقبولا . توفى سنة ٣٥٣ فى المحرم رحمه الله

جهنم لايموت فيهـا ولا يحيى) (إنها لظى نزاعة للشوى ــ أى جلدة الرأس وشعرها ــ تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى) (إن جهنم كانت مرصادا ، للطاغين مآبا ، لابثين فيها أحقابا . لايذوقون فيها بردا ولا شرابا . إلا حميا وغساقا . جزاءا وفاقا)

(وبئس المهاد) «بئس» فعل جامد للذم . «والمهاد» المكان الموطأ الممهد ومنه « المهد » لفراش الطفل الذى هيىء ومهد له ملائما وموافقـا لحاله . فجهنم قد أعدها الله ومهدها وهيأها لاهلها . وهى أقبح مهاد وأسوأ مأوى وأبأس مكان . وأشقى منزل . نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجيرنا منها بفضله ورحمته . وأن يبعدنا عن أعمالهـا وأهلها . وأن يجعلنا من أهل الجنة بكرمه وإحسانه . وأن يوفقنا لاعمالها ويحبب الينا أهلها وكل مايقرب منها . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل من تبعه باحسان . محمد حامد الفقى

والحديث قال الشوكانى : قال الحافظ ابن حجر : هو معلول اه.وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله (ص) يقول « لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عورتهما يتحدثان فان الله يمقت على ذلك » رواه الامام أحمد وأبوداود وابن خزيمة فى صحيحه . ورواه ابن ماجه بلفظ « لا يتناجى اثنان على غائطهما ينظر كل واحد منهما إلى عورة صاحبه فان الله يمقت على ذلك » قال الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب : رووه كلهم من رواية هلال بن عياض او عياض بن هلال عن أبى سعيد . وعياض هذا روى له أصحاب السنن ، ولا أعرفه بجرح ولا عدالة ، وهو فى عداد المجهولين. وقوله : يضربان . قال أبو عمر صاحب ثعلب : يقال ضربت الأرض : إذا أتيت الخلاء ، وضربت فى الأرض ذا سافرت اه وفى الباب أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص) « لا يخرج اثنان من الغائط فيجلسان يتحدثان كاشفين عن عورتهما فان الله عز وجل يمقت على ذلك » أى يشتد غضبه ، فان المقت هو الغضب الشديد

وهذه الأحاديث وان كانت معلولة الاسانيد ـ إلا انها تفيد النهى الشديد والتحذير مما ذكر فيها ، وهو أن يجلس الاثنان أو الثلاثة أو الاكثر على الغائط مكشوفى العورة يتحدثون على تلك الحال الكريهة التى يصاحبها خروج الروائح القذرة ، والأصوات المستنكرة ؛ فانه لا يتخذ من تلك الحال مجالس يطيب له التحدث عليها إلا أراذل الناس وسفهاء الاحلام . والمؤمن لا ينبغى أن يكون بهذه الحال من السفالة والانحطاط . أما أن تكون ضرورة تدعو إلى الكلمة أو الكلمات لرد جواب لابد منه ، أو لإرشاد إلى طريق ، أو إخبار عن أمر لا يمكن تأخيره ، فذلك لا بأس به ولا حرج فيه.

والحديث يدل على أن الرسول (ص) كان معنياً أشد العناية بتهذيب أخلاق المسلمين وتأديبهم الادب العالى حتى فى هذه الحال . نسأل الله أن يؤدبنا بأدب رسوله ويجعل لنا من هديه وسنته نورا وبرهانا . وصلى الله عليه وعلى آله وسلم

محمد حامد الفقى

لا يحتكر الا خاطىء

فتوى لحضرة صاحب الفضيلة إمام العصر وفقيه الوقت

الصالح المصلح الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية أطال الله حياته

نص الاستفتاء :

حضرة صاحب الفضيلة المفتى الاكبر للمملكة المصرية :

يتحرج بعض الناس من التبليغ ضد التجار الجشعين لبيعهم المواد بأسعار مرتفعة فادحة تزيد على الأسعار المقررة ، أو ضد من يختزنون أقوات الناس وأهم ما يلزمهم من احتياجات معاشهم من ذوى الأطماع ومنتهزى الفرص ، لاعتقادهم أن هـذا التبليغ ليس واجبـا عليهم شرعا — بينما ترى الوزارة أن التبليغ عن هؤلاء المجرمين توجبه الشريعة

فما رأى الشريعة السمحاء ؟ نرجو التفضل بسرعة الرد للاهمية

السكرتير الفنى لوزارة التموين

الجواب : اطلعنا على كتاب وزارة التموين رقم ٣٢٥ المؤرخ ١٦ — ٥ — ٩٤٣ ونفيد : انه إذا قررت الحكومة أسعارا لما يحتاجه الناس فى معيشتهم من طعام ولباس وغيرهما دفعا لظلم أربابها ، ومنعا للضرر العام عن الناس ، وجب شرعا البيع بهذه الاسعار ، وكان البيع بأزيد منها من الظلم المحرم شرعا.

واذا نهت عن اختزان ما يحتاجه الناس كان الاختزان أيضا محرما شرعا ، ومنكرا تجب إزالته

ويجب على كل من يعلم أن من التجار من يبيع بأسعار زائدة عن الاسعار المقررة أو يختزن ما يحتاجه الناس مما نهوا عن اختزانه أن يبلغ الحكومة لتعمل على إزالة هذا المنكر وتغييره ، فانها لا تستطيع إزالته إلا إذا علمت به . فاذا توقف منع الظالمين عن ظلمهم وإزالة المنكر على تبليغ وإعلام الحكومة به وجب شرعا

على من يعلم : أن يبلغها ويعلمها بذلك ، لأن ذلك سعى فى ازالة الظلم ، والسعى فى إزالة الظـلم من أعظم وجوه البر . وقد قال الله تعـالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وكيف لا يكون هـذا ظلما وقد وردت أحاديث كثـيرة تدل على تحريم الاحتـكار « وهو احتبـاس الشىء انتظارا لغلائه »

فقد أخرج مسلم فى صحيحه عن النبي (ص) قال « لا يحتكر إلا خاطىء » والخاطىء المذنب العاصي . وروى أحمد بن حنبل رحمه الله عن النبي (ص) أنه قال « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة » أي بمكان عظيم من النار . وروى أيضا عن النبي (ص) أنه قال « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء » وقد أخرج هذا الحديث الحاكم بلفظ « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء ، وقد برئت منـه ذمة الله » وأخرج ابن ماجه عن عمر بن الخطاب أنه قال : سمعت النبي (ص) يقول « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس » الى غير ذلك من الاحاديث

وهذه الاحاديث تدل بمجموعها بطريق العبارة أو بطريق دلالة النص على تحريم اختزان أقوات الناس وسائر ما يحتاجون اليه فى معايشهم من غير فرق بين قوت الآدمى والدواب وبين غيره . وقصر حظر الاحتكار على قوت الآدمى والدواب قصر لا يقوم عليه دليل . كيف وظاهر أن العلة هي الاضرار بالناس ، وهى متحققة فى كل ما يحتاجون اليه ، ولا تقوم معيشتهم إلا به من ضرورات الحياة ولوازمها .

هذا . ولولى الأمر أن يسعر ما يحتاج اليه الناس ، إذا كان فى هذا التسعير إكراه التجار على ما يجب عليهم من المعاوضـة بثمن المثل ، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ الزيادة عليه ، وذلك إذا امتنع أرباب السلع من بيعها مع حاجة الناس اليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة كما هو حال التجار الآن . فنى هذه الحالة يجب عليهم بيعها بقيمة المثل . ولا معنى للتسعير إلا إلزامهم البيع بهذه القيمة ؛

والتسعير ههنا كما قال شيخ الاسلام ابن القيم فى كتابه الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية : إلزامهم بالعدل الذى ألزمهم الله به

وما ورد عن رسول الله «ص» من تركه التسعير ، ومن قوله « ان الله هو المسعر القابض الباسط » فهو من قبيل واقعة الحال التى لا تعم ، إذ ليس فى هذه الواقعة — كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية — أن أحدا امتنع من بيع ما الناس يحتاجون اليه .

وحينئذ فالتسعير كما قال ابن القيم فى هذه الحالة جائز بل واجب ، فاذا سعرت الحكومة وجب العمل بما سعرت به ، وحرم تعدي السعر الذى حددته ، لأن طاعة ولى الأمر واجبة بالكتاب العزيز وبالسنة الصحيحة وباجماع علماء المسلمين إذا أمر بما ليس بمعصية .

هذا وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه «الجوامع فى السياسة الالهية» ماخلاصته : ولو كان رجل يعلم مكان المال المطلوب بحق ، أو الرجل المطلوب بحق ، وجب عليه الاعلام به والدلالة عليه ، ولا يجوز كتمانه ، فان هذا من باب التعاون على البر والتقوى ، وذلك واجب — إلى أن قال — فاذا امتنع هذا العالم من الاعلام بمكان المال المطلوب بحق أو الرجل المطلوب بحق جاز عقوبته بالحبس وغيره حتى يخبر به ، لأنه امتنع من حق واجب عليه . وهذا مطرد فيما يتولاه الولاة والقضاة وغيرهم فى كل من امتنع عن حق واجب من قول أو فعل

وليس هذا من قبيل عقوبة الرجل باثم غيره حتى يدخل فى قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) بل هذا يعاقب على ذنب نفسه ، وهو أن يكون قد علم بمكان الظالم الذى يطلب حضوره لاستيفاء الحق منه ، أو يعلم بمكان المال الذى قد تعلق به حقوق المستحقين فامتنع من الاعانة ومن النصرة الواجبة عليه بالكتاب والسنة والاجماع . إما محاباة وحمية لذلك الظالم ، وإما إعراضا عن القيام لله بالقسط الذى أوجبه الله تعالى جبنا وفشلا وخذلانا — الخ ما قال

وما معنا من قبيل أو نظير ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

والخلاصة أنه يجب على كل من يعلم أن من التجار من يبيع بأسعار مرتفعة

داؤنا ودواؤنا

١٠ ـ الحكم

مهما يُعد المشيدون بفضل شريعة الرومانية وما اشتق منها ، أو نسج على منوالها ، من الشرائع الوضعية القديمة أو الحديثة ، فلن يذهب ذلك بفضل الشريعة الاسلامية ، ولن يغض من قدرها ولن ينقص من قيمتها ، ولن يعقب على الحكم بأنها خير شريعة أخرجت للناس ، وأسمى قانون خضعت له دول الأرض ، وأعدل ما حكم بمقتضى نصوصه الحاكمون فى كل زمان ومكان

ذلك بأن الشرائع الوضعية وضعها إنسان مهما تسمُ مداركه وينصع فهمه ، ويثقب ذهنه ، ويأصل رأيه ، ويستنر عقله ، ويعظم ميله إلى العدل والإنصاف وحرصه على الخير ، فليس بمعصوم من الخطأ الكثير أو القليل ، ولا هو بمحيط بشىء من العلم بالغيب ، أو بما تأتى به تصاريف الأيام ، وقد ضرب بينه وبين الاحاطة بما يتمخض عنه المستقبل بسور لا يستطيع عقله أن يستشف ماوراءه

من أجل ذلك كانت هذه الشرائع غير مستقرة ولا ثابتة ، لا تلبث الشريعة منها أن توضع حتى تظهر فيها وجوه نقص قبيحة ، وتلوح بين نصوصها

تزيد عن الاسعار المقررة أن يبلغ الحكومة ذلك ، كما يجب عليه أن يبلغها من يختزن أقوات المسلمين وما يلزمهم فى معاشهم ـ كما جاء فى كتاب الوزارة ـ واذا كان من يعلم ذلك شخصا واحدا وجب عليه وحده التبليغ ، فان لم يبلغ كان آثما . واذا كان من يعلم أكثر من واحد وجب على كل منهم أن يبلغ ، فاذا قام به بعضهم لم يأثم أحد منهم لحصول المقصود بتبليغ بعضهم . واذا تركوا كلهم التبليغ كانوا جميعا آثمين كما هو حكم الواجب الكفائى

وبما ذكرنا يعلم الجواب عن السؤال . والله سبحانه وتعالى أعلم ؟

مواطن خلل شنيعة ، وتتعالى الأصوات من كل جانب بطلب إصلاحها ، فيعمل المتشرعون على سد هذا النقص ، وإصلاح هذا الخلل بتشريع جديد ، لا يلبث أن يتضح نقصه فيعمل على إصلاحه كذلك . وهلم جرا

وهذه الشرائع إن صلحت لحكم فريق من الأمم والشعوب ، فانها لن تصلح لحكم فريق آخر يباينه فى البيئة واللغة والدين ، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية ، والأمانى القومية

أما الشريعة الاسلامية فانها تنزيل من حكيم حميد ، يعلم السر وأخفى ، ويحيط علما بالنفوس وطبائعها ، والأمم وخصائصها ، والشعوب ومميزاتها ، ويعلم ما يصلح الناس وما يفسدهم ، وما ينهض بهم وما يرديهم ، وقد اختار لهم شريعة هى خاتمة الشرائع ، يجد فيها كل شعب ما يصلحه ، وكل أمة ما يوائمها ، وكل إقليم ما فيه خيره وسعادته . وأمنه وطمأنينته .

فالأمة التى تحكم بمقتضى نصوصها تستمتع من العدل والانصاف بما لا يمكن أن تستمتع بمثله أمة أخرى ، مهما يحرص القائمون بالأمر فيها على حكمها بالقسط . لأنها الشريعة التى تكفل لمتبعيها سعادة الدنيا والآخرة . والواقع الذى شهد به التاريخ وسجله فى أنصع صحائفه أعدل شاهد وأصدق محدث .

***

حكم رسول الله (ص) بين المسلمين بما أنزل الله ، وأمر ولاته أن يأتسوا به ويسيروا فى الناس سيرته . فسعد المسلمون واطمأنوا على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، ووزعت المغانم على الجند بالحق والعدل ، وصرفت الزكاة فى مصارفها واطمأن التاجر على كسبه ، والزارع على غلة أرضه ، والصانع على ثمرة كده ، وفاض الخير ، وعمت السراء ، وفتحت الامصار ، واستبشرت الامم التى تفيأت ظلال الاسلام ، وشعرت بنسيم من العدل يحيى ميت آمالها ، ووجدت الراحة من كابوس الظلم والطغيان الذى كان جاثما على صدرها . وراحت الدول تفتح ثغورها مرحبة بحكم الاسلام لينقذها مما كانت ترسف فيه من الاغلال

والقيود الثقال . وطفقت تزمجر فى أحضان الاسلام فيشبل عليها (١) ويحوطها بالرعاية والمرحمة ، وينجيها من القوم الظالمين .

لو سار حكام المسلمين على نهج أسلافهم الاولين، واتبعوا ما كانوا عليه من العلم والتقوى والعدل لبقى المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ينعمون بما كان أسلافهم فى أيامهم الاولى ينعمون به من الخير والسعادة ، والطمأنينة والمهابة والعزة والكرامة ، لأن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

كان الولاة علماء بدينهم ، فكانوا أئمة المسلمين فى الصلوات وخطباءهم فى الجمع والاعياد ، وكانوا معلميهم وقضاتهم ومفتيهم وكان اليهم المصير فى تعرف أحكام الدين ، وكانوا قدوة الرعايا فى استقامة السيرة وبياض السريرة ، فسعدت بهم رعاياهم واستقامت لهم الامور .

ولم تكد القرون الخيرة تنقضى حتى تبدلت الاحوال ، وفسدت الامور فسادا شمل كل نواحى الحياة ، وأصبحت الخلافة ملكا عضوضا ، وتمزقت أوصال الدولة الاسلامية ، وتفرقت أشلاؤها ، وقام فى كل صقع وفى كل ناحية أمير للمؤمنين ومنبر ، وولى أمور المسلمين رجال ليسوا من الدين ولا من العلم فى شىء ، ولكنهم أرادوا أن يحتفظوا بالصورة الاسلامية فعهدوا بالامور التى كان يقوم بها العلماء من الخلفاء والامراء والولاة . كالصلاة والخطبة والفتيا الى رجال كل ما كانوا يتحلون به أنهم من أنصار الوالى القائم . وكان منهم جهال يسألون فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون . وكان منهم منافقون لا يهمهم إلا مرضاة الوالى يبتغون الوسيلة اليها بكل ما يمكن ولو ضحوا فى سبيلها بدينهم وإيمانهم . يحرصون على أن تكون الفتوى مرضية للأمير ولو كانت مفسدة للدين مغضبة لله وللحق .

أدى ذلك الى إضعاف الروح الدينى فى النفوس ، وإطفاء نور التقوى فى القلوب ، وإذا انثلم الشعور الدينى — وهو أقوى وازع — فى أمة فانها

---

(١) أى يدافع عنها كما يدافع الاسد عن أشباله

ترتع فى مراعى الفساد ، وتستمرىء طعم الضلالة .

ما زال ذلك الفساد يسرى فى جسم الامة الاسلامية ، وما فتىء هذا التحلل يأخذ من أوصالها حتى ذهبت ريحها ، وأصابها الوهن والفشل .

جلبوا اليهم الخمر ، ونشروا فيهم الميسر وانواع الملاهى ، ويسروا لهم السبيل الى الزنا والفجور ، وحرسوا دور البغاء والمواخير . نشروا الربا وجعلوه قاعدة التعامل .

اطلقوا لنسائهم العنان فتبرجن واختلطن بالرجال فى الحفلات والاجتماعات ، وخرجن على آداب الاسلام ، وعادات الشرق . تعدين حدود الاحتشام ، وكشفن ما امر الله ان يستر من سوءاتهن . ويبدون فى الحفلات حاسرات عن شعورهن وأذرعهن ونحورهن وصدورهن وظهورهن وسوقهن ، لابسات ثيابا شفيفة تنم عن باقى اجسامهن ضيقة تحدد اعضاءهن . ولم يقف الامر بهن عند هذا الحد بل راقصن الرجال ومهدن لهم سبل الفسق والغواية . فهذا الرجل الذى يأخذ بعضد المرأة وخاصرتها ويلصق صدره بصدرها . ويكون خدها ونحرها تحت متناول لثماته ،يخالف أوامر الدين

ولكننا نحمد الله من كل قلوبنا ان بقيت فى كل شعب من الشعوب الاسلامية بقية لاتزال تحس الداء ، وتألم له وتلتمس له الدواء ، وترجو الشفاء. والدواء عتيد والشفاء ميسور إن صح عزم المريض وصدقت نيته . وأخلص فى تعاطى الدواء .

ودواؤنا مراحل ينتظم بعضها قبل بعض ، ويوصل أولها الى آخرها .

فأولها : أن تعمد الأمة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها الى الاستمساك بدينها ، وإحياء العمل بكتاب ربها ، وسنة نبيها ، وأن تجمع ما تفرق من امرها ، وأن تؤلف ما اختلف من كلمتها ، وأن تطهر قلوبها من أدران الحسد والحقد والعدوان والبغضاء ، وأن تعتصم بحبل الله جميعا.

فاذا صفت القلوب ، وطهرت النفوس ، وخلصت النيات ، وأحب كل امرىء لأخيه ما يحب لنفسه ، وأصبحت الامة ذات رأى واحد وكلمة واحدة

فقد قطعت المرحلة الاولى التي تفضى الى الثانية فى يسر وسهولة وبغير مشقة ولا عناء .

والمرحلة الأولى سهلة ميسورة ، لا تكلف شططا ولا ترهق عسرا . إذا هى أن يصلح كل امرىء نفسه ، ويداوى علله ، وأعجز العاجزين من عجز عن نفسه ، وأقوى الاقوياء من قدر عليها وقد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها .

فاذا هى قطعت المرحلة الاولى بسلام كان من اليسير الهين ان تقطع المرحلة الثانية ، وبها تحقق اعز الامانى ، وتصل الى حقيقة الشفاء .

المرحلة الثانيــة : ان تتعاون على اصلاح حكامها فان كانوا من اهلها ، فان صلاحها صلاح لهم ، واستقامتها استقامة لهم ، اذكما تكون الامة يولى عليها. واذا تبلغ مناها من أيسر الطرق ، وأقصر السبـل ، والاستمتاع بنعمة الحرية والاستقلال فى ظلال الأمن والسكينة والعدل

الاستمساك بالدين يعز أصحابه ويقويهم ويحقق وعد الله تعالى فى قوله (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) ويجعلهم أهلا لدفاع الله تعالى عنهم فقد قال (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) واذا نصرهم الله تعالى ودافع عنهم فلن يغلبهم غالب لقوله تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم)

اذا عاد الصفاء الى قلوب الامة ورجعت الى التناصح والائتمار بالمعروف والتنـاهى عن المنكر . فان الله تعالى يعينها على أن تقهر كل عات ، وتقصم بقـدرة الله كل جبـار ، ثم تختار الحاكين الذين يحكمونها بكتاب الله وسنة رسوله ويحيون سيرة السلف الصالحين . واذن يعود للاسلام مجده وترجع اليه قوته ومنعته ، ويبسط سلطانه بالعدل على شعوب الارض كما كان ، وتأوى الشعوب المستضعفة الى أحضانه فيؤويها ويؤيدها بنصره .

ليست هذه أوهام واهم ، ولا أحلام حالم انما هى حقائق يؤيدها البرهان الصادق .

ألم يملك المسلمون ما بين المشرق والمغرب حينا من الدهر . وهذه الامم العنيدة التى تسيطر اليوم على العالم ، وتتحكم فى مصاير الامم والشعوب .

ما ذا أتاح لها هذه القوة ؟ وما ذا مكن لها فى الارض ؟ أليس اتحاد أبنائها وتضامنهم ، واخلاص حاكميها ! وسيادة العدل بينهم . فإن لم يتح لنا باتحادنا وتضامننا ان نرث ملكهم ، بعد أن تتقلص عنه ظلالهم فلا أقل من أن نشركهم فى مجدهم وملكهم حتى يكون لنا ما لهم وعلينا ما عليهم .

ان استطعنا أن نهزم أنفسنا ، وأن تقهر الشيطان ، وأن نغلب الهوى ، وننتصر على سلطان الشهوات وصلنا الى هـذا الامل المنشود ، وحققنا هذا الحلم الجميل .

هذا . وفى مصر للبلاد الاسلامية أسوة حسنة فقد أخذت تسترد مجدها ، وتستعيد مكانتها بفضل ما من الله به عليها من الحكم الصالح يتولاها به مليكها الصالح . فاروق الاول الذى لا يدخر وسعا فى سبيل اسعادها ، ورفاهيتها وتكميلها بالعلم والخلق وتوجيهها الى أمثل الطرق مع الاهتمام التام بالدين والخلق والفضيلة . وان الغاء البغاء لأصدق شاهد ، وأبلغ ناطق بصدق ما نقول . ذلك الى ما تشعر به البلاد فى عهده السعيد من الراحة والهناءة على الرغم من قسوة الظروف وتحرج أحوال العـالم . ولن يمضى غير قليل حتى تـكون مصر فى طليعة الامم ، آخذة بمشعـل العرفان ، سائرة فى طريق الرشد والسداد . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز

أبو الوفاء محمد درويش

فى ذم السؤال

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله	عوضاً ولو نال الغني بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته	رجح السؤال وخف كل نوال

سر العظمة النبوية

لفضيلة الأستاذ العالم المحقق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد

قال الله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ولقد صرّفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا)

ان الباحثين فى سيرة النبي (ص) من علماء هـذا العصر الحديث ينقسمون إلى قسمين ، كل قسم منهما يمثل نوعا من الثقافة والعلم ، فأولهما قسم المستعربين من علمـاء أوربة الذين نطلق عليهم اسم المستشرقين . وهـؤلاء فى جملتهـم لا يؤمنون بعالم الغيب ، ويحاولون أن يردوا كل شيء فى هـذا الوجود إلى أسباب عادية تؤدى الى نتائج — يزعمون فيما بينهم وبين أنفسهم — أنها نتائج منطقية لازمة لهذه الأسباب . ويقع أكثر الباحثين من هذا الفريق فى الخطأ لعدة أسباب أهمها ما أشرنا اليه من أنهم لا يؤمنون بعالم الغيب ، ومنها ان درايتهم بأسرار العربية ودقائقها ـ مهما يكن من تبحرهم وشدة احتفالهم بها ـ دراية محدودة لا تقوى على استكناه بواطنها ، والغوص وراء مخبآتها

وثانى القسمين : علماء الامم الاسلامية الذين وقفت ثقافتهم عند الاطلاع على ما كتب أسلافنا من علماء المسلمين ، من غير أن يحاولوا معرفة الطرق التى استحدثت للبحث والتعليل ، فيأخذوا منها ما يقرب مسافة الخلف بين الفريق الاول وبينهم ، ويبرهنوا على فساد ما لا يتفق وما عنـدهم من آراء الفريق الاول بالطريق المقنع ، وهؤلاء العلماء ـ مع ايمانهم المتين بعالم الغيب ودرايتهم الواسعة باللسان العربى وأسراره فى مفرداته وتراكيبه ـ ليسوا بأحسن حالا ولا بأقوم سبيلا من الفريق الاول

وكم تمنينا وتمنى المصلحون من رجالات الاسلام أن ينشأ جيل من المسلمين

له علم الفريق الاول وتعليله واستنباطه ، وإيمان الفريق الثانى، وسعة درايته بالعربية ،ولكن يظهر أن الله تعالى لم يأذن بعد بتحقيق هذه الامنية ، فقد نشأ جيل من باحثى الشرق ألمّ بطارف غير ذى بال من المعارف الاسلامية والعربية ثم فتنه علم الغرب فتنة أخذت عليه سمعه وبصره ، فلم يعد يرى شيئا الا أن يراه من قبله عالم من المستشرقين ، ولم يعد يفكر الا على قاعدة المستشرقين . ونقص هؤلاء المستغربين من باحثينا ما عند المستشرقين من صراحة فى القول فانطلقوا يتملقون جمهرة المسلمين وعامتهم فيما يتعرضون له من المباحث الاسلامية ، ولعلى لا أبالغ إن قلت إن جناية هؤلاء على المباحث الدينية أشد فعلا فى نفوس الشباب وعقولهم من جناية أساتذتهم المستشرقين ، فان يكونوا قد أقدموا على ذلك وهم عالمون بوخيم نتائجه فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون

أما المستشرقون الذين كتبوا عن النبي (ص) فمع أنهم متفقون فيما ذكرنا من قبل ، ينقسمون الى قسمين ، قسم يكذب محمدا فى دعواه النبوة ، ويحاول أن يصد قومه عنه وعن التفكير فيما جاء به . وهذا الفريق يدأب على إلقاء الشبهات تارة فى سيرة الرسول وتارة فى شرائع الاسلام ، وليس علىّ من حرج إن أنا ذكرت لكم بعض هذه الشبهات لتعلموا كيف يفكر هؤلاء الناس الذين يسميهم رجالاتنا علماء وباحثين ، فمن هذه الشبهات قولهم ان محمدا (ص) تعلم هذا الذى جاء به قومه من بحيرا الراهب فى بصرى إحدى بلاد الشام ، وذلك أنه يسافر فى تجارات قومه من أهل مكة فيكون أكبر همه وكده ، ومنتهى همه أن يجلس الى بحيرا يأخذ عنه . ومحمد (ص) برىء من ذلك كل البراءة ، لانه لم ير بحيرا كما يحدثنا التاريخ الصادق إلا مرة واحدة وهو ابن تسع سنين أو اثنتى عشرة سنة ، على خلاف فى الرواية . ولانه لم يسافر الى الشام الا مرتين ، مرة مع عمه أبى طالب وهى تلك التى رأى فيها بحيرا الراهب . ومرة فى تجارة خديجة مع غلامها ميسرة . ولم يذكر أحد ولا برواية مدخولة أنه لقى فيها أحدا من الرهبان . وأين علم بحيرا مما جاء به محمد ؟ وما وجه الموازنة بين

تعاليم الانجيل وهداية القرآن ؟ ومن شبهاتهم قول بعضهم ان محمدا تلقى ماجاء به عن ورقة بن نوفل بن عبد العزى . وورقة هذا هو ابن عم خديجة ، وكان من شأنه أنه اعتزل قومه فى الجاهلية وقرأ الانجيل ، وكان يقيم فى مكة . وكأن الذى ألقى هذه الشبهة قد استشعر الضعف والهزال فى شبهة بحيرا لعلمه أنه لايقوم بها سند من التاريخ فأتى بشبهة من نوعها ، وحسب أن إقامة ورقة فى مكة بلد النبى التى لم يفارقها إلا مهاجرا بعد بعثته بأمد طويل - اذا استثنينا خروجه الى الشام مع عمه وفى تجارة خديجة ، وإلى المدينة مع أمه لزيارة أخوال أبيه من بنى النجار وهو ابن ست سنين أو أقل - نقول حسب صاحب هذه الشبهة أن إقامة ورقة والنبى فى مكة ، طريق الى رواج هذه الشبهة ، وهو طريق ملتو كثير المنعرجات

ذلك بأن التاريخ الصحيح لايحدثنا أن النبى لقى ورقة الا بعد أن بعثه الله رسولا ، حين ذهبت به خديجة اليه لتعلم منه سر ماحدثها به من مجيء الوحى اليه ، والرواة الذين عنوا بنقل حركاته وسكناته منذ صباه الى أن فارق هذه الدنيا لايمكن أن يغفلوا جميعاً عن مثل ذلك . ولو كان ورقة معلم محمد لطارت بذلك ألسنة قريش ، ولرمت بهذه الحجة فى وجهه ، وهم الذين كانوا يحاولون إبطال رسالته بكل مايقدرون . ثم لو كان ورقة معلم محمد لتشابه ما عند ورقة وما عند محمد ، وبينهما ما بين الثرى والثريا .

وما هاتان الشبهتان الا من نوع شبهة ألقتها قريش فرد الله تعالى عليهم ودحضها ، وذلك قوله سبحانه (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين . ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم)

وقريب من هاتين الشبهتين ، بل أضعف منهما ، قول جماعة من هؤلاء ان محمدا تعلم هذا الدين عن سلمان الفارسى . وكان من شأنه أنه نشأ مجوسياً ، وانه كان يقوم على إلهاب نار المجوس وإذكائها ، فمر به قوم من النصارى فحدثوه عن دينهم وبينوا له خطأه وخطأ قومه فى عبادة النار ، ففر معهم هاربا يطلب

الدين الصحيح ، واتصل ببعض رهبان الشام ، وما زال ينتقل من صومعة إلى صومعة حتى وقع فى أيدى بعض تجار الرقيق فأخذوه وباعوه فى خيبر ، وبقى مملوكا الى أن هاجر النبي (ص) الى المدينة فأتاه وعرض نفسه عليه وأسلم ، ثم افتك رقبته من مالكه بشيء من المال ، وأمر النبي أصحابه أن يعينوه على فك رقبته كما كان يأمرهم أن يعاونوه فيما يكلفه مالكه من عمل . فكيف اذن تعلم النبي من سلمان وهو لم يره مجرد رؤية الا بعد أن دعا قومه الى دينه اثنتى عشرة سنة أو تزيد ، وآذوه فى سبيل هذه الدعوة واضطر الى مفارقتهم ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم

اما القسم الثانى من المستشرقين فانهم لا يكذبون الرسول ؛ ولا يتهمون خلقه واخلاصه ومروءته ، بل هم يعترفون له بكل خلة من خلال الشرف ، ويعترفون – مع ذلك – باستقامة الطريق التى دعا اليها ، ويعتقدون أن هذا الذى جاء به قومه من خير ما دعا اليه المصلحون . بل منهم من يرى أنه خير ما دعا اليه المصلحون . وأقدم من بلغنا ثناؤه على الرسول صلى الله عليه وسلم «كارليل» صاحب كتاب الابطال . ونحن فى هذا الموقف الخالص لوجه البحث العلمي نشكر لهذا الفريق من علماء المستشرقين – وكثير ما هم – حسن الثناء على صاحب الرسالة وجميل رأيهم فيه ، ولكننا نخالفهم كل المخالفة فى التعليل الذى يعللون به ، والاسباب التى بنوا عليها رأيهم ، وندعو اخواننا من باحثى المسلمين ألا يؤمنوا بأسبابهم ولا بتعليلاتهم ، ونؤكد لهم أن هذه التعليلات وهذه الاسباب تأتى على بنيان الاسلام من قواعده وتهدم أسسه الاولى . بل نحن نؤكد لهم أن هذه التعليلات وهذه الاسباب تنقض كل ما قدموه بين يديها من خلال الشرف والمروءة ، وتجعل ذلك الحديث الذى يصدرون به مباحثهم أشبه بخدعة الصبي عن اللبن

وخلاصة الامر أن هذا الفريق من المستشرقين – وان نعت النبى بالصدق والامانة والاخلاص ، وسلامة الفطرة وكمال العقل وعفة النفس ، والنزوع عما كان عليه قومه من التعالى والتفاخر واللهو والخمر والميسر وأكل أموال الناس

بالباطـل ـ لا يصدقون بأن القرآن الكريم الذى هو المعجزة الباقية على الدهر كتاب نزل على النبى من عند الله تعالى بواسطة الوحى . وحجتهم فى ذلك أن عالم الغيب بما فيه من ملائكة تنزل بالوحى وبغير الوحى مما يريد الله ـ شىء لم يثبت عندهم من طريق علمى مادى

ثم من هذا الفريق من يزعم أن محمدا (ص) أنشأ هذا القرآن من عند نفسه ، وهو يعلم ذلك حق العلم ، ولكنه نسبه الى الله وإلى الوحى ليخلع عليه ثوبا من القداسة والجلال ، وليكون ذلك أدعى الى الايمان به ، والرهبة منه . ومنهم من يزعم أنه أنشأه من عند نفسه ، ولكنه لم يكن يعلم أنه من عنـد نفسه . لان منازع نفسه العالية ، وسريرته الطـاهرة ، وقوة ايمانه بالله وبوجوب عبادته ، وترك عبادة ماسواه : كل أولئك أثر فى نفسـه تأثيرا عظيما ، فكان يتجلى فى ذهنه ، ويحدث فى عقله الباطن انفعالات روحية كان يتصور بسببها أن ارشادا إلهيا نزل عليه من السماء بدون واسطة أحيانا ، وربما مثلت له هذه الانفعالات رجلا يلقنه أوامر فيعتقد أنه ملك من عالم الغيب ، والحقيقة ـ كما يزعمون ـ أنه ليس ثمة ارشاد نازل من السماء ، وليس ثمة ملك ، وانمـا يرى ويسمع ما كان يعتقده فى اليقظة ، الا أنه لم يدرك هذه الحقيقة

هذا تصويرهم للوحى ، والوحى هو أساس هـذا الدين ، وهو الذى اذا انهار فقد انهار بناء الدين حجرا فحجرا

وقد يتخيل بعض المفتونين بعلم الغرب ، وتعليل علماء الغرب واستنباطهم أن على هذا الكلام مسحة من الحقيقة العلمية . فالى هؤلاء المتخيلين نوجه كلامنا ، ونحذرهم من أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض . ونجيب على هذا الخيال العجيب الذى ابتكره عقل المستشرقين فنقول :

أولا — ان عدم قيام دليل علمى على الطريقة الحديثة فى التفكير والبحث يدل على ثبوت عالم الغيب الذى ينبنى عليه ثبوت الوحى على الوجه الذى يقول به المسلمون ـ ان عدم قيام الدليل العلمى لا يعطى أن عالم الغيب لا وجود له ، لانه كما لم يقم دليل علمى على ثبوت عالم الغيب ، لم يقم دليل علمى على أن عالم

الغيب مستحيل . ومن البداهة المقررة عند اهل الفكر ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول ، اذ عدم الدليل قد يكون بسبب ضعف العقل البشرى عن ادراك هذا المدلول . وكم من الأشياء الموجودة فى هذا الكون وجود المشاهدة لم يدرك حقيقتها هذا العقل الغواص وراء بواطن الامور ، فهذه الشمس ، وهذه النجوم ، مرئية للعين المجردة ، ولآلات المراصد ، وآثارها جلية فى هذا الكون ، ولم يصل الدليل العلمى الى اليوم لادراك حقائقها على وجه ينفى اللبس والارتياب . وهذه الكهرباء ظاهرة الآثار كثيرة المنفعة ، ولا يزال سرها وحقيقتها من مواضيع البحث العلمى الى يوم الناس هذا . فهل يجوز لباحث علمى على الطريقة الحديثة فى التفكير أن يقول ان الكواكب غير موجودة ، وان الكهرباء غير موجودة لاننى لم أصل الى دليل علمى يبين لى حقائقها ؟

وثانيا — ان هؤلاء المستشرقين قد ذكروا أنهم يؤمنون ايمانا قاطعاً ، مستمدا من استقراء أحوال النبى من يوم ولادته الى انتقاله للرفيق الأعلى ، بأنه كان صادقا أمينا مخلصا ، سليم الفطرة ، كامل العقل . فهل يتفق صدقه واخلاصه مع دعواه أن هذا الكلام ينزل به الوحى عليه ، فى حين أنه يعلم علم اليقين أنه هو الذى ينشئه من عند نفسه ؟ وهل يتفق صدقه واخلاصه مع تعمده ذلك ليضفى على كلامه ثوبا من القداسة والرهبة ؟ اللهم ان هذا لا يتفق الا عند قوم جعلوا مبدأهم الاسمى أن الغاية تبرر الواسطة ، وان الرسول محمدا (ص) ليس من هؤلاء فى شىء

ثم هل يتفق كمال عقله وسلامة فطرته مع هذه التخيلات التى ينسبونها اليه؟ واذا كان ذلك من كمال العقل وسلامة الفطرة ، فما عسى أن يكون الخبال والجنون إذاً ؟

عليك الصلاة والسلام ياسيدى يارسول الله . لقد زينك ربك بأكمل ما زين به أحدا من خلقه ، ولقد وهبك مالم يهب أحدا من خلقه ، ولقد أعلى كلمتك على كل كلمة ، ولكن ضعف أمتك واستكانتها ، وجمودها على ما وجدت عليه الآباء ، وعدم أخذها فى نصرة دينك بالعلم واللسان إن عجزوا عن نصرته بالرمح

والسنان . كل أولئك هو الذى سلط على سيرتك ألسنة المفترين الأفاكين

وثالثا — ان هذا الكلام الذى جاء به محمد (ص) قد خاطب به المقاول من أفصح العرب وأهل اللسن ، وانهم كانوا أشد الناس حرصاً على تكذيبه فى دعواه أنه ينزل به الوحى عليه . أفما كان بين هؤلاء من يفطن الى أن هذا كلام محمد نفسه ، وبقيت هذه الحقيقة مستورة فى حجب الغيب حتى قيض لها بعض هؤلاء المستشرقين باسم المنهج العلمى الحديث ؟ ياقوم ان آية إعجاز القرآن فى لفظه وأسلوبه ومعناه ، فاذا كان محمد — وهو الرجل الامى — قد تخيل هذا المعنى لانه كان يملأ عليه قلبه وسمعه وبصره ، فمن الذى مكن له من لفظ وأسلوب عجز كل خصومه عن أن يأتوا بمثله ؟

ورابعاً — فى هذا القرآن من العلوم الكونية ، والقصص التاريخية ما لم يكن معروفا لمحمد ولا لقوم محمد ، ولئن ساغ لمحمد أن يتخيل المنهج الاصلاحى والتشريعى الذى يريد أن يدعو اليه قومه ، فكيف أمكن أن يتخيل من أسرار الكون ما لايدركه الا عالم من أبرع العلماء ؟ بل كيف أمكن أن يتخيل الحوادث الماضية التى جرت عليها الاحقاب ذيول النسيان ؟ (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون) (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون . وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . وما تسألهم عليه من أجر إن هو الا ذكر للعالمين)

وخامساً — فى هذا القرآن الكريم آيات فيها عتاب للنبى (ص) وبيان أنه لم يسلك فى الأمر الذى عوتب عليه السبيل الذى كان ينبغى له أن يسلكها ، من ذلك قول الله تعالى فى شأن إذنه عليه الصلاة والسلام للمنافقين أن يقيموا بالمدينة ، ولا يخرجوا معه للقتال (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ومن ذلك قوله سبحانه يعاتب رسوله على إعراضه عن عبدالله ابن أم مكتوم وإقباله على صناديد قريش من الكفار رجاء أن يؤمنوا (عبس وتولى أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى . ما

من استغنى فأنت له تصدى) ومن ذلك قوله تعالى فى شأن زيد بن حارثة مولى النبى ومتبناه ، وكان النبى قد زوجه زينب بنت جحش وهى بنت أميمة بنت عبد المطلب ، فهى بنت عمة النبى (ص) . يقول الله تعالى فى هذه القصة (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)

أفكان الرجل الذى يريد أن يخلع على كلامه ثوبا ضافياً من الاجلال والرهبة يذكر فى كلامه هذا ما عسى أن يفهم منه غض من شأنه أو نقيصة له ؟ ولولا ان أطيل عليكم القول لأكثرت من الاستدلال على وهن هذه المقالة وضعفها ، ولكنى أجتزىء بذلك الآن.

بقى ان أذكر كلمة عن اخواننا من المسلمين الذين يتعرضون لذكر الرسول وللحديث عنه . ان هؤلاء على فريقين ايضا ، فأما احد الفريقين فقوم ظنوا ان الرسول (ص) يجب ان يكون امرءً خارقا للعادة فى كل شىء ، فهم يأبون الا ان يوحد النبى ربه وهو فى بطن امه ، ويأبون الا ان تسمع امه هذا التوحيد ، ويأبون الا ان تبشر الوحوش ودواب قريش بمولده . ويأبون الا ان ينزل من بطن امه مختونا رافعاً سبابته مشيرا بها الى السماء . وفوق هذا لا يقبلون الا ان يكون النبى ابيض الوجه مشربا بياضه بحمرة ، ولا يقبلون الا ان يكون طويلا اذا سار مع طوال الرجال . أحسب هؤلاء ان النبى صلوات الله وسلامه عليه بحاجة الى ان يذكروا له صفات مما يظن قصار العقول وضعاف الأحلام انها ممادح وكمالات ؟ ان النبى (ص) انسان قبل كل شىء ، وان شرفه ورفعة شأنه فى ان يكون إنسانا ، وهو انما كان يفخر بأنه بشر مثلكم يوحى اليه ، ولم يوحد فى بطن امه وهو إلى ماقبل البعثة كان فى حيرة من امر الناس وأمره ؛ وكان يبحث عن الحق ويخلو للتفكير . واذا جعلنا توحيده فى بطن أمه على انه خلق مستعدا للتوحيد ولإعلان الناس به فلم تسمع امه توحيده . ولم يكون ابيض اللون مشربا بياضه بحمرة ؟ أفكان تركيا ؟ انه عربى له لون العرب الذى يفخرون به ، وابن عمه هو الذى يقول :

وأنا الأخضر من يعرفنى   أخضر الجلدة من بيت العرب

كان عربيا له لون العرب الذى يفخرون به وقد زانه الله بالوقار والهيبة ، وجعل على سيماه مخايل النجابة والنجح ، فمن شاء أن يجعل نبينا (ص) دمية مقرونة الحاجبين ، زجاء العينين ، فانا نبرأ الى الله تعالى من قوله ، ولا نسايره فى شىء منه . وإنا لنؤمن بالنبى وبشرائعه ودينه الحنيف وملته القيمة الايمان الذى دعا اليه ورغب فيه . وإنا لنعتقد أن عظمته فوق كل عظمة ، وان بناءه الذى شاده فوق كل بناء ، ونعتقد أن ذلك البناء وهذه العظمة فوق أن تتطاول اليها الاعناق أو تدرك حقيقتها العقول ، ولكنا نعتقد أن هذه العظمة وهذا البناء ليسا فى حاجة الى هذه النعوت التى تخيلها مخايل سقيمة ، ولم يأت بها نص صحيح ولا كتاب منير

فأما الفريق الثانى من باحثى المسلمين فقوم أرادوا أن يتحللوا مما جاء به الفريق الاول منهم ، وحسبوا فى أنفسهم أن فى ذلك تجديدا لكتابة السيرة المحمدية ، وان هذا التجديد قد يرضى أساتذتهم المستشرقين ، وطمعوا أن يكون تجديدهم دعوة الى الاسلام ، وأنهم قد يستطيعون ادخال جمهرة العلماء غير المسلمين فى دين الله ، ومن أجل ذلك حاولوا تعليل حوادث السيرة على النهج العلمى الحديث ، حتى إذا جاؤا الى شىء لم يستطع النهج العلمى الحديث أن يقيم له البرهان آدهم الامر وأثقل كواهلهم . فمنهم من يغتر بتعليلات المستشرقين ولا يدرك ماوراءها من هدم وتخريب . ومنهم من يتحاشى الحديث عنها . ونحن نشكر لهم مجهودهم الذى لا يخالف قاعدة من قواعد الدين وندعوهم إلى ثلاثة أشياء : أحدها اليقظة وألا يغتروا بدسم المستشرقين فان فيه السم الذعاف الوحى . وثانيهما أن يتابعوا النظر والتأمل حتى تتكشف لهم الاسرار وترق الحجب ، فاذا هم مبصرون . وثالثها اذ يدرسوا سيرة الرسول اول الامر فى معادنها الاصلية وهى كتب أئمة المسلمين وعلمائهم ، فانها الورد الاول الذى أخذ عنه المستشرقون ، حتى إذا استيقنتها أنفسهم وآمنوا بما فيها على النهج العلمى الحديث قرأوا مايكتب المستشرقون ، فهناك سيتبين لهم أن كثيرا مما كتب هؤلاء قد أملاه الغرض والهوى ، ولم يملها النهج العلمى الحديث ؟ محمد محيى الدين عبد الحميد

عن مجلة الفتح

العرب مادة الاسلام

لحضرة الكاتب الكبير الاستاذ محب الدين الخطيب

هناك حقائق لا يتم علم المسلم بالاسلام إلا إذا أحاط بها وأحسن فهمها ، وإلا كان فهمه للاسلام ملتويا ، وقطع على الاسلام طريق انتعاشه وبعثه

وأول هذه الحقائق أن حياة العروبة أساس لجامعة الاسلام ، ولم تقم للاسلام جامعة سديدة سعيدة فى عهد الهادى الأعظم والخلفاء الراشدين وزمن التابعين إلا باجتماع كلمة العرب ، ولما استعجم الاسلام وتهاونت الدولة فى هذا الامر بخذلانها للعرب وتفريق كلمتهم ذهبت ريح الاسلام ، وصار شيئا آخر غير الذى جاء به محمد بن عبد الله صلوات الله عليه

ان العرب مادة الاسلام ، هذه حقيقة قررها عمر ابن الخطاب وأعلنها ، ولم يفقد الاسلام قوته الاولى وسر بقائه إلا منذ استغنت سياسة الدولة فى الاسلام عن الانتفاع بسجايا العرب ، فاتخذت له مادة من غيرهم

يظن بعض اخواننا الطيبين أن حزن المخلصين من أبناء العرب على تشتتهم كاليهود وشراً من اليهود ، وتمنيهم اليقظة والتماسك لبنى قومهم ، يعد من عصبية الجاهلية . وهذا الفهم خاطىء جداً ، ويخالف فهم جميع الأئمة وعظماء المسلمين من عرب وعجم ، لأن كل مخلص من أئمة الاسلام عربيا كان أو من أصل أعجمى لم يشك لحظة فى أن انتعاش العروبة وتماسكها وصلاحها وقوتها هو مناط انتعاش الاسلام وصلاحه وقوته

ثم ما هى « العصبية » ؟

هذا معنى يجب أن نفهمه على وجهه

يقول إمامنا الأعظم محمد بن ادريس الشافعي المطلبي رحمه الله (كما في مختصر المزني ٥ : ٣٥٧ بهامش الام) « ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ، والعصبية المحضة أن يبغض الرجل لأنه من بني فلان »

فالعصبية التي نصح الاسلام للعرب باجتنابها هي العصبية التي كانت للاوس على الخزرج وللخزرج على الأوس فلما زالت بنعمة الاسلام كان زوالها من أسباب وحدة العرب التي ننشدها اليوم كما كان ينشدها بالأمس الصحابة والتابعون . ثم هي التي كانت لمضر على ربيعة ولربيعة على مضر ، فلما زالت بنعمة الاسلام كان زوالها من أسباب الوحدة التي ننشدها اليوم كما كان أجدادنا ينشدونها . وهي أيضا التي قامت بين القحطانيين والعدنانيين ، فلما سمع رسولنا (ص) رجلا يقول :

اني امرؤ حميري حين تنسبني   لا من ربيعة آبائي ولا مضر

استشعر منه البراءة من القوم الذين هو منهم صلوات الله عليه فقال له «ذلك الأم لك وأبعد عن الله ورسوله» وكذلك الشعوبية التي تبتغي الاستعلاء على الأمة التي منها رسول الله (ص) وتنكر على العرب حقها في التماسك والانتعاش والقوة فان الاسلام يقول لها بلسان رسول الله (ص) « ذلك الأم لك وأبعد عن الله ورسوله »

ومن أمثلة العصبية ما أشار اليه ناشر كتاب (الانتقاء) للحافظ ابن عبد البر من دفاع أحد الشراكسة المعاصرين عن الحافظ مغلطاي رحمه الله في ص ١٣٧ من ذيول تذكرة الحفاظ بما يناقض موقفه من الامام ابن الجزري في ص ٣٧٧ من ذلك الكتاب ، فقال ذلك الناشر عن ذلك الشركسي « فلعله كان مبطلا في النفاح عن مغلطاي والوقيعة في الامام الجزري فتناقض » ثم قال « ولو أن ابن تيمية أو السيوطي أو غيرهما كان في محل مغلطاي فيما قيل عنه لاستجمع ضروب القول ليثبت انتقاصه »

وعصبية الجاهلية هي التي ترمي الى شق عصا الملة باسم الوطنيات المحلية ، أو التفريق بين القبائل أو الشعوب ؛ مع أن من مقاصد الاسلام أن يجمع

بنعمته كلمة العرب كلها ، ثم أن يجمع بالاخوة كلمة المسلمين كلهم ، ثم أن يجمع الانسانية كلها على الحق والهدى . فاذا قام مصلح اندونوسى أو هندى فعمل على جمع كلمة بنى قومه ليكونوا عضواً صالحا فى جسم الاسلام هل يعد عمله عصبية يذم عليها ، ان العصبية التى ذمها الاسلام لاعلاقة لها بعمل ذلك المصلح الاندونوسى أو المصلح الهندى ، بل مثله عندى كمثل قائد كتيبة وحد أجزاءها وبث فيها روح القوة والفضائل والمفاخر وقال لها أريد أن تكونى فى المعركة خير كتائب هذا الجيش وأعظمها شجاعة وتضحية ونصرا

وهذه الحقائق قررناها فى سنوات قديمة من الفتح واقتنع بها قراؤنا المسلمون من كل الاجناس ، فهل يعقل بعد ذلك أن نخذل دعوة العرب أنفسهم — وهم مادة الاسلام — إذ نهدوا لقوميتهم التماسك والتعاون والرفعة والسعادة والسيادة ؟

ان جميع أجناس المسلمين تعرف للعرب مكانتها السامية بينهم ، وكان الأقدمون منهم يعلمون من الاسلام بالبداهة والفهم الفطرى أن العروبة جنسية الاسلام وأن العربية لغة الاسلام ، ولذلك كان كلما دخل بلد أعجمى فى دين الاسلام سارع الى اتخاذ لغته العربية لغة للاسواق والبيوت والأسر ، حتى قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم) : « ان اعتياد الخطاب بغير العربية — التى هى شعار الاسلام ولغة القرآن — حتى يصير ذلك (أى التكلم بالاعجمية) عادة للمصر وأهله ، ولأهل الدار ، وللرجل مع صاحبه ، ولأهل السوق ، أو للامراء أو لأهل الديوان ، أو لأهل الفقه ، فلا ريب أن هذا مكروه (١) فانه من التشبه بالأعاجم . ولهذا فان المسلمين المتقدمين لما سكنوا أرض الشام ومصر — ولغة أهلهما رومية (٢) — وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية ، والمغرب ولغة أهله بربرية ، عودوا أهل هذه البلاد العربية ، حتى غلبت على أهل هذه

(١) أى فى شريعة الاسلام

(٢) أى اللغة الرسمية التى كانت لغة الحكومة فى القطرين يومئذ

الأمصار مسلمهم وكافرهم ، وهكذا كانت خراسان قديما ، ثم انهم تساهلوا فى أمر اللغة ، واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم ، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ، ولا ريب أن هذا مكروه . وانما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتقنها الصغار فى الدور والمكاتب ، فيظهر شعار الاسلام وأهله ، ويكون ذلك أسهل على أهل الاسلام فى فقه معانى الكتاب والسنة وكلام السلف »

هكذا كان يفهم أئمة المسلمين مكانة العروبة والعربية من ملة الاسلام

وانى أكتب هذه الفقرات ، وهذا الجزء من الفتح على وشك المثول للطبع ، على أثر قراءتى مقالة لصديقى القديم الاستاذ محمد صادق عرنوس أنحى فيها على دعاة الفرعونية والأشورية بما يستحقه العاملون على احياء الوثنيات ، ثم نبا السيف وكبا الجواد فقال ذلك الصديق العزيز « نعم ، ان إثارة مثل هذه العصبيات مناط لوم شديد لمن دعا اليها ، ولكن هناك دعوة يظن أهلها أنها سليمة لا جناح على من قام بها ولاملامة ، تلك هى الدعوة الى العصبية العربية أو كما يسميها دعاتها الجامعة العربية . نحن لا ننكر أنها أرحب ذرعا وأوسع دائرة من باقى العصبيات ، ولكنها عصبية على كل حال لها خصائص العصبيات القومية وما ينشأ عنها من فصم عروة المسلمين ... الخ »

الله اكبر ، وهل المسلمون من غير العرب صاروا لا يرضون عن أمة رسولهم إلا أن تبقى كما هى اليوم أشتاتا متخاذلين وضعفاء متواكلين ، وهل إذا تمنى العرب أن يكونوا أمة تعاون وصلاح وتماسك وقوة يكون ذلك مما يسوء اخوانهم المسلمين حتى ينفصم ذلك عرى الاسلام : وأى اسلام هذا الذى ينكر على العرب أن يعودوا الى ما كانوا عليه فى زمن نبيهم وخلفائهم الراشدين وأئمتهم المتبوعين من عزة وتعاون وصلاح ؟ وأى عرى تكون للمسلمين إذا بقى العرب منحلين ؟ ان الاسلام الحقيقى هو الذى يأمر العرب بجمع شملهم وتوحيد كلمتهم . ليجتمع بذلك شمل المسلمين وتتحد كلمتهم ، وهل انفصمت عرى المسلمين إلا بانفصام عرى أقدم المسلمين اسلاما وهم العرب !

أما دعوى تفضيل المسلم غير المسلم على أخيه المسلم إذا اختلفت قوميتهما فهذا من صفات غير المسلمين ، ووهم كهذا الوهم مما لا يجوز اقحامه فى هـذا الموضوع . بل ان هذا التفضيل رأيناه عند دعاة العصبية المحلية ، والذين يرتكبون هذا الاثم سيثابرون على ارتكابه ولو لم تنل العروبة حقها فى الحياة والسعادة المنشودتين

وبعد فانى لا أغتفر لصديقى الاستاذ عرنوس هذه النبوة إلا بأن ينقل هذا المقـال ، وأن يسلم بأنه الحق الذى لا ريب فيه ، وبأن من أعظم مظاهر الحكمة الالهية ظهور الاسلام من أمة العرب ، وأن لم ينحطوا ويبتعدوا عن دينهم إلا منذ جعلوا سجايا العرب وقوتهم كمية مهملة فى الكيان الاسلامى ، ولن يعود الاسلام إلى فطرته وأصله إلا إذا تعاون المسلمون جميعا على بعث العرب من جديد . فتتقدم لحمل أعبائه الأكتاف التى حملته فى المرة الاولى، ولله الأمر من قبل ومن بعد

محب الدين الخطيب

نشرنا كلمة الأستاذ الكبير بنصها نزولا على رغبته ، ودفعاً لظنة (العصبية) لرأى رأيناه فلا نبغى عنه حولا ، كما يتمسك أهل الآراء بآرائهم مهما ظهرت لهم وجاهة خلافها . وانه ليسرنى أن أقرر أن ما كتبه الأستاذ قد أماط اللثام عن كثير من الشبه التى كانت تخالجنى وتخالج الكثيرين من أهل الغيرة على الوحدة الاسلامية أن تتصدع بتداعى العرب ـ كجنس صلته بالاسلام كصلته ببقيـة الأديان ـ إلى الاتحاد والتماسك على أساس الخصائص العربية ـ بحسناتها وسيئاتها ـ لا على أساس الرسالة المحمدية ـ بهديها ونورها وحياتها ـ وكنا نوجس خوفا من آثار هذه الدعوة أن تستحيل نعرة من النعرات الجاهلية المعروفة لما شاهدناه فى كثير من القائمين بها من التمسك بها أشد التمسك منفصلة عن جرثومة حياتها وهى الشريعة السمحة ، فتراهم يصولون عنها ويناخون بكل ما أوتوا من قوة ، مع التحلل من آداب الشريعة ، فاذا دعوا اليها أحيانا فتعزيزا للعروبة فقط ، وبعبارة تشعرك بالفتور وهبوط الحماسة ، مما يبين عما يكنونه لها فى صدورهم .

والاستاذ محب الدين أعرف مني بنفسية أولئك الدعاة فلا يكاد يوجد منهم فرد نابه الذكر في أي بلد لا يعرفه ، ولكنني أشهد أنه يضع كل انسان منهم موضعه . ولي معه حول ذلك محادثات أثبتت لي صحة حكمه عليهم

أما وقد صحح في مقاله الموقف الذي يجب أن يكون عليه الداعون الى الوحدة العربية ، وأزال الريب التي كانت تساورنا من جهتهم — أو ضمن على الأقل أن هذه الدعوة تكون على أساس مقاله — فإنا معه في وجوب تقوية الجبهة العربية لتضطلع بعبء الرسالة المحمدية من جديد . فالعرب ولا شك مادة الاسلام ، وكما قال « بأن من أعظم مظاهر الحكمة الالهية ظهور الاسلام من أمة العرب ، وان المسلمين لم ينحطوا ويبتعدوا عن دينهم الا منذ جعلوا سجايا العرب وقوتهم كمية مهملة في الكيان الاسلامي » وانك لترى جرثومة الضعف قد علقت بالكيان الاسلامي من اول ظهور العباسيين لاستعجام دولتهم وان كانت لم تأت عليه الا بعد حين لما كان يتمتع به من مناعة قاومت الداء حقبا طويلة

ذلك ما أفهمه وأدين به : ولعلي عند ما كنت أنظم القصائد المحبرة (التي شرفت بنشر الفتح اياها) في تمجيد الاسلام والمسلمين من السلف الصالح ما كان يجول بخاطري ساعتئذ الا أعمال الصحابة من المهاجرين والأنصار ، والذين جاؤا من بعدهم وهم من هم في العرب وصراحة النسب ، حتى لقد كانت سيرتهم هي مصدر إلهامي في كل مانظمت وكتبت

واني أفهم كذلك ان صفات ممتازة هي التي رشحت هذه الأمة لاختيار الرسول الأكرم من بينها ليؤدي السفارة الى الناس كافة من عرب وعجم ، ولا بد ان يكون هناك قدر مشترك من هذه الصفات بينه وبين الأمة التي هو من ابنائها حتى اذا التحق بربه وجد منها — او على الاصح — وجدها ناضجة لتحمل عبء السفارة من بعده كما حصل ، فلقد قامت بها فأحسنت القيام ، ففتحت بالقرآن المتلو وبالخلق الرفيع الماثل مالم تفتح بضخامة الجحافل .

واني اكاد اعرف السبب الذي من اجله سهل على العرب تطبيق الاسلام الحق على أنفسهم فسهل على الناس تقليدهم فيه . ذلك ان المكارم التي يدعو

اليها كانت من غرائزهم ولكن كان ينقصها التوجيه الذى امتن الله به عليهم فى قوله (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)

فلقد كانوا لا تعوزهم الشجاعة بل كانوا شجعانا إلى درجة التهور ، ولكنهم كانوا يقتتلون فى الباطل ، وهذا ولا شك ضلال مبين ، فوجههم الاسلام إلى الجهاد فى سبيل الله ، ونقلهم من القتال فى سبيل المحيط القبلى الباطل الى القتال ـ عند الضرورة ـ فى سبيل المحيط الانسانى الحق

وما كان يعوزهم السخاء فلقد كانوا أجوادا إلى حد الاسراف ، فوضع لهم نظاما ماليا أساسه البذل فى سبيل الله : عجز أقطاب المفكرين أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

ولقد بلغت بهم الغيرة على الأعراض أن يئدوا بناتهم قطعاً لدابر الظنون ، فجاء الاسلام فأرشدهم إلى الطريق الوسط فى معاملة المرأة ، تلك التى تجافت عن غلو الجاهلية ومفاسد الاباحية

وهكذا ما انفك يوجه هذه الطباع من الشر إلى الخير أو كما قال (يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وهل الحكمة الا إحكام الافعال والاقوال ، وجريانها على قانون الصواب — حتى صقل هذه اللآلى ونظمها فى سمط لا يزال الحلية المشرقة فى جيد الدنيا حتى يأذن الله بانقضائها

فاذا كان الدعاة إلى الوحدة العربية يقصدون أن يعيدوا هذا المعنى الى كيانهم وأن يتحدوا ليصيروا كما كانوا مادة الاسلام وأسلاك كهربائه ، وأن يجعلوا تقوية العروبة وسيلة الى ذلك لا غاية يقفون عندها ، وأن يكون عملهم ازاء المسلمين بمثابة وقوف القاطرة على أثر سير طويل تقف لتصليح أجزائها وترميم آلاتها ثم لا تلبث أن تواصل السير تجر وراءها بقية العربات ، ناظرين الى سائر المسلمين نظر الوالد العطوف الى ولده ، والاستاذ المخلص الى تلميذه . نعم إذا كانت هذه غايتهم دعونا لهم من كل قلوبنا بالنجاح وسرنا معهم فى أول القافلة

محمد صادق عرنوس

أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم (١)

أجمع المؤرخون وعلماء السيرة على أن محمدا النبي العربي صلوات الله عليه أكمل ناشيء فى قومه ، وأعف رجل فيهم ، وقد خطبته خديجة بنت خويلد زوجا لها فى مطلع شبابه وهى فى الأربعين ، فتزوجها فصارت أم المؤمنين ، وماتت عنده عجوزا وقد بلغ الخمسين ، فكانت أولى نسائه وأم أولاده عدا ابراهيم (فانه من مارية القبطية) وكانت ذات حسب ونسب ، فاختارت الكفؤ الكريم . أقامت معه ربع قرن فلم يتزوج عليها أحدا ، بل لم يجمع فى مكة بين ثنتين بل لم يتزوج بكرا غير عائشة رضى الله عنها ، فهل هذا شأن من يريد الحياة الدنيا وزينتها ؟ ثم ان لتعدد أزواجه فى المدينة أسبابا خاصة وعامة ، وحكما ومقاصد سامية ، ونحن نلخصها فيما يلى :

ان الجمع بين أمهات المؤمنين لم يكن إلا بعد هجرة النبي الى المدينة فى السنوات العشر الأخيرة من عمره صلى الله عليه وسلم وعددهن تسع ، خمس من قريش ، وهن عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أمية ، و أما الأربع الباقيات فهن صفية بنت حيي الخيبرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية . والحكمة فى تزوجه بعد هجرته الى المدينة ببضع نسوة فى بضع سنين هو العناية باصلاح البيوت وتهذيب النفوس ، ومصاهرة القبائل ، وكفالة الأرامل ، وتربية الأيتام ، وأن تكون أزواجه قدوة حسنة لجميع النساء فى تلقى العلم والحكمة ، والبر والرحمة ، والتقوى والعبادة ، والتربية والتعليم ، وإليك البيان .

(١) جعل الله تعالى من بيوت نساء النبي (ص) مدارس داخلية يتعلمن فيها الدين : عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه لا سيما ما يختص منه بالنساء فقال (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة

---

(١) بقية محاضرة الاستاذ البيطار المنشورة بالعدد السابق

وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) فالقرار فى البيوت من أجل أن يتعلمن ما يحتجن اليه وما يعظن به النساء والرجال ، ولهذا قال (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) وآيات الله : براهينه وكتابه ، والحكمة سنة نبيه المبينة ما نزل اليه من ربه ، وإنما نهى عن التبرج الجاهلى لأن المفتونات بحب الزينة لا يأتى منهن معلمات ولا مربيات ، ولأن الانغماس فى المشتهات والاسراف فى اللذائذ يفسد بأس الدول القوية ويفقر الامم الغنية ، فكيف بالامة الناشئة الضعيفة : ونساء النبي انما وجدن عند النبي لتربية الامة وتعليمها وإرشادها وإسعادها

(٢) لما طلبن منه التوسع فى الطيبات ، وملابس الزينة والترف فى المعيشة نزلت فى حقهن آيتا التخيير (يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما) لما نزلت هاتان الآيتان بدأ بعائشة وكانت أحبهن اليه ، كما كان أبوها أعز الرجال عليه ، فقال يا عائشة إنى أحب أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك ، قالت وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية ، قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوى ، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم خيرهن كلهن فاخترن ما هو خير لهن ، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة

(٣) أراد نساء النبى (ص) أن يقمن حيث أقامهن الله ورسوله صالحات قانتات مربيات معلمات ، مرشدات ومفتيات ، فاخترن الدار الآخرة ونعيمها الدائم ، ورضوان الله الاكبر ، على حظوظهن من هذه الحياة الدنيا ومتعها ومفاتنها . فأثابهن الله كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين بأن قصر نبيه عليهن ، دون أن يتزوج أو يطلق أو يستبدل بهن غيرهن فقال (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) الآية . والحكمة فى تحريم تطليقهن هو استدامة سماعهن ما يتلى فى بيوت النبى من آيات الله والحكمة ، وذكر ذلك ونشره بين الناس لا سيما نساء الصحابة ، وأية فائدة ترجى لهن

أو لغيرهن من طلاقهن ، وهن أمهات المؤمنين تعظيما وتحريما على الرجال كالامهات . فأنت ترى أن النبي قد قصر على أزواجه الطاهرات ، وحرم عليه أن يمد عينيه الى غيرهن بالزيادة أو التبدل ، بخلاف رجال أمته الذين أبيح لهم التعدد بشروطه ، وكذا التطليق ، وإن يستبدلوا بأزواجهم غيرهن ، فكان قصره على دائرة ضيقة من الازواج ، وكانت الامة فى دائرة أوسع منهما ، أهذا الذى يسمونه تمتعا بالنساء أو الازواج .

نساء كلهن ثيبات « عدا السيدة عائشة » ومنهن من لها أولاد ، تزوجهن فى سن الكهولة أو الشيخوخة ، وحين الحاجة الى التبليغ والتعليم ، وربما كان التزوج بهن كلهن قبل نزول آية التحديد بأربع نسوة ، فهى قد نزلت فى السنة الثامنة من الهجرة وكان تزوجه بآخرهن وهى ميمونة بنت الحارث الهلالية فى أواخر سنة سبع منها ، وحرم عليه تطليقهن لأنهن قد اخترن ما عند الله على زهرة الحياة الدنيا وزينتها ، على أنهن قد صرن أمهات المؤمنين فما الفائدة من طلاقهن وهن حرام على الرجال ؟ أو ليست الحكمة فى بقائهن عند هذا الزوج الكريم والرسول العظيم ، متعلمات معلمات ، ومثلا عليا فى تهذيب النفوس وسائر الصالحات ؟

تعدد الزوجات ، والطلاق

إن تعدد الزوجات ، والطلاق — لم يختص بهما الاسلام ، وانما كانا شائعين عند اليونان والرومان والعرب وغيرهم قبل الاسلام . وقد أباحت القوانين الاوربية والاميركية تعدد الزوجات والطلاق ، وأصبح ذلك عندهم مستحسنا ، بعد أن كان مستهجنا . ولكن التعدد فى عرفهم يقصد به التنقل فى الملذائذ والتمتع بأنواع الحياة والشهوات ، فكان ذلك من أكبر الدواعى لتناقص النسل لا لازدياده ، والسأم من الحياة الزوجية لا الرغبة فيها

أما التعدد الصحيح فله ضرورات . منها أن تكون الزوج عقيما لا تلد ، أو عندها مانع من مرض ، أو دخلت فى سن اليأس . وهذه أسباب شخصية .

وأما السبب الاجتماعى العام فى جميع الشعوب والاقوام فهو زيادة النساء على الرجال ، لاسيما بعد الحروب العامة التى يهلك فيها الملايين من المحاربين ، ويبقى الملايين من النساء بلا رجال .

فتعدد الزوجات هنا ضرورة اجتماعية لتجديد النسل وتكثير الايدى العاملة وهو من مصالح النساء التى تبقى محرومة من نعمة الحياة الزوجية والامومة .

ويجب أن نعلم يقينا أن المناداة بالمساواة بين الرجال والنساء فى تعدد الزوجات والازواج هو ضرب من الاباحة أو الجنون ، لان تعدد الزوجات يزيد النسل ، وتعدد الازواج يفسد الحرث والنسل ، وقد قال بعض الاوربيين الاجتماعيين فى بيان الفرق بين الرجل والمرأة فى هذا المقام : لو أن الرجل تزوج بمائة امرأة فى عام واحد لأمكن أن يكون له مائة ولد ، ولو تزوجت أنثى بمائة رجل فى عام واحد لكان لها ولد واحد أو لا يكون لها شيء

آية التعدد

يظن كثير من الناس أن الآية المبيحة للتعدد بشرط العدل ، داعية الى الاستكثار من عدد الزوجات والاستمتاع بصنوف المشتهيات ، مستدلين على ذلك بجملة منها ، وهى « فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » غافلين عن أول الاية وآخرها ، وسياق الايات التى جاءت معها وسياقها ، والاسباب التى أنزلت فى شأنها ، لكن الممعن فى معناها يعلم أنها وردت فى حفظ حقوق الضعفاء والتحذير من أكل أموال اليتامى والنساء ، وأولها (وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا . وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا) .

وقد نزلت فى أسباب عدة ، وما ثم تعارض بينها : (١) فى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيعجبه مالها ، فيريد أن يتزوج بها طمعاً فى مالها او بدون مهر المثل

(٢) فى منع اليتيمة من التزوج ليبقى الولى متمتعاً بمالها لا ينازعه فيه الزوج
(٣) فى الاستكثار من النساء ، والاغارة على أموال اليتامى من أجل ذلك
(٤) فى ظلم النساء الكثيرات ، وعدم العدل بينهن

فجاءت الآيات قاضية بابطال تلك المظالم التى كانت عليها الجاهلية فى أمر اليتامى وأمر النساء ، آمرة بالتزوج بالمرأة الرشيدة إذا خيف من ظلم اليتيمة ، مبيحة الزيادة على الواحدة الى الأربع ، إذا دعت الدواعى الى ذلك بشرط العدل بينهن ، فاذا خاف الرجل الظلم اكتفى بواحدة . والاصل فى سعادة البيوت ألا يكون للرجل اكثر من واحدة ينعم بها ، ويتعاون معها على تربية نسلهما تربية صالحة تعتز بها الامة والوطن ، ولكن العوارض الطبيعية والاجتماعية هى التى تلجئه الى التعدد كما تقدم

الطلاق

الطلاق لا يكون إلا عن ضرورة وبصيرة ، وذلك بأن يكون الزوجان قانعين بأن لا سبيل لبقائهما على الحياة الزوجية لموانع جسمية أو نفسية ، خلقية أو خلقية تجعل صفو العيش كدرا ، وتعرض النسل للمهانة والشقاء ، فالفراق فى هذه الحال نعمة لا نقمة ، والزوجان سعيدان به لا شقيان (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) وآية ذلك أن يكون الزوج فى حال الطلاق عاقلا مختارا ، وأن تكون الزوجة آمنة مطمئنة ، فيمتعها متاعا حسنا بكسوة ، ويفارقها باحسان

أما اذا لم يكن موجب للفراق ، فلا يحل له أن يضارها بالطلاق ، وعليه أن يذكر قوله تعالى (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) فهذا ضمان وأمان من الله طول حياتها عنده ، ما دامت قائمة بواجبها

أما طلاق الغضبان والسكران ، والطلاق من أجل قضية أجنبية لا علاقة للزوجة بها ، فهو طلاق الظالمين لأنفسهم ولأزواجهم

والحاصل أن مسألة الطلاق كتعدد الزوجات شرعت للحاجة اليها ، ولها

شروط وقيود تثبت نفعها وتمنع ضررها ، وليس لدينا وقت لايراد النصوص عليها ، على أنها معلومة مشهورة.

رسم خطة عملية لاصلاح البيوت

البيوت مؤلفة من رجال ونساء وبنين وبنات ، والرجل هو المسئول عن زوجه وولده وكل من يتصل به ، وفى الحديث الصحيح « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فيجب على الرجل اذن يأخذ نفسه وأهله بأدب الدين الذى هو جماع الفضائل والآداب ، فان كان الرجل جاهلا أو ضعيفا لا يستطيع أن يعلم هو بنفسه ولا أن يكون قدوة صالحة لغيره ، فعليه أن يستعين على ذلك برجال الامة وهم علماؤها العاملون الاطهار ، وعلى العلماء الذين هم ورثة الانبياء أن يقوموا بواجب التهذيب والتعليم ، أما اذا كان الرجل آثما وحاول أن يدخل الفسق فى بيته ، ويلوث طهارته وطهارة زوجه وولده ، فما على المحصنات فى البيوت والاولاد البررة إلا أن يأخذوا حذرهم ، ويتعاونوا جميعا على نصحه ومنعه عملا بالآية الكريمة (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

وهذا الاصلاح الداخلى مطلوب من النساء لأنهن ربات البيوت ومربيات النفوس ، بل هن أميرات الداخل ومعاقل المنازل ، وما زلن أقرب الى الفطرة وأعف من الرجال ، وأبعد عن كل مسكر وميسر وسائر أنواع المفاسد . وللمرأة الحق بأمر الرجل بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وتطهير بيتها من جراثيم الفساد التى يحاول الرجل الاثيم أن يلقح بها عياله وأطفاله ، فتفتك بهم عاجلا أو آجلا كما فتكت به من قبل

فعلى النساء أن يحذرن كل الحذر ، وأن يعلمن حق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن يذكرن الاية الكريمة (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فقد أعطت هذه الاية الكريمة هذا الحق للرجال والنساء على السواء ، ويدخل فى هذا انكارهم حتى على

التـــــبرج

جبلت المرأة على حب التزين والتبرج لما تقتضيها وظيفتها التى خلقها الله لها، وهى أن تكون متاعا للرجل وزينة للحياة الدنيا ، فالطفلة تفرح وتزدهى بالملابس الجديدة الزاهية ، ويلذ لها النظر فى المرآة كثيرا ، ثم تنمو غريزة حب التبرج فيها وتشتد وهى فتاة ، وتلازمها طوال حياتها حتى فى شيخوختها ، فيصبح كل همها التأنق والتجمل ، وكل سعادتها فى أن تبدو أجمل وأصغر من حقيقتها ؛ وتسعى ما استطاعت ان يستحسنها ويعجب بها كل من رآها من رجال ونساء وتنتهز الفرص لتظهر جمالها وأناقتها ، فكثيراً ماتذهب المرأة إلى المحال التجارية لا لحاجة اليها ، وتكثر الزيارات وتحرص على حضور حفلات الافراح لا للمجاملة

الخلفاء والملوك والأمراء ، وقد كان النساء يعلمن هـذا فى صدر الاسلام ويعملن به كالرجال

وبعد فان لنا عتبا على المرأة الحديثة التى أخذت تعقد المؤتمرات فى غير وطنها ، وتطلب حقوقها من غير دينها وأمتها ، وهى تدرى أو لا تدرى أن لها فى الاسلام من الحقوق ما لم تعطه امرأة قديمـة ولا حديثة فى شريعة من الشرائع الدينية أو المدنية ، فهى تطـالب بحقوق لم تسلبها ، وتشكو أمة لم تظلمها ، وشريعـة لا تزال تعيش فى ظلالها وتستنير بنورها ، فياليت النساء العربيات المسلمات يعقدن المؤتمرات النسائية فى بلادنا ويجـددن بها مكانة المرأة العربية أيام عصورها الذهبية ، فتعود عالمة عاملة ، آمرة ناهية ، كما فعلت تلك التى عارضت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى مسألة المهور وهو واقف يخطب على منبر الرسول ، فاعترف بخطئه ، ورجع الى قولها عن قوله . وأرى أن هذا أقرب طريق للاصلاح ، لانه متى صلحت الافراد صلحت الجماعات ، ومتى صلحت الاسرة صلحت الامة ، والسلام ؟

محمد بهجة البيطار

والترويح عن النفس ، بل لاظهار زينتها وإبراز ماخفى من جمالها

تميل المرأة الى من يستحسنها ، ويلذ لها إطراء جمالها ولو كان كذبا ، ولا يؤلمها شيء كنقد جمالها أو ذم حسنها .

والحق الذى لاشك فيه ان المرأة باصطناعها الجمال المتكلف ، واجتلابها المحاسن المزورة لا تكتسب فى الواقع جمالا ولا محاسن بل تمسخ وجهها ، وتخفى مابها من جمال فطرى تفضل عليها به الله احسن الخالقين .

والمرأة المسلمة التى تستعمل الاصباغ وتقلد الاجنبيات لاتدرى انها صارت اضحوكة وسخرية ، وتظن انها صغرت سنا والحقيقة انها صغرت عقلا ، وذهب احترامها من نفوس العقلاء

ان الجمال الحقيقى ليس كل هذه التكلفات السمجة ، انما هو جمال النفس المؤدبة ، والحياء الذى يتجلى على الوجه فيكسوه جمالا وبهاء ينفذ الى القلوب ويبهر الابصار .

ان الفتاة التى تواجه الرجال سافرة متوقحة بأصباغها قد تجردت من ثوب الحياء والادب ففقدت بذلك اكبر جاذبية وأجمل حلية لانوثتها ، وانها لجديرة بما حاق بها من الحقارة والمهانة من كل من يراها من العقلاء

واللوم كل اللوم فى ذلك الانحلال انما يرجع الى الاباء والازواج الذين فرطوا فى واجبهم وضيعوا اوامر ربهم فان الله تعالى يقول « الرجال قوامون على النساء » ويقول « قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » ويقول النبي ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وما ذلك الا لان طبيعة المرأة لا تكبح الا بلجام من غيرة الرجل ، وقوة حرصه على الشرف والكرامة . فمن أجل ذلك جعل الله زمام المرأة فى يد الرجل العاقل الغيور ، فويل ثم ويل للرجال الذين لا يصونون كرامتهم ، ولا يحفظون رعيتهم ، ولا يحسنون القيام على ما استرعاهم الله من الزوجات والابناء

أيها الناس : لم تظلمون الاسلام بادعائكم أنكم من أهله ، وتزعمون أنكم مصلون وحاجون وأنتم تحاربونه فى الصميم ، وتقتلون أوامره التى لا توافق

أهواءكم بكل سلاح . أليس العفاف والحياء والادب من أهم مايدعو اليه الاسلام ؟ (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)

المرأة المسلمة يجب أن تتحلى بالشرف ولا تتجمل الا لزوجها ، وأن تصون جمالها عن كل أحد سواه ، فلا ترسل لهذا نظرة ساحرة ، ولا لذاك ابتسامة خلابة ، ولا لثالث ضحكة فاتنة

والغريب أنك إذا نصحت احدى أولئك المتهتكات بالتزام الاحتشام ، والوقوف عند أدب الاسلام ، أجابتك بأن ذلك لا يتفق مع الحضارة والرقى ، والعلم والمدنية !! عجباً . هل العلم فى الاصباغ التى على الوجه ، والملابس التى على الجسم ، أم فى العقل الذى فى الرأس ؟ هل التمدن فى المظاهر ام فى النفس المهذبة ؟ أنت بالنفس لا بالجسم انسان

وأغرب من ذلك أن بعض المسلمات المصليات الحاجات يزعمن أن التبرج مما يبيحه الاسلام ولا يمنع منه ، وهذه جرأة على الله ، ودليل ساطع على جهلهن مهما زعمن من علم وثقافة ، وما هو إلا جهل وسخافة . أين هن من قول الله عز وجل فى كتابه (قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو اخوانهن او بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) الخ

لو كان أولئك النسوة يصلين على الوجه المشروع لظهر أثر تلك الصلاة ، ولكنهن يصلين صلاة العادة والتقاليد ، والقلوب فى غمرة من الاهواء والشهوات والارواح ميتة من أمراض التبذل والسيئات . فلن يكون لتلك العبادة أثر لا فى القلوب ولا عند الله ؟

رجب — العدد السابع — الثمن ١٥ مليما — السنة السابعة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة دينية اسلامية اجتماعية « شهرية مؤقتا »

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصرى والسودان

و٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . بمصر

المطبعة الفخرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الايمان الصادق

وأثره فى إصلاح النفوس وتزكيتها

أتحدث اليكم عن حقيقة الايمان الصادق الذى هو أساس سعادة الدنيا والآخرة، والذى يزكى النفوس ويطهرها عن الرذائل التى تفسد الفطرة، وتنحط بالانسان إلى أحط دركات الجهل والعماية والغباء، حتى ليعدل الجاهل بربه وخالقه والمنعم عليه بما لايحصى من النعم غيره من الموتى الذين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، فيعبدهم بأنواع العبادة التى لا تنبغى الا لله وحده، وحتى لايميز الخبيث من الطيب والصالح من الفاسد، وما يضره مما ينفعه، ولا يفرق بين الفسوق والعصيان، والطاعة والايمان، ولا يميز بين الابرار والفجار. كل تلك الرذائل وغيرها كثير تنتج من حرمان القلب من العقيدة الايمانية الصادقة، ومن ارتكاسه فى ظلمات الجهل والهوى والشهوات والتقليد الأعمى لكل من يفرض نفسه على الناس محتكرا للدين وقابضا على مفاتيح السموات، لايدخل إلى رحمتها إلا من يشاء بما يشاء، ولا ينفذ إلى نعيمها الا من يحظى بجواز منه، وما يقصد بذلك إلا استعباد الناس وأن يكون طاغوتا يتخذونه إلها مع الله، فيستغلهم لشخصه ماديا وأدبيا، ويفقدهم ميزة الانسانية التى أنعم الله عليه بها وأكرمه بالسمع والبصر والفؤاد

وانما بعث الله رسله وأنزل كتبه لينقذ الناس من مخالب أولئك الدجالين المفسدين الظالمين لأنفسهم وللناس بالكذب على الله ودعواهم أنهم وكلاؤه فى الأرض وحجّابه فى السماء. سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا

فالايمان الصادق الذى جاء به الرسل من أولهم الى خاتمهم، أساسه (أن لا نعبد الا لله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وهو الذى ذكره الله على لسان ابراهيم عليه السلام اذ قال لقومه (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين)

الايمان الصادق : أن لايعبد بأى نوع من العبادات القلبية أو اللسانية أو البدنية أو المالية وأن لا يتقرب بشىء من ذلك الا لله وحده ، فلا يدعى فى شدة ورخاء غيره ، ولا ينذر الا له ، ولا يحلف الا به ، ولا يهتف فى القيام والقعود الا باسمه سبحانه ، وأن لا يعبد الله الا بما شرع لرسوله محمد (ص) فمن جعل شيئا من أنواع العبادة لغير الله بأى اسم سماه وعلى أى صورة صوره أو تعبد لله بما ابتدعه الشيوخ والرؤساء والاجداد والآباء فانه قد هدم بذلك الايمان الصادق مهما زعم أنه من خيار المؤمنين ، ومن أقرب المقربين ، فليس لامر فى الدين بالدعوى ، انما هو الحجة والبرهان من قول الله ورسوله (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وكذلك كل من ضيع عبادة الله فلم يقم بها على ما أمر الله ، واتبع هواه ، فليس ذلك من الايمان الصادق فى شىء وان حلف أغلظ الايمان أنه من المؤمنين الصادقين ، فما الايمان بالأمانى الكاذبة ، وانما هو العلم الصحيح والاعتقاد الطيب والعمل الصالح (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا . ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا) ويقول الرسول (ص) « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل »

فالايمان الصادق هو الذى ينعم القلب بحلاوته ويسعد بعذوبته لانه جنى

ثمرته الطيبة من العلم النافع ، والمعرفة الصحيحة لربه سبحانه بأسمائه وصفاته وآلائه ونعمائه التى لاتحصى من تدبر آيات القرآن الكريم وتفهمها جهد طاقته بعقل قد تحرر من أغلال التقليد الاعمى والعصبيه للرؤساء والسادة والشيوخ وجمهور العامة ودهماء الناس ، وبالتفكر فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ،وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والارض ، ان فى ذلك لآيات لقــوم يعقــلون .

فالايمان الصادق الذى ينشأ عن هذه المعرفة ويكون ثمرة هذا التفكر هو الذى يملأ القلب اجلالا لله واعظاما لحقه ، وتوقيرا لشرعه ورضوخا لحــكمه وخضوعا وتسليما لأمره وتصديقا لوعده ، وخوفا من غضبه ، وهربا من شديد عقوبته ، وطمعاً فى مثوبته

الايمان الصادق هو الذى يشعر القلب لذة العبادة وحلاوة الطاعة ومرارة المعصيــة ، ويشعر النفس عز العبودية لمالك الملك ذى الجلال والاكرام ، والرضا بهربا وبدينه الاسلام دينا وبنبيــه محمد (ص) نبيا ورسولا ، وإماماً وهاديا وسراجا منيرا . لا نور فى طريق الدين الا من هداه ، ولا سعادة ولا فلاح الا بطاعته واتباعه ، والرضا والتسليم لسنته وحكمــه ، والتأدب بأدبه والتخلق بخلقه والاستقامة على صراطه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

الايمان الصادق هو الذى يسيطر على القلب ويملؤه صلاحا واصلاحا « واذا صلح القلب صلح الجسد كله » فلا يصرف الأعضاء والجوارح الا فى الأعمال الصالحة النافعة له وللناس فى الدنيا والدين .

المؤمن الصادق طيب الاقوال ، طيب الاعمال ، طيب الصفات والاحوال . طيب المأكل والمشرب والملبس ، سليم الصدر ، سلم المسلمون من لسانه ويده

المؤمن الصادق عزيز النفس فى غير كبر ولا غطرسة ، عزيز الدين فى غير جهل ولا عصبية ، عزيز الجانب فى غير ظلم ولا بغى ، غيور على عرضه فى غير

تظنن ولا تشكك ، سريع العفو والصفح فى غير ذل ولا استخذاء ، حليم فى غير جبن ولا ضعة . لا يجزى بالسيئة السيئة ، ولا ينسى المعروف لاهله ، لا يحب الا لله ولا يبغض الا لله

المؤمن الصادق ليس فاحشا ولا متفحشا ، ولا سبابا ولا لعانا ولا طعانا ، ولا ماكرا ولا خبأ لئيما ولا ظالما ، ولا خائنا ، ولا غادرا ولا كذابا ، ولا نماما يسعى بالفساد بين الناس ولا مغتابا ، ولا خلافا للوعد ولا ناكثا للعهد ، ولا فاجرا فى الخصومة ، ولا ظنانا ظن السوء فى الناس ولا ساخرا بهم ، ولا متجسسا على عوراتهم ، ولا متتبعا لعيوبهم ، ولا متطلعا لما فى أيديهم طمعا وشرهاً ، ولا حاسداً لهم على ما آتاهم الله من فضله

المؤمن الصادق يطلب ما قدره الله له من الطريق القويم على ما ارتضاه الله لعباده من السنن الكونية والشرائع الدينية ، ولا يحاول الوصول من الطرق الملتوية المظلمة : بالخرافات والدجالين والعرافين ودعاء الموتى والمقبورين من الاولياء والصالحين ، ولا بالدس وافتراء الكذب وابتداع أنواع الشر والاذى لاخوانه المجدين العاملين، ولا بارضاء الرؤساء الجبارين بما يسخط رب العالمين

المؤمن الصادق لا يؤخر عمل اليوم الى غد تهاونا وكسلا ، ولا يقصر فيما وكل اليه من مصالح الخلق استهانة بهم ، ولا يستكبر على الناس أشرا وبطرا ، لا تطغيه النعمة بل يشكرها ، ولا تؤيسه النقمة بل يحذر أسبابها

المؤمن الصادق يعمل مخلصا لله ، فان ضيعه الناس لم يضع أجره عند الله ، وان ظلمه الناس نال ثوابه كاملا غير منقوص من عند الله ، وهو مؤمن بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه ، وان الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه الا بشيء قد كتبه الله له ، وان اجتمعوا على ان يضروه لم يضروه الا بشيء قد كتبه الله عليه . فهو أبداً راضى النفس ، مطمئن القلب كما قال رسول الله (ص) « عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير : إن أصابته سراء شكر وان أصابته ضراء صبر وليس ذلك الا للمؤمن »

المؤمن الصادق : لا يضيع حياته ولا زمنه باللهو واللعب ، فحياته ما بين

علم نافع وعمل صالح للدنيا والاخرة ، فانه يعلم أن كل دقيقة محسوبة عليه وأنه محاسب عليها يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم

المؤمن الصادق لا يرضى أن يكون عالة على غيره ، بل يسعى جهده لتكون يده هى العليا ، فان اليد العليا خير من اليد السفلى

المؤمن الصادق يعلم أن الله تعالى هو مالك يوم الدين ، ويعلم أنه يقول (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) فلا يتهاون فى أداء واجب ، ولا يجترىء على اقتراف منكر ، اتكالا على نسب أو طمعاً فى ضمانة شيخ (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (كل نفس بما كسبت رهينة)

المؤمن الصادق لا يضيع زوجه بالاهمال والتفريط فى المحافظة عليها فى جسمها ودينها وخلقها ، ولا يضيع أولاده كذلك ، فانه يعلم أنهم رعيته ، وان كل راع مسئول عن رعيته

المؤمن الصادق لا يرضى لأمته ولا لدينه المهانة والذلة للأعداء ، بل يبذل نفسه وماله فى سبيل عزتهم ورفعة شأنهم ، فانه يعلم أن لا عزة له الا بعزة دينه ، ولا حياة له الا بحياة أهله وقومه

المؤمن الصادق لا يشبع من العلم ، ولا يستكبر على تعلم الدين والتفقه فيه مهما بلغ السن والمركز فانه يعلم أن الله قال لسيد الأنبياء (وقل رب زدنى علما) وما رزقه الله من علم عمل به وعلمه أسوة بسيد المرسلين

المؤمن الصادق لا يرضى من الاخوان الا من يكون عونا له على خيرى الدين والدنيا .

المؤمن الصادق هو الذى لا تغره زخارف الدنيا الخادعة وزينتها من المال والجاه ونحوه ، بل يتخذ من كل تلك النعم أسبابا تصل مابينه وبين الله ، بالرضا والمحبة ، وتصل ما بينه وبين الناس بالاخاء وحسن المعاونة ، وتصل مابينه وبين الاخرة بالفوز بالدرجات العلى ؟

محمد حامد الفقى

محـــاضرة

نابغة الشباب الاستاذ رياض محمود مفتاح

« ألقاها بدار جماعة أنصار السنة المحمدية بعد صلاة العشاء من يوم
الاربعاء ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٦٢ — ١٩ مايو سنة ١٩٤٣

تقدمة بين يدي المحاضرة
بقلم أحمد محمد شاكر

أرى من الواجب عليّ ان أعرّف الأستاذ الى اخوانى أعضاء الجماعة وقراء المجلة . وأنا الذى عرّفته الى رئيسنا الاخ الشيخ محمد حامد الفقى والى اخواننا الذين سمعوا المحاضرة . بل لعلى أكون اول من كشف الستار عن عبقرية هذا الشاب ونبوغه . وأفخر بأن نظرتى اليه كانت صادقة شبيهة بالالهام . ولا أزال أحمد الله فى كل حين على هذا التوفيق

ولمعرفتى به قصة طريفة :

وأول ذلك يوم مبارك لا ينسى على الدهر . عصر يوم الخميس غرة السنة الحاضرة . اليوم الاول من شهر المحرم سنة ١٣٦٢ (٧ يناير سنة ١٩٤٣) ولم اكن أعرف عن الاستاذ شيئا ولا سمعت به . فكنت جالسا فى مكتبة الخانجى بمصر . فرأيت كتابا بجوارى لم أره من قبل . فنظرت فيه فاذا عنوانه (الحرب الحديثة وما تلقيه على مصر والشرق العربى من دروس) فلمحت فيه لمحات ، وتصفحت منه صفحات . فوجدت فيه كلمات نفيسة فى الدين والسياسة والاجتماع توافق كثيرا مما ندعوا اليه من الآراء للنهوض بالامة العربية وسائر الشعوب الاسلامية ولنصر الاسلام وإعلاء كلمته . فعجبت لهذا الكتاب ، ولم أجد فيه

شيئاً عن مؤلفه الا اسمه « رياض محمود مفتاح المحامى » وزاد عجبي ان الكتاب مطبوع فى اغسطس سنة ١٩٤٠ وانى لم أسمع به ولم أره من قبل . وأخذت الكتاب وقرأته كله . فكنت كلما قرأت فيه ازداد سمواً فى نظرى ، وازداد مؤلفه نبلا وقدراً . حتى قرأته كله . ثم كتبت على نسختى ما نصه « أتممت قراءته عصر يوم الثلاثاء ١٣ محرم سنة ١٣٦٢ (١٩ يناير سنة ١٩٤٣) واستفدت منه علما جماً وآراء نافعة . فلله در مؤلفه العظيم . انه شاب ينظر بنور الله ؛ وأرجو ان يكون له من الاثر فى العالم الاسلامى ما لأكبر المصلحين . نفع الله به ووفقه وأيده »

فهو فى كتابه يدعو المسلمين الى ان يتمسكوا بدينهم وان لايفتنهم عنه ما يرون من المدنية الاوربية الزائفة . وان يهيمن الايمان فى القلب على كل أعمال المسلم : من عبادة ومعاملة وسياسة واجتماع . وان يحافظ المسلم على العبادة التى أمر بها الله وحده ليكون ذلك هاديا له فى كل شأن من شئونه فى حياته . وان يقوم المسلمون بدعوة العالم كله الى الأخذ بشريعة الاسلام . وان ذلك هو السبيل الوحيد لحل المشكلات الدولية التى تثير الحروب الماحقة فى فترات متقاربة

وسأنقل لكم هنا بعض فقرات من هذا الكتاب النفيس المدهش :

يقول فى (ص ٢٢) « وهنا تكون الكلمة للشرق العربى ليؤدى رسالته للعالم فى العصر الحديث بالاستمساك بالدين الاسلامى وتنظيم احوال البشر على مبادئه السامية من الايمان والعدالة والتضامن والتسوية والاخوة الانسانية جمعاء . فهى المبادىء التى لا صلاح للبشر ان خرجوا عليها . وهى المبادىء الخالدة يرجع اليها الناس بعد طول تقلب وتجارب فيجدون فيها الهدى فالبشر اليوم أحوج مايكونون الى مبادىء جديدة . وأذهانهم على الاهبة لفحص الجديد من المذاهب والمبادىء بعد ان فشلت مذاهبهم . وشككتهم التطورات العالمية الاخيرة فى قيمتها وصلاحيتها »

ويقول فى (ص ٢٦) « ولست اعنى بالحضارة الاسلامية ماكان عليه اهل

العواصم الكبرى من الترف والنعيم ، وما ازدانت به دار السلام والقاهرة واستانبول من جميل المناظر . فالقصور ووشيها ، ومجالس الغناء والندمان ، وما فيها من العزف والحبور ، ليست من الحضارة الاسلامية فى شيء بل فيها مما يخالف الاسلام — دين البساطة والرجولة — أكثر مما يوافقه . وانما خلود الحضارة الاسلامية فى مبادئها الموجهة لمخاطبة البشر كافة ، فالناس فيما بينهم اخوة كأعضاء الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر . لا يعتبر أحدهم مسلما الا اذا أحب لاخيه ما يحب لنفسه ، وهم سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى منهم الا بالتقوى ، يهيمن فوق هذه المبادىء مبدأ الايمان بالله الاحد خالق الدنيا وما فيها من خير وشر ، فهو الذى يعبد ، ومنه تلتمس الهداية لسلوك طريق الخير ولتطهير النفس من أدران الاثرة والظلم ، ولملئها بعوامل المحبة والاخوة والعطف على الفقير ، والعدل والاحسان والخضوع لاوامره تعالى

فهذا الايمان وهذه العبادة للخالق المسير للامور ابتغاء مرضاته وحسن الجزاء منه فى دار الخلود : هذه العبادة هى زاد النفس للتغلب على عوامل الشر ، والاهتداء لعوامل الخير فى كل المعاملات الانسانية سواء منها ما كان بين الفرد وأسرته ، او ما كان بين الفرد وأخيه او ما كان بين الحكام والمحكومين او ما كان بين دولتهم بأكملها والدولات الاجنبية

وهذه المبادىء الخالدة أساسية لكل حضارة ، والا كانت واهية الاساس ينهار بناؤها برمته مرة واحدة . تأمل المدن الاوربية وكيف نسقت ، وناطحات السحاب وكيف تعالت ، والمصانع الضخمة وكم تنتج فى اليوم بل فى الساعة . تأمل كل هذا ، وتأمل كيف يأكل بعض هذه الحضارة بعضا ، فتدك ماشيدت ، وتقتل ماولدت ، وتسبب للانسان من المتاعب أضعاف ماجلبته له من الرفاهية . ذلك انها فقدت عنصر الايمان الاسلامى الذى يطهر النفس ويملأها بحب الخير للانسانية ، لا لوطن واحد ولا لجنس واحد ، إلى أن يقول فى

(ص ٢٩) « وكانت نظمنا ـ نحن المسلمين فى الشرق العربى ـ الى عهد قريب من ذلك النوع الذى يحوى الكثير من الشر لأنفسنا ، والتى ليست مثالا يحتذى أو توجه الدعوة للغير للاقتداء به.. وخير لنا أن نلتمس علاج أدوائنا فى مبادىء شريعتنا الغراء ، لا فى المذاهب الاوربية الضيقة انطاق »

ومما يقول فى النظم الاقتصادية بعد أن شرح كثيرا منها ، وتكلم عن الرأسمالية والاشتراكية وغيرهما . قال (ص ١١٦) « غير أن هذا التفكير يجب أن ينأى عن التقليد والاقتباس من المذاهب الاجنبية ، فمهما أدى بعضها من نفع ، ومهما بدا براقا ، فلا حاجة لنا به ، وانما لدينا نظامنا الاسلامى : الزكاة ، نرجع اليه فنرى فيه علاجا لعيوبنا الاقتصادية ، علاجا لايصلح لنا فحسب ، بل للانسانية جمعاء فى كل زمان ومكان » الى آخر هـذا البحث النفيس الذى قل أن تجد مثله لباحث .

وهو يقول فى مزية التشريع الاسلامى (ص ١٧٠) : « على أن أبرز خاصية للشريعة الاسلامية ، وأميز مافى الثقافة الشرقيـة بوجه عام ، هو قيامهـا على الايمان الدينى الذى لايقتصر على تنظيم عبادة المخلوق للخالق ، بل يسيطر على كل الانظمة الاجتماعية للخلق . ذلك مايقم (وجوب) تأديتـه للعالم على مصر والشرق العربى اليوم . لعل فيه الشفاء والانقاذ من الخراب والفساد » الى أن قال (ص ٢٠٦) : « فالمستقبل فيما نرى للشريعة الاسلامية ، وسينتهى العـالم اليها بعد أن كاد يضيع الايمان من النفوس ، وبعد أن أدى ذلك الى قيام أنظمة تستغل الايمان استغـلالا وحشيا . سينتهى العالم إلى تلك المبادىء المطهرة للنفوس ، النازعة منها الشرور والانانية ، والدافعة إياها للتضامن ، موجهـة للانسانية بلا تفرقة بين الاجناس . سينتهى العالم الى تلك المبادىء كأساس لتشريعاتهم » الى آخر ماقال فى الكتاب من أبحاث نيرة موفقة ، تسمو عن أكثر ما يكتب الباحثون فى هذا العصر . فاقرأه كله واستوعبه فليس يغنى بعضـه عن بعض .

وكنت أثناء قراءتى الكتاب أسأل كل من لقيت من اخوانى ، وخاصة من

المحامين الاهليين ، عن مؤلفه ، فلم يكن لواحد منهم حظ معرفته ، حتى أرشدتني نقابة المحامين إلى عنوانه ، وانه مقيم فى دسوق ، وان اسمه مقيد فى جدول المحامين سنة ١٩٣٨ فعرفت أنه شاب ناشىء ، فكتبت له كتابا يوم الاثنين ١٢ محرم سنة ١٣٦٢ (١٨ يناير سنة ١٩٤٣) ذكرت له فيه رأيي فى كتابه ، وإعجابي بآرائه وعلمه ، وبفقهه في الاسلام ، وادراكه حقائقه اكثر مما يدركها كثير من علمائه . وذكرت له أنه كتب فى قضية نعمل فى سبيلها منذ اكثر من عشرين سنة ، حتى لقد كدنا أن نضعف . ودعوته أن يضع يده فى يدنا ، وان يكون قائدنا فى جهادنا ، يبث فينا من عزيمته القوية الفتية ، ويرشدنا بما وفقه الله اليه من علم ونور . ثم كانت فترة علمت بعد أنه كان فيها مسافرا . ثم جاءني جوابه المؤرخ ٢٩ محرم سنة ١٣٦٢ (٥ فبراير سنة ١٩٤٣) فكان جوابا أقوى روحاً ونفسا من الكتاب . ثم تواترت بيننا الكتب حتى أذن الله باللقاء ، فزارني عصر الخميس ١٧ ربيع الثاني (٢٢ ابريل) ولم أكن بالمنزل ، ثم جاء في اليوم التالى ضحوة الجمعة ، فكان فوق ما ظننت ، وكان أكثر مما أملت ، وإن افخر بشيء فاني أفخر بصدق فراستي فى هذا الشاب الناشىء النابغة ، عن غير خبر ولا معرفة الا من قراءة كتابه ، حفظه الله ووفقه وسدد خطواته . وقد عرفته بعد ذلك الى رئيسنا الاخ الشيخ محمد حامد ، والى الاخوان ، فكان أعجابهم به مثل اعجابي او أكثر . واتصلت بيننا أسباب المودة المبنية على العلم والنور والاخلاص . والحمد لله رب العالمين

وسأجتهد فى نشر كتبه الخاصة التي كتبها لى ، لما فيها من علم جم ، وآراء عظيمة النفع ، وقوة روح تبعث فى النفوس الحزم والعزم . ان شاء الله

وقد دعوناه ليحاضر جماعتنا « جماعة أنصار السنة المحمدية » فأجاب الدعوة ، وألقي المحاضرة التي جعلت هذه الكلمة تقدمة بين يديها ، وهاهي ذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الايمــــان

— ١ —

أيها المؤمنون : بارك الله فى جمعكم وعملكم على الهدى والصراط المستقيم ، ورعاكم ما ذكرتم أمور دينكم ، واستمسكتم بها ، ودعوتم اليها

أنتم — على قوة إيمانكم — أمام واجب يقتضى عملا وجهدا كبيرا ، فليزدد عملكم قوة ، ولا تحسبوا أنه يتم ايمانكم دون أن تدعوا للدين الحق ؛ وقد تُبلون فى أموالكم وأنفسكم ، وتسمعون أذى كثيرا ، ذلك ليمحص الله ايمانكم

ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ، ولهداهم أجمعين ، ولكنه خلق الهدى والضلال ، وهو يداول الأيام بين الناس ، ويفرض على المؤمنين فى كل جيل أن يدعوا الى سبيل ربهم ، ليختبر الصالحين من عباده

فأجيلوا النظر فيما يحيط بكم :

أنتم فى عصر ضعفت فيه كلمة الاسلام والمسلمين ، لانهم — وان كثر عددهم على وجه الأرض — نسوا أمر الله ، ففشا الظلم فيهم ، ولم يعتصموا بحبل الله ، فوقع الخلف بينهم ، وتقطعت أوصالهم ، وحكم غيرهم فيهم

وهم — فى مختلف دولهم — قد غفلوا عن ذكر الله ، وأوامر الدين ، وعصوها جهرة ، فألحق الله بهم الخزى ، فهم فى تأخر وجهل متواليين ، لم يلجأوا فى إصلاح حالهم إلى أوامر الدين ينفذونها جملة ليغير الله ما بهم ؛ بل اقتبسوا من التشريعات الوضعية للدول الأوربية ، وسلط الله عليهم ذوى القلوب المريضة منهم يؤيدون هذا التقليد ، حتى أصبح المسلمون فى أنظمتهم رسوما مشوهة بعيدة عن جوهر الدين الاسلامى القويم ، وحتى أصبحت

أنظمتهم الاسلامية البحتة ولا جدوى منها فى مجتمعهم، بعد أن ذهبت بعزيتها أوضاع بجانبها تحرج على الدين

لكن هذه الحضارة المادية الأوربية التى شغفوا بها قد فشلت ، حيث إعتمدت على العقل البشرى وحده ، وأغفلت الايمان القلبي والاخوة الانسانية . لقد جاءت بهذا واهية الأساس رغم ضخامة بنيانها ، وها قد تفجرت قواها المادية فى حرب طاحنة تدك ماشيدت ، وتصطرع فيها مبادئها وآراؤها ، وقد أخذ الشك فى قيمتها سبيله الى النفوس

ففى هذه الحال التى تفككت فيها أخلاق المسلمين ، واضطربت أمورهم ، وتصادمت القوى الانسانية ، فوقفت الاذهان مهيئة لقبول نظام جديد إن وجدت فيه صلاحا : يأتى دور المؤمنين المخلصين ليفطنوا إلى الأوضاع الصحيحة للدين ويردوا اليها قومهم ، فعساهم إن فازوا أن يرشدوا الانسانية الحائرة ويبلغوها رسالة الاسلام

أجيلوا النظر فيما يحيط بكم
فهذا يوم دعوتكم ومحنتكم إن كنتم حقا مؤمنين

— ٢ —

أيها المؤمنون :

سبحان الذى منّ عليكم بنعمة الايمان واختار لكم الاسلام دينا

انكم لو قارنتم بين أصول شريعتكم والشرائع الموجودة اليوم أو التى عاشت من قبل ، لرأيتم كيف تعلو شريعتكم على ما عداها من كل ماوضعه البشر ، وكيف جاءت مُحكمة التنزيل فى ربطها ما بين أنظمة المجتمع البشرى وسيطرة الايمان والعبادة فوقها

ذلك الايمان بالله الاحد خالق البشر ومقلبهم بين الحياة والموت والبعث فى الدنيا والآخرة ، والرهبة مما أعده فى الآخرة من عذاب ، وانتظار حسن

الجزاء منه بحسن العمل ، هو زكاة وطهر للنفس البشرية التى ألهمت فجورها وتقواها

وهو العامل الأساسى لصلاح كل ما فى حياة الجماعة من أنظمة وأوضاع ، فالقوانين والمعاملات يقوم بانشائها وتطبيقها وتغييرها أفراد من الناس ، فما لم يُبدأ باصلاح الفرد وخلقه فكل وضع اجتماعى يكون واهى الأساس ، وغرس الايمان الدينى فى النفوس يمهد لحب الانسان لأخيه ، والتعاون معه ، والتضحية فى سبيل الجماعة ، وإقامة العدل فيها ، ونزع الشرور منها

وضعت الشريعة الاسلامية أحكامها لكل العلاقات الانسانية ، ما كان منها بين الفرد وأسرته ، أو بين الفرد والفرد ، أو بين هؤلاء وحكامهم ، أو بين سلطان الجماعة المنظمة وجماعة مثلها . وربطت بين هذه الأوضاع ، وجعلت الايمان والعبادة أساساً وبدءاً لكل ما أمرت به

وصاغت أحكاماً كلية هى الباقية على مدى الزمان والمكان ، والقابلة لأن تتولد منها أحكام فرعية تناسب اختلاف الزمان والمكان ، ومجىء هذه الأحكام الفرعية مطابقا للمبادىء الكلية رهين بما فى نفوس واضعيها من الايمان ، وبما فى نفوس من تطبق عليهم من الايمان أيضا

هذا هو إحكام التشريع

أما إقامة العلاقات بين البشر على أنظمة تنفصل عن الدين ، ويهتدى الى قواعدها بعلم الانسان وتجربته ، فهو خواء فى أساس تلك الأنظمة

وليس العلم خالياً من النفع ، فهو فى ذاته مطلوب ، ولكن الخطأ كله فى اعتباره وحده . لقد بقيت المشكلات الانسانية فى أيدى كبار العلماء كما هى ، بل أصبحت أشد التواء مع تعقد طرق البحث . وبقيت الأوضاع التى يختارونها تفشل حين انتهت الى ضمائر الافراد وأخلاقهم فلم تجد فيها الطهارة ، دون أن يكون للمهارة العلمية فى ذلك أثر ، فنصيب العلم فى الحياة محدود ، ويكفى أن نعنى به «العمل» متى كان سنده الايمان .

انظروا الى الجريمة وكيف قضت عليها الشريعة الاسلامية بين الناس .

لو أنكم أردتم أن تعدوا أسباب الجريمة لحرتم من شمولها أسبابا أخر تمتد الى أنظمة المجتمع المختلفة . نعم ان بعض النفوس يميل إلى الشرور ، ولكن فساد الانظمة الاجتماعية ينمى ذلك الشعور ويهيئه . فالفقر قد يكون سببا للجريمة ، ومن هنا تجدون الصلة بينها وبين النظام الاقتصادى فى البلد . وقد تجدون من أسبابها إهمال تربية الاطفال وتشريدهم ، كما هو مشاهد من كثرة جرائم الاحداث اليوم ، ومن ازالكثيرين ممن اعتادوا الاجرام نشأوا فيها منذ طفولتهم . وقد تجدون من أسبابها بؤر الفساد من الحانات ودور البغاء

على أنكم واجدون هذه الاسباب كلها تذهب إلى مدى أبعد ، فالفقر لايمكن القضاء عليه الا عن طريق ميل للاحسان فى النفوس ، والطفولة متصل أمرها باحكام رباط الاسرة حتى ينتسب كل طفل لابيه ، وباصلاح نفوس الآباء ، فتحسن رعايتهم لابنائهم

وهكذا لو سايرتم اسباب العلل الى مكامنها ، فلابد أن تصلح أنظمة المجتمع اصلاحا شاملا ينصب عليها فى جملتها ، فان تركت ثقبا فى إحداها نفذت منه الجرائم وعم الفساد بقيتها

أمرت الشريعة الاسلامية المؤمنين بهجر الرجس ، ونهت عن الخمر وغيرها مما يزينه الشيطان لايقاع العداوة والبغضاء بينهم ، ونهت عن الاعتداء والتطفيف ، وخوفت من العذاب الغليظ فى الآخرة حتى يرى المؤمن ربه حسيباً عليه فى كل حين . وأمرت بالحض على طعام المسكين ، وبالبر بالأهل والاقربين ، ، وهيأت بذلك أسباب المودة فى الاسرة ، والعمل الصالح والعون الاجتماعى الوثيق ، وذكرت بالمثوبة والعقوبة فى كل حين لتنفع المؤمنين

فاذا نفوسهم من طيب السريرة ونقائها بحيث يحب كل مؤمن لأخيه مايحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، بل ترتفع نفوسهم فوق النصفة إلى المرحمة والايثار ، وفى هذه الجماعة ترون اختفاء الرذائل والمظالم ، وما يتولد عنها

من الجرائم ، فيقوى الشعور باعزاز الفضيلة والسخط على الاثم والرذيلة ، يحرص كل واحد على أن يسلك النهج القويم ، وأن يسلكه الآخرون . فهو يفهم تماما انه لا يستطيع أن يكون فاضلا كل الفضيلة إن لم يكن كل من حوله بنفس القوة فى الايمان والشعور

فاذا وقع من احدهم جرم ، فهناك فى الكبائر عقوبة صارمة فى « الحدود » ذلك جزاء من يعيثون فساداً بعد أن هيئت لهم أسباب العمل الصالح ولم يظلمهم أحد ، فكانوا هم البادئين . وهو ردع لكل من تحدثه نفسه بالسوء ، وهو بتر للفساد بقسوة هى عين الرأفة بالمجتمع المتضامن الذى يحرص على الفضيلة ، ويعمل لها فى كل أنظمته

ولقد يهول بعض الجهلة امر ذلك العقاب ، فيقيس الأمر على عدد القاتلين والزناة والسارقين بيننا اليوم ، ويقول ان الجريمة تقع فيتستر عليها الناس ، ولا يسمع بها . وذلك قول من ينظر إلى العقوبة والجريمة مجردتين عما يحيط بهما من الفساد العظيم فى المجتمع

ففى وسط الجماعة المؤمنة بالاسلام وشرائعه ايمانا علميا وعمليا لايتجاوز عدد المجرمين العشرات القليلة ، لان النفوس يزعها – قبل هذا الحد الدنيوى – الخوف من عذاب الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . فالمؤمن لايعرف كتمان الشهادة او زورها ، ويقر بالذنب على نفسه ولو لم يره احد

وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم « قيل : يا رسول الله أيكون المؤمن جبانا ؟ قال نعم . قيل : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : نعم . قيل : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال : لا » (١)

وقد جاءت امرأة الى النبي واعترفت بالزنا فردها ثم جاءت فى الغد وأصرت

---

(١) رواه مالك فى الموطأ ٣ : ١٥٢ عن صفوان بن سليم مرسلا . قال ابن عبدالبر « لاأحفظه مسندا من وجه ثابت ، وهو حديث حسن مرسل »

على اعترافها وأنها حبلى ، فأمرها أن تذهب حتى تلد ؛ فلما ولدت أتته بالصبي فى خرقة ، قالت : هذا قد ولدته . قال اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه ؛ فلما فطمته أتته بالصبي فى يده كسرة خبز . قالت : هذا هو يا نبي الله فطمته ، وقد اكل الطعام . فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم امر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها » (١)

فانظروا كيف دفعتها الرغبة فى التكفير عن ذنبها الى إنكار حياتها ، وغلبت عاطفة الامومة فى نفسها

كذلك فعل غير هذه المرأة ممن كان امر الله عليهم قدرا مقدورا ، وكذلك كان المجتمع ايام النبي والسلف الصالح ، وكذلك يكون فى كل عصر ترعى فيه أوامر الدين

فأين هذا مما يطبق بيننا اليوم من القوانين الوضعية الجنائية ؟ كل ما أفلحت فيه هذه القوانين هو تحديد اركان ماسمته من الجرائم ووضعت عقوبة خاصة لها ، فجاء انطباقها هكذا بعيدا عن العدالة الانسانية . فترون الواحد يأتى من الافعال ماينكره الدين ، وينفر منه الشعور الانسانى ويعد جريمة اجتماعية ، ولكن القانون يقصر عن ان يناله ، لان حادثة عرضية او حيلة شيطانية منعت انطباق الوصف القانونى على تلك الجريمة . وما كان لهذا القانون أن يقضى على الجريمة وهو لم يصف كل جريمة تنافى الخلق القويم ، فقد ترك نواحى المجتمع يباح فيها اللهو والفساد والافساد ، يترك للناس حرية الشراب فلا يسأل الواحد منهم عما جنى على أهله ، وما أهمل نحوهم من واجبات الرعاية ، ولا عما أضاع من حقوق للفقراء فى ماله ، ولا عما أحدثته دورة المال فى هذا الوسط الفاسد . ألا يكون معنى هذه الاباحة والاغفال أن المجرمين ينتجون من هذا الوضع الاجتماعى فيصبحون ضحيته ؟

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه

ان العلم الحديث شغلته هـذه الظاهرة ، فحاول تحديد اسباب الاجرام ، ليضع لها علاجا اجتماعيا ، وقد جاءنا فى ذلك ببحوث مطولة ممن وقفوا حياتهم على التخصص فى فروع هذا العلم المختلفة ، كعلم الاجرام وعلم النفس الجنائى والبوليس الجنائى . وأتونا بمؤلفات تضيق حياة الباحث عن استيعابها ، ولكن أمرها انحصر فى مجادلات لم ينقص معها عدد المجرمين ، بل زادوا وزادت فنونهم

فالبوليس الجنائى لم يقض على الجريمة بامساك المجرمين لتوقيـع العقوبة عليهم ، لان بواعث الجريمة فى المجتمع قائمة متجـددة ، فهى تقع فى كثرة خف معها شعور الناس بالنكر . والتقدم العلمى فى تحقيقها يقابله تقدم أولئك المجرمين فى فنونها ، مستعينين بالعلوم نفسها وبذكائهم الشيطانى على إخفـاء معالم جرمهم

ولو رأيتم علماء الطب الجنائى وما قد يصلون اليـه مع علمـاء النفس والاحصاء من «النظريات» و «المدارس» العلمية لرأيتم كيف أن شغف هؤلاء بالنظريات وباتباعها لا يصلح شيئا

فقد يقسمون المجرمين مثلا إلى مجرم بالفطرة ، او بالضرورة ، او بالعادة او بالعاطفة ، تقسيما يعتمـد على مميزات ملامح وجوههم وحركاتهم ، وقد يردون اكثر الجرائم الى اسباب مرضية ، ويرون وضع أصحابها فى مصحات خاصة . فهذا مرض السرقات الصغيرة فى الاطفال ، وهذا مرض الميل للفسق والاعمال القبيحة وغيرها

فلو سرنا وراء هـذا العلم لوجدناه يبيح اكثر الجرائم الخلقية ثم يحاصر أنواعا منها ، فتبقى وتتضاعف . ثم يجهد نفسه ــ بعد أن كثر العتاة المجرمون ــ فى وصف مرضهم ، فيصفه ولكنه لا يصف له الدواء الصحيح ، لانه يهمـل الاساس والمنابع التى تولدت منها الجرائم

على أن الجدير بالتأمل هو أن بعض الجادين من أولئـك العلمـاء الذين

يتتبعون أسباب الاجرام ينتهى بهم طول البحث الى اليأس من أمر هذا النظام الاجتماعى المعقد ، فيشيرون أخيرا الى أساس التمسك «بالفضيلة» و«الاخلاق» و«التعاون» و«الرحمة» وغير ذلك من الكلمات والاوضاع التى وجهنا لها الاسلام فى أبسط عبارة وأقواها

وانظروا كيف راعت الشريعة الاسلامية مايجب أن يسود بين الناس من حق توزيع المال ليؤلف الله بين القلوب

ان الجماعة كلها تعمل فى مجموعها متضامنة متعاونة . ولكن ربح المال لايتوزع حسب الجهود . هكذا شاءت إرادة الله العليم الحكيم ليبلو الناس ، ففرض زكاة على المؤمنين فى أموالهم ، هى حق للسائل والمحروم .

هذا الواجب الاجتماعى هو من أركان الاسلام ، فالمصلون الذين لا يعطون المساكين هم عن صلاتهم ساهون ، صلاتهم رياء لا ايمان قلبياً فيها

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)

وهذا الواجب وان نُظم فرضه على المسلمين ، وجمع حاكموهم المال منهم بطريق الالزام ، الا أن سنده هو الايمان الدينى قبل كل شىء

فالتعليم الدينى يغرس فى النفوس معانى البذل والتضحية ، ومنها وأهمها التضحية بالمال ، وله مظاهره فى التسوية بين الناس واجتماعهم للعبادة فى بيت واحد مما يؤدى للتقارب والتحاب ، وله وعيده وإنذاره لأولئك (الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) وله وعده لمن ينفقون

أموالهم فى سبيل الله أن يحشرهم فى أصحاب اليمين ، وأن يخلف عليهم وهو خير الواهبين . فاذا كل هذه المعانى تؤتى نفعها قبل صفة الالزام فى القانون ، بل وحيث يفشل القانون ، فيصبح بذل المال فى سبيل الخير ميدان منافسة بين المؤمنين ، يرقون من الزكاة المفروضة الى الاحسان الذى لا حد له ، لايغفلون «روما » مثلهم فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى »

وهذا الكرم النفسى يظهر فى الجماعة بشكل تضامنى ، يصدر عن إحساس بالاخوة ، لا ليعيش فيه فريق عالة على الآخرين ، بل هو فى صورته الصحيحة ايمان وتعاون مع وجوب العمل من جانب كل فرد ، بل ذلك هو السبيل ليزداد إنتاج الفرد وينمو معه إنتاج الجماعة

تنزيل محكم لم تصل اليه القوانين الوضعية

كل ماوصلت اليه هذه القوانين هو فرض حصة من المال تجبيها الدولة لتنفق منها على مصالح افرادها عامة ومصالح الفقراء خاصة . ومهما قيل عن إمكان التدرج فى فرضها مع العدالة والملاءمة ، فهذا الوضع لايقضى على الجوع والبؤس فيبقى بعض الناس فى حرمان يدفعهم إلى الجرم ويذهب بالشرف ، ويبقى هناك من يعيشون عيش البذخ بينما يتضور جيرانهم ومن جاء الكسب على أكتافهم تنخر فيهم الامراض الادبية والجسدية فيعم أثرها الجماعة . ولا يستطيع أى قانون أن يوجه الناس لمواساة جيرانهم المرضى أو أبناء السبيل مالم يكن لهم من أنفسهم دافع

فانظروا ما أدت اليه هذه الفروق المادية مع ضياع الايمان والاخوة الروحية . لقد تحزب الفقراء ضد الاغنياء ، ومهما نال العمال فى هذا السبيل عن طريق كفاحهم النقابى ، فهم أبدا ساخطون ، لانهم فهموا وأفهموا أن لهم مطالب يعدونها حقوقا لانفسهم ، وان تعذر تنفيذها ، فهم فى حال لن ينعموا فيها برضى ، وهم فى حال تسير على شكل ثوران نفسى . فأصحاب رءوس

الاموال لا يسلمون بسهولة فى هذا النضال بمطالب العمال — من باب العناد والانانية من جهة ، ولاضرارها بالمصلحة العامة للانتاج من جهة أخرى . وقد يخرج العمال فكرتهم الى حيز عملى بالاضراب ، فاذا استمرت تلك الحال فناهيك بما يصيب الامة من تنافر ، مهما يهيء لأصحاب الدعوة الثائرة عملهم. ويجعل النظام العام مضطربا فلا يمكن جمع رأى الامــة فيه ، بل يصبــح مرآة للفوضى الضاربة فيها كما عهدنا فى كثير من أمم أوربة

ولقد تطورت الافكار بين اهل تلك البلاد بعد مامر بهم من تجارب الى وجوب رعاية الفقراء حقا لهم على الجماعة ، وكانت أسبق الامم الى العمل فى ذلك اقربها الى التماسك وأبعدها عن الانحلال ؛ وكانت شريعة الاسلام أسبق من غيرها وأوفق فيما قررته من جعل الزكاة والاحسان من أركان الايمان ،وهو نظام لو أن المسلمين طبقوه لقضى على سوء التوزيع مع حفظ أواصر التعاون بين جميع الطبقات .

وانظروا كيف هيأت لكم شريعة الاسلام ساسة من بينكم أمناء مصلحين لقد هذبت النفوس بالايمان . قال النبي « انما بعثت لأتمم مكارم الأخــلاق » وما حسن السياسة إلا مكارم الاخلاق

انظروا كيف حوت وصايا القرآن أجمل الآداب التى يتحلى بها الناس ، والتى تنبتهم نباتاً حسنا ، وتنشئهم نشأة يرعون فيهــا الحق والعــدالة ، فنهم الحكام والولاة ذوو الخلق الكريم وعزة النفس والنزاهــة ؛ ومن أفراد الشعب الذين يرعون تلك المعانى رقباء أمناء على حكامهم إن انحرف سيرهم« وكما تكونوا يولّ عليكم » والسبيل إلى رعاية الامانة لدى كل فرد هو تطهير النفوس بالايمان وإقامة الصــلاة فى أوقاتها ، والمحافظــة عليها وعلى الصلاة الوسطى ، فيذكر الله يخشاه المرء فى كل عمل ، ويتوب اليه فيما أخطــأ من عمل .

تدبروا معانى هذه الآيات البينات :

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او

الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا)

(ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله)

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين لايدعون مع الله إلها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العـذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبـدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا . والذين لا يشهـدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنـا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

هذه هى القواعد الباقية على مر العصور ، فاقرار الاخـلاق والمبـادىء السامية ، وتضامن الأفراد والشعب والحكام على السير عليها يخلق بينهم فى العمل ما يناسب حالهم الاجتماعية من قواعد ترسم حد كل منهم واختصاصه فى منصبه

ابحثوا عن أية قاعدة مما تلزم لحسن سير العمل الحـكومى والسياسى فى أى عصر ، وفيما يجرى بينكم ، لتروا كيف أشار اليها الاسلام

فالمساواة من أولى هذه المبادىء ، ذكرتها الآيات والاحاديث . فأكرمكم عند الله أتقاكم . والناس سواسية كأسنان المشط . والقيام بالقسـط ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين تنزيها للنفوس عن كل محاباة فى الدنيا وما فيها من متاع الغرور

وخذوا مثلا مما أمر به الكتاب الكريم أن (لا تبخسوا الناس أشياءهم) وما أمرت به السنة من العدل فى الرضا والغضب ، وما يضم لهـذا ويجرى معناه من القيام بالقسط والنهى عن التطفيف ، فان ساسة يعملون بهذا لهم أصلح الناس للناس ، ولو تأملتم العيوب التى تلحق النظم السياسية وزعماء السياسة لرددتموها الى إهمال ذلك النصح القويم . فاذا وجـدتم حزبا هيأت له الظروف سـلطانا فطغى على الآخرين وأبى أن يسمع لهم ، فسيجىء يوم للحزب الآخر يقابل فيه خصمه بالمثل . وبين هذا الفريق وذاك تفسد أخلاق الأمة وتضيع مصالحها . اذا رأيتم هذه الحال فرجعها الى بخس الحق . إلى أن الرجل السياسى ينسى أن لخصمه حسنة وقد تكون له حسنات ، يبغضه لفكرة فلا يزن بالقسط ، بل تمتلىء نفسه بغضاً ، لأنه لم ينشأ على العبادة والصلاة التى تذكره بالله والحق والقسط والخلق فى كل حين .

فانظروا كيف أن المبـدأ القويم من الخلق العظيم له أثره مهما تغيرت الاشكال والأنظمة

وقارنوا بين مبادىء الاسلام وبين ماحاول المفـكرون الاهتداء اليه عن طريق العلم والتجربة . لقد أجهدوا أنفسهم فى هذه السبيل ، وكان على رأسهم مفـكرو ثورات فرنسا المعروفة ، وقد وضعوا فى ذلك مبادىء اشتهرت عنهم ترمى إلى تقسيم السلطات والفصل بينها ، وإرجاع كل سلطـة للامة . وظنت الشعوب الاخرى فى إعلان هذه المبادىء نصرا ، فنقلت تلك الـكلمات ودونتها ، ولم تلبث تلك المبادىء التى سموها لسيادة الامة وحريتها أن انقلبت أكثر من مرة الى ارهاب وطغيان

فتأمين الافراد على حرياتهم والتسوية بينهم ، وسير الحكام على سنن العدل والاصلاح ، ورقابة الشعب عليهم فى ذلك ، لا تضمنـه صـكوك تحوى الاختصاصات والعهود ، بل الضمان فى صـلاح نفوس الافراد من حـكام

ومحكومين ، لانهم هم الذين يقومون بتطبيق هذه القواعد ، والفرصة مهيأة لكل منهم ليسيء استعمال سلطته ، وألا يقوم بواجباته بالاخلاص التام

فأي قانون انتخاب لايوصل نواب أكفاء ما لم تنزه نفوس الناخبين ، وكيفما كانت الحقوق المتبادلة بين النواب والوزارة والهيئات الاجتماعية فلا سبيل الى سيرها على وجه مرضي ما لم يحاسب كل شخص نفسه على مايقوم به

والرقابة على الحكومة قد ينص الدستور على أوضاعها فى مواد وفقرات منسقة التدوين ، فكثيرا ما تجيء مع ذلك باطلة لا تحقق الصالح العام ، أو زائفة لا تعبر التعبير الصحيح ، أو تبقى عاطلة رغم النص المكتوب . انما الرقابة قبل كل شيء معانى فى النفوس متى ثبتت جاء العمل بها مطابقا لها

وهاكم مثلا مما كان يجرى على عهد عمر : خطب فقال للناس « إن أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقوموني. فقال له أحدهم : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فحمد الله عمر أن وجد بين المسلمين من يقوم أميرهم ، وبالسيف إذا لزم الامر

وجاءته (عمر) برود من اليمن ، ففرقها بين المسلمين ، فخرج فى نصيب كل رجل برد واحد ، ونصيب عمر كنصيب واحد منهم ، واعتلى عمر المنبر وعليه البرد وقد فصله قميصا ، فندب الناس إلى الجهاد . فقال له رجل : لا سمع ولا طاعة . قال عمر : ولِمَ ذلك فقال الرجل : لأنك استأثرت علينا . لقد خرج فى نصيبك من الأبراد اليمنية برد واحد ، وهو لا يكفيك ثوبا ، فكيف فصلته قميصاً وأنت رجل طويل ؟ فالتفت عمر الى ابنه قائلا : أجبه ياعبدالله . فقال عبد الله : لقد ناولته من بردى فأتم قميصه منه . فقال الرجل : أما الآن فالسمع والطاعة

هكذا كانت الرقابة ، وكانت الرجولة والاخلاق ، وهكذا تكون فى كل عصر يحفظ فيه الدين

وانظروا كيف وضعت شريعتكم أحكام تنظيم الاسرة ، فحضت على الزواج لكون هو السبيل القويم يسلكه كل مسلم ، فلا يقع الاعتداء بينهم ، وجعلت

أساس تلك العلاقة « المودة والرحمة » وذكرت الرجال كل حين بإقامة حدود الله ، وأن يرعوا فى أمانة حقوق القوامة التى منحتهـا لهم ، وواجباتهم نحو الجنس الضعيف .

وان أية قوانين وضعية لا تجمع بين هذه الاحكام لتنتهى الى الفشـل أو تبث الفساد فى الامة ، فما لم يؤخذ الزواج على أنه واجب اجتماعى ، يسلك الناس سبلا غير شريفة ، ثم يهتدون الا بعد ان يمروا بمخاطر يؤذون فيها أنفسهم ومن حولهم ، فتكون فتنة لا تصيب الذين ظلموا وحدهم

وان أية قوانين وضعية لا تمنح الرجال ما منحتهم الشريعـة الاسلاميـة من الحقوق لتعجز عن أن تحاصر الفساد والإجرام .

وانظروا كيف وضعت شريعتكم مبادىء العدالة وجعلتها أساس تداول الأموال بين البشر ، وجعلت ذلك من مبادىء الدين أيضـا حتى يخاف الناس الله فى كل ما يفعلون . فنهت عن الربا وأكل الاموال بالباطـل ، وعن الغش فى المعامـلات ، وعن الضرر والضرار . وأوصت بالوفاء بالعقود ، وأداء الامانات إلى أهلها .

وقد ترون فى تشريعات الدول الوضعية مايقارب أحكامكم فى كثـير من المعاملات . ولـكن بقى الفارق بين المعـاملات المادية التى كثيراً ما يساء فيها استعمال الحق ، وبين المعاملات التى تقوم بين من يرعون الامانة ويخافون الله . فلا يقع بينهم الغش ولا الاضرار ، وينـدر أن يقع الخلاف ، فان وقع حل ميسر مرضى بين إخوة

انظروا الى هذا وإلى غيره لتروا كيف أحكمت الشريعة الاسلامية الوضع والرباط ، وكيف طهرت بالايمان ، وكيف ان التشريع الوضعى يفشل بغير هذا وكيف أن التفكير العلمى الحديث فيما تطور اليه يرى انه لابد أن يكون هناك شيء آخر فى النفوس وراء هذه الاوضاع المادية

فمن رجال العلم والاجتماع من رأى تربية النفوس على التعاون والتضامن والحض على الاحسان ، وتكوين الجماعات الخيرية لمساعدة الفقراء ، ولانقاذ

الساقطات ؛ وتيسير العمل الشريف لهن ؛ وتلقين ذلك للنشء حتى يشبوا عليه

ولكن مثل هذا العلم لا يصل إلى أثر الدين الذى يذكر كل حين بالخالق عز وجل . وبالحياة والموت ، ويجعل تقارب الناس وتعاونهم واجبا

وهـذا العلم قد لا يكون ميسراً لكل أفراد الجماعة ؛ بل قد لا يفهمه الا الاقلون . أما الدين فسهل مدخله إلى النفوس ، وخضوعها لامره قريب ؛ بل ذلك مما تميل اليه النفوس بفطرتها ، وتجد فيه الشفاء والاطمئنان.

ولقد شهدنا قريبا اتجاها علمياً جديدا فى تلك الحركة التى قالوا عنها انها (لامعة فى تاريخ المدنية) نادى فريق بالايمان فلباهم قومهم ووافوهم بقواهم وأموالهم يبذلونها أسخياء متضامنين فى سبيل مبدأ وعمل

ولكنهم لم يكونوا مسلمين ، ولم يعرفوا التوحيد . عبدوا الوطن وقدسوا رئيسه ، ومجدوا (القوة) واعتبروها (الحق) لانهم لم يعرفوا الاخوة الا بين أبناء الوطن الواحد

لكن هذه الوثنية التى عرفتها البشرية من قبل ، لا تسير إلى قرار ، ولا تسعى إلى خير الانسانية العام

فاذا كان التطور الفكرى اليوم هو فى البحث عن الايمان ، وإذا كان الباحثون قد ضلوا عن الايمان الصحيح ، فواجب المسلمين اليوم هو الدعوة والهداية له .

— ٣ —

أيها المؤمنون

ان الرسالة التى يقع عليكم عبء أدائها ليست بالأمر الهين

انكم لن تستطيعوا الوصول إلى تقرير الامر بينكم ، وتنفيذ أحكام دينكم ، بغير إعزاز جانبكم وتقوية عددكم ، وإلا سلط الله عليكم من هم أكثر منكم عددا ، فلا يسمع لكم صوت ، ولا يرجى من ورائكم نفع ، فالدعوة من أهم واجبات دينكم ، بل هى جزء منه ، بدونه لا تقوم له قائمة

والصعاب فى طريقكم كثيرة ، فأحيطوا بها وتأهبوا لمواجهتها ، وقد تكون من جانب فريق ممن يتسمون باسم الاسلام وهم لا يفهمون حقيقته

فنهم من يدعونكم لأن تقصروا تطبيق أوامر دينكم على العبادة الدينية ، جاعلين الاسلام مجرد علاقة بين المخلوق والخالق ، تاركين تدبير سائر العلاقات لأحكام وضعية مما يوصل اليه العقل البشرى

أولئكم يردون الاسلام إلى الوراء ، يحرفون وضعه ، وفاتهم أن الاسلام يقرب جميع المعاملات الانسانية من العبادة ويربط بينها فى أوضاع محكمة ، فلو اقتصر تطبيقه على نواح منها دون الاخر لم يظهر له فى أيها أثر حسن

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون)

أولئكم خُدعوا وخَدعوا من حولهم . نظروا فوجدوا دول الاسلام فى تأخر من القرن الماضى إلى اليوم ، ودينها لا يساير العصر بما جد فيه فنسبوا العجز الى أوضاع الدين وأوامره ، ولم يجدوا مرشدا من رجال الاسلام ، فرأوا الاقتداء بتشريع الامم التى رأوها أمامهم عزيزة الجانب

وفاتهم عند البحث عن سر تأخر المسلمين أنهم لم يستمسكوا بدينهم ، وأنهم لو رجعوا إلى أصوله الاولى لنالوا المكانة العليا بين الامم ، كما كان المسلمون فى أول عهدهم ، وأنهم لكى يرجعوا لها يجب أن يأخذوا بها جملة ، حتى يقال انهم مسلمون ، وان الدول القوية التى يسيرون وراءها يهددها الانحلال الخلقى رغم مظاهر عزتها ، وأنهم لو قارنوا لوجدوا أن الهدى والصلاح فى الايمان والاسلام ، ولهم عبرة من تطورات المدنية الحالية وما حل بنا وبغيرنا

أولئكم لا تطيعوهم وان كانوا كثرة (وإن تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله)

ولا تظنوهم مؤمنين ولا أنصاف مؤمنين ، فلا خير فى علمهم الناقص وهمتهم الفاترة

وفريق آخر من ذوى القلوب المريضة يدعون أن اتباع قواعد الاسلام ونشرها غير ممكن ، لان ذلك فى حاجة إلى أخلاق ونفوس لانراها بيننا اليوم. فهم وان رأوا مبادىء الاسلام وأحكامه مثلا عليا إلا أنهم يرون لاسبيل لتحقيقها

يقولون انظروا الى المجتمع الذى تعيشون فيه ، وإلى النساء كيف فسدت أخلاقهن ، وإلى الرجال كيف تركوا النساء على هواهن ، وإلى الحكام كيف غلبتهم الاهواء ، وإلى الناس كيف تبادلوا الظلم والبغضاء ، فانقطع بينهم ماأمر الله به أن يوصل . يقولون : فكيف تلقون من هذه الامة آذانا صاغية لما تدعون اليه ، وعونا على ماتقدمون عليه ؟ وأنى لكم بمثل رجال الاسلام الأول من القادة المصلحين الزاهدين ؟

فهذا قول اليائسين من رحمة الله ، فلا تدعوا لقولهم سبيلا الى قلوبكم

نعم ان سواد الناس كما وصفوا ، ذلك مايجب أن تكونوا على ذكر منه ، وما هو بداعيكم الى النكوص والهزيمة

فلو كان الناس على خلق حسن ويقدرونه حقه ، لما احتاجوا الى توجيه منكم

ولم ينشأ الاسلام فى مبدأ أمره عزيز الجانب ولكن الله أعزه بثبات فريق من المجاهدين . صبروا على قلة عددهم ، وإعراض عن دعوتهم . وأذى يصيبهم . إلى أن دخل الناس فى الدين أفواجا . ولو أنهم يئسوا من رحمة الله فى مبدأ الامر ، لما قامت للدين قائمة ، ولما كان له ذلك الملك المريض

وهلا نظروا الى الجهد الذى تم حتى دخل فى الدين رجال أقوياء من أهل القيادة والزعامة فبهم اتسع السلطان

كأنما يريد من الحياة لهوا ! ألا يفهمون معنى الدعوة والحياة ؟

فهكذا نظامها : نزاع بين قوى الخير والشر ، وقوى الصلاح والفساد ، وثبات وصبر على السوء حتى يكشفه الله . فاذمع العسر يسرا ان مع العسر يسرا

ولو لم يكن العمل هكذا فى الحياة لفتر الشعور بها وكانت أقرب الى الموت ولو لم يكن فيها الجهد والصبر لما تحقق معنى النصر

فاذا كنتم أيها المؤمنون قد رزئتم فى المجتمع الذى تعيشون فيه بخبث

النفوس ، فأنتم لاتجهلون وجود الجهل ولا تجهلون علاجه

أنتم بثباتكم تجذبون الافئدة اليكم وان أعرضت بادىء الامر . ألستم ترون المغرقين فى الفساد يصيبون من أكدار ماقدمت أيديهم ، ويقلبون الفكر . فهم الى التوبة أسرع لاسيما ان رأوا صوتا يهديهم . وجمعاً يأوون اليه

وليكن أسلوبكم فى عملكم التدرج . ذلك من حكمة التشريع الاسلامى والموعظة الحسنة

وليس هذا تجزئة لاحكام الشريعة الاسلامية وقبولا لأحكام بعضها دون البعض الآخر . فالتدرج شىء آخر هو ينشأ مع الايمان العميق والعمل والصبر فى ذلك السبيل حتى تأتى اللحظة المناسبة

فلا تعجلوا على الامر كمن يلقون بأنفسهم الى التهلكة . ولتصبروا صبر اليقين على دينكم والثبات على رأيكم حتى يكثر الداخلون فى زمرتكم . وتوجدوا فى مجموع الامة اتجاها لتغيير الوضع القائم . وتقوى بينهم معانى الدين وتخف بينهم آثار المنكر وبواعثه . وحينئذ تستطيعون القضاء على البقية النادرة منه فى أمر يرتاح له الناس ويحرصون على تنفيذه بينهم

وليس الصبر فى هذا التدرج تهاونا فى الامر أو ضعفاً فى الايمان ولكنه صبر العاملين وهو من أرفع درجات الايمان وأشقها

بقى أن تذكروا فى النهاية من يعترضونكم . أولئكم الذين ينسون وجودهم وكيانهم ويفنون فى غيرهم . فيدعون أن عملكم وشرعكم قد لايوافق أمماً لها مصالح ونفوذ بينكم

ألا يفهم هؤلاء أن شرعكم أوفى وأصلح من كل مايضع الآخرون ؟ وانكم لو سرتم على هداه وعملتم به عمل الفاهمين لرأوا فيكم صلاحا وكانوا أقرب الى صفوفكم . وان تطور المدنية الحديثة يهدى ذوى البصائر الى دينكم.

فلا تضعفوا انفسكم وأنتم اقوياء وأمامكم السبيل

وأدركوا كل مايحيط بكم كى تواجهوا ما يعرض لكم فلا تعثروا فى خطوكم

— ٤ —

أيها المؤمنون :

إن هذا السبيل يستلزم من كل منكم عملا صالحا لينتج من عمل جماعتكم أمر عظيم نافع . وفى الوقت نفسه عملا خاصاً من جانب فريق منكم . أولئكم الذين تفقهوا فى دينهم ووهبهم الله الحكمة . درسوا تطورات البشرية وأحوال مجتمعهم ، ليظهروا لكم الرشد من شريعتكم ، وخير الوسائل لتغيير سيء أحوالكم . وليحسنوا إبلاغ الأمم الاخرى .

وليكن مصدر عملهم الكتاب والسنة فهما مصدر التشريع الاسلامى ، حويا كل شيء ولم يفرطا فى شيء . ومنهما يشتق ذوو الرأى من المسلمين المخلصين أفضل الاحكام لما يناسب عصرهم

ان عهدا قد مضى ذهب فيه من قبلكم الى التقيد بأقوال أئمة معينين من السابقين . فوضعوا آراءهم وكأنها الاسلام المنزل . ولقد أدى اولئك الائمة واجبهم نحو الدين والعلم . ولنا أن نفخر بهم وبأمانتهم . ولكن الانحصار فى آرائهم يخالف روح الاسلام ويقف به عن أن ينفع الناس فى حياتهم . ولقد كان ذلك من أسباب تأخركم . وقد لمستم عقباه السيئة . فالحمد لله أن خلصتم منه . وأن قد سعيتم لتفكروا بأنفسكم لانفسكم على ضوء الكتاب والسنة

فجدوا فى العمل قبل أن تغزوكم التشريعات الاجنبية وأنصارها . انهم يتلفتون فيرون نقصا فى بحثكم أحوال المجتمع الاقتصادية والاجتماعية على ضوء الاسلام فيلجأون الى المورد الذى تعودوا الاقتباس منه

ان بعض أوضاع دينكم تخالف المذاهب الاوربية كالربا وما بنى عليها من معاملات فى الرهان وغيرها . فهى أكل للمال بالباطل . وهذا أيضا تعدد الزوجات يقره دينكم ويأباه غيركم . فذاك وغيره له تعليله العلمى يحسن اداءه ثلة قليلة من الراسخين فى العلم والمخلصين للدين من بينكم . فيعقدون المقارنات ويستخلصون النتائج ويقنعون بها الغير

لكن هذا التأليف العلمى لن يثمر الا اذا رعى كل فرد اوامر الدين .

فكانت العلاقات بينكم والاخلاق فى مجتمعكم مصداقا لحكمة هذه الاوامر

ولسنا نريد أن نفتح باب الجدل على مصراعيه فى دينكم ، إذن لكان ضرره اكثر من نفعه

وان لأوامر دينكم مدخلا حسنا عن طريق الايمان ، هو أيسر سبيل لقبولها والخضوع لها والامانة فى تنفيذها . فلا تستبدلوه بغيره

ولسنا نريد أن نضيع وقتنا حتى يصبح علمنا جهلا . ويقيننا شكا . وعملنا جدلا . انما نريد علما وعملا وعزما على اليقين

— ٥ —

أيها المؤمنون

أنتم أمام عمل عظيم وجهد عظيم

عمل قبل أن يستتب لكم الامر وبعد أن يستتب لكم الامر . وقد تكون المرحلة الاولى أشق وعقباتها اكثر . فكونوا على بينة من امرها . وكونوا فى العمل متآخين

شدوا شدوا . وقفوا كالبنيان المرصوص والله يثبت صفوفكم . ويعزكم بنصر من لدنه وفتح قريب

رياض محمود مفتاح

بحث جـــديد

فى الحكم بين أهل الذمة وأنه يجب الحكم بينهم بشرعة الاسلام

وجد بمصر من بقايا الدولة العثمانية امتياز للطوائف غير الاسلامية ، أنهم يتقاضون فى المسائل التى تسمى (الأحوال الشخصية) إلى هيئات دينية منهم تسمى (المجالس الملية) بعضها معترف به من الحكومة المصرية وبعضها غير معترف به ولكن الجهات تحفظ لها اعتبارا خاصا . وهذا الامتيـاز بنى فى نظر الاكثر على نظرية عجيبة ، يدعون أن الاسلام يجعل لولى الأمر الخيار بين أن يحكم فى شأن غير المسلمين وبين أن لا يحكم ، وزعموا أن آيات القرآن تدل على ذلك . وقد وجدنا حكما قضائيا أصدره فضيلة الاستاذ المحقق الشيخ احمد محمد شاكر قاضى محكمة الخليفة الشرعية يوم الاحـد ٨ ربيع الاول سـنة ١٣٦٢ — كشف فيه عن وجه الحقيقة ، وأبان بالادلة الصحيحة أن الاسلام لم يجعل لولى الامر الخيار فى الحكم بين أهل الذمة من رعيته ، وأنه يوجب عليه الحكم فى كل شؤونهم بما أنزل الله من شرعة الاسلام . وأبان أنه فضلا عن ذلك فان وجود بعض هذه المجالس التى اعترفت بها الحـكومة ، وصدر لها قوانين تنظم مجالسها لا يمنع المحاكم الشرعية من الفصل فى قضايا أتباعها . وقد جاء فى هذا الحكم أبحاث دقيقة علمية اسلامية مما يناسب موضوعات هذه المجلة ، فرأينا أن ننشر أسباب الحكم ليطلع عليه قراؤها ، ويبدوا مايعن لهم من الآراء فى وجهة النظر التى قررها ، من وجهة الفقه فى الكتاب والسنة والاستدلال والبحث :

المحكمة

من حيث ان الطرفين متفقان على انهما من طائفة الاقباط الارثوذكس . ومن حيث ان المدعى عليه دفع بعدم اختصاص هذه المحكمة بنظر الدعوى لأن لطائفتهم

مجلسا مليا معترفا به قانونا وتمسك بدفعه . ومن حيث اننا سبق لنا فى قضائنا أن قبلنا مثل هذا الدفع بالنسبة لهذه الطائفة . ثم عدنا الى التفكير فى صواب ماقضينا به أوخطئه ، ورأينا أن نستأنف البحث ونتعمق فيه ونرجع بالمسألة الى أصولها الصحيحة فان انتهى بنا التحقيق الى تأييد ماقضينا به من قبل فبها والا وجب علينا الرجوع الى مايؤيده الدليل الصحيح. وكان ذاك على ماقضينا وهذا على ما نقضى ، والرجوع إلى الحق واجب .

ومن حيث ان الأصل فى هذه الامتيازات الطائفية فى دولة الاسلام يرجع الى ما يفهمه أو يظنه كثير من الناس ان الله سبحانه قد خير رسوله فى أن يحكم بين أهل الكتاب أو يدع فى قوله تعالى (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) وإلى أقوال كثير من الفقهاء فى تفصيل ذلك والخلاف فى معناه ودلالته ثم جاءت الدولة العثمانية فى إبان قوتها فمنحت بعض رؤساء الطوائف فى بلادها امتياز الفصل بين أتباعهم فى بعض المسائل وسرى هذا المنح على الدولة المصرية حين كانت ولاية عثمانية ثم جاء دور الضعف والانحلال فى الدولة العثمانية ومايتبعها من البلاد فزاد تمسك تلك الطوائف بامتيازها بما وجد من تأييد دول الاستعمار التى كانت تحارب الاسلام فى شخص الدولة العثمانية والتى كانت تحاول إخفاء نياتها تحت ستار حماية الأقليات المسيحية من تعصب المسلمين . ولهذا البحث حديث يطول ليس هذا موضعه . ثم تقلبت الأمور وتطورت ، وجاء متشرعوا هذا العصر بعقول أوربية وعواطف قانونية أشربت مايسمى (مبادىء التشريع الحديث) ورأوا هذه الطوائف بمجالسها الملية وفهموا أن هذه حقوق أعطاها اياهم الحكام السابقون اتباعا لماظنوه من حق التخيير بين الحكم فيهم وبين الاعراض عنهم . وان ولى الأمر استعمل حقه فى ذلك فأعرض عنهم وتركهم يتحاكمون فيما بينهم إلى أنفسهم . ثم صار هذا الاعراض من ولى الامر فى نظرهم حقا لهذه الطوائف

يسقط معه خياره الذى بنى عليه فلا يجوز له أن يعود فيه ويختار الطرف الآخر من طرفى الخيار . فيحكم بينهم بنفسه أو بواسطة قضاته بشريعته التى يجب عليه الحكم بها . وصارت هذه الحقوق فى نظرهم أقوى من حق ولى الامر فى الحكم بشريعة الاسلام . ومن حق الأمة فى توحيد قضائها وتشريعها . ثم صار الأمر فوضى كما نرى . وهذا كله خطأ بنى على خطأ بل هو مجموعة أخطاء بنيت على أغاليط صورت فى الاذهان بصورة مقدمات صحيحة يقينية عن برهان أو بصورة مقدمات مسلمة ليست موضعا للجدال .

ومن حيث ان الباحث الدقيق المنصف إذا بدأ بحثه من المصدر الاول وهو القرآن الكريم . فقرأ الربع الرابع من سورة المائدة (الآيات ٤١ إلى ٥٠) غير متأثر بما وقر فى النفوس من مقدمات شبيهة بالمسلمات . ثم قرأ ما ورد فى سبب نزول هذه الآيات وما جاء فيها من الاحاديث الصحاح ، يوقن ان هذه الآيات لاتصلح أن تجعل أصلا للامتيازات الطائفية ولا أن تكون سببا لاضطراب الاحكام فى دول الاسلام . فانما نزلت هذه الآيات فى حادثة أو حادثتين لليهود : حادثة قتل وحادثة زنا . جاء اليهود فى كلتا الحادثتين إلى النبى . فخيره الله بين أن يحكم بينهم وبين أن يعرض عنهم ثم قال له (وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) ثم قال له (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) ثم قال له أيضا (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) ثم الثابت يقينا والذى ليس موضعا للشك أن اليهود كانوا فى أطراف المدينة فى حصونهم وصياصيهم وكانوا فى قراهم بجوارها، وكانوا مستقلين فى شؤنهم غيرخاضعين لسلطان رسول الله سياسيا ولا إداريا ثم صاروا معاهدين ثم غدروا بما عاهدوا فأجلاهم رسول الله عن المدينة وعن جوارها ولم يكونوا قط فى أى وقت من الاوقات رعية له خاضعين لحكمه انما كانوا

محاربين أو مستأمنين أو معاهدين ولم يكونوا أبداً ذميين. والظاهر لنا من سياق هذه الآيات وماورد فيها من الاحاديث أنها نزلت قبل أن يصيروا معاهدين .
ومن البديهى أن الحاكم لا يملك الحكم فى قوم ليسوا رعية له ولم يدخلوا فى سلطانه ، وأن له أن يحكم بين المعاهدين اذا وضع فى العهد نص يسوغ له الحكم بينهم ولذلك جاء النص فى الاية (فان جاؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم) فهم ناس من غير رعيته جاؤا يطلبون حكمه فى واقعة معينة أو فى واقعتين .ويؤيده قوله تعالى بعد (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة) فهذا تحكيم منهم لمن ليسوا رعية له فهو مخير فى أن يقبل التحكيم وان يدع. أما رعيته من المسلمين ، وأما رعيته من غيرهم وهم الذميون فليس له أن يتخلى عن الحكم فيما يشجر بينهم من نزاع وعن الحكم فيما يكون منهم من جرائم توجب العقاب ويجب أن يحكم بنفسه أو ينيب عنه من يحكم فيهم من قاض أو وال أو نحوهما يحكمون فيهم بما أمروا به من الحكم بالشريعة الاسلاميه الكتاب والسنة والاستنباط منهما والاجتهاد فى فقههما . فلم يكن رسول الله، ولم يكن أصحابه من بعده ليتخلوا عن اقامة العدل بين رعاياهم من المسلمين ومن غيرهم . وهذا الذى ذهبنا اليه قال به أحرار الفكر من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين
قال الامام ابن حزم فى المحلى (ج ٩ ص ٤٢٥) « ويحكم على اليهود والنصارى والمجوس بحكم أهل الاسلام فى كل شىء رضوا أم سخطوا ، أتونا أو لم يأتونا. ولا يحل ردهم الى حكم دينهم ولا الى حكامهم » وقال الامام السيد محمد رشيد رضا رحمه الله فى تفسيره (ج ٦ ص ٣٩٤) « المرجح المختار فى الاية أن التخيير خاص بالمعاهدين دون أهل الذمة وعلى هذا لا يجب على حكام المسلمين أن يحكموا بين الاجانب الذين هم فى بلادهم اذا تحاكموا اليهم . بل هم مخيرون يرجحون فى كل وقت مايرون فيه المصلحة . وأما أهل الذمة فيجب الحكم بينهم اذا تحاكموا الينا » . وهذا بالضرورة اذا لم توجد بيننا وبين الدول

الأجنبية معاهدات تعطينا سلطة الحكم فى قضاياهم وفيما يكون منهم من جرائم فان الواجب اذ ذاك الحكم وفاء بالعهد . وقد حرصت كل الامم فى هذه العصور على عموم سلطانها كل ساكنى بلادها ، وأنفت أن يكون لاجنبى فيها امتياز قضائى ، ووصلت مصر أخيرا إلى ذلك فى معاهدة منترو

ومن حيث انه فوق هذا كله فان الذين فهموا أن ولى الامر مخير بين أن يحكم وأن يدع ، ناقضوا أنفسهم فجعلوا هذا الخيار خاصا بما يسمونه « الاحوال الشخصية » ولم يرضوا ولا يمكن أن يرضوا أن يجعلوه فى مثل ماوردت فيه الآية . وهو حادثا قتل وزنا إذ لا يعقل الآن فى الدولة أن يقتل ذمى آخر ثم يقال لهم اذهبوا فتحاكموا إلى رؤسائكم الدينيين ليعاقبوا القاتل بالقصاص أو الدية أو نحو ذلك - هذه اشارة موجزة إلى أصل الامتيازات الملية الطائفية تظهر بطلانها بطلانا تاما .

ومن حيث انه على الرغم من أن هذه الامتيازات الطائفية لا أصل لها فى الشريعة ، وان المنطق السليم يوجب أن لا يكون لها وجود . فان الواقع فعلا انها موجودة الآن سواء أكان وجودها صحيحا أم باطلا . وان المشرعين أخطأوا فوضعوا القوانين والقواعد على أساس ان ولى الامر مخير بين الحكم وعدمه (كذلك يحتجون ؟) واستصدروا قوانين لبعض المجالس الملية . ولست أدرى على أى شيء بنوا عملهم هذا. فانهم إن كانوا فهموا ان ولى الامر اختار أن لا يحكم بين أهل الذمة أعنى اختار الاعراض عنهم وجب أن يتركوا وشأنهم ولا تصدر قوانين منه فى تنظيم قضائهم ، لأن صدور القوانين بتنظيم قضائهم وتعيين الهيئات أو الاشخاص الذين يحكمون فيهم إنما هو حكم من ولى الامر فى قضاياهم بواسطة من عينه وأذن له فى الحكم فلا يكون عمله هذا اختيارا للاعراض عنهم ، وإن كانوا فهموا أن ولى الامر اختار ان يحكم بينهم وجب أن يتقاضوا فى أحوالهم الشخصية كلها الى جهة القضاء العامة التى أذنها ولى الامر بالحكم نيابة

عنه فى هذه المسائل ، وهى المحاكم الشرعية ، ووجب أن يخضعوا لقانونها العام فى الدولة وهو الشريعة الاسلاميـة ، كما أنهم فى مسائلهم الأخرى من مدنيـة وجنائية يتقاضون إلى جهة القضاء التى وليت الفصل فيها نيابة عن ولى الأمر وهى المحاكم الأهلية . ويخضعون لقانون الدولة العام فى ذلك كله . لا فرق بين هذا وبين ذاك فى نظر المنطق السليم والدليل القاطع

ثم انه لايعقل أن يراد بولى الامر الذى له الخيار بين أن يحكم وأن يدع : أنه المحاكم الشرعية ، فان قضاتها انما هم نواب عنه يحكمون عن إذنه فيما أذن لهم فيه ، وهو صاحب الولاية الاصلية يوزعها بين عماله على النظم الموضوعة

ومن حيث انه مع هذا كله فان الواقع أيضا ان بعض المجالس الملية صدر لها قوانين تنظم أعمالها سواء أكان صدورها صحيحا أم باطلا ، ومن هذه المجالس المجلس الملى لطائفة الاقباط الارثوذكس التى ينتسب اليها الخصمان فى هذه القضية

ومن حيث أنه لكى نتبين مدى سلطة هذا المجلس وهل هى مانعة للمحاكم الشرعية من نظر قضايا طائفته : يجب درس قانونه درساً دقيقا وتحديد معانيه تحديدا تاما مستنبطا من دلالة الالفاظ على معانيها . وهو الامر العالى الصادر فى ١٤ مايو سنة ١٨٨٤ والذى عدل بالقانون رقم ١٩ سنة ١٩٢٧ (تصديقا على لائحة ترتيب واختصاصات مجلس الاقباط الارثوذكس) فانا نجـد فيـه الباب الثانى من اللائحة (فى اختصاصات المجلس) ونجد هذا الباب مفصلا فى ثلاث عشرة مادة . ونجد ان هذا الباب كما اشتمل على بعض أشياء جعلت من اختصاص المجلس الملى ، اشتمل أيضا على أشياء ليست من خصائصه ، واشتمل على أشياء ألزم بها وأوجبت عليه . وقد عبر واضع اللائحة عن كل نوع منها بلفظ مغاير لما عبر به عن النوع الآخر ، ومن الضرورى أن هذه المغايرة فى العبارات تدل على اختـلاف المقصود من كل عبارة منها ، وانها انما وضعت لحـكمة تفهم فى كل نوع . وعلى أبعد الفروض يجب أن يفهم التفريق بين هذه الانواع من اختـلاف العبارات إن فرض أن كان الاختـلاف وقع اتفاقا غير مقصود ، لان دلالة الالفاظ على معانيها الوضعية أقوى الدلالات ، ولان

الموضوع موضوع تقنين وتشريع يراعى فيه الدقة التامة فى الالفاظ ، ولان منح سلطة الحكم ممن يملكها لغيره توكيل منه له يحدد باللفظ الذى صدر به التوكيل لا يتجاوزه

ومن حيث اننا نجد فى هذا الباب من هذه اللائحة (المواد ٨و٩و١٢و١٤) وهى المواد الخاصة بالاوقاف القبطية والمطبعة والكنائس صدرت بجملة واحدة وهى (يختص المجلس) ولم يذكر غيرها منصوصا عليه باختصاص المجلس . ثم نجد المواد (١٠و١٣و١٦) وهى المتعلقة بالمدارس وادارتها وبالفقراء والاحسان اليهم ، وبالفصل فى دعاوى الاحوال الشخصية صدرت بجملة واحدة وهى « من وظائف المجلس » ثم نجد باقى المواد فى أمور أخر بعضها ليست له علاقة بالمجلس أصلا كالمادة (١١) ونصها « تكون كافة المدارس القبطية تحت ملاحظة وتفتيش نظارة المعارف » فهذا يدل على أن عنوان الباب (فى اختصاصات المجلس) عنوان فيه تساهل فى التعبير ، وأنه لا يمكن أن يفهم منه أن كل ماذكر فيه من المسائل مما يختص به المجلس ومما حصرت فيه السلطة فى يده ، إنما يراد به ما يقوم به المجلس أو ما يتعلق به ولو تعلقا بعيدا

ومن حيث ان اختلاف التعبير فى نوعين من المواد بين كلمة « يختص » وكلمة « من وظائف » يرى منه أنه وضع فى النوع الاول الاشياء الخاصة بالطائفة ، والتى ينبغى أن تحصر السلطة بشأنها فى مجلسها ، وهى الاوقاف والمطبعة والكنائس ، وأنه وضع فى النوع الثانى أشياء يجب أن لا تحصر السلطة فيها فى المجلس لعموم موضوعاتها ولمساسها بمجموع الامة وتعلقها بسلطة القضاء

ومن حيث أن المادة (١٦) وهى الخاصة بفصل المجلس فى قضاياهم نصها « من وظائف المجلس المذكور أيضا النظر فيما يحصل بين أبناء الملة من الدعاوى المتعلقة بالاحوال الشخصية الواضحة أنواعها بكتاب الاحوال الشخصية الذى صار نشره مع قوانين المحاكم المختلطة فيما عدا ماهو من اختصاص المجالس الحسبية بمقتضى المرسوم بقانون الصادر بتاريخ ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٥

الخاص بترتيب المجالس الحسبية . انما مسائل المواريث لاتنظر الا باتفاق جميع أولى الشأن فيها » الخ

ومن حيث أنه إذا تبين من نص المادة المذكورة أن سلطة الفصل فى قضايا أحوالهم الشخصية ليست محصورة فى هذا المجلس وحده كان للسلطة الاخرى صاحبة الاختصاص العام فى هذا النوع من التقاضى أن تنظر فيه ، ويكون فصلها فيه داخلا فى حدود ولايتها يقينا ، وهى المحاكم الشرعية ، خصوصا وأن مسائل المواريث اذا لم يتفق أولو الشأن فيها جميعاً على التقاضى أمام المجلس الملى كان مسلوب الولاية عن نظرها ، وكانت الولاية لجهة القضاء العام فيها وهى المحاكم الشرعية . وهذا بديهى لا يحتاج الى نظر

ومن حيث انه مما يؤيد هذا أنه لم يخالف أحد فى أن الدفع بعدم الاختصاص فى مثل هذه المسائل ليس من النظام العام بالنسبة للمحاكم الشرعية فاذا لم يدفع المدعى عليه أمامها بعدم الاختصاص كانت لها ولاية الفصل وان اتحد مذهب الطرفين ، بخلاف المجلس الملى فانهذا الدفع أمامه من النظام العام يقينا ، فاذا اختلف مذهب الطرفين كان فاقد الولاية فى القضاء بينهما

ومن حيث أن عموم ولاية المحاكم الشرعية فى الانواع التى عهد اليها بالحكم فيها سواء فيما أذن للمجلس الملى بالنظر فيه وفيما لم يؤذن — هذا العموم شيء ثابت من نصوص قانونها ، ومن مراسيم تعيين قضاتها . فان القاضى حين يصدر المرسوم بتوليته القضاء الشرعى يصدر مطلقا غير مقيد بشيء يتعلق بالأشخاص أو المذاهب أو الأديان ، وقوانين المحاكم الشرعية — وآخرها القانون رقم ٧٨ سنة ٣١ — لم ينص فى شيء منها على اختلاف الاشخاص والاديان ، بل كل نصوصها تدل على عموم سلطانها فيما أذن قضاتها فى الفصل فيه بالنص على نوع التقاضى فقط (تنظر المواد من ٥ — ١٠ و١٢)

ومن حيث انه يتبين من هذا كله أن طائفة الاقباط الارثوذكس لم تمنع

المحاكم الشرعية من نظر شيء يتعلق بقضاياهم فى الانواع الداخلة فى اختصاصها وأن القانون الصادر بشأن مجلسهم الملى لم يجعل هذا المجلس مختصاً بنظر هذه القضايا وحده حتى يمكن أن يؤخذ المنع من مفهوم اللفظ أو دلالته . وولاية القضاء انما تستمد من ولى الامر صاحب الولاية ، وقد أذن للمحاكم الشرعية بالحكم فى هذه الانواع اذنا عاماغير مقيد ، وأذن للمجلس الملى إذنا محدودا بأنه (من وظائفه) لم يحصره فيه فبقى الاذن الاصلى على عمومه . وأما منشورات وزارة العدل فى هذه المسائل أياً كان لونها فانها لاتقدم ولاتؤخر ، لان ولاية القضاء لاتستمد منها ، فلا هى تملك إذنا ولا هى تملك منعا

شعبان سنة ١٣٦٢ العدد الثامن — الثمن ١٥ مليما السنة السابعة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة دينية علمية إسلامية (شهرية مؤقتاً)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

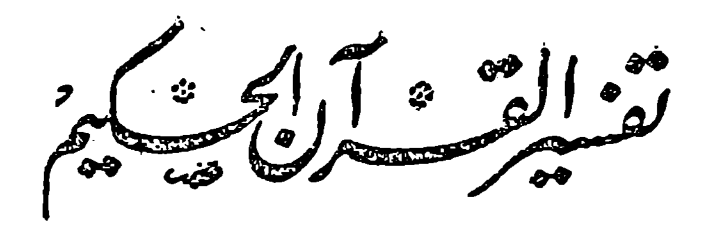
رئيس التحرير : محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصري والسودان
و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة : بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية



بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولو الألباب ﴾

قال ابن عباس : نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وأبى جهل بن هشام ، وقال غيره : نزلت فى أبى بكر وأبى جهل ، وقيل : فى عمار بن ياسر وأبى جهل ، وهى مع هذا عامة فى كل من كان على سنن أبى بكر من العلم والهدى والايمان ؛ ومن يكون على سنن أبى جهل من عمى البصيرة والاستكبار عن الحق والارتكاس فى حمأة الجهل والبغى .

ضرب الله فى الآيات السابقة المثل للعلم النافع الذى أنزله الله من السماء حياة للقلوب وقوة وتصفية لها من الخبث الذى يقذفه الشيطان فيها من طريق الجهل والتقليد الأعمى للآباء والأجداد . وبين سبحانه العاقبة الحسنى فى الدنيا والآخرة التى يجزى بها الذين استجابوا لربهم وانتفعوا بهذا العلم فى إحياء قلوبهم وهدايتها وتصفيتها وتزكية نفوسهم من كل ماينافى فطرة الله التى فطر عليها القلوب السليمة من الذل له والرضى به رباً والاستقامة على دينه والرضى بالاسلام الذى رضيه لها . وبين العاقبة السوءى التى يؤول اليها أمر الذين على قلوبهم أكنة من تقليد الآباء والشيوخ والسادة ، واغلاق من إتباع الظن وما تهوى الأنفس . فحرموا قلوبهم من هذا الغيث المحيى ، ومنعوها من هذا النور الهادى الى صراط العزيز الحميد ! وأن لهم فى الآخرة من العذاب مايتمنون أن لو كانت لهم الأرض وما فيها جميعاً ليفتدوا به من هذا العذاب ، ولات حين مناص .

بعد ماضرب الله هذا المثل وبيّن هذا البيان. استنكر أشد الاستنكار على من يزعم المساواة بين الفريقين الذين استجابوا لربهم ؛ والذين لم يستجيبوا له . وأن من البديهى عدم تساويهما: وكيف يستوى الذين جردوا قلوبهم وأخلصوها من تقاليد الآباء وعادات الأجداد وآراء الشيوخ وأهواء الرؤساء والسادة ونظفوها من كل هذه الأقذار وهيؤوها لغيث العلم السماوى الذى أنزله الله رحمة وهدى وشفاء لما فى الصدور ، فتنزل عليها ذلك الغيث فقبلته فرحة مسرورة فاهتزت به وربت وحيت به الحياة الايمانية الطيبة المثمرة لأطيب الثمرات ، وأشرقت عليها شمس الرسالة المحمدية الحقة من مشكاة الكتاب الحكيم وسراج السنة النبوية المنير . فهم يمشون فى الناس بهذا النور فى حياة وقوة يقين واطمئنان قلب وثبات جنان على بصيرة من ربهم فى كل أمرهم . إذا نطقوا نطقوا بالحق والعلم، واذا سكتوا سكتوا بالخشية والخوف!. واذا عملوا عملوا بعلم ونور ويقين، واذا تركوا تركوا فى أدب ووقوف عند ماحد الله من حدود، لايبغون طريقهم الى ربهم إلا قيما على هدى الكتاب ونور السنة ، لاتزعزعهم الشكوك والشبهات ولا تقطعهم عن ربهم اللذات الحيوانيـة والشهوات . لاينقادون لـكل ناعق، ولا يتبعون إلا الحق حيث كان وأين وجد ،لا يرضون أن يردوا بالتقليد الأعمى الى أسفل سافلين، بعد أن أنعم الله عليهم وخلقهم فى أحسن تقويم. لاتزعجهم كثرة المشنشنين ولا يخيفهم السواد الأعظم والدهماء من الجاهلين . ولو أوتوا من الدنيا وأسباب قوتها ما أوتوا . فان ذكّروا بالله وآياته (يخرّوا للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا)

كيف يستوى هؤلاء والذين يعلمون أنما أنزل الله على رسوله هو الحق فاتبعوه واستضاءوا به . والذين أعمى التقليد للآباء والشيوخ والرؤساء أبصارهم وبصائرهم . فلا يسمعون إلا بآذان الشيوخ ولا يبصرون إلا ببصرهم ولا يفقهون إلا بعقولهم (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) يهجم عليهم الحق بخيله ورجله فيفرون منه الى أحضان رأى فلان وذوق فلان، واستحسان

فلان واختيار فلان، تشرق عليهم شمس القرآن والسنة فتعشى أبصارهم من سواد ما غشيها من التقليد الذى أشرب قلوبهم: أن تلك الآيات البينات والأحاديث النيرات ألغاز مغلقة دونها أبواب العقول، وأحاجى مغلولة دونها أفهام القلوب . فليس لهم منها إلا حروف يتبرك بها ، وأوراق يتحفظ بها من اللصوص والحريق ـ زعموا ـ أما العقائد والعبادات والأخلاق والسلوك وتهذيب النفوس والأحكام فى المعاملات والأقضية وفصل الخصومات فكل ذلك فى غير ما أنزل الله ومن عند مولدات الافكار ومستنبطات العقول، ومن اختيار الآراء ومستحسنات الاهواء . فهم لذلك يتخبطون فى دياجير من الظلمات ، ويتعثرون فى عقبات من الأهواء والشكوك والشبهات . إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون . يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، وهم بالآخرة لايوقنون . إذا ذكرتهم بالله قالوا : نحن محاسيب فلان وفلانة من الأولياء ، واذا خوفتهم عذاب الآخرة ، قالوا : يشفع لنا فلان وفلانة من الأقطاب والأوتاد والنجباء ، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ، قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا، يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لايرضون إلا بالتحاكم إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ؛ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولون عن حكم الله وحكم الرسول وهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . إذا لاحت لوائح الدنيا وعرضها احتالوا للوصول اليها من كل طريق ؛ وركبوا اليها كل مركب ؛ وما أفطنهم وأحذقهم فى استنباط هذه الطرق من الأقوال والآراء والمتون والشروح والحواشى ، حتى ولو كانت غير معتمدة فى المذهب ، لكنها تسند الهوى والرغبة فى إرضاء الجمهور ولو لم يرض الله ولا رسوله

ألم يروا الى مالك بن أنس والشافعى وأبى حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة الهدى رضى الله عنهم كيف أبوا كل الاباء أن يحملوا الناس على ما كتبوا أوفهموا من النصوص إبعاداً لهم عن التقليد الأعمى وإبقاء على فطرة الله التى فطر الناس عليها . ولو جاز

التقليد لكانوا أولى الناس أن يقلدوا ، ولو جاز أن يلزم الناس برأى أحد فى الدين لكان أولى أن يلزموا بموطأ مالك وأم الشافعى . لكنهم أبوا على الناس ذلك نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولسنته ولأئمة المسلمين وعامتهم . جزاهم الله خير الجزاء

والعجب العاجب أن يحمل على هؤلاء الأئمة الناصحين المخلصين آراء من يزعمون أنهم استنبطوها من كلامهم — والله أعلم بموردها ومصدرها — و يلزموهم بتلك الآراء إلزاما فيقولون تأليف فلان وقول فلان من المتأخرين مذهب مالك أو الشافعى أو ابى حنيفة أو احمد رضى الله عنهم . والله أعلم أن مثل هذا الرأى لم يخطر لهم على بال فضلا عن أن يقولوه ويحملوا الناس عليه ديناً لازماً . فما أشد ظلم هؤلاء الذين لم يستنيروا بنور العلم المنزل ، ولم يستضيئوا بمشكاة السنة المطهرة — ما أشد ظلمهم لأنفسهم ولأولئك الأئمة المبرئين مما يقولونه عنهم و يلزمونهم به ؛ وما أشد ظلمهم للاسلام بنسبتهم ذلك اليه ، وهو أشد حربا على التقليد الأعمى وأهله من حربه على كل معصية ومنكر ، فكم أفسد التقليد والمقلدون من عقول وعقائد وأخلاق ونظم ، وأوقعوا الناس فى فوضى يالها من فوضى تركت الحليم حيرانا ، لأنه يرى الناس كل يوم فى سفال . وما أصدق ما قال رسول الله ﷺ فيما روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ، ولكنه يقبض العلم بموت العلماء ، فاذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوساً جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »

واذا سألتهم لماذا تتبعون الرخص والآراء الضعيفة من كتب المتأخرين ، محاولة لتصحيح أخطاء العامة ؛ والأولى أن تردوهم إلى العلم الأول من الكتاب والسنة وقول السلف المهتدين ؟ قالوا : والله ما أردنا الا إحسانا وتوفيقا ، وما قصدنا الا الى اصلاح المجتمع و إخراج الناس من المآزق الحرجة ، وفك الأغلال والقيود التى تمنع الناس من مجاراة المدنية الحديثة ، وأنتم جامدون لا تلائم روحكم روح العصر الحديث ، ثم روجوا ذلك على بسطاء العقول بقولتهم المشهورة « الاسلام دين العقل والمدنية » كلمة مزخرفة

ولكن وراءها ما وراءها . والله من ورائهم محيط ، وليس الاسلام إلا أن يكون الهوى والجمهور والمجتمع تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ ، وليس الاسلام ماقال فلان ورأى فلان ولكنهم يموهون لما يبيتون ، و يمكرون و يمكر الله ، والله خير الماكرين . ونعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله سبحانه العافية لنا ولاخواننا المسلمين من هوى متبع وشح مطاع ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه . وأن يحفظ علينا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وسبيل رشادنا ، وسبب فلاحنا فى الدنيا والآخرة .

والذين يعلمون الحق الذى أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم و به يعدلون ولا يعدلون عنه ، موجودون بفضل الله فى كل زمن و بلد ، ولا تزال هذه الطائفة قائمة لنصر الحق والدفاع عنه بوعد الله على لسان رسوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك . لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم » وهم المعينون بقول الامام أحمد فى خطبة كتابه فى الرد على الجهمية :

«الحمد لله الذى جعل فى كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، و يصبرون منهم على الأذى . يحيون بكتاب الله الموتى و يبصرون بنور الله أهل العمى . فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، وكم من تائه ضال قد هدوه . فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ؛ ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ؛ وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة . فهم مختلفون فى الكتاب ؛ مخالفون للكتاب ؛ متفقون على مفارقة الكتاب . يقولون على الله وفى الله وفى كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام و يخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم . فنعوذ بالله من فتن المضلين»

هذا وقد مثل الله تعالى فى كثير من آى الذكر الحكيم الجهل بالعمى و بالظلمات و بالموت ، والعلم بالنور والابصار والحياة ، وذلك لبيان ما بينهما من البون الشاسع والفرق العظيم وأنهما لن يستويا ، ولا أهلهما لا فى الدنيا ولا فى دار الجزاء . قال الله

تعالى فى سورة البقرة فى حق المنافقين (وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون) وفيها (الله ولىّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) وفى سورة المائدة (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه) وفى الأنعام (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات) وفيها (قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) وفيها (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها؟) وفى سورة هود (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ، هل يستويان مثلا؟ أفلا تذكرون) وفى سورة الرعد (قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) وفى سورة ابراهيم (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) وفى سورة الأحزاب (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور) وفى الحديد (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور) وفى سورة الطلاق : (رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرجكم من الظلمات الى النور) وقال فى سورة الأنعام (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها) وفى الأعراف فى قوم نوح (إنهم كانوا قوماً عمين) وفى يونس(ومنهم من يستمع إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ؛ ومنهم من ينظر اليك ، أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) وفى الحج (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) وفى الاسراء (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وفى سورة النور (يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس) (ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده ــ يعنى الكافر ــ لم يكد يراها . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) وفى الفرقان (الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعميانا) وفى النمل (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا

ولوا مدبرين . وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم . إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) ومثلها بالنص فى سورة الروم . وفى سورة فاطر (وما يستوى الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات . إن الله يسمع من يشاء ؛ وما أنت بمسمع من فى القبور) وفى سورة غافر (ومايستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلاماتذكرون)

هذا ، والجاهل بالدين يمثل بالأعمى لأن العلم يهتدى به الى طريق الرشد من الغى ، كما يهتدى بالبصر الى طريق النجاة من طريق الهلاك ، وبالضد من هذا حال الجهل والعمى .

وقوله ﴿ إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ أى لاينتفع بهذا العلم الحق الذى أنزله الله عليك ويتعظ ويطلب ذكر مايرغب فى الجنة فيسعى اليها بالايمان والأعمال الصالحة — التى سيفصلها فى الآيات الآتية — ويرتدع وينزجر عن الشرك والفسوق والعصيان: إلا أصحاب العقول النيرة والأفهام المستبصرة . و «اللب» هو العقل السليم الباقى على الفطرة لم يطرأ عليه تغير بالعادات والتقاليد .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ؛ والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة . وهو الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة ، تقتص آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى الى رأيهم، ترغب الملائكة فى خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، يستغفر لهم كل رطب ويابس ؛ وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه . لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ؛ يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة.

التفكير فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام . به توصل الأرحام، و به يعرف الحلال من الحرام . هو إمام العمل والعمل تابعه ، و يلهمه السعداء و يحرمه الأشقياء»

قال الامام الحافظ ابن عبد البر فى جامع العلم : هو حديث حسن جداً لكن ليس له إسناد قوى . ورويناه من طرق شتى موقوفا على معاذ ، وروى ابن عبد البر أيضاً عن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقول إذا رأى الشباب يطلبون العلم « مرحباً بينابيع الحكمة ومصابيح الظلم، خلقان الثياب جدد القلوب، حبس البيوت ريحان كل قبيلة»

وذكر الامام الحافظ ابن القيم فى كتاب مفتاح دار السعادة وهو كتاب نفيس فى فضل العلم: الوجه التاسع والعشرون بعد المائة ـ يعنى فى فضل العلم ـ :مارواه كميل بن زياد النخعى قال: أخذ على بن أبى طالب بيدى فأخرجنى ناحية الجبانة. فلما أصحر جعل يتنفس ثم قال « يا كميل بن زياد ، القلوب أوعية . فخيرها أوعاها . احفظ عنى ما أقول لك. الناس ثلاثة : فعالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ؛ ولم يلجئوا إلى ركن وثيق . العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال . العلم يزكو على الانفاق ـ وفى رواية على العمل ـ والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه. ومحبة العلم دين يدان بها ، العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته. وصنيعة المال تزول بزواله . مات خُزّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر . أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة . هاه هاه . إن ههنا علماً ـ وأشار بيده الى صدره ـ لو أصبت له حَمَلة ، بلى أصبته ؛ لقناً غير مأمون عليه . يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه ، و بنعمه على عباده ، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له فى أحنائه، ينقدح الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة . لاذا ولا ذاك . أو منهوما للذات ، سلس القياد للشهوات . أو مُغْرى بجمع الأموال والادخار . ليسا من دعاة الدين ، أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة : لذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى لن تخلو الأرض من قائم لله بحجته

لـكيلا تبطل حجج الله و بيناته ، أولئك الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قيلا ، بهم يدفع عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم و يزرعوها فى قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى. أولئك خلفاء الله فى أرضه ودعاته الى دينه، هاه هاه ، شوقا الى رؤيتهم . وأستغفر الله لى ولك، اذا شئت فقم »

ذكره أبونعيم فى الحلية وغيره . وقال أبو بكر الخطيب البغدادى : هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظا.

وقال الحافظ ابن عبد البر : حد العـلم عند العلماء المتكلمين فى هذا المعنى: هو مااستيقنته وتبينته . وكل من استيقن شيئاً وتبينه فقد علمه . وعلى هذا : من لم يستيقن الشىء وقال به تقليداً فلم يعلمه، والتقليد عند جماعة العلماء غير الاتباع، لأن الاتباع هو أن تتبع القائل على مابان لك من فضل قوله وصحة مذهبه . والتقليد : أن تقول بقوله وأنت لاتعرفه ، ولاتعرف وجه القول ولا معناه، وتأبى من سواه، وان تبين لك خطؤه ، فتتبعه مهابة خلافه وأنت قد بان لك فساد قوله. وهذا محرم القول به فى دين الله سبحانه ـ الى أن قال ـ : واتفق أهل الأديان على أن العلم الأعلى هو علم الدين . واتفق أهل الاسلام أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام : أولها ، معرفة خاصة الايمان والاسلام ، وذلك معرفة التوحيد والاخلاص . ولا يوصل الى علم ذلك إلا النبى ﷺ فهو المؤدى عن الله ، والمبين لمراده ، وبما فى القرآن من الأمر بالاعتبار فى خلق الله بالدلائل من آثار صنعته فى بريته على توحيـده سبحانه ، والاقرار والتصديق بكل مافى القرآن و بملائكة الله ورسله . والقسم الثانى معرفة مخرج خبر الدين وشرائعه ، وذلك معرفة النبى ﷺ الذى شرع الله الدين على لسانه و يده ، ومعرفة أصحابه الذين أدوا ذلك الدين عنه ومعرفة الرجال الذين حملوا ذلك وطبقاتهم إلى زمانك، ومعرفة الخبر الذى يقطع العـذر لتواتره وظهوره ـ إلى أن قال ـ القسم الثالث : معرفة السنن واجبها

أحاديث الأحكام

٩٦ — وعن عائشة رضى الله عنها قالت « ما بال رسول الله ﷺ منذ نزل عليه القرآن قائما » رواه أحمد وأبو عوانة فى مسنده الصحيح بهذا اللفظ . وعند الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم نحوه . وقال الترمذى : هو أحسن شىء فى هذا الباب وأصح .

أقول: ورواه الترمذى بلفظ « من حدثكم أن النبى ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه. ما كان يبول إلا قاعداً » قال الترمذى : ومعنى النهى على التأديب لا على التحريم . وقد روى عن عبدالله بن مسعود قال « إن من الجفاء أن تبول وأنت قائم »

وقال الحافظ فى الفتح: والجواب عن حديث عائشة أنه مستند إلى علمها، فيحمل على ماوقع منه فى البيوت . فأما فى غير البيوت فلم تطلع عليه، وقد حفظه حذيفة ، وهو

وأدبها وعلم الأحكام . وفى ذلك يدخل خبر الخاصة العدول ومعرفته ومعرفة الفريضة من النافلة ، ومخارج الحقوق والتداعى ومعرفة الاجماع من الشذوذ .

قالوا : ولا يوصل الى الفقه إلا بمعرفة ذلك . و بالله التوفيق . اه

وقال العلامة ابن القيم فى الكافية الشافية فى الفرقة الناجية :

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة . هم أولوا العرفان

لا العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول و بين رأى فلان . اه

والله سبحانه وتعالى أعلم . ونسأله أن يزيدنا من العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يجعل قلبنا خاشعاً ولساننا ذاكراً ، وأن يديم علينا الهداية والتوفيق لصراطه المستقيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

محمد حامد الفقى

من كبار الصحابة ؛ ثم قال : وقد ثبت عن عمر وعلى وزيد بن ثابت وغيرهم أنهم بالوا قياما . وهو دال على الجواز من غير كراهة إذا أمن الرشاش . ولم يثبت عن النبى ﷺ فى النهى عنه شىء كما بينته فى أوائل شرح الترمذى. والله أعلم

٩٧ ـ وعن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال :قال رسول الله ﷺ « لا تبل قائما » رواه ابن حبان ، وقال: أخاف أن ابن جريج لم يسمع من نافع هـذا الخبر . وقد ثبت عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه بال قائما

٩٨ ـ وعن حذيفة بن اليمان قال « أتى النبى ﷺ سباطة قوم فبال قائما ، ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ» متفق عليه . ولفظه للبخارى . وليس فى مسلم « فدعا بماء فجئته بمـاء »

أقول:وقد رواه البخارى ثلاث مرات متتاليات . وفى لفظ منهـا : عن حذيفة قال « رأيتنى أنا والنبى ﷺ نتماشى ، فأتى سباطة قوم خلف حائط ؛ فقام كما يقوم أحدكم فبال . فانتبذت منه . فأشار إلىّ ، فجئته فقمت عند عقبه حتى فرغ »

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح: قال ابن بطال : دلالة الحديث على القعود بطريق الأولى . لأنه إذا جاز البول قائما فقاعداً أجوز . قال الحافظ : ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى حديث عبدالرحمن بن حسنة الذى أخرجه النسائى وابن ماجه وغيرهما ، فان فيه« بال رسول الله ﷺ جالساً فقلنا : انظروا اليه يبول كما تبول المرأة » وحكى ابن ماجه عن بعض مشايخه أنه قال : كان من شأن العرب البول قائما . ألا تراه يقول فى حديث عبدالرحمن بن حسنة «قعد يبول كما تبول المرأة » وقال فى حديث حذيفة «فقام كما يقوم أحدكم » ودل حديث عبدالرحمن المذكور على أنه ﷺ كان يخالفهم فى ذلك فيقعد لكونه أستر وأبعد عن مماسة البول .وهو حديث صحيح صححه الدارقطنى وغيره اهـ .

وقد روى البخارى عن أبى وائل قال « كان أبو موسى الأشعرى يشدد فى البول ويقول : إن بنى إسرائيل كان إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه . فقال حذيفة : ليتـه

أمسك ؛ أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال قائما» قال الحافظ فى الفتح : وللاسماعيلى « لوددت أن صاحبكم لا يشدد هذا التشديد» وإنما احتج حذيفة بهذا الحديث ؛ لأن البائل عن قيام قد يتعرض للرشاش ، ولم يلتفت النبى ﷺ إلى هذا الاحتمال ؛ فدل على أن التشديد مخالف للسنة . واستدل به لمالك فى الرخصة فى مثل رءوس الابر من البول : وفيه نظر . لأن النبى ﷺ فى تلك الحالة لم يصل إلى بدنه منه شىء . وإلى هذا أشار ابن حبان فى ذكر السبب فى قيامه . قال: لأنه لم يجد مكانا يصلح للقعود . فقام لكون الطرف الذى يليه من السباطة كان عاليا فأمن من أن يرتد اليه شىء من بوله اهـ

وقال النووى فى المجموع : قال ابن المنذر :اختلفوا فى البول قائما: فثبت عن عمر وزيد بن ثابت وابن عمر وسهل بن سعد أنهم بالوا قياما . وروى ذلك عن على وأنس وأبى هريرة . وفعله ابن سيرين وعروة . وكرهه ابن مسعود والشعبى وابراهيم بن سعد. وكان ابراهيم بن سعد لا يقبل شهادة من بال قائما .قال: وقال مالك : إن كان فى مكان لا يتطاير اليه من البول شىء فمكروه - يعنى أن يبول قائما - وان تطاير فلا كراهة . قال ابن المنذر : البول جالساً أحب إلىّ، وقائما مباح . وكل ذلك ثابت عن النبى ﷺ

٩٩ — وعن عاصم بن بهدلة وحماد بن أبى سليمان عن أبى وائل عن المغيرة بن شعبة «أن رسول الله ﷺ أتى سباطة قوم فبال قائما - قال حماد : ففحّج رجليه » رواه أحمد — وهذا لفظه — وابن خزيمة فى صحيحه . وأعله أحمد برواية منصور والأعمش عن أبى وائل عن حذيفة

(عاصم بن بهدلة) هو ابن أبى النجود أحد القراء السبعة ، وهو الكوفى مولى بنى أسد ، قال الذهبى فى الميزان : ثبت فى القراءة ، وفى الحديث دون الثبت صدوق يهم ، قال النسائى : ليس بحافظ ، وقال الدارقطنى : فى حفظه شىء ، وقال أبو حاتم: محله الصدق ، وقد أخرج له الشيخان مقرونا بغيره لا اصلا وانفراداً ؛ توفى سنة ١٢٧

وحماد بن أبى سليمان : أبو اسماعيل الأشعرى الكوفى أحد أئمة الفقهاء ؛ سمع

أنس بن مالك ، وتفقه بإبراهيم النخعي ، روى عنه سفيان وشعبة وأبوحنيفة وخلق ؛ تكلم فيه للإرجاء ؛ قال أبو حاتم : صدوق لايحتج به مستقيم فى الفقه ، فاذا جاء الأثر شوّش ؛ وقال الأعمش : ما كنا نصدقه . مات سنة ١٢٠ اه ميزان باختصار

وقال الترمذي : وحديث أبي وائل عن حذيفة أصح . وقد رخص قوم من أهل العلم فى البول قائما اه

وقال الحافظ فى الفتح : روى ابن ماجه من طريق شعبة أن عاصما رواه له عن أبى وائل عن المغيرة ؛ قال عاصم : وهذا الأعمش يرويه عن أبى وائل عن حذيفة ؛ وما حفظه ؛ يعنى أن روايته هى الصواب . قال شعبة : فسألت عنه منصوراً فحدثنيه عن أبى وائل عن حذيفة ، يعنى كما قال الأعمش ، لكن لم يذكر فيه المسح . فقد وافق منصور الأعمش على قوله « عن حذيفة » دون الزيادة ؛ ولم يلتفت مسلم إلى هذه العلة بل ذكرها فى حديث الأعمش ، لأنها زيادة من حافظ — ثم حكى قول الترمذي ؛ ثم قال : وهو كما قال ، وإن جنح ابن خزيمة إلى تصحيح الروايتين لكون حماد بن أبى سليمان وافق عاصما على قوله عن المغيرة . فجاز أن يكون أبو وائل سمعه منهما ، فيصح القولان معاً . لكن من حيث الترجيح ترجح رواية الأعمش ومنصور لاتفاقهما أصح من رواية عاصم وحماد ، لكونهما فى حفظهما مقال . اه

وقال أخونا العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر فى تعليقه على الترمذي : والذى رجحه ابن خزيمة هو الصواب لأن احتمال الخطأ فى الحفظ من عاصم قد رفعه متابعة حماد له ، كما هو ظاهر . وبعيد أن يتفقا معاً على الخطأ . والراوى الثقة إذا خيف من خطأه وتابعه غيره من الثقات تأيدت روايته وصحت اه

أقول : وهذا لا يمنع مارجحه الحافظ ابن حجر لعلو منزلة الأعمش ومنصور فى الثقة والضبط عن منزلة حماد وعاصم ، والله أعلم .

محمد حامد الفقى

دعوة واقتراح :

أما آن للمسلمين أن يعرفوا لغة القرآن

تدين بالاسلام شعوب متفرقة ، وأمم كثار لا تعرف العربيـة ، ولا تحسن لغة القرآن . ولا يعرف بعضهم لغة بعض ، فلا يتم بينهم تفاهم ولا تواصل ولا تعارف ، والله خلق الناس من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا . ولا يتم التعارف بين الشعوب والقبائل إلا اذا اصطنعوا لسانا واحداً به يتخاطبون ، و به يتفاهمون، و به يتعارفون .

وخير الألسنة مانزل به القرآن، وهو اللسان العربى القرشي . و إذا كان المسلمون قد اختاروا الاسلام دينـاً ، وارتضوا القرآن كتابا ، فلم لايختارون لغة القرآن لغـة يتفاهمون بها لتقوى بينهم الروابط ، وتشتد الأواصر ، وتتدانى آفاق التفكير ؟

ولست أدرى كيف يحب القرآن ويقـدسه ويؤمن به ويصدق باعجازه من يجهل لغته الجهل كله . والناس أعداء مايجهلون ؟

وما بعث الله رسوله ﷺ إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، وكانت فكرة الاسلام السامية ترمى الى جمع الشعوب كلها تحت رايته ، ولا تجتمع الشعوب إلا اذا اتحدت فكرة وعقيدة ولغة ، ومن أجل ذلك حتم أن تكون الصلاة بالعربية . وفى ذلك دعوة خفية الى معرفة هذه اللغة الشريفة ، فان الذى يحفظ الفاتحة وسورتين تميل نفسه الى فهم معنى مايقرأ ، فاذا حفظ هذه الألفاظ وفهم هذه المعانى تطلعت نفسه الى المزيد، وتاقت الى دراسة لغة القرآن ، والاحاطة بها لفظا ومعنى .

ولقد نجحت فكرة الاسلام أول الأمر فانتشرت العربية مع الاسلام فى مصر و بلاد المغرب والأندلس وسوريا وفلسطين وفارس، وتكلم بالعربية أهل هذه البلاد

حتى من لا يدينون بالاسلام ، وماتت اللغة القبطية فى مصر والبربرية فى المغرب ، والاسبانية فى الأندلس ، والسوريان فى سوريا ، والعبرية فى فلسطين، والفارسية فى الفرس . ولقد طرد المسلمون من الأندلس ولا يزال الكثير من ألفاظ اللغة العربية يدور على الألسنة هنالك . وتعصب الفرس للغتهم فأحيوها وأماتوا العربية بعد أن ظلّت لهم لغة قرونا .

نحن لا ندعو هذه الشعوب الى أن تنسى لغتها أو تقتلها فقد يشق ذلك عليها، وقد يفتنها الشيطان بكلمة (القوميــة) فيزيدها حرصاً عليها واستمساكا بها . إنما نريد أن نتعلم مع لغتها لغة القرآن الذى تؤمن به، لغة الاسلام الذى اختارته لها ديناً. لغة الصلاة التى تناجى بها ربها ، لغة النبى الذى تحبه وتخلص له وتفــديه بأموالها وأرواحها ، لغة الصحابة الذين جاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم ، لغة المسلمين الأولين الذين حفظوا هذا الدين حتى وصل اليهم فاعتنقوه واعتزوا به .

***

تستطيع الجماعات الاسلامية فى البلاد التى تنطق بالعربية أن تقوم بهذه المهمة، فتبعث فى كل مملكة من الممالك الاسلامية التى لا تنطق بالعربية بعثة تفتتح معهداً لتعليم هذه اللغة الشريفة لقاء أجر زهيد جداً كما يفعل الأجانب فى بلاد الشرق ، فهم يفتتحون معاهد لتعليم لغاتهم بالمجان أو بأجر قليل . وهذه المعاهد لا تنفق عليها الحكومات ولكن تمدها جماعات خيرية تحرص على نشر لغتها و إذاعة ثقافتها بين الناس ، لعلمها أن الناس إذا عرفوا لغة أمة وحذقوا ثقافتها أحبوها ورضوا عنها .

فما ضرّ المسلمين لو حاربوهم بمثل أسلحتهم ؟

ماضرّهم لو تعاونت البلاد الاسلامية التى تتكلم العربية على هذا البرّ وأوفدت مبعوثين ليعلموا تلك البــلاد لغة القرآن ، حتى اذا حــذقها فريق منهم قام مقام المبعوثين فى تعليم أبناء جلدته .

أما نفقات هذه المعاهد فتقوم بها الجماعات الاسلامية وأولوا الغيرة على الاسلام وهم لن يخدموا الاسلام بخيرٍ من إحياء لغته وبثّها فى بلاد الاسلام .

* * *

إن هـذه البعثات لو تمت .حققت للاسلام غرضين وأصابت هدفين فى وقت واحد ، إذ تستطيع أن تيشر لغة القرآن فى البلاد التى لاتتكلم بها ، وأن تتعلم لغة هذه البـلاد فتقف أهلها على حقيقة الاسلام ، وتعاليمه الصحيحة ، وتدعوهم الى نبذ البدع والخرافات بالحـكمة والموعظة الحسنة .

و إذاً تتحقق الجامعة الاسلامية التى يدعو إليها الحكماء والراشدون من المسلمين.

* * *

ليت شعرى هل يتحقق هذا الأمل الحلو ؟

وهل يصدق هذا الحلم الجميل ؟

ذلك موكول إلى صدق إيمان المسلمين، وقوة إخلاصهم لدينهم، وحزم قادة الرأى فيهم ؛ ولا مستحيل على أولى العزم . وربك يخلق مايشاء ويختـار ، وهو على كل شىء قـدير .

أبو الوفا محمد درويش

﴿ مسبك حروف الشرق ﴾

من صور الحياة المصرية

٣٢ — التسول

بمناسبة مانشرته صحيفة الاهرام فى عدد ٣ الجارى بعنوان (تنظيم ملاجىء العجزة ومكافحة التسول) نتوجه بهذه الكلمة إلى حضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية والشئون الاجتماعية

التسوّل مرض قديم من أمراض الهيئة الاجتماعية ؛ لم تنج منه أمة من الأمم قديمها وحديثها ؛ فلما ظهر الاسلام عالج هذا الداء فيما عالج ، بوضع نظام الزكاة والكفارات والندب إلى الإحسان والترغيب فيه . فأغنى من ضحايا الفقر الذين (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف لايسألون الناس إلحافا) وضرب على أيدى المحترفين الذين يسألون الناس تكثرا ، وتوعّدهم أشد الوعيد . فقد ورد فى صحيح البخارى عن ابن عمر ان رسول ﷺ قال « مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم » . ثم حبب فى العمل وابتغاء الرزق من الكسب الشريف ؛ وأزرى بالكسل والكسالى أشد الإزراء .

وقد قصد الاسلام من علاج المرض بجانب ماقصد من إغناء الفقير ـ أى من الناحية الفردية ـ غرضاً سامياً من الناحية الاجتماعية ، وهو أن لايدع فى الأمة طائفة مهينة عند نفسها وعند الناس ؛ بل أراد بحسم هذا الداء أن يجعل منها كتلة كريمة النفس عزيزة الجانب ؛ فقد ظهر بالاستقراء وطول التجارب أنه ما من شىء يذل النفس و يميت فيها عناصر النخوة وخصائص الرجولة مثل هذا الداء الوبيل .

ولذلك قام كثير من الأمم الغربية قبل أن تأكلهم هذه الحرب الضروس بمحاربة التسوّل ووضع العقوبات الزاجرة لمن يحترفه من غير حاجة ماسة ، بل حرمته بعض هذه الأمم تحريماً باتاً بعد أن آوت الضعفاء منهم والعاجزين عن الكسب فى ملاجىء خاصة ، وأدخلت ذوى العاهات والمرضى مصحات أعدت لهم . أما السليم الذى يمكنه الكسب من أى عمل يناسبه فقد أوجدته له وقطعت عذره ، ومن لم ينصع للأمر عوقب عقابا شديدا.

ولقد سمعنا عن كثير من الحكومات المصرية المتعاقبة أنها فكرت فى علاج التسوّل وتتبعنا مافعلته ؛ فما تجاوز كل ماسمعنا حدّ التفكير اللهم إلا بعض لوائح تتعلق بالتشرد وتطبيقه على نفر من أولئك المتسولين ، وأغلب الظن أن هذه اللوائح لازالت نظريات غير منفذة عملياً أو حبراً على ورق كما يقولون . فهاهم أولاء غصة السمع والبصر أنّى توجه الانسان فهم فى طريقه ؛ لا بل صاروا رجالا ونساء يقتحمون دور الحكومة فى أول كل شهر يسألون الموظفين بكل صفاقة ، وكان أولى أن يُحرم عليهم ولوج هذه الدواوين على الأقل كخطوة أولى حتى تتخلص البلاد جميعاً من كابوسهم الثقيل

نحن لاننكر أن هذه الحرب أوجدت أزمة أصابت بعض طبقات الأمة بالضر حيث أصبح كثير من الحاجيات فى غير متناول أفرادها لغلاء ثمنه غلاء فاحشاً كما لاننكر فى مقابل ذلك أن كثيراً من ذوى النفوس الضعيفة عندما عضّهم الفقر لم يقاوموه بالطرق الشريفة بل لجأوا إلى السؤال، فلما اغتنوا منه جعلوه شرعة ومنهاجا

من المشهور عن الشرقيين عامة والمصريين خاصة أنهم يسيرون وراء العاطفة لا وراء المصلحة ، فلقد رأيت امرأة فى لباس يدل على ماضى الغنى تجُرُّ وراءها ولدين تلج بهما الدواوين والمحلات العامة تزعم أنها امرأة موظف مات وترك لها هذين الطفلين وتحت تأثير العاطفة يعطيها من يعطيها ، فلو أن نفراً من ذوى الحزم

ممن تهمهم مصلحة البلد أبلغوا الحكومة عنها لحالت بينها و بين غلامين من أبناء هذا البلد فأدخلتهما المدارس وأنقذتهما من رذيلة التسول التى لو بقيا فى كفالة أمهما لنشئا وشابا عليها ثم التفت الحكومة بعد ذلك لأمر أمهم أو من تدعى أمومتهم ، فان كانت غير ذات دخل كان لزاماً عليها اطعامها وكفايتها ، فان أبت الكرامة سن لها ولأمثالها من العقوبة مافيه مزدجر .

و إن أنس لا أنس أولئك الفجرة الذين جعلوا القرآن أداة سؤالهم ؛ فتراهم يتسولون به فى أفواه السكك وأمام الدور ، منهم الثابت فى مكانه ومنهم المتجول لايفترون الليل والنهار ، و إنا نلفت نظر معالى الوزير الحازم أن يبدأ بقطع دابر أولئك الفجرة حماية للقرآن العزيز من الذلة التى صيروه اليها وتجافياً به عن هذا العبث . فالقرآن إنما أنزله الله هدى وشفاء لا تسولاً به واستجداء .

ومن لغو القول أن نشير إلى أن أغلب هؤلاء المتسولين هم من الأغنياء الذين لايظهر غناهم إلا بعد هلاكهم بما يكتشف من أموالهم فى الحشيات البالية ومواقد الفخار وفى الخربات وثنايا الحيطان .

والأمة الكريمة لاتصبر على هذا العار بل يجب عليها أن تبادر فى الحال إلى حسم هذا الداء بادئة بفحص كل محترف للتسول فحصاً دقيقا ليعالج كل بحسب حالته إن كان محتاجا أو متصنعاً للحاجة لأنهم والحق يقال سبة البلد الذى يكثرون فيه ومثار لوم شديد لولاة أموره مع قدرتهم على تطهيره منهم ، فكل مايقال عن استعصاء علاجهم خرافة لاتقوم على أساس .

وانى لعلى يقين من أن نسبة الذين يتسولون بدافع الحاجة لاتتجاوز خمسة فى المائة إلى جمهرة المتسولين الذين اتخذوا التسول طريقا للغنى ومصيدة للثروة ؛ فعلام إذن السكوت على هذه الحقيقة المخزية مع أنه لو سن قانون صودرت بموجبه ثروات (ذوات الشحاتين) لعادت على خزينة الدولة بالخير الوفير ، ولأ مكنها من

تنفيذ مشروعات تحارب الفقر ، وترفع مستوى الفقير .

يامعالى الوزير :

لقد جمع الله فى يديك زمام الوزارتين ، الشؤون الاجتماعية ووزارة الداخلية ، فأولاهما أداة تفكير والأخرى أداة تنفيذ ، ولعلّ هذا لم يتح قبلك لكثير من الوزراء ، وهذا مايجعل الفرصة سانحة أمامك لتطهير البلد من هذا الداء و إزالة هذه البثور الخبيثة من وجهها ؛ و إن ماجاء بصحيفة الاهرام عن تنظيم الملاجىء ومكافحة التسوّل فاتحة طيبة تبشر بالخير الذى ستجنيه مصر من مجهود معالى الوزير فى هذا السبيل : ونحن نرجو أن يوفق إلى علاج الموضوع من جميع نواحيه وأن ينتهز فرصة اجتماع السلطتين فى يده فيضع له الدواء الحاسم ، والله ولىّ التوفيق .

هذا ولى فى موضوع التسوّل أبيات أثبتها فى ختام كلمتى عظةً وذكرى .

أناخَ بعينىَ السهر   فلازم صدرىَ الضجر

لقد وردا بلا عِدَة   وروداً ماله صَدَر

على بلدٍ روايته   فصول كلها عبر

أرى أخلاقه عَرِيتْ   فلا ظلّ ولا ثمر

وهذان إذا فقدا   فقل لى ماهو الشجر ؟

بحسبك جيش الاستجد   اء فى الطرقات ينتشر

يرى فى كل ناحية   قَذى يقذى به البصر

فمجذوم ومنكفىء   يغَطى جسمه القَذَرُ

وأعرج مابه عَرَجٌ   وأعمى كله نظر

وذو ضرّ يصيح به   وأقسم مابه ضرر

يروجه على البسطا   لئيم بيعه غرر

فشاة عند حاجته وفى خلواته نمر
وهذى مرأة تبكى قريناً غاله القدر
تجر وراءها نفراً ولا يدرى من النفر
وما هى أمهم لكن برأى البؤس تتجر

* * *

لعمرى ان أكثرهم على الآلاف مقتدر
فسل أشهاد ميتهم عن المال الذى يذر
فطوراً ملء زنبيل وطوراً ظرفه الحفر
وطوراً تحتويه عصا فما يدرى به بشر
تهالكه على جمعيـ ـة لغز حله عسر
لو أن يداً أصابته بسوء كان ينتحر
فليس يمسه أبداً وإن عبثت به الغير
ولا يأتيه مهما امتـ ـد فى الدنيا به العمر

* * *

لقد منعوا عن المحتـ ـاج قوتاً كان ينتظر
ألا قانون يردعهم شديد فيه مزدجر
مريضهم المستشفى وللمتمارض الحجر

محمد صادق عرنوس

لا طاعة على الزوجة

(فيما يأمرها به زوجها من المنكر)

فتوى لحضرة صاحب الفضيلة الامام الفقيه المجتهد ، المصلح المجاهد ، بقية السلف وقدوة الخلف ، ناصر الحق ، لايخشى فيه لومة لائم ، مرجع العلماء لحل المشكلات ، وأمل المصلحين للخروج من الفتن المحيرات ، الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ؛ أطال الله للمسلمين بقاءه ، ومد للدين والمتدينين فى حياته المباركة .

سألت السيدة . . . قالت :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فسأشرح لكم قصتى بالتفصيل ، وأرجو هدايتى إلى الطريق المستقيم .

ولدت فى بيت دينى ، وكان أبى أحد رجال الدين البارزين ، وكان جدى أكبر رجل دينى فى مصر ؛ وتوفى قبل أن أبلغ مبلغ النساء . كنت أعيش مع والدتى وأخوتى ، وتبعاً للظروف كنت ألبس الملابس القصيرة وأخرج بالكم النصفى ومن غير جوارب . وكنت أضع على وجهى بعض الأحمر الخفيف . ومع ذلك كنت أؤدى فروض الصلاة . وكنت أخرج دائما مع أخى ووالدتى . وأعجب ابن خالتى بى فتزوجنى لحسن أخلاق . وكان فرحا معجباً بى . يمدحنى فى كل وقت ؛ لما أنا عليه من جمال الخلق والخلق ، ولكنه كان ينصحنى بلبس الجورب والكم الطويل لكى أستر ما أمرنا الله بستره . وأحضر لى الكتب الدينية التى تحض على ذلك .

ولما كنت قد ورثت حب التدين عن والدى فقد أطعته بل زدت على ذلك وأخذت ألبس (شارب) وهو أشبه بالمنديل الملون فوق رأسى وأعصبه من تحت الذقن ، وهى طريقة تتبعها القرويات لكى تخفى شعر الرأس والعنق . وذلك ابتغاء مرضاة الله . فسر زوجى بذلك فى مبدأ الأمر ، ولكنه رجع فطالبنى بأن أتزين وأتعطر له وألبس الفساتين التى تكشف عن الساقين والذراعين ، وأن أصفف شعرى فى أشكال بديعة كما كنت أفعل ذلك سابقا . ولما كان ذلك متعذراً لأن

زوجي يسكن مع والديه وأخويه ـ وأحدهما فى السادسة عشرة، والثانى فى الواحدة والعشرين ـ وذلك لأن ظروف زوجي لاتساعده على السكن وحده ، فقد بينت له أن ذلك غير متيسر ، لأننى لا أستطيع أن أمنع أحداً منهم من دخول حجرة أخيه فى أى وقت ؛ خصوصاً وأن لى أطفالا صغاراً ومطالبهم تجعلنى لا أستطيع أن أتقيد بحجرة خاصــة . ولذلك فأنا ألبس فى المنزل غطاء الرأس الذى وصفته وجلبابا طويلا يغطى إلى آخر الكعبين ، وأظل به طول النهار وبعضاً من الليل ؛ وحين يرانى زوجي بهذه الحال يثور ويغضب، ويقول: انه لايسمح لى بهذا اللبس الذى أشبه فيه الغسالة ودادته العجوز . ولست أقول انه يظلمنى بهذا التشبيه ؛ ولــكنى والحق يقال أصبحت فتاة غريبة جــداً عن تلك الفتاة التى كنتها والتى أعجب بها وتزوجها . لأن عدم التزين وهــذه الملابس التى ألبسها جعلتنى أشبه بالفلاحات ، وحتى حين أراه غاضباً وألبس بدل القميص فستانا قصــيراً وشرابا وجاكت لا يرضى بذلك، وأنا متأكدة أنه لو رآنى كذلك قبل الزواج لما تزوجنى وقد تطورت الحال فى الشهور الأخــيرة فأخذ يشتمنى ويلعننى فى كل وقت ، ويقول انه غير راض عنى أبداً وإننى ملعونة من الله ومن الملائكة ومن كل شيء إلا إذا أطعته وأقلعت عن هــذا اللباس ؛ ولبست ما كنت ألبس يوم تزوجنى ؛ لأنه تزوجنى ليصون نفسه من الزلل ؛ وإنه الآن فى عنفوان شبابه وهو يرى فى الخارج من المغريات كثيراً. فإذا أنا لم ألبس له وأتزين كما كنت فيما مضى سيضطر أن يمتع نفسه بطريقة أخرى ، وأنه اذا زل فذنبه واقع على . لأننى لا أطيعه وأمتعه كما يريد . ولما قلت له : إننى أخاف عقاب الله إذا أبديت زينتى ولبست الملابس التى تبدى بعض أجزاء الجسم ، قال لى : انه سيتحمل الذنب وحــده لأنه هو الذى أمرنى ، وما أنا إلا مأمورة . فلا عقــاب على . لأن الله يأمرنا بطاعة أزواجنا . وقد قال الرســول (ص) فى ذلك « لو كان السجود لغــير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

والآن الحالة بيننا على أشــدها ، وقد هددنى أن يحلف بالطلاق أن لا ألبس هذه الملابس . أنا فى حيرة لا أدرى معها إن كنت على صواب أم على خطأ فى مخالفته ؛ خصوصاً وأنه يطلب حين حضور أحد من أقاربنا أو حــين الخروج للنزهة كشف رأسى، وسيقانى وذراعي؛ وهو لايطلب منى ذلك دائما . وانما فى

بعض الأحيان ، فأرفض خوفا من الله . فيقول : انه يجب أن أكون على أحسن حال وإنه يطلب منى طلباً معقولا فيجب أن أطيعه : والآن أنا فى أشد الحيرة هل أطيعه فى كل شىء طاعة عمياء ؛ أو أطيعه فى بعض النقط دون بعضها ؟ وهل اذا أطعته يكون لاذنب على ؟. إن لى منه طفلة وطفل وهو شاب مهذب مؤدب دين . فأفتنى بما يرضى الله ورسوله . هدانى الله وإياكم إلى سواء السبيل .

﴿ أجاب ﴾

اطلعنا على هذا السؤال ونفيد :

أنه يحرم على السائلة أن تخرج بالحالة المنوه عنها فى السؤال، كما يحرم عليها إبداء زينتها المذكورة لأخوى زوجها . فقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها . وليضربن بخمرهن على جيوبهن . ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن . أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ؛ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

« وأولو الأربة من الرجال » هم الذين لا حاجة بهم الى النساء من الشيوخ الطاعنين فى السن ونحوهم . و «الخمر» جمع خمار وهى المقنعة التى تلقيها المرأة على رأسها . و «الجيب» الطوق . وهو فتحة العنق فى أعلى القميص يبدو منه بعض الجسد ، وليس المراد منه الجيب المعروف الآن ــ الذى يكون لوضع المنديل وغيره من حاجة الملابس ــ والمراد بهذه الجملة من الآية الكريمة أمر النساء بستر نحورهن وصدورهن بخمرهن حتى لا يري منها شىء .

وإذ كان هذا ــ أى الخروج وابداء الزينة كما جاء بالسؤال ــ حراما ومعصية . فاذا أمرها زوجها به كانت طاعة محرمة . فأنه أمر بمعصية . وقد قال النبى (ص) « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »

ومما يناسب ذكره هنا : ماقاله الألوسى فى تفسير الآية الكريمة المذكورة : قال رحمه الله : ثم اعلم ان عندى مما يلحق بالزينة المنهى عن ابدائها : مايلبسه

أكثر مترفات النساء فى زماننا فوق ثيابهن ويتسترن به اذا خرجن من بيوتهن وهوغطاء منسوج من حرير ذىعدة ألوان. وفيه من النقوش الذهبية أو الفضية مايبهر العيون . وأرى أن تمكين أزواجهن ونحوهم لهن من الخروج بذلك ومشيهن به بين الأجانب من قلة الغيرة ، وقد عمت البلوى بذلك . ومثله ماعمت به البلوى أيضاً من عدم احتجاب أكثر النساء من اخوان بعولتهن وعدم مبالاة بعولتهن بذلك . وكثيرا مايأمرونهن به ، وقد تحتجب المرأة منهم بعد الدخول ـ أى بعد الزفاف ـ أياما الى أن يعطوها شيئاً من الحلى ونحوه ، فتبدو لهم ولا تحتجب منهم بعد ... وكل ذلك مما لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله (ص) وأمثال ذلك كثير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . انتهى

هذا وطاعة الزوجة لزوجها ـ وان كانت واجبة ، بل هى أوجب من طاعتها لأبويها ، كما دلت على ذلك النصوص الشرعية التى منها ماروى ابن ماجه وغيره عن ابن أبى أوفى عن النبى (ص) « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذى نفس محمد بيده لاتؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها . ولو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنعه » فهى ـ أى طاعة الزوجة لزوجها ـ فيما له من حقوق عليها . وليس من الحقوق ابداء زينتها لمن لا يحل له النظر اليها .

هذا ، وعليك أن تتقى الله وتتحملى أذى زوجك ، وتصبرى على ذلك فى سبيل رضاء الله عنك . وليكن نصب عينيك قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) وقوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)

واحذرى أن تطيعى زوجك فيما يأمرك به مما نهى الله عنه وحرمه إرضاء له ؛ فانه لايغنى عنك من الله شيئا ؛ ففى حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها الذى بعثت به الى معاوية رضى الله عنه « من أرضى الله بسخط الناس ، رضى الله عنه وأرضى الناس عنه ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا »

وانتهزى فرصة صفو زوجك وانصحى له أن يكون معك فى طاعة الله واجتناب معاصيه ، وليكن ذلك منك بالحكمة وحسن التصرف ولين القول . واذكرى له نه بأمره لك بما جاء فى كتابك انما يأمرك بالمنكر وليس هذا من شأن المؤمنين ،

بل هذا شأن المنافقين كما قال الله تعالى فى سورة التوبة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم . نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون . وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هى حسبهم ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم)

أعاذ الله زوجك من النفاق ووقاه الله شر المنافقين ، ووفقه الى أن يكون من المؤمنين الذين ذكرهم الله فى قوله فى هذه السورة (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ؛ ان الله عزيز حكيم ، وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ؛ ذلك هو الفوز العظيم)

فاذا ذكرت له هذا وكان مهتديا مثقفا ذا دين، كما جاء بكتابك — لم يرض لنفسه إلا أن يكون من المؤمنين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وسائر المسلمين لما يحبه ويرضاه ، وأن يجعل بينك وبين زوجك من الألفة والمودة والرحمة مابه تقيمان حدود الله . وأن يصلح لكما شأنكما وأن يسعدكما وذريتكما فى الدنيا والآخرة ؛ انه سميع الدعاء وهو ولينا ونعم المولى ونعم النصير . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

﴿ أسماء أعضاء مجلس إدارة فرع الجماعة بالحضرة باسكندرية ﴾

فضيلة الشيخ محمد محمد الميمون — رئيساً. محمد رشاد حسن نائباً له. محمد صالح سكرتيرا محمد موسى — أميناً للصندوق . خليفة السيد — مراقباً للحسابات . عمر احمد مساعداً للسكرتير . أنور سيد احمد . احمد على . عزمى السيد . حسين عطا الله . عبد المجيد قاسم ، يوسف عبد الجليل ؛ عبد الخالق أبو زيد — أعضاء

وانتخب المجلس حضرتى صاحبى الفضيلة الشيخين أحمد بكار ومحمد على عطا الله واعظين للجماعة

أليس الله بكاف عبده ؟!!

مما بلى به الدين وأهله فى كل بلد وزمن أشد البلاء : طائفة الجامدين المتعصبين بالعمى والغى لعادات الآباء والأجـداد وآراء الشيوخ وللتقاليد الموروثة . وأولئك هم الذين لقى الأنبياء منهم من العناء والأذى مالقوا فى كل أمة : يدعونهم الى عبادة الله وحـده . فيقولون (ولا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا . ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيرا) و (أجعل الآلهة إلهـاً واحداً ؟ إن هـذا لشيء عجاب ، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هـذا لشيء يراد) (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) : إن لأوليائنا كرامات واتصالا بالله ، فهم شفعاؤنا عند الله وواسطتنا اليه ، ولا بد من الواسطة . إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط .

كيف تنكرون لأوليائنا كراماتهم وتصرفاتهم وقد سمعنا آباءنا يقصون علينا من ذلك ، وكم أخبرنا سدنتهم وخدام قبورهم بالكثير من ذلك . فكم لهم من قتل وضرب وسلب وحرق لمن لايفوا لهم بما نذر أو يحلفون بهم كاذبين ، وكم لهم من عطاء وفضل وبركات لمحسوبيهم المتعلقين بأقوى سبب من الحب ، والذين يزورونهم ويدعونهم ويتعلقون بأستارهم ومقاصيرهم كل ساعة ، ألم تسمعوا إلى ما استفاض على ألسنة النساء فى خدورهن والفلاحين فى حقولهم والعجائز على مصاطبهم . سلوا هؤلاء إن لم تكونوا مصدقين (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) فيتلو عليهم الأنبياء من كلام الله فى تعداد نعمائه وعظيم آلائه وآثار قدرته ورحمته ؛ وانه الحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم ، وأن أولياءكم موتى لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، وأن الله هو الولى الحق لأنه على كل شيء حفيظ فيقولون (مهما جئتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فاذا رأى السدنة

والمتجرون بأولئك الموتى وقبورهم أن اتباع الأنبياء على الايمان الخالص والتوحيد الصادق يكثرون . هاج هائجهم وأخذوا يضربون أخماساً لأسداس ويفكرون بماذا يردون ذلك السيل من الحق والهدى أو بماذا يطفئون تلك الشمس المشرقة التى ينقذ الله بها الناس من ظلمات كفرهم وضلالهم ووثنيتهم المزخرفة باسم الأولياء والصالحين ، فهداهم شيطانهم وأوحى اليهم الافك والكذب والزور والبهتان من القول والعمل على الأنبياء والسابقين وأمرهم أن يطبعوا ذلك الكذب على الرسول وأتباعهم رسائل وينشروها بين الدهماء والعامة ، وينقل خلفهم عن سلفهم تلك الأكاذيب حرفياً ، ولا يحسون بشىء من الخزى ولا الفضيحة ؛ لأنهم جردوا من الحياء وسلبوا العقل والتفكير وأعمى بصائرهم العصبية فى العناد والتمادى فى اللجاج فهم فى طغيانهم يعمهون صم بكم عمى فهم لا يعقلون. وكم رد الأنبياء عليهم السلام تلك الخزعبلات والتخرصات وكم كشف أتباع الأنبياء فى كل زمان عن عوار هذه الجهالات التى زعموا حججاً ودلائل وما هى إلا الزبد الذى يذهب جفاء ويتطاير هباء أمام جبال الحق الراسيات من قول الله فى كتاب وصحيح الأخبار الثابتة فى الكتب المعتمدة من البخارى ومسلم وأمثالها مما لا يحوم نحوه تلك الحشرات والجعالين التى لا تعيش إلا فى جو الفساد . ولقد كان جديراً أن يهملوا فى هذا الزمن بعد ما بان للعقلاء باطلهم بما رده وكشفه العلماء المهتدون من ورثة الأنبياء . ولكن بعضهم قد اندس فى القرى وبين الفلاحين فخوفا من أن يروج عليهم الباطل والكذب على الله وعلى الرسول والصحابة والعلماء بما يأفك فى صحيفته السوداء من الفجور والبهتان . كتبنا هذه الكلمة المختصرة راجين من مجلة الهدى النبوى الغراء التى هى اليوم منبر التوحيد ولسان المؤمنين الصادقين ، أن تنشر هذه الكلمة وتبعث بأعداد منها إلى بلدنا (دمنهور) لعل الله يهدى بها . وينقذ الناس من ضلال أولئك الأفاكين المتخرصين .

ونصيحتنا إلى الناس أولا وآخراً : أن يقرأوا كتاب الله ويتدبروا آياته البينات

ولا يسمعوا لأولئك الأفاكين الذين يمنعونهم من القرآن بزعم أن العوام لا يفهمون منه شيئاً ، وهم بذلك مجرمون ، لأن الله أنزل القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان . فأى انسان يقرأ القرآن بتدبر لا بد أن يفهم منه توحيد عبادة الله و إخلاص الإلهية له ، و يعرف منه شرك عباد الأولياء والقبور الذين يسمون تلك العبادة وذلك الشرك توسلا وكرامات وحباً وما الى ذلك من أسماء سموها وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان . والله يقول الحق (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟) وهو يهدى السبيل . فليجرب النـاس هداية القرآن كما جربنا فكذلك كنا من قبل . والله هو الذى هدانا ونسأله أن يهديهم كذلك الى الدين الحق ، والصراط القويم .

١ — يقول المبطلون: عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ « لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب : أسألك بحق محمـد لما غفرت لى . فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال يارب لأنك لما خلقتنى وجدت اسمه مكتوبا بجنب اسمك فعلمت أنه أحب الخلق اليك . فقال الله انه لأحب الخلق إلىّ ، وإذ توسلت به فقد غفرت لك » أخرجه الحاكم وصححه ولم يتعقبه الذهبى فى كتابه الذى تعقب به الحاكم فى مستدركه

وأقول : هذا كذب صراح وكتمان للحق الذى قاله الذهبى عليه وهو حـديث باطل لأن سنده ظلمات بعضهـا فوق بعض . قال الذهبى فى تعليقـه على المستدرك الجزء الثانى صفحة ٦١٥ طبع حيدر آباد : انه حديث موضوع بعد أن ذكر رجال سنده وقال :فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، ضعفه ابن معين والنسائى وابن المدينى وأحمد وقال الشيخ بشير السهسوانى الهندى صاحب صيانة الانسان ناقلا تناقض الحاكم فى تصحيحه حديث عبدالرحمن بن زيد هذا قال : قال الحاكم فى كتاب الضعفاء له إنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة ان الحمل فيها عليه . فهؤلاء قد ظهر عندى جرحهم . والذى أختاره لصاحب هذا الشأن ألا يكتب

حديث واحـد من هؤلاء الذين سميتهم . فالراوى لحـديثهم داخل فى قوله ﷺ : « من حدّث بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين» اهـ كله من كلام الحاكم

٢ — ويقولون عن عثمان بن حنيف: « إن رجلا ضريراً أتى النبى ﷺ فشكا اليه ذهاب بصره ، فأمره أن يدعو بهذا الدعاء : اللهم انى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يامحمد إنى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى . اللهم شفعه فىّ »

وأقول فى سنده أبو جعفر مختلف فى تعيينه ، فان كان الرازى : فقال الذهبى فى الميزان ، قال أحمد والنسائى ليس بالقوى، وقال الفلاس سىء الحفظ ، وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، وقال أبو زرعة : يهم كثيراً ، وقال ابن المدينى : كان يخلط ويخطىء . قال الذهبى وقد روى أبو جعفر الرازى عن قتادة عن الأحنف عن العباس مرفوعا حـديث « لو دليتم الحبل إلى الأرض السابعة لهبط على الله » وهو منكر . لم يلق قتادة الأحنف

وإن كان أبا جعفر الكوفى ويقال البصرى مؤذن مسجد العريان الذى يروى عن شعبة وكناه أبا جعفر . فقال ابن عدى ليس له من الحديث إلا اليسير ، ومقدار ماله لايتبين صدقه من كذبه . وقال ابن حبان يخطىء وقد اختلف فى كنيته واسم أبيه واسم جده . ذكر هذا ابن حجر فى تهذيب التهذيب . وقال الذهبى : قال الفلاس روى عنـه أبو داود الطيالسى مناكير . وقال أبو زرعة : واهٍ ، وإن كان أبا جعـفر الخطمى فقد قال الترمذى بعد أن روى حديث الأعمى عن أبى جعفر المبهم وليس هو الخطمى . وإن كان غير هؤلاء فلا يحل الاحتجاج به ولا بما روى حتى تثبت عدالته وضبطه . والرجل المجهول لاتثبت له عدالة ، فبطل هذا الحديث الاعمى وضل من يطلب الهدى من مثل هذا العمى (وانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)

وأما قصة الرجل مع عثمان بن عفان وتوسله بما فى حديث الأعمى ففيها روح بن صلاح ، قال فى الميزان ضعفه ابن عدى يكنى أبا الحارث .

٣— ويقولون روى أبو صالح عن علي قال: «قدم علينا أعرابي بعد مادفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وذكر آية الاستغفار. قال وقد جئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه قد غفر لك»

أقول: في سنده الهيثم، فان كان ابن عدي فقد قال الذهبي. قال البخاري: انه ليس بثقة يكذب. وقال ابن معين كان يكذب، وقال أبو داود: كذاب. وقال النسائي: متروك الحديث. وان كان غيره فهو مجهول لا حجة فيما روى حتى يعرف وتثبت عدالته وضبطه.

٤ — ويقولون: «روى أن أبا جعفر المنصور سأل الامام مالكا: أستقبل رسول الله ﷺ وأدعو، أم أستقبل القبلة؟ فقال له: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم؛ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله»

وأقول: هذه الحكاية لايرويها عن مالك إلا محمد بن حميد الرازي ولم يثبت له لقي بمالك قط. قال الذهبي في الميزان: إنه ضعيف، وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير، وقال البخاري فيه نظر. قال وكذبه أبو زرعة وإسحق الكوسج، وذكر عن غير واحد انهم كذبوه.

٥— ويقولون: أخرج البيهقي في دلائل النبوة وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار خازن عمر قال: «أصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل قبر النبي ﷺ فقال يارسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال إئت عمر فاقرئه السلام واخبره انهم مسقون»

وأقول: هذا كذب، فما عرف لعمر خازن بهذا الاسم، وعلى من ادعى صحة سنده إلى عمر أن يبين حال مالك الدار خازن عمر هذا فانه لا وجود له في كتب العلم والسير المعتبرة. والشرائع لاتؤخذ عن المجاهيل ولا من المنامات، وقد عدل عمر الى العباس في الاستسقاء عن النبي بعد موته. وأجمع معه على ذلك الصحابة.

وطلبوا إلى العباس أن يدعو وهم يؤمنون على دعائه .

٦ — ويقولون عن النبي ﷺ إنه قال : « حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، فاذا مت كانت وفاتى خيراً لكم ، تعرض على أعمالكم ، فان وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت شراً استغفرت لكم » أخرجه البزار عن عبدالله بن مسعود وهذا متواتر تواتراً معنويا .

وأقول . هذا كذب على النبي ﷺ ونسبة الباطل اليه لاتثبت بطريق الآحاد فضلا عن التواتر الذى يزعمونه إلى النبي ﷺ . نعم ذكر بعض أهل العلم أنه صح عن أبى بكر بن عبد الله المزنى التابعى وهو لم يلق النبي قط ولم يكن معناه صحيحا موافقا للتشريع الذى جاء به النبي ﷺ ، بل القرآن وصحيح السنة يدل على بطلانه وفساد معناه ومنافاته لقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم . قالوا لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت علام الغيوب) وفيما رواه البخارى ومسلم مايدل على كذبه حتى ولو صح الى التابعى لأنه ﷺ حين ترد عليه أمته لتشرب من حوضه تذود الملائكة جماعة ويؤمر بهم الى النار فيقول ﷺ «أمتى» فيقال له « إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك . قال فأقول : بعداً وسحقا لهم ، وأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد)

٧ — ويقولون : ثبت فى الصحيح أن النبي ﷺ توسل بالأنبياء السابقين بعد مماتهم وورد عن أنس بن مالك قال« لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ وفيه : فلما فرغ من قبرها قال« الله الذى يحيى ويميت وهو حى لايموت اغفر لأمى فاطمه بنت أسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين » قالوا وأخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح ، وروى جابر وابن عباس مثله ورواه أبو نعيم فى الحلية

وأقول: هؤلاء ليسوا من أهل الصحيح ولا ممن يعرف الكتب التى يزعمون أن

أصحابها أخرجوه ، بل ولا يقدرون على رؤيتها عدا الحاكم وقد مرّ أنه لا يؤخذ بما قال فيه انه صحيح فكيف يؤخذ العلم عمن لا يعرف أرباب هذه الكتب وهو لم يذكر تصحيح أحد من أهل الفن والحديث، وقد ذكر هذا الحديث صاحب صيانة الانسان وقال قال الهيثمي رواه الطبراني وفيه روح بن صلاح وفيه ضعف وقد مرّ عن الذهبي أنه قال ضعفه ابن عدى ومثل هذا لا يحتج به عند التنازع ، فان زعموا وأصرّوا على صحته فليذكروا رجال سنده وأسانيده التى رووها مؤيدة لهم عن جابر وابن عباس

٨— ويقولون : «رؤى ابن عمر واضعاً يده على مقعد النبى ﷺ من المنبر ثم وضع يده على وجهه » قالوا ويؤخذ من ذلك ان عمل المسلمين اليوم وتمسحهم بأضرحة أهل البيت أمر جائز له أصل فى السنة عن أكبر صحابى جليل .

وأقول : هذه الدعوى تفتقر إلى دليل يثبت ذلك عن الصحابى المذكور وهم بعد لم يعرفوا من خرّجها من أهل الكتب المؤلفة فكيف يقدرون على تصحيحها ، وأنا أتحداهم وأتحدى كل مناصريهم على ذلك أن يثبتوا حديثاً واحدا مما ذكرت عنهم ترويجه على العامة فى هذه العجالة ، وهيهات أن يقدروا عليه .

٩— ويقولون : « ورد فى الصحيح عن اسماء بنت أبى بكر انها أخرجت جبّة طيالسية وقالت كان رسول الله ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفون بها . قالوا وكان لا يتوضأ ﷺ إلا اذا ابتدروا وضوءه ؛ وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم . وقام رسول الله ﷺ فى دار أنس فعرق فجاءت أمه أم سليم بقارورة تجمع فيها عرقه، فسألها رسول الله ﷺ عن ذلك ؛ فقالت نجعله فى طيبنا »

وأقول : لم تقف بركات النبي عند هذا الحد ، بل ثبت فى الصحيح له ﷺ ماهو أكثر من ذلك وأدل على صدق نبوته فقد بارك الله خبز جابر ببصقه فيه يوم الخندق حتى كفى ألفا ولم يكن يكفى غير نفر يسير وأمر أصحابه أن يفرغوا من

وجوب التفكر واحترام البرهان القاطع

كما خُلقت العين للإبصار ، والأذن للاستماع ، واليد للبطش ، والرِّجل للمشى ، كذلك خُلقت العقول للتفكر ، والذى يهبط إلى حضيض التقليد ، ويدع التفكر يكون مثله كمثل رجل آتاه الله بصراً فلم يُرِد أن يبصر ، وجوارح تساعده على العمل فلم يعمل . ومعلوم أن التفكر عبارة عن إحداث معرفة جديدة لم تكن ، أو تثبُّت من معرفة قد كانت ، وذلك بواسطة التأليف بين معرفتين أو أكثر حاصلتين فى النفس . والمفكر لا يزال يرتب المقدمات ، ويؤاخى بين المعلومات ، وينفى ويثبت ، ويأخذ ويترك ، ويبنى ويهدم حتى يحصل على نتيجة صحيحة يجزم ويوقن بها ، ولا يرضى أن يضع بنيانه إلا على أساس قوى متين ، وعلامة حصول الجزم بالشىء انشراح الصدر واطمئنان القلب (فمن يُرِد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) أى يبعثه على التفكر فى الأديان فلا يجد ديناً أقرب إلى الفطرة والعقل ، وأبعد عن التكلف ، غير دين الاسلام ، فيحصل له بذلك انشراح يجده فى صدره وطمأنينة يجدها فى قلبه (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعّد فى السماء) ومن يرد أن

وضوئه على وجوههم ونحورهم ، وقد كسرت ساق عبد الله بن عتيك فمسح عليها فكأنه لم يشتكها .

أما بعد فذلك نزر من كثير يكاد العدُّ يخطئه مما هو ثابت فى الصحيحين ، وانما كان ذلك خصوصية من خصائصه ﷺ ليقوى بها إيمان أصحابه وليزدادوا ثقة فى الله ورسوله وذلك لا يسوغ لأحد غيره أن يدعيه لنفسه وعدول الصحابة عن ذلك فيما بينهم أقوى شاهد على ما نقول .

دمنهور　　　　　　　　　　　　محيي الدين

يضله لسوء عمله يصرفه عن التفكر الصحيح و يزين له التقليد و بذلك يضيق صدره بما تنشرح له صدور المفكرين و يجد الحرج والتعب والمشقة فيما هو يسير غير عسير كما يجد الصاعد فى السماء من انبهار النفس والضيق أثناء الصعود .

و بالعقل والتفكر ارتقى الانسان وفاق سائر الأنواع الأخرى وأصبحت له السيادة فى الأرض ؛ يعمر ظاهرها و يثير باطنها، فيخرج كنوزها و ينتفع بطيباتها، و يغوص أعماق البحار فيستخرج مايجعله حلية من لآلئها ومرجانها ، فكيف لا يكون سبب الرقى فى الأخرى كما كان فى الدنيا : و إن الآخرة خير « وأبقى » .

دعا القرآن إلى التفكر وطرح كل شىء لايقوم عليه دليل قاطع و إن كان عليه أكثر أهل الأرض ، ونهى عن التقليد واقتفاء أثر الآباء على غير هدى. فحرر بذلك العقل من رق الأوهام ولم يجعل للعادات الموروثة سلطانا عليه ، بل جعله حكماً على كل شىء يقبل حكمه ولا يرد رأيه فيما لم ينزل به وحى يعلم يقيناً أنه تنزيل رب العالمين.

اقرأ قول الله تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) أمر القوم بالتفكر فيما جاء به الرسول ﷺ على أن يخلو كل واحد منهم بنفسه منحيًا عنه أغلال التقليد أو يختار معه واحداً فقط ، فان ذلك أقرب الى استجماع الفكر وأبعد عن تشويش الذهن و يطرحا على بساط البحث ماهما عليه وما دعاهما اليه الرسول ليصلا الى الحقيقة من طريقها غير معتمدين إلا على المقدمات اليقينية التى تجزم بها العقول .

بلغ من احترام القرآن للحجة أن جعل مناط المؤاخذة والمجازاة على الشرك الذى هو الظلم العظيم الذى لايغفره رب العالمين هو اتباع الآباء والأجداد والظالمون وهوى الأنفس بغير علم ولا برهان أتاهم . اقرأ قول الله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به، فانما حسابه عند ربه) (إن تتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) وفى الآية الأخرى (ماليس لكم به علم) .

﴿ أثر التفكر فى صلاح البشر ﴾

فرق واضح بين من يتبع ديناً أو رأيا لايدرى أهو حق أم باطل. صواب أم خطأ . وبين من يتبع ديناً أو رأيا قام الدليل القاطع عنده بأنه الحق والصواب . فالأول لايكون ثابت الرأى ماضى العزيمة لأن علمه لايقوم على أساس ثابت . أما الثانى فانه يكون راسخاً فيه ثابتاً لايتردد ولا يخشى عليه مايخشى على الأول من الزيغ والوقوع فى الفتنة والردة ، (هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) فاذا سار الانسان فى طريق التفكر المستقيم فلا بد أن يصل إما الى فكرة جديدة لم يكن يعرفها من قبل يكون بها رقيه ورقى الوسط الذى يعيش فيه ماديا أو أدبياً حسب نوع الفكرة . وإما الى مايؤيد فكرة معروفة فيزداد بها بصيرة وإيمانا ويقينا فان كانت أصلا من أصول الدين كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ثبّتت الايمان فى القلب وأشعرته خشية الله فى السر والعلانية وتبع ذلك التضحية بالنفس والنفيس من المال فى سبيل مرضاة الله طمعاً فيما عنده من الثواب العظيم وفراراً من عذابه الأليم . وإن كانت شيئاً من فروع الدين يتعلق بالعبادات أصلحت العلاقة بينه وبين الله سبحانه ؟ وبينه وبين إخوانه . وإن كانت مما يتعلق بالمعاملات أصلحت العلاقة بينه وبين الخلق ونال بها رضا أهل الحق وعم بها النفع . . .

هذا هو التفكر وهذا أثره العظيم فى رقى الفرد والنوع ، فلا غرو

إذا جاء القرآن الحكيم يدعو الناس اليه ويكثر الحث عليه ، وينهى عن التقليد الأعمى وهو اتباع رأى الغير بدون دليل ويبرز الآخذين به فى صورة قطعان من الغنم ، ينعق بها الناعق فلا تعلم أسباب هذا النعيق ولا تدرى أيسوقها إلى مسرح أم الى مذبح ، وهل يزجرها عن مرعى طيب أم خبيث . اقرأ ماجاء فى سورة البقرة : (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون، ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون) واقرأ ماجاء فى سورة الأنعام : (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وانظر كيف شبه من أثمر لهم التفكر العلم واليقين بمن وُهبَ الحياة والنور جميعا فهو يمشى فى الناس آمناً مطمئنا . وشبه من يضلون بأهوائهم بغير علم ومن يتبعونهم بغير دليل بمن فقد النور فهو فى ظلام دائم لايجد منه مخرجا فلم يستفد من الحياة التى مُنِحها شيئا بل كانت وبالا عليه وكان فقدها خيراً له ، إذ لايجد مع فقدها تلك الحيرة الدائمة والاضطراب العظيم . واقرأ قوله تعالى فى سورة الفرقان فى وصف عباد الرحمن (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعميانا) معناه والله أعلم، أنهم اذا ذكروا بآيات من كتاب الله تدبروها وعقلوها وانتفعوا بها ، ولم يكونوا كهؤلاء الذين يعرضون عن تدبر القرآن وفهمه ولا يتفقهون فيه يبتغون العلم والهدى فى العقائد والعبادات وكل شئون الدين والدنيا ـ يعرضون عن القرآن

كذلك تعصباً لمذهبهم الباطل وذهابا مع الهوى ، فيجعلون الهدى ضلالة والضلالة هدى بسوء صنيعهم ، ويقعون فى الهلاك كمن يخر من أعلى الى أسفل حيث يوجد الأذى، أصم أعمى لايرى ماسيقع عليه ولا يسمع من يقول له : توَقَّ العطب

وإذا ذهبنا نتتبع النصوص فى ذلك طال بنا القول فلنقتصر على هذا ففيه الكفاية لمن أراد الهداية . والله يهدينا إلى سواء السبيل .

عبدالحميد محمد عرانسه

من مآثر آل سعود

لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ولع شديد باحياء آثار السلف الصالح الدينية ، وأياد بيضاء على العلم وأهله ، ولقد أنفق جلالته على طبع الكثير من نفائس كتب العلم والتوحيد الآلاف الكثيرة من الجنيهات ، ثم أمر بتوزيعها مجانا فى الأقطار الاسلامية ، وكثيراً ما أعان ناشرى الكتب المفيدة بماله وتشجيعه ، فاستفاد من ذلك من لايحصيهم العدّ من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها علماً وتوحيدا وإخلاصاً لله تعالى فى الدعاء والعبادة ، وميزوا بين التوحيد وبين الشرك الذى أذاعه الشيطان على ألسنة رسله

وقد لمس حضرة صاحب السمو الملكى ولى عهد المملكة السعودية الأمير الأجل ، سعود بن عبدالعزيز أطال الله حياته ، مايجنيه العالم الاسلامى من الفوائد الجمة من نشر هذه الكتب ، فأمر حفظه الله باعادة طبع كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) وهو خير ما أُلف فى بيان التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، وتزييف مايروجه رجال الدجل باسم التوسل وحب الصالحين .

وأمر حفظه الله أن يكون ذلك على نفقته ، كما أمر بتوزيعه مجانا ابتغاء مرضاة الله . وكان من فضل الله وحسن توفيقه أن عهد إلى مطبعة أنصار السنة بهذا العمل ، فاستحضرت له أجمل الحروف ، وأجود الورق .

بارك الله فى هذا البيت السعودى الكريم وزاده توفيقا لصالح العمل

رمضان سنة ١٣٦٢ العـــدد التاسع — الثمن ١٥ مليما السنة السابعة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة دينية علمية إسلامية (شهرية مؤقتاً)

تصـدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير : محمد حامد الفقى

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصرى والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة : بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره ﴿ الذين يُوفُونَ بعهدِ اللهِ ولا يَنقُضونَ الميثاق ﴾

« الوفاء بالعهد » بذل الجهد فى القيام بجميع ما يتطلبه العهد و يستلزمه وأداء حقوقه وافية تامة غير منقوصة . وأصل « الوفاء » التمام والكمال ، ضد « الوكس » و « البخس » و « النقصان » . و « عهد الله » وصية الله ، وما أخذ على عباده وألزمهم أن يتعاهدوه بالمحافظة والأداء من معرفته بأسمائه وصفاته وسننه فى الكون وآثار رحمته وفضله ، والايمان به وحبه و إخلاص العبادة له وطاعته وطاعة رسله ، والرضى به ربًّا و بدينه وتشريعه و برسله والاستقامة على ذلك كله باستسلام وخضوع وذل ومحبة ورضا ، لا يشوبه شائبة حرج ولا ضيق صدر ولا قلق نفس . وأصل « العهد » العقد الذى يرتبط به وتلتزم الوفاء لغيرك بما يقتضيه هذا العقد ، مأخوذ من تعهد الشىء ما بين الفترة والفترة والنظر فيه على حسب ما يقتضيه حفظه وصيانته .

و « نقض الميثاق » إفساد وحل عقده ، و إبطال قوته . مأخوذ من نقض قوى الحبل وطاقاته بعد إبرامه وشد فتله . و « الميثاق » العهد الموثق المحكم المشدود بالايمان ونحوها مما يحكم به شد العهد وتوثيقه .

والعهد والميثاق هنا عامان فى كل ما يأخذ الانسان على نفسه الوفاء به والقيام بمقتضاه سواء كان ذلك بينه و بين الله أو بينه و بين الناس .

وقد أخذ الله العهد على بنى آدم فى صور مختلفة ، فاذا نظروا فى كتاب الوجود الذى

مافرط الله فيه من شيء ، وملأه ببدائع آثار قدرته و بليغ إتقانه لخلق كل شيء وحكمته وتأملوا فى خلق السموات وما زينها به من كواكب ووضع من نجوم ثواقب جعلها علامات لمن يسير فى البر والبحر يبتغى من فضل الله . و يضرب فى أكناف الأرض يطلب ماسخر له فيها من رزق ومتاع ؛ و ينظر من آيات ربه فى البر والبحر وعجائب صنع الله فيما بث من كل دابة ؛ هى أمم لها نظام بديع وتجرى فى حياتها وعيشها على نظام حكيم ، مثل أمم الانسان. و ينظر نظر المتأمل فيما أبقى من آثار ومساكن أمم قد خلت فيها سنة الله التى لا تتبدل ولا تتحول ، و يعتبر ببقايا تلك الأمم وماحل بها من عاقبة الاجرام والبغى والفساد (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) . فمن يعقل هذا الخلق حين يقرأه فى كتاب الكون يرى فى كل سطر من سطوره آيات تناديه: إن من أبدع ذلك وأتقن صنعه وتفضل فسخره ، هو الذى ينبغى شكره باخلاص العبادة له وحده ، وانه ليأخذ عليك العهد بما يريك فى نفسك وفى خلق ماخلق من شيء أن تصرف حياتك الغالية وأوقاتك النفيسة فيما خلقت له من القيام بحق العبودية: إسلاماً له ولشرعه ولرسله ، وطاعة واستقامة على صراطه المستقيم الذى ارتضاه لك رحمة بك و إحسانا اليك.

ففى كل مطلع شمس و إدبار ليل و إقبال نهار تحيا فيه وتبعث بعثاً جديداً لتبتغى من فضل ربك وتكسب رزقك وعيشك ، وفى كل مغرب شمس و إدبار نهار و إقبال ليل تسكن فيه وتستجم وتأخذ قسطك من الراحة ، فى كل ذلك سطور تقرأ فيها هذا العهد ، وسطور توثق هذا العهد كلما اختلف الليل والنهار .

وفيما أوحى الله من كتاب كريم هو الرحمة تنزلت من فضل الله على أهل الأرض ؛ وهى خير من كل مايجمعون و يكسبون من مال ، ومن كل مايستمتعون به من نساء و بنين فى كل سطر وفى كل آية وفى كل كلمة من هذا العهد ؛ بأن من تفضل ورحمك هو العليم الحكيم

الخبير هو الحقيق بالعبادة والطاعة، وهو الصمد الذى يوالى عليك نعمائه ، فاحذر أن تتوجه إلا إليه بصلاتك ونسكك ومحياك ومماتك . وفى كل آية تتلوها وتكرر تلاوتها توثيق لهذا العهد .

وفى « لا إله إلا الله » عهد كذلك أن تكفر أبداً وتعادى أبداً كل ما اتخذ الناس – وإن كانوا المقربين إليك – من آلهة ، وأن تخلص العبادة لله وحده، وأن لا تعبده إلا بما أحب وشرع على لسان رسوله ومصطفاه محمد ﷺ

يصف الله تعالى أولى الألباب والبصائر النيرة ، وذوى العقول السليمة المثقفة المستنيرة بنور العلم والحق الذى أنزل الله على نبيه محمد ﷺ هدى و بينات، وشرائع محكمة وآيات مفصلات تعلم الكتاب والحكمة وتخرج من الظلمات الى النور – يصفهم الله سبحانه بهذه الصفات، ويبين أن من لوازم العلم بما أنزل الله على نبيه ﷺ ؛ ومن ثمراته أن يفى العبد العالم بالحق الذى أنزله : بكل ما عاهد الله عليه.

و بدأ بالوفاء بعهد الله : لأنه أساس لكل الخيرات والصالحات ؛ وسبيل الى الاستقامة فى كل الشئون . لأن الله سبحانه ما ترك أمراً يصلح به البشر و يسعدون فى أولاهم وأخراهم إلا أخذ العهد على الناس بالقيام به وتحقيقه على الوجه الذى يحظون منه بالثمرة والفائدة المطلوبة من هذا الصلاح والاستقامة فى دنياهم وشئونها وأخراهم والنجاة من أهوالها والفوز بنعيمها . فقد أخذ الله العهد الموثق على كل بنى آدم : أن يعبدوه وحده بجميع أنواع العبادة ، وأن يفردوه بالتعظيم والاجلال والرغبة والرهبة والرجاء والتوكل والاستغاثة واللجأ والفزع والدعاء والنداء ، وأن لا يشركوا به أحداً فى شىء من هذه العبادة ، لا ملكا مقرباً ولا نبياً مرسلا ، فانهم فى الحقيقة ما يعبدون ملكا ولا نبياً ؛ وانما يعبدون الشيطان الذى يدعوهم إلى هذا الشرك و يتسمى بتلك الأسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان .

وفى الوفاء بهذا العهد والقيام بمقتضاه على الوجه الأكمل، صيانة الانسانية من التسفل إلى دركات الخرافات التى تقتل العقل وترد الانسان شر الدواب ، وفى الوفاء بهذا

العهد تكميل الانسانية بمعرفتها لخالقها و بارئها وفاطرها وسيدها ، واعزازها بأنها لا تذل إلا له ولا تخاف إلا منه ولا تعرف إلا بابه . وهذا هو العز كل العز والسعادة كل السعادة .

أخذ العهد على الناس أن يدينوا له بالطاعة وأن لا يشرعوا من الدين مالم يأذن به ، وأن لا يقولوا عليه مالا يعلمون. وأن لا يتخذوا أحبارهم ورهبانهم ورؤساءهم وآباءهم أرباباً مشرعين من دونه ، وأن لا يهتدوا إلا بهدى رسله، ولا يأتموا إلا بهم، وأن لا يقدموا بين يدى الله ورسوله ولا يزنوا أعمالهم ودينهم إلا بميزان رسله وأن لا يزيدوا ولا ينقصوا من دين الرسل وشرائعهم شيئاً ، ولا يقيسوا بآرائهم وأهوائهم ماليس من الرسل وأمرهم فيلحقوه به . وفى الجملة عاهدهم ألا يتحاكموا إلا إلى الله و إلى رسوله . وفى الوفاء بهذا العهد النجاة من ظلم الانسان للانسان ، واحتكار الانسان للانسان، و إذلال الانسان للانسان . وفى الوفاء بهذا العهد مساواة الناس أمام حكم الله وحكم رسوله ، وأمام قول الله وقول رسوله .

وأخذ العهد على من أتاه العلم والكتاب أن يبين للناس و يعلمهم و يرشدهم . وحذر من كتمان ذلك . وفى الوفاء بهذا العهد تنوير العقول، وهداية الناس الى صراط الله المستقيم، وانقاذهم من ظلمات الجهل الذى يركس الانسانية فى أحط الدركات . وأخذ العهد على الناس أن يؤدوا الأمانات الى أهلها، وفى الوفاء بهذا العهد صيانة الحقوق وأداؤها إلى أهلها، فيأمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم و يعيشون فى ظل ذلك فى أمن وسلام ومحبة ووئام . وأخذ العهد على كل راع أن يحفظ رعيته و يحوطها بأقصى مايستطيع من عطفه وشفقته وإحسانه وأن يدفع عنها بكل مايقدر كل أذى وضر ينالها . وفى الوفاء بهذا العهد قيام ميزان العدل الذى به عمارة الأرض ونماء بركاتها وزيادة خيراتها وثمراتها. فيهنأ الناس فى ظل ذلك بأسعد حياة وأرفه عيش . أخذ العهد على كل من الزوجين أن يفى للآخر بحقه الذى أوجبه الله له . وفى الوفاء بهذا العهد سعادة الزوجين ونعيمهما، وفى نقضه شقاؤهما و بؤسهما .

أخذ العهد على السيد أن يفي بحق خادمه في مطعمه وملبسه ، وأن لا يكلفه من الخدمة مالا يطيق ، وأخذ على الخادم أن يفي لسيده بحقه من الاخلاص في الخدمة والقيام بها على الوجه الذي يرضى الله . أخذ العهد على المؤمن أن ينصح لأخيه المؤمن ، كما ينصح لله ولكتابه ولرسوله وسنته ولأئمة المسلمين وعامتهم . أخذ العهد على الرعية أن تسمع وتطيع وتنصح لمن ولاه الله أمرها ولو كان عبداً حبشياً ، فيما ليس فيه معصية لله ولا لرسوله . أخذ العهد على الانسان أن يعمر الأرض التي استخلفه الله فيها بأنواع العمارة ، وأن يكون جديراً بميراثها . فيستثمرها بكل أنواع الاستثمار الزراعي والصناعي ويستخرج كنوزها ويستخدم ظاهرها وباطنها وماءها وهواءها بكل أنواع الاستخدام.

أخذ العهد على المؤمن بأن يحتفظ بكرامته وعزته وشرفه ، ويدفع كل مايخدش ذلك بمهانة وأذى ، وأن يجاهد ويضحي بدمه وماله في سبيل هذه العزة والكرامة الاسلامية.

أخذ الله العهد بكل ذلك وبغيره كثير يعيينا عده وإحصاؤه من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأكد عليهم الوصية بأنهم إذا وفوا بما عاهدوا الله عليه لايضلون ولا يشقون ويحيون أطيب حياة ويعيشون أنعم عيش في هذه الدنيا ، ثم يجزيهم في الآخرة أحسن الجزاء وأوفاه مساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك الفوز العظيم

قال الله تعالى (٢ : ٢٦ وما يضل به إلا الفاسقين ٢٧ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) (٢ : ٤٠ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) (٢ : ٨٣ واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لاتعبدون الا الله — الآية) (٢ : ٦٣ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة) (٢ : ٨٤ واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم .الآية) (٢ : ١٠٠ أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون) (٢ : ١٧٦ والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) (٣ : ٧٦ بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ٧٧ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك

لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (٣ : ١٨٧ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) (٤ : ٥٨ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) (٤ : ١٥٧ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله — الآية) (٥ : ١ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) (٥ : ٨ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به) (٥ : ١٢ ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ١٣ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ١٤ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم) (٦ : ١٥٢ وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به) (٧ : ١٦٨ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ؟) (٩ : ١١١ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (وَمن أوفى بعهده من الله ؟) (١٦ : ٩٠ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ٩١ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون ٩٢ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ٩٣ و٩٤ و٩٥ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا ان ماعند الله هو خير لكم

إن كنتم تعلمون) (١٧ : ٣٤ وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) (١٩ : ٨٨ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) (٢٠ : ١١٥ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل) (٢٣ : ٩ و٧٠ : ٣٢ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) (٣٣ : ٨ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ٩ ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذابا أليما) (٣٣ : ١٥ وكان عهدالله مسئولا) (٤٨ : ١٠ ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما) (٥٧ : ٨ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين)

روى البخارى وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ، ورجل حلف على سلعة بعد العصر — يعنى كاذبا — ورجل بايع إماماً ؛ فإن أعطاه وفى له ، وإن لم يعطه لم يف له »

وروى أحمد وأصحاب السنن عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار »

وروى أصحاب السنن أن النبى ﷺ قال « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ؛ فمن تركها فقد كفر » وروى الامام احمد عن سمرة أن النبى ﷺ قال « أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » وروى البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت — وهو أحد النقباء ليلة العقبة — أن النبى ﷺ قال « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا فى معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله . ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له . ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى

الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه . فبايعناه على ذلك » وروى الامام احمد عن جابر قال « بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تقولوا فى الله لاتخافوا فيه لومة لائم » وروى الامام احمد عن جرير بن عبدالله قال قلت « يارسول الله اشترط علىّ . فقال: تعبد الله لاتشرك به شيئاً وتصلى الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتنصح لكل مسلم وتبرأ من الكافر » وروى احمد عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ « من سره منكم أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتدركه موتته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت الى الناس الذى يحب أن يؤتى اليه . ومن بايع اماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر »

وان معرفة هذا العهد الذى تلونا عليك بعض ماجاء فى شأنه عن الله ورسوله ﷺ والوفاء به على الوجه الذى يحبه الله و يرضاه — : السعادة كل السعادة والفوز بالحسنيين فى الدنيا والآخرة . ولكن شياطين الجن والانس أعداء الأنبياء يغيظهم ذلك الفوز والسعادة لبنى آدم ،فكاد شيطان الجن بما أوحى الى شيطان الانس من زخرف القول وتلبيسه، مستغلا جهل الجاهلين وهوى الغافلين ، وغرور المغرورين ، واتخذ من اسم العهد معنى غير ماعنى الله ورسوله ، وحقيقة غير ماقصد الله ورسوله . فأوحى شياطين الجن الى أوليائهم من الانس أن ابتدعوا للناس طرقا ومذاهب وعقائد وعبادات وأحوالا وأعمالا لم يأت بها كتاب من عند الله ، ولاهدى من رسل الله ، وزينوها للناس بإلباسها ثيابا مزخرفة، واخلعوا عليها أسماء جميلة خلابة ليغتر بها الدهماء من الناس ويسارعوا الى طاعتكم بمعصية الله ورسوله ، ولكن الحذر من أن تجردوها من حقائقها الوثنية الاولى لئلا ينسى الشياطين ماشرعوا للناس من كفر وإلحاد ، فسموها صوفية وتصوفا ، وأتباعها بالفقراء ، لتحتفظ بالصلة

بينها وبين آبائها الهندوكيين اواليونانيين، واصبغوها بصبغة التعذيب للنفس وحرمانها من طيبات مارزق الله لتحتفظ بصلتها برهبانية المسيحيين ، واجعلوها لابد على سنن هؤلاء وأولئك من تعبيد المريدين لأشياخهم ، واملأوا قلوبهم باعتقاد أن لشيخهم التصرف المطلق فى قلوبهم وأرواحهم ، فضلا عن أجسامهم وأموالهم ، وأن له أن يدخل فى قلب المريد ويخرج والمريد لايشعر ، فالشيخ يعلم السر وأخفى ويعلم الشاهد والغائب فهو جدير أن يكون معبودا مع الله رب العالمين ، لا بل ينبغى أن يقدم على الله فى الخوف والطاعة ،فينبغى على المريد قبل أن يقول وِرده الذى يسمونه زورا وبهتانا : ذكر الله ، والله برىء منه ، لانه لم يشرعه ولا أحبه — ينبغى على المريد ان يستحضر شيخه فى قلبه أوّلا . واذا تنجس القلب بهذا الشيطان فمحال أن يكون لله سبحانه وتعالى حظ من هذا القلب النجس ولاعبادته وذله وتأليهه . فاذا نطق اللسان عندئذ فانما ينطق بوحى الشيطان من الجن وما يبثه فى هذا القلب من سموم الشرك والوثنية والخرافات . وكل ذلك محتاج الى ارهاب المريد أعظم الرهبة حتى لايسأل ولايبحث ولايناقش خشية أن يكون فطنا فتنكشف الحقائق . فلابد أن يوقن أن هذه الطريق سر لايطلع عليه الا العارفون . وآية ذلك أنه لايدخل فى الزمرة ولاينضم الى الطائفة الا اذا أخذ العهد سرا يضع يده فى يد الشيخ مغطاتين بمنديل وفى غرفة مظلمة . ليس معهما الا شيطان الجن ينفخ فى روع هذه الفريسة من الرهبة مايذلها ويضع قلبها وعنقها فى قبضة وليه من شياطين الانس .

ولا تمام الخدعة :لابد أن ينسب كل ذلك الضلال والشرك الى رسول الله ﷺ فيقال : ان هذا صنع رسول الله ﷺ مع على ، وأوصاه أن يسر به هو كذلك الى من يحب ويختار ، فيكون لهم بذلك أمران عظيمان . أما احداهما : فنسبة الرسول ﷺ وبرأه الله مما يفترى أولئك المجرمون — الى خيانة الأمانة التى أمره الله بتبليغها للناس كافة (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) لا فرق بين قريب وبعيد

ولذلك جرده الله من حظ البشرية فى هذه الناحية . فقال (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله) فأولئك المجرمون يملأون قلوب الغافلين بهذه العقيدة الخبيثة ، وينسونهم نصوص القرآن والسنة التى فيها أنه ﷺ كان يصعد الصفا ويبلغ الناس ، ويدعو ابنته فاطمة ، فيقول لها كما يقول لغيرها من أبناء و بنات أعدائه « اعملى فلن أغنى عنك من الله شيئا »

الأمر الثانى : أن يوهموا الدهماء والغافلين من العامة وأشباههم بأنهم يقتدون برسول الله و يستعينون على ايهامهم وتمكين هذا الوهم الفاجر من قلوبهم بإبعادهم عن العلم الصحيح بكل مايستطيعون؛ فمرة يقولون لهم : أصحاب العلم والفقه أهل الظاهر المحجوبون . ونحن أهل الباطن الواصلون . الفقهاء والعلماء أهل الشريعة ونحن أهل الحقيقة ، الفقهاء يقرأون من كتبهم ونحن نأخذ من اللوح المحفوظ ، وأمثال هذا الفجور والكذب الذى ملأ القلوب والارض ضلالا واضلالا .

وكلما خشوا على فرائسهم من الخلاص من الشبكة ، يختلقون ألوانا جديدة من تنفيرهم من العلم الصحيح وأهله ، فشوهوا سمعة الدعاة الى العلم والدين الصحيح، وأطلقوا عليهم الألقاب القبيحة ليخيفوا فرائسهم من حضور مجالسهم واستماع دروسهم ووعظهم، وكلما ضاعف العلماء والوعاظ والمصلحون جهودهم ضاعف هؤلاء كذلك جهودهم، ولكنهم بفضل الله لا يزدادون فى يومنا هذا إلا خيبة وفشلا وهزيمة تتلوها هزيمة امام حزب الله من العلماء والوعاظ الذين قسموا البلاد مناطق للجهاد ، وتوزعوها جبهات يغزون هذه الخرافات بسيف القرآن والسنة ، وتخر فلول حزب الشيطان صرعى بين أيديهم بحمد الله ولاتزال الحرب حامية الوطيس حتى يتم الله كلمته لحزبه المفلحين ويكتب النصر لجنده الموحدين ، وليصدقن الله وعده ولينصرن جنده ، وليعزن الاسلام الصحيح وأهله ، والعاقبة للمتقين ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز

فياجند الله شدوا عزائمكم وضاعفوا جهودكم ، وأكثروا ذخائركم من هدى الرسول

أحاديث الأحكام

١٠٠ — وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول ، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه ، ولا يتنفس في الاناء » متفق عليه . وهذا لفظ مسلم

وأبو قتادة اسمه الحارث ، أو عمرو . وقيل النعمان من خيرة الأنصار ، فارس رسول الله ﷺ وأول مشاهده أحد ثم شهد ما بعدها . مات سنة ٥٤ رضي الله عنه

والحديث يؤدبنا به رسول الله ﷺ المثل الأعلى للأدب الكامل . فان اليد اليمنى معدة للاستعمالات الكريمة كالأكل والشرب والمصافحة ونحو ذلك . فنكرمها عن أن تمس هذا المحل . ويؤدبنا أن لا نتنفس في الاناء طعاماً أو شرابا مبالغة في النظافة الطبية ومحافظة أن لا يخرج مع النفس شيء من البصاق أو البخار الردىء أو نحو ذلك مما يستنكره ويتأذى به الآخرون الذين يشاركوننا في الطعام والشراب من هذا الاناء

١٠١ — وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قيل له « قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟ فقال سلمان : أجل ، نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو ببول ، أو أن

ﷺ وأصحابه والسلف الصالحين . ويا أيها الناس استيقظوا من غفلتكم وأصيخوا بآذانكم وقلوبكم إلى العلماء المصلحين الذين يدعونكم بالقرآن والسنة لما يحييكم والله يأخذ بنا وبكم الى صراطه المستقيم ، ويعيننا واياكم على الوفاء بعهده ، وأداء حقه ، والاهتداء بهدى رسوله المصطفى وحبيبه المجتبى إمام المهتدين محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

محمد حامد الفقي

نستنجي باليمين ، وأن يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار ، وأن يستنجي برجيع أو بعظم » رواه مسلم .

« سلمان الفارسي » يقال له : سلمان بن الاسلام . وسلمان الخير . أصله من رامهرمز . وقيل من أصبهان . كان قد سمع بقرب مبعث النبي ﷺ فخرج إلى الشام في طلب ذلك . فأسر وما زال يتنقل في أيدي مشتريه حتى كان في جند خيبر حين هاجر رسول الله إلى المدينة . فكان في رق يهودي ثم أسلم وكاتب وأعانه رسول الله ﷺ والمسلمون . فكان أول مشاهده الخندق وهو الذي أشار بحفره في غزوة الأحزاب . شهد المشاهد كلها بعد ثم فتح العراق وولي المدائن . وكان عالما زاهداً . كان اذا خرج عطاؤه يتصدق به ، وينسج الخوص ويأكل منه . مات سنة ٣٦ واختلف في سنه اختلافا كثيراً . ثم صحح الحافظ الذهبي أنه مازاد على الثمانين .

والحديث رواه أيضاً أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي والدارقطني وقال: إسناده صحيح ، وهو كسابقه في الأدب . وأن يبالغ المستنجي في النظافة و إنقاء المحل بثلاثة أحجار لأن الغالب أنها تكفي ، إلا إذا كان خلاف العادة ، فيكرر بغيرها حتى ينقي الخارج . ويدل على أن الاستنجاء بالأحجار مجزيء كالاستنجاء بالماء سواء . ولأن الرجيع أي الروث ونحوه من رجيع الحيوان وفضلاته ؛ والعظم أيضاً لاتنقي ؛ بل تزيد القذر في المخرج وفي اليد نهى رسول الله عن استعمالها ونحوهما مما هو كذلك . والنهي عن استقبال القبلة للأدب والتنزيه ؛ أو يكون إذا كان في الخلاء ، كما سيجيء

والحديث يدل على أن رسول ﷺ ما مات حتى بين للناس دينهم أتم البيان بحيث لايحتاجون بعده إلى شيء ؛ فكل زيادة بعد ذلك مهما زعمها الزاعم بياناً فهي خطأ و بدعة مردودة كما صحت السنة بذلك . ولشيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه بحث عظيم في هذا الموضوع .

١٠٢ — وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال « رقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتي ، فرأيت رسول الله ﷺ يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام »

متفق عليه . واللفظ للبخارى .

« حفصة » أخت عبد الله بن عمر . وزوج النبى ﷺ كانت عند حصن بن حذافة فمات بعد أن شهد بدرا . فعرضها عمر فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث . وماتت سنة ٤١ . وأخوها عبد الله . كان من خيار الصحابة وأفاضلهم من السابقين المهاجرين . وكان متشدداً فى أشياء لم يكن أبوه ولا غيره يتشدد فيها . مات سنة ٧٤

١٠٣ — وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال « نهى نبى الله ﷺ أن نستقبل القبلة ببول . فرأيته قبل أن يقبض بعام يستقبلها » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى ، وقال حسن غريب . وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وصححه البخارى . وقال ابن عبد البر : وليس حديث جابر مما يحتج به عند أهل العلم بالنقل .

«جابر» بن عبدالله بن حرام الأنصارى . شهد العقبة وغزا تسع عشرة غزوة . كان هو وأبوه من خيار الأنصار . مات أبوه فى أحد . وقال جابر «استغفر لى رسول الله ﷺ ليلة البعير خمساً وعشرين مرة . ومات جابر سنة ٧٨

وحديثه وحديث ابن عمر يدلان على أن النبى ﷺ كان يستقبل القبلة و يستدبرها عند الحاجة . فيدل على أن ماورد من النهى للتنزيه والأدب ، وأن ذلك فى الخلاء يكون أبعد عن الأدب اللائق بقبلتنا التى نستقبلها حين مناجاتنا لرب العالمين . والأحاديث تدل على شدة عناية النبى ﷺ بأدبنا الأدب العالى . وشدة عناية الصحابة رضى الله عنهم بنقل كل شىء عن النبى ﷺ وانهم تركوا لنا ديناً كاملا . فجزاهم الله خير الجزاء

١٠٤ — وعن أبى بردة قال : حدثتنى عائشة رضى الله عنها: « أن النبى ﷺ كان اذا خرج من الغائط قال غفرانك» رواه أبوداود وابن ماجه وابن حبان والنسائى والترمذى وقال: حديث حسن غريب. وعنده «إذا خرج من الخلاء» والحاكم وصححه. وقال أبو حاتم : هو أصح حديث فى هذا الباب .

«أبو بردة» بن أبى موسى الأشعرى اسمه الحارث أو عامر ، واسم أبيه عبدالله بن قيس . كان أبو بردة فقيهاً قاضياً للكوفه ، روى عنه بنوه عبد الله و يوسف وسعيد

وبلال . مات سنة ١٠٣ ، ومعنى غفرانك أطلب منك يا رب المغفرة فيما لعله فرط مني وأنا في الخلاء من ترك ذكرك ، أومن تقصيري عن أداء حق شكرك فيما أنعمت عليّ من إخراج هذه الفضلات المضرة التي لو بقيت محبوسة لأهلكتني . فذلك تذكير للعبد بأن قضاء الحاجة وإن ظنه الانسان أمراً هينا فهو أمر عظيم : واذا كنا عاجزين عن شكر هذه النعمة فنطلب من الله مغفرة تقصيرنا ، فأولى أن نذكر عجزنا عن أداء حق شكر غيرها من جلائل النعم وعظيمها . ومن رأى نفسه بعين العجز والتقصير فهو حريّ أن يحاول تكميلها وتدارك عجزها ونقصها جهد طاقته، ثم هو مقدر لفضل ربه، وأنه مهما شكر فلن يقوم بحق ذلك . ولولا فضل الله علينا ورحمته لكنا من الخاسرين. اللهم أوزعنا شكر نعمتك ، واغفر لنا تقصيرنا في طاعتك . وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. وصلى الله على خاتم رسلك محمد وعلى آله وسلم

محمد حامد الفقي

سخاء السلف

روى البخاري عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله أصابني الجهد ، فبعث إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ يطلب منهن مايضيفه به ، فلم يأت عندهن شيئاً ، فقال « من يضم أو يضيف هذا ؟ » قال رجل من الأنصار: أنا . فانطلق به إلى امرأته فقال أكرمي ضيف رسول الله ﷺ ، فقالت ماعندي إلا قوت صبياني ، فقال هيئي طعامك ، وأصبحي سراجك ، ونومي صبيانك ، إذا أرادوا عشاء ، فهيأت طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ؛ فجعلا يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ؛ فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال « ضحك الله الليلة ، أو عجب ، من فعالكما ؛ فأنزل الله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه) الآية

برج الخفاء

لكل ظاهرة فى الوجود سبب : قد يكون واضحاً جلياً ؛ وقد يكون غامضاً خفياً ، وهذه البغضاء التى يضمرها لنا فريق من الناس ، والتى لم يستطيعوا إلى كتمانها سبيلا ، فبدت من أفواههم وأقلامهم — ظاهرة من هذه الظواهر ، فلا جرم أن لها سبباً قد يخفى على الذين لا يعمّقون النظر فى الأمور ، ولكنه لم يعد يخفى علينا

أنت تعلم أن المال عصب الحياة ، وأن النفس به أضن ، والقلب به أعلق ، والانسان عليه أحرص ، وللظفر به أشوق ، وعلى فوته أحزن ، لأنه قاضى الحاجات ، وميسر الرغبات ؛ ومدّنى المطالب ومحقق المنى ؛ ومقرب الآمال ؛ ومصدق الاحلام

هو اللقمة التى تمسك الحوباء ، وتبقى على الذماء . هو الجرعة التى تبرد الغلة وتطفىء الأوام . هو الثوب الذى يستر السوءة ، ويدفع عادية الحر والقر . هو الفراش الذى عليه تضطجع ؛ والغطاء الذى به تستدفىء ، والبيت الذى اليه تأوى ؛ والمركب الذي يقلك فى سفرك القاصد ونيّتك القُذُف . هو السلاح الذى به تدفع عن نفسك وتذود عن حوضك ؛ وتحمى حماك وتحفظ ذمارك . هو المصنع الذى فيه تعمل ؛ والحقل الذى فيه تزرع . هو المرأة التى تسكن اليها ، والطبيب الذى يعالجك والدواء الذى يذهب بسقمك

هو قوام الحياة ؛ ومطمح البصر ومهوى الخواطر ، ومسبح الأفكار . بل هو كل شىء فى هذه الدنيا .

فمن عاداك للمال فقد عاداك للحياة ؛ وأشدد بها عداوة !

***

ولعلك الآن تحدس أن سبب العداوة هو المال !

أجل ، لقد أصاب حدسك ؛ وصدق ظنك ، فالمال وحطام الدنيا ، والمادة هى سبب البغضاء ومورث الضغائن والأحقاد

ومن الناس من يحبون المال كما يحبون أنفسهم ؛ ويضنون به كما يضنون بحياتهم ويحرصون على أن يحرزوه بالحق وبالباطل ؛ وعلى أن يكسبوه حلالا أو حراما

ومنهم فئات لا يبتغون المال من وجوهه المشروعة ، ولا يلتمسونه من السبل التى يسيغها الحق ، ويأذن بها الشرع ، بل يكسبونه من غفلة الغافلين ، وجهل

الجاهلين ، وحمق الحمقى ، يتذرعون إلى ذلك بخديعتهم والعبث بعقولهم باسم الدين ؛ وبالظهور فى زى الأتقياء والصالحين ، فاذا أنت كشفت باطلهم وأبرزت خداعهم ، ونبهت الغافلين إلى كيدهم ومكرهم ؛ رأوا فيك قاطعاً لأرزاقهم ؛ ذاهباً بمادة حياتهم فنصبوا لك واتخذوك عدياً ، وودوا بجدع الأنف لو أزهقوا روحك ، وقضوا على حياتك ؛ وأراقوا دمك ؛ ومشوا إلى أغراضهم الدنيئة على جثتك

أولئك هم الذين أشربوا فى قلوبهم عداوتنا ، وحملوا فى صدورهم ضباب الضغينة والحقد علينا

ويعلم الله ما كانت بيننا وبينهم شركة نخناهم ، ولا غلبناهم على ميراث ، ولا نافسناهم فى تجارة ولا ظلمناهم حبة خردل ولا رجل شعيرة ، ولكنها الدعوة : دعوة الحق التى وفقنا الله للجهر بها نبهت بعض الأذهان ، ووقفت قليلا من الناس على حقائق الأمور ، فحسب هؤلاء المخادعون أنهم لن يجدوا بين هؤلاء المستنيرين مساغا لخديعتهم ولا مجالا لمكرهم ؛ ولا مجازاً لكيدهم ، وأشفقوا أن تبور تجارتهم وتكسد سلعتهم ، وينقطع ذلك الوابل المدرار من السحت الذى كان يتدفق فى خزائنهم ؛ فاشتدت حسرتهم ، وتلظت عداوتهم ؛ وحرقوا علينا الأرم وقلبوا لنا الحماليق

كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك للمال

ولو أنهم أبغضونا فى الله لاغتبطنا بهم وقلنا قوم ظنوا إخوانهم مخطئين ؛ فدفعتهم الغيرة على الدين إلى أن يبغضوهم فى الله ؛ ولو وقفوا على الحقيقة لسارعوا اليهم يعتذرون ؛ ويسالون العفو والصفح ، ولتبدلوا بالعداوة حباً وبالبغضاء مودة وإخلاصا.

ولكن واأسفاه ! عداوتهم فى الدنيا . وبغضهم فى ذات المال وأعراض العاجلة وحطام الفانية

ومثل هؤلاء يضعف الأمل فى رضاهم حتى ولو أغناهم الله من فضله ، لأن المال كالماء الملح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد ظمأ . إلا أن يتولاهم الله بالتوفيق ، ويتغمدهم باللطف . ويحيى فى قلوبهم الايمان ويصرفهم إلى عبادته وحده ، ويحول بين قلوبهم وعبادة إلههم المال . وهنالك يرجى لهم الخير ويظن بهم الاقلاع عما يضمرون لدعاة الحق من العداوة والبغضاء

وبعد فهل يرضى عنك سدنة القبور القائمون على أبوابها ، يخدعون كل والج وخارج بما يصبونه فى آذانهم من الأكاذيب وبما يضيفون إلى الثاوين فى أعماقها من الخوارق التى لم يؤيد بمثلها الأنبياء والمرسلون ؟ حتى تسخوا أنفسهم ويرضخوا لهم بما يملكون .

وهل يرضى عنك مشايخ الطرق الذين يزعمون لمريديهم أنهم يملكون أن ينقلوهم من سجل الأشقياء الى ديوان السعداء ، وأن جلسة فى مجلس الشيخ ونظرة فى محياه خليقتان أن تغفرا للمريد كل إثم ، وتكفرا عنه كل خطيئة ، وتنظماه فى سمط الأولياء ، وتسخرا له العناصر . وتتيحا له التصرف فى ملكوت السموات والأرض ؟

وهل يرضى عنك أصحاب التمائم الذين يزعمون أن فى قبضتهم قلوب الناس يقسون منها مايقسون . ويلينون منها مايلينون . فيلهمون الحب من شاءوا . ويلهمون البغض من أرادوا . وأن أعضاء الناس طوع ارادتهم . يسقمون منها مايشاءون . ويصحون منها مايريدون . وأن رجولة الرجال فى ايديهم يقبضونها ويرسلونها كما يحبون . وبهذا الختل والخداع يبتزون أموال الأغفال والجاهلين ؟

وهل يرضى عنك الدجالون الذين يدعون علم الغيب ويزعمون القدرة على تسخير الجن والشياطين ؟

وهل يرضى عنك القصاص وأصحاب الأكاذيب الذين يحدثون الناس بما يثير عجبهم واعجابهم ويضحكهم ويبكيهم وإن كان عن الحق بنجوة وكانوا من الأفاكين الكذابين .

وهل ترضى عنك شيخات الزار اللاتى يوهمن النساء المريضات أن الزار هو الذى أمرضهم لتقصيرهن فى ذاته . وانه هو الذى يشفيهن اذا قضين له حاجاته ولباناته ؟

هل يرضى عنك أولئك التجار . تجار الأديان . الذين يأكلون خبزهم بدينهم ويفسدون على الناس عقائدهم باسم الدين . وهم ـ لاشك ـ خاسرون ؟

لن يرضى عنك أولئك ولا هؤلاء حتى تذر الناس فى غفلاتهم ولا تفتح أعينهم على النور . ولا تبصرهم بخداع الخادعين . وإفك الأفاكين وكذب الكذابين .

أولئك هم الذين يعادوننا مخلصين .

لايعادوننا للحق . ولا للدين ولا للفضيلة . ولا للوطن ولا للأمة ولا لشيء مما يعادى من أجله الديانون . انما يعادوننا لظن ظنوه . ووهم توهموه وكانوا ظالمين .

ألا فليطمئنوا . فالجهال ـ واللعنة على الشيطان ـ كثير . والغافلون أكثرمنهم

عيد الدستور الاسلامى

لفضيلة الأستاذ الأديب الشيخ سيد زهران مدير المساجد

نرى الأمم المتوثبة للمعالى، الطموحة إلى المجد . حين تتم مرحلة من مراحل آمالها، أو تظفر بالنجاح فى شأن من شئون حياتها . عن طريق تقنين خاص أو عام . أو اتفاق دولى محدود أو شامل. تتخذ يوم نجاحها عيداً تحتفى به كل عام عند حلول ذكراه . لأن فى حفاوتها بذلك تمجيداً لهذا القانون أو الاتفاق، وتوجيهاً للشعب إلى احترامه. وحفزاً له إلى التمسك به والعمل على مقتضاه ، و إيحاء بمواصلة السعى مرحلة فأخرى فى سبيل الكمال .

وليس هذا بدعا من مستحدثات الأمم فى العصور الحديثة . فقد سبق الاسلام إلى إحياء ذكرى دستوره ؛ السماوى المقدس . قانون القوانين ، ومصدر التشريع . وسجل الحقوق والواجبات . ومعلن المبادىء الدينيـة العالية ، ومنظم النواميس الانسانية الكاملة ، والداعى إلى الفضائل الأخلاقية السامية .

والمؤمنون بالأباطيـل والخرافات ملء الفجاج . وكظة الطرق . لايخلو من سوادهم مكان .

فليفرخ روعهم. ولتقر أعينهم . ولتثلج صدورهم فأرزاقهم لا تزال موصولة ولا يزال وليهم الشيطان يسوق اليهم ضحاياهم . وأين يقع صرير أقلامنا ونبرات أصواتنا وأجراس ندائنا مما نريد ؟

فالجهالة مستحوذة . والغفلة سائدة . والحمق يبسط سلطانه على كثير . هم منجم الذهب . الذى منه يستنبطون . وعليه دون الله يعتمدون . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

أبو الوفاء محمد درويش

ما كان هذا الدستور من وضع البشر . ولكنه من عند الله . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً ، وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين فى ثلاث وعشرين سنة . بدؤها ليلة مباركة من ليالى شهر رمضان . فيها بزغ أول نجم من نجوم هذا الدستور ، ولهذا الاعتبار مجّد الرسول ﷺ ذكراه ، بل مجّدها الاله ، فكان يرسل أمين وحيه جبرايل عليه السلام ، ليدارس المصطفى ﷺ هذا الكتاب فى هذا الشهر الكريم . شاء الله أن يزيد فى تمجيد هذه الذكرى بعد أن رسخت تعاليم هذا الدستور ، وانتشر نوره ، ومكّن له فى آفاق الدنيا بانتصار روحى هو الاقناع والاقتناع . فلم يمض على الهجرة عام ونصف عام حتى فرض الله صيام رمضان شهرا كاملا ، أيامه كلها صيام ؛ ولياليه كلها قيام ، وفى هذه وهذه برٌّ وإحسان . وانما جعل الله صيام هذا الشهر فرضاً لازماً ، ضمانا لاستمرار الحفاوة بهذه الذكرى وتمجيدها ، فكان هذا التمجيد فنّاً ماجداً ، وكان هذا الاحتفال حافلا خالدا .

لم يكن الاحتفال بذكرى دستور الاسلام عطلة يلهو بها الناس ويسمرون ويفرحون بغير الحق ويمرحون ، بل كان على غرار يتسق ومقام هذا الدستور وأهدافه ويتفق ومراميه وأغراضه ؛ فالقرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ، نزل علاجا لأدواء المجتمع وعلله التى انتابت الروح الانسانى حقباً من الزمان . والصيام ركن روحى من أهم أركان الاسلام ؛ فيه صفاء الروح ورياضتها ، وطهرها وسعادتها . فهو فى مخبره أمانة روحية لايضطلع بها إلا روح امين ، ولا يطلع على الوفاء بها إلا من يعلم السر وأخفى ، فى الحديث القدسى « الصوم لى وأنا أجزى به » وفى مظهره اخاء ومساواة ؛ مكّن لهما الاسلام بشتى الوسائل ومختلف الأساليب ؛ وهو حرمان اختيارى من اللذائذ والشهوات ؛ فالمقلّ والموسع ، والعلى والدنى ، والرفيع والوضيع فيه سواء ؛ وذلك باب الصلة بين الصائمين ؛ والتراحم بين المسلمين ، والتعاطف بين المؤمنين ، والحنو على البائسين والمعوزين .

وهو فى صورته إمساك عن الشراب والطعام ، ولـكنه فى حقيقته مران للنفس على ترك اللغو والآثام . ومن لم يدع قول الزور والعمل به . فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه . وهو تربية للعزيمة الصادقة والإرادة النافذة . فان من استطاع ترك مقومات الحياة ؛ كان أقدر على ترك كمالياتها ونوافل مباهجها .

وما أشد حاجة الانسان فى هذه الدنيا للعزيمة الصادقة، يذلل بها المستعصيات، والارادة النافذة يديل بها المشكلات . هـذا هو الصوم ، وهـذه بعض أسراره ، تستهدف كلها الأغراض العليا للقرآن الكريم . من تكوين مجتمع قوى بجميل الأخلاق، مسلح بجليل الفضائل، غنى بعظيم الشمائل؛ إلى ذلك دعا القرآن ببالغ القول، وكفله الصيام بصالح العمل . وهى مواءمة حكيمة بين الذكرى والتذكير ، والمجد والتمجيد .

فجدير بالمسلمين الذين يعرفون لدستور دينهم قدره ، ويدركون فى الاصلاح أثره وخطره ، ويذكرون فضله على الانسانية جمعاء ، أن يعملوا مخلصين على إحياء ذكراه المجيدة ، وقد عرفوا من نهج الاسلام أن طريق تمجيدها ، وسبيل تكريمها، ومظاهر إحيائها : الصيام والقيام ؛ والبر والاحسان ، وتفهم أسرار القرآن ؛ والعمل بما فيه من فضائل وأحكام .

وانه ليسرنا أن نرى فى الأمة المصرية حكومة وشعباً مظاهر الجد لتحقيق آمال الغيورين على مجد الاسلام . فالشعب فى مجموعته يسير بخطى واسعة الى التمسك بدستور الاسلام تشريعاً وعملا ؛ والجماعات الاسلامية نشيطة فى الدعوة الى الأخلاق الدينية . والهداة والمرشدون يضاعفون الجهود لنشر الفضائل الاسلامية ، والصحف والمجلات ومحطة الاذاعة لسان صدق لاعلان المبادىء الانسانية . والحكومة بما لها من زعامة بين الدول الاسلامية تغذى هذه الهيئات بالتوجيه الصالح والمعونة الصادقة للوصول إلى الأهداف التى يطمح اليها المخلصون . مستلهمة ذلك كله من سيرة «الفاروق» الذى حبب الله اليه الايمان وزينه فى قلبه ، وهيأ له من الرشـد والهـدى ، وبوأه مكان القدوة من أمته .

الحج

لفضيلة الأستاذ العلامة الشيخ محمد محيي الدين

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم . قال الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، مباركا وهدى للعالمين ؛ فيه آيات بيِّنات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ؛ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين)

أيها الاخوان المؤمنون ، سلام الله ورحمته و بركاته عليكم .

ثم أما بعد : فان الحج أحد شعائر الاسلام ؛ والحج هو قصد بيت الله الحرام بمكة لأداء أعمال شرعها الله سبحانه و بيَّنها بفعله رسوله صلى الله عليه وسلم و أصحابه .

قصد ذلك البيت الذى أمر الله خليله ابراهيم وابنه الذبيح اسماعيل أن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود ، فأقاما بناءه ورفعا قواعده طاعة لأمر ربهما وتنفيذاً لمشيئته مع الاخلاص له والضراعة اليه سبحانه أن يتقبل منهما (و إذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)

ذلك البيت الذى شرفه الله تعالى باضافته إلى نفسه فقال (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) وجعله مثابة لعباده يأتونه من كل فج عميق (وأذِّن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وجعله حرما آمناً لايسوغ لأحد من الناس أن يقاتل فيه إلا أن يدفع عن نفسه من أراده بسوء (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) وأكد سبحانه حرمة هذا البيت بتحريم صيده وقطع شجره ، بل حرَّم صيد البر على من كان محرما بأحد النسكين : الحج أو العمرة ، ولولم يبلغ الحرم . يقول الله سبحانه

(أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) وأوجب جل شأنه على قاصد هذا البيت أن يتجرد من زينة هذه الدنيا وزخارفها الكاذبة . ويذهب اليه أشعث أغبر متواضعاً لرب هذا البيت ، مستكيناً له خاضعاً لجلاله ، مستذلا لعزته وجبروته ، مع اعترافه أنه سبحانه منزه عن أن يحويه المكان وانه جلت قدرته لايناله من أعمالنا شيء ، ولا تعود عليه منها منفعة ، وانما النفع العظيم راجع إلى أنفسنا نحن الذين ننتفع فى أولانا وآخرتنا بطاعة ربنا والانقياد له (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) وهو سبحانه لاتضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة المطيعين .

وفى التجرد من زينة هذه الحياة مدة يسيرة تهذيب بالغ لأنفسنا ، فهو يلفت أذهاننا الى الفطرة الأولى التى فطر الله عليها خلقه ، تلك الفطرة النقية الخالصة من شوائب المدنية وفوارقها التى باعدت بين الناس . وهو يذكرنا بأننا جميعاً سواء أمام الله تعالى . لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

ينظر الانسان أمامه وخلفه وحواليه فيجد الناس جميعاً عراة الرؤوس قد اكتست أجسادهم بالازر والأردية البيضاء من قماش لم تجر فيه يد صانع ، فيلفت ذلك ذهنه إلى أن الناس حين يفدون على ربهم يوم يحشرهم ، ستزول عنهم مظاهر العظمة التى يغترون بها فى حياتهم الدنيا ، تلك الحياة الزائلة الوشيكة الذهاب . فان تأثر لذلك قلبه وشعرت به نفسه أقلع عما بداخله من الغرور وترك الكبرياء والتجبر على إخوانه فى الانسانية . فعاد من الحج مصقول النفس مهذب الوجدان فكان حجه الحج المبرور الذى يكفر الله به الذنوب ويمحو الخطايا ، وإن لم تنفعه موعظة ربه ولم يفده التجرد من علائق الدنيا وأشغالها وكان مثله مثل الذى يقوم بدور روائى رجع كما ذهب لم تصف نفسه ولم يطهر قلبه ولم يعطف عليه ربه وكتب الحج عليه لا له ، وكذلك أعمال الاسلام كلها من صلاة وصيام وزكاة ، لم يقصد الله سبحانه بها إلا تهذيب الأنفس

التى طبعت على الاثم والعدوان ومعصية الرسول ، وتطهير القلوب القاسية التى لا تداخلها الرحمة لتنشأ جماعة انسانية كاملة مهذبة تعمر الأرض وتصلحها على أساس من المودة الشاملة والحب المكين المتبادل بين الناس ، وعلى دعائم من عطف الكبير على الصغير واحترام الصغير للكبير ، وطاعته فيما لا معصية لله فيه .

فمن شعر من المسلمين فى نفسه بأن أعمال الاسلام التى يقوم بها ترقق من قلبه وتهذب من نفسه فليعلم انه الممتثل لله حقاً . ومن شعر بأنه يعمل العمل ولا تزال طباعه على ما كانت عليه فليعلم ان هذا العمل غير مقبول منه وانه لا يقوم فى حقيقة الأمر بأداء ما طالبه الله بأدائه . وليرجع على نفسه بالملائمة وليوسعها توبيخاً وتأنيباً ومن تأمل قول الله سبحانه (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وتأمل قوله جلت قدرته (خذ من أموالهم تصدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وتأمل قوله تباركت اسماؤه حكاية عن ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل وهما يبنيان البيت الحرام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) أدرك حق الادراك أن المقصود بالعبادات ماذكرنا من تطهير النفس وتمحيصها ومحو مافيها من الرذائل .

فالقصد من الصلاة الاتصال بالله تعالى والتوجه اليه فى كل يوم وليلة خمس مرات على الأقل والتعهد بين يديه فى كل مرة ألا نعبد سواه وألا نشرك معه أحداً فى الاستعانة على قضاء حوائجنا وأن نطلب اليه ان يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم عليهم . ومن فعل ذلك خالصاً مخلصاً قوىَ يقينه بربه وقويت عقيدته فى انه النافع الضار المانع الواهب المعين ، وإن أهل الأرض لو اجتمعوا على أن يضروه بشىء لم يكن قد كتبه الله عليه لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ، وأن اهل الأرض لو اجتمعوا على ان ينفعوه بشىء لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً ، فاذا تمكنت منه هذه العقيدة وتأصل عنده هذا اليقين لم يذل إلا لله ولم يخف إلا الله ولم يرج إلا الله ، فكان الناس جميعاً أمامه أكفاء متساويين

الفاضل فيهم من كان أقرب إلى الله وأرجى لله وأشد خوفا من الله .

والقصد من الزكاة تعويد النفس البذل بما تضن به النفوس وتهوين ذلك عليها بأننا نقرض الله الذى أعطانا والذى يملك هو وحده حرماننا، والذى لو شاء لجعل هذا المال فى يد غيرنا وجعلنا نحن من الذين يستحقون فى أموال الناس . فاذا تعودت ذلك وهان عليها البذل زكت وطهرت وصارت من النفوس الصالحة لبناء صرح الانسانية الكاملة المبنى على التعاون بين الناس (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) و إذا جمدت أن تلين لتوسلات البائسين وقست عن أن ترد لهفة الملهوفين فهى النفس الخبيثة التى لا يصلح صاحبها لأن يكون فرداً فى أمة تطلب الرفعة والمنزلة السامية . واسمعوا إلى قول الله تعالى (هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله . فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)

والمقصود من الحج أمور نحن نشير إلى بعضها فى هذا المقام إشارة إجمالية نرجو أن ننتفع بعرضها و ينتفع الناس بسماعها .

أولها — أن يترك الانسان حظوظ نفسه وتحصيل ملاذه فترة من الزمن ليكون فى ذلك تعويد له على ترك شهوات الدنيا إذا جد الجد واحتاجت الأمة إلى أن يخشوشن المنعمون من أفرادها . ولهذا السر فرض الله فى هذه العبادة أموراً كثيرة لا حظ للنفس فيها، بل لا تدرك النفس البسيطة حكمتها كالتجرد من الثياب والامتناع من قربان النساء ومن الطيب والزينة . وكالسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار ونحو ذلك من أعمال الحج . فكل ذلك إنما فرضه الله على قاصدى بيته الكريم مبالغة فى رد النفس عن الاسترسال فى الملاذ لأن ذلك مما ينشأ عنه ضعف الخلق وفقدان صفات الرجولة الكاملة الصالحة لرد العدوان على الأمة .

وثانيها — أن يصير الناس كلهم فى فترة من الزمن سواسية لا فرق بين عظيم وحقير ؛ يشعرون جميعاً بالحاجة الملحة إلى الذى تقصد عنده الحوائج . كلهم يجأرون

بالتلبية « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك . لبيك لبيك ، لبيك وسعديك ، والخير كله فى يديك ، والرغباء إليك والعمل » . وكلهم يرجون الله و يطلبون اليه ، لا يشعر أحدهم بأن له جاهاً أو سلطانا أو فضلا، فيشعرون بأن الجبروت والقسوة والطغيان التى يعاملون بهن إخوانهم فى الانسانية صفات يجب أن تزول لأنهم لم تجعل لهم ميزة على هؤلاء الاخوان حين خرجوا جميعاً إلى الله .

وثالثها ـ أن يكون فى اجتماع المسلمين فى صعيد واحد ، فى وقت واحد ، لأداء عمل واحد ، مذكِّر لهم بما لعلهم ينسون من اتحاد الكلمة وجمع الشمل وتوحيد الميول والرغبات . وأن يكون ذلك الاجتماع فى مثل هذه الحالة النفسية وفى مثل هذا المنظر المتحد حافزاً لهم على اطراح الفوارق الطبيعية بين الأمم التى تدين بدين الاسلام وأن يصبح للمسلمين مؤتمر عام يجتمع كل عام حول أول بيت وضع للناس حول المكان الطاهر الآمن ، حول بناء ابراهيم خليل الله واسماعيل الصابر على قضاء الله .

ورابعها ـ أن يكون الحج على هذه الصورة من تدافع الناس واشتغال كل منهم بشأنه ، مذكِّراً للقلوب القاسية باليوم الذى يحشر الله فيه الناس (يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) . ولهذه الحكمة الجليلة جعلت ثياب الاحرام قريبة الشبه من ثياب الموتى .

ربنا إننا نبرأ إليك من الحول والقوة ، ونضرع اليك ألا تكلنا إلى أنفسنا وأن تبصرنا بعيوبنا وأن تسلك بنا سبيل الانابة إليك والرجوع لك ، وألا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك . وألا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا . ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وجئنا اليك تائبين ، ربنا فاقبل توبتنا واغسل حوبتنا وطهر قلوبنا واملأها من اليقين بك والرهبة منك والضراعة إليك ، ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

محمد محيى الدين

جماعة أنصار السنة المحمدية

﴿ شعبة محـــــرم بك ﴾

بعثت إلينا هذه الشعبة بتقريرها الذى تعوّدت أن تسجل فيه أعمالها كل ثلاثة أشهر وتعرضه على جمعيتها العمومية ، وقد تصفحنا هذا التقرير فوجدناه يشهد بما للقائمين بأمر هذه الشعبة — وكلهم من الشباب المثقف الطموح — من نشاط فى خدمة الدعوة وإخلاص فى إحياء الجماعة وتثبيت قدمها ، ونباهة ذكرها . غير مدخرين فى ذلك وسعاً ولا باخلين بجهود .

ولقد اختاروا لها وعاظا مشهوداً لهم بالتأثير فى قلوب الناس بما أوتوه من علم صحيح لايخرج عن نطاق الكتاب والسنة .

كما أنهم ألفوا بين قلوب كانت غير مؤتلفة ، والتفتوا إلى الناحيـة المالية فعالجوها علاجا يبشر بأطيب الثمرات ، فصاروا بذلك مثلا عاليـاً لأنصار السنة ، وأنموذجا يقتدى به العاملون . والله نسأل ان يزيدهم هدى وتوفيقا ، وأن يجعلهم للمتقين إماما .

﴿ الخردوات الحديثـة ﴾

افتتح الأخ الشيخ احمد بيومى والأخ الشيخ عبد المتعال المزلاوى محلا للخردوات بأول شارع محمد على رقم ٣٠ بالقلعة على ناصية حارة ألماس ، والمحل بحاجة إلى التشجيع فشجعوه ، ومن يعامله يجد ما يسره .

ما أشد غربة الاسلام

سؤال يدل على مقدار ما وصل اليه الانحلال الدينى والخلق

سأل الأستاذ محمد نزيه المحرر بمجلة آخر ساعة قال:

هل الرقص الافرنجى الذى يشترك فيه الرجل مع المرأة يخالف الدين الاسلامى ؟

وما حكم الشرع الشريف فى المرأة التى ترقص مع أجنبي عنها ، وفى الرجل الذى يرقص مع أجنبية عنه ؟

وما حكم الدين الاسلامى فى الرجل الذى يرقص مع امرأته على مرأى من الناس ؟

فأجاب صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية :

اطلعنا على هذا السؤال ، ونفيد أنه لا يشتبه مسلم فى دار الاسلام فى أن الرقص الافرنجى المعروف الذى يشترك فيه الرجل والمرأة محرم شرعا ، معلومة حرمته من الدين بالضرورة والبداهة ، وأن كلا من المرأة التى ترقص مع أجنبى عنها ، والرجل الذى يرقص مع أجنبية عنه آثم بارتكابه لهذا الفعل ، مستعد لما أعده الله للفاسقين الظالمين لأنفسهم المجترئين على ربهم من العقوبة فى الدنيا والآخرة

كما أن الرجل الذى يرقص مع امرأته على مرأى من الناس مرتكب لهذا الاثم ولهذه المعصية وفاسق بذلك ظالم لنفسه مجترىء على ربه ، مستحق للعقوبة المذكورة .

هذه قضايا معلومة بداهة من الدين ، لاتحتاج إلى إقامة برهان عليها ، ومن رضى بها سواء أكان حاضراً وقت ارتكابها ام لم يكن حاضراً آثم كذلك ، لأن الرضا بالمعصية معصية ، كما أن الرضا بالكفر كفر . ومن قدر على تغيير هذا المنكر وإزالته ولم يغيره فهو آثم . وقد حرم الله سبحانه وتعالى ماهو أقل من ذلك فساداً وأقل منه فحشاً وقبحاً ، فكيف لا يحرم هذه المنكرات ولاينهى عنها ؟

والعقل الراجح والفطرة السليمة التى لم تفسد بالشهوات ولا باتباع الهوى يستقبحان هذا الفعل الشنيع وينفران منه ومن مرتكبيه ، سواء أكان ذلك مع أجنبية أم مع غير أجنبية

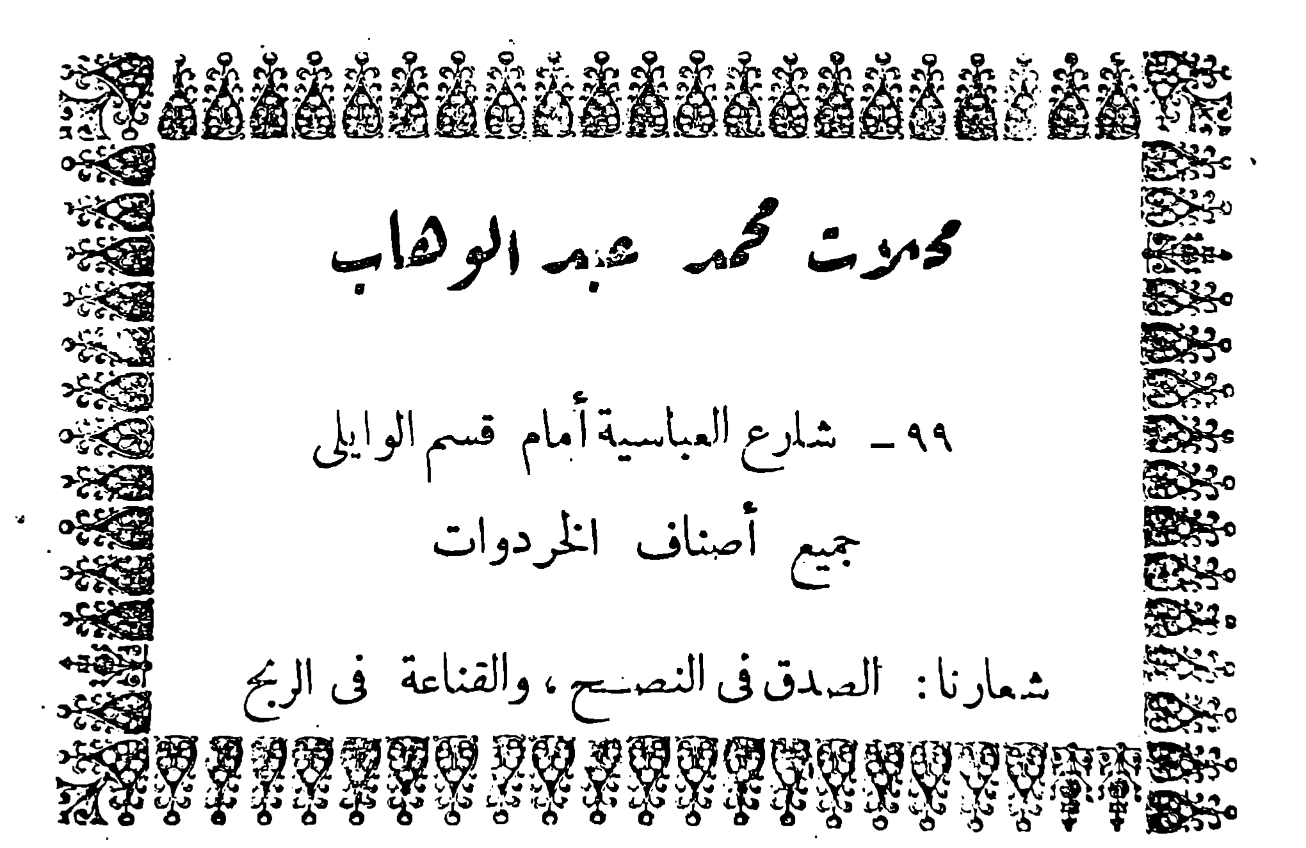
وقد جاء فى السنة أن المرأة إذا خرجت من بيتها متعطرة فهى زانية ، فكيف بامرأة تخرج متعطرة متجملة متبرجة تختلط بأجنبى عنها هذا الاختلاط ، أو تعمل هذا مع زوجها على مرأى من الناس ويرضى لها زوجها أن يروها وهى تتحرك معه هذه الحركات المثيرة لقوى الشر فى النفوس ؟ لاشك أن هذا من الدياثة التى لايدخل صاحبها الجنة

وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أن الله سبحانه لما خلق الجنة قال « وعزتى وجلالى لا يدخلك بخيل ولا كذاب ولا ديوث » وقد فسر

الديوث بأنه من لا غيرة له

هذا وقد ذكر العلامة ابن القيم فى كتاب «الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية» فصلا بين فيه أنه يجب على ولى الأمر أن يمنع اختلاط الرجال بالنساء فى الأسواق ومجامع الرجال. وذكر فيه أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، ومن أعظم أسباب نزول العقوبة العامة، كما أنه من أسباب فساد الأمور العامة والخاصة، وسبب لكثرة الفواحش والزنا. اهـ

هذا. وقد ذكرنا ما يكفى فى هذا الموضوع، والمقام لا يتسع لأكثر من ذلك. والله أسأل أن يوفقنا وسائر المسلمين المؤمنين الى مايحبه ويرضاه، وإلى الاعتصام بحبله انه سميع مجيب



عمر بن عبد العزيز

الخليفة العادل

كان عمر بن عبدالعزيز - قبل ولايته الخلافة - يتألم من انصراف بعض قادة الأمة إلى نزعات الهوى ويقول : الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، ومحمد بن يوسف (أخو الحجاج) باليمن ،وعثمان بن حيان بالحجاز ، وقرة بن شريك بمصر ، ويزيد بن أبى مسلم بالمغرب : امتلأت الأرض والله جوراً !

فلما آلت اليه الخلافة كان أول ما بدأ به عهده بعد دفن الخليفة سليمان بن عبدالملك - المبادرة إلى إصلاح القيادة ، فدعا بدواة وقرطاس عقب دفن سليمان ، فكتب ثلاثة كتب لم يسعه فيما بينه و بين الله عز وجل أن يؤخرها لحظة ، وأمضاها من فوره والناس فى عجب من كتابته إياها فى تلك الساعة : فجعلوا يقولون : ماهذه العجلة؟أما كان يصبر حتى يرجع الى منزله ؟ هذا حب سلطان ، هذا الذى يقول إنه كارد لما دخل فيه .

ولم يكن بعمر عجلة ولا محبة لما صار اليه ، ولكنه حاسب نفسه ورأى أن تأخير ذلك ساعة مضر بالرعية، وربما أهدر ظلم الولاة دماء بريئة أو ربما أضاعوا فى تلك الساعة على الناس شيئاً كثيراً من الحقوق .

أما كتابه الأول فكان لمسلمة بن عبد الملك يأمره بالعودة وفك الحصار عن القسطنطينية ، وقد كان اخوه سليمان بن عبد الملك أمره بغزوها براً وبحراً وأوشك على فتحها ثم خدع حتى أحرز المحاصرون طعامهم وحوائجهم ثم أغلقوها دونه ، فبلغ ذلك الخليفة سليمان فغضب عليه وحلف أن لايعيده منها مادام حياً ، فاشتد على جيش المسلمين المقام هناك من الجهد والجوع ، فلما ولى عمر رأى أن لايؤخرهم ساعة.

وأما الكتاب الثانى فكان بعزل أسامة بن زيد عن ولاية مصر، وأمر به أن يحبس ويقيد ويحل عنه القيد عند كل صلاة، ثم يُرد فى القيد. وكان أسامة ظالما غشوما مسرفا فى العقوبات، فحبس بمصر سنة ثم نقل إلى فلسطين فحبس بها سنة. ثم مات عمر وولى يزيد بن عبد الملك فأطلقه ورده إلى ولاية مصر.

وأما الكتاب الثالث فكان بعزل يزيد بن أبى مسلم عن المغرب وكان جباراً يأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون وهو يقول: سبحان الله والحمد لله، شدّ ياغلام موضع كذا وكذا (لبعض مواضع العذاب) فكانت حالته موجبة للمبادرة بعزله إراحة لخلق الله من شره.

كتب كتبه الثلاثة، ثم عاد فقربت اليه ركائب الخلافة فقال لغلامه مزاحم: ضم هذه الركائب إلى بيت مال المسلمين. وفعل ذلك بالسرادقات وبالفرش وبالوطاء وبالطيب حين قدموها اليه، ولم يشأ أن يقيم فى دار الخلافة وكانت تسمى الخضراء وتقع باتصال حائط القبلة من مسجد بنى أمية، فعدل عن دار الخلافة هذه إلى دار صغيرة متصلة بالحائط الشمالى من مسجد بنى أمية

وخطب الناس على منبر مسجد بنى أمية فى دمشق عقب ولايته فكان مما يقوله فى خطبه: أيها الناس ليس بعد نبيكم نبى، وليس بعد الكتاب الذى أنزل عليكم كتاب، فما أحلّ الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرّم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة. ألا إنى لست بقاض وانما أنا منفذ، ولست بمبتدع ولكنى متبع. لست بخيركم وانما أنا رجلٌ منكم إلا انى أثقلكم حملا. يأيها الناس إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم. أيها الناس إلحقوا ببلادكم، فأنا أنساكم عندى وأذكركم فى بلادكم؛ ألا وإنى قد استعملت عليكم رجالا لا أقول هم خياركم، ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له علىّ. ألا لا سلامة لامرء فى خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الله. ألا وانكم تعدون الهارب

من ظلم إمامه عاصياً . ألا وأن أولاهما بالمعصية الامام الظالم . إنه [illegible] أن أوفر أموالكم وأعراضكم إلا بحقها ولا قوة إلا بالله .

أيها الناس عليكم بتقوى الله فان تقوى الله خلف من كل شيء ، وقد كان قبلى ولاة تشترون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم . أيها الناس إنى لست بخازن ولكنى أضع الشيء حيث أمرت ؛ ألا ولا طاعة لمخلوق فى معصية الله . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

وكان من عادة الخليفة الجديد أن يأمر عند ولايته بصرف عطاء عظيم للجند وأمراء البيت المالك ، فكان ما أمر به عمر للأمراء يسيراً جداً يساوى مايعطى عادة لغلمانهم ، فلما رأى وزراء الخليفة الماضى سليمان ما جنح اليه الخليفة الجديد من التقشف والزهد عقدوا اجتماعا تذاكروا فيه هذا الأمر وقالوا : أما الركائب والسرادقات والحجر والشوار والوطاء فليس فيه رجاء بعد ؛ و بقيت الجوارى نعرضهن عليه فعسى أن يكون ماتريدون فيهن ، فان كان و إلا فلا طمع لكم عنده . فأُتى بالجوارى فعُرضن عليه كأمثال الدمى ، فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة من أنتِ ومن أين أتيتِ ؟ فتخبره بقصتها ؛ فيأمر بردها إلى أهلها فحملن الى بلادهن ولم يؤخر منهن واحدة . فلما رأى الوزراء ذلك يئسوا منه وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق . ثم احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يدخل عليه أحد ووجوه بنى أمية وأشراف العرب وأمراء الأجناد ببابه ينتظرونه ، فلما خرج اليهم قام الناس بين يديه كعادتهم فى إجلال الخلفاء قبله . فقال لهم يامعشر الناس : إن تقوموا نقم و إن تقعدوا نقعد ، فانما يقوم الناس لرب العالمين ، إن الله فرض فرائض وسنّ سنناً ، فمن أخذ بها لحق ومن تركها محق . فمن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس : ليوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته ، و يدلنا من العدل إلى مالا نهتدى اليه و يكون عوناً لنا على الحق و يؤدى الأمانة الينا و إلى الناس ولا يغتب عندنا أحداً ؛ ومن لم يفعل فهو فى حرج من صحبتنا والدخول علينا . ثم أمر الحرس إذا خرج اليهم أن لا يقوموا له وقال لهم لا تبتدئونى

بالسلام إنما السلام علينا لكم . ثم بدأ يتفرغ لتدبير شؤون الدولة لا يؤخر شؤون اليوم للغد حتى أرهق نفسه وأضر بصحته . فقال له بعض إخوته يا أمير المؤمنين هلا ركبت فتروحت . قال فمن يجزى عنى عمل ذلك اليوم ؟ قال تجزيه من الغد . قال فدحنى عمل يوم واحد فكيف اذا اجتمع على عمل يومين . قيل له فان سليمان قد كان يركب و ينتعش و يجزى عمله . قال عمر : ولا يوم واحد من الدنيا ما أجزاه سليمان!

ثم بدأ هذا الخليفة العظيم برد المظالم إلى أهلها ، فأول ما بدأ به : الخروج من ماله فردّه فى مال المسلمين ، وخرق سجلات مزارعه حتى انتهى إلى مزرعة خيبر ، فسأل عنها من أين كانت لأبيه ؟ قيل له : إنها كانت فى نخل رسول الله ﷺ فتركها رسول الله ﷺ فيئاً للمسلمين ثم صارت إلى مروان فأعطاها مروان أباك ، فخرق عمر سجلها وقال : أتركها حيث تركها رسول الله ﷺ . ولم يبق إلا مزرعة السويداء ، لأنها كما قال رحمه الله : مامن شىء إلا رددته فى مال المسلمين إلا العين التى بالسويداء كانت أرضاً براحا ليس فيها لأحد ضربة سوط ، أصلحتها من صلب عطائى الذى يجمع لى مع جماعة المسلمين . وكانت تلك المزرعة تنتج من المحصول مايقدّر ثمنه بمائة دينار فى السنة يخرج زكاتها و يتصدق ببعض الباقى ثم يعطى ما بقى للذى يقوم على نفقة أهله و يقول له : خذ هذا الذهب فأنفقه على عيالنا إلى أن يخرج لى عطائى مع المسلمين أو يقضى الله قبل ذلك .

و بعد أن بدأ بنفسه فنزل عن أملاكه للمسلمين تحولّ إلى المظالم يردها ولبنى أمية يستخلص منهم كل ماملكوه بغير حق و يقترّ عليهم فى العطاء ، حتى كان الوليد ابن عبد الملك قد أقطع إبناً له يقال له (روح) حوانيت بحمص ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز جاءه نفر من أهل حمص يطالبون روحاً بالحوانيت وأقاموا البيّنة . فقال لروح خلّ لهم حوانيتهم . فقال ولكن هى معى بسجل الوليد . قال عمر : وما يغنى عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم قد قامت لهم البيّنة عليها ، خلّ لهم حوانيتهم

فلما خرج روح توعد أحدهم فرجع الحمصى إلى عمر فقال: هو يتوعدنى ياأمير المؤمنين. فقال عمر لكعب بن حامد رئيس حرسه: أخرج اليه فإن سلم الحوانيت فذلك، وإن لم يفعل فأتنى برأسه. فبادر بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد فحذره من الذى أمر به عمر.

وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر قبل وفاته بعشرين ألف دينار لعنبسة بن سعيد بن العاص فدارت الورقة فى الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الختم فلم يبق إلا قبضها فتوفى سليمان قبل أن يقبضها عنبسة وكان عنبسة صديقاً لعمر بن عبد العزيز قبل الخلافة، فلما جاء يريد التكلم معه فيما أمر له به سليمان وجد بنى أمية حضوراً بالباب يريدون مقابلته ليكلموه فى أمورهم. فلما رأوا عنبسة قالوا ننتظر ماذا يصنع معه قبل أن نكلمه ثم قالوا لعنبسة أعلم أمير المؤمنين بوجودنا وأعلمنا مايصنع فى مسألتك. فدخل عنبسة فقال ياأمير المؤمنين: إن أمير المؤمنين سليمان كان قد أمر لى بعشرين ألف دينار حتى انتهت الى ديوان الختم ولم يبق إلا قبضها فتوفى على ذلك، وأمير المؤمنين أولى بإتمام الصنيعة وما بينى و بينه أعظم مما كان بينى و بين أمير المؤمنين سليمان. فقال له عمر كم ذلك؟ قال عشرون الف دينار. فقال عمر: عشرون الف دينار تغنى أربعة آلاف بيت من المسلمين، وأدفعها إلى رجل واحد، مالى إلى ذلك من سبيل.

قال عنبسة: فخرجت فأعلمت بنى أمية بما كان منه، فقالوا لى: ادخل عليه أعلمه بأننا نعتب عليه أن بعث الينا بعشرة آلاف دينار فما خص الواحد منا فيها سوى عشرة دنانير

وقال يزيد بن عبد الملك (ولى العهد) وكان حاضراً معهم كأنه يظن أنى لا أكون من بعده فدخل عنبسة وأخبره بمقالهم، فقال: أجل، لقد قسمتها فيهم، والله لقد ندمت عليها أن لا أكون منعتهم منها فكانت كافية أربعة آلاف بيت من المسلمين.

فخرج عنبسة وأعلمهم بما أخبره ، ثم قال لهم : يابنى أمية زوجتم صاحبكم (يقصد أباه عبد العزيز بن مروان) بنت عمر بن الخطاب ، فجاءتكم بعمرَ ملفوفا فى ثيـابه ، فلا تلوموا إلا أنفسكم

ولقد بلغ الأمر بعمر بن عبدالعزيز فى الضن بمال المسلمين أن ينفق إلا على المسلمين أو ماينفع المسلمين ، أنه اكتفى من اللباس بثوب واحد . ولقد حدث مرة أنه أبطأ عن الجمعة قليلا فعوتب فى ذلك فقال: إنما انتظرت قميصى وقد غسلته أن يجف

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبدالعزيز فى مرضه ، فقال لفاطمة زوجة عمر وهى أخت مسلمة ألا تغسلون قميصه . قالت والله ماله غيره وان غسلناه بقى لا قميص له. وأتاه رجل بتفاحات فأبى أن يقبلها ، فقيـل له كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية . فقال عمر هى لرسول الله ﷺ هدية وهى لنا رشوة .

ودخل عليه ابن زكريا فقال : يا أمير المؤمنين إنى أريد أن أكلمك بشىء ؟ قال قل . قال بلغنى أنك ترزق العامل من عمالك (أى ولاة الأمصار وأمراء الأقطار) ثلاثمائة دينار . قال نعم . قال أردت أن أغنيهم عن الخيانة . قال فأنت ياأمير المؤمنين أولى بذلك . فأخرج ذراعه وقال : يا ابن أبى زكريا إن هذا نبت من الفىء (الخراج والغنيمة) ولست معيداً اليه منه شيئا .

وقال لزوجته فاطمة بنت عبد الملك : قد علمت حال هـذه الجواهر (حليها) وما صنع فيـه أبوك ومن أين أصابه ، فهل لك أن أجعـله فى تابوت ثم أطبع عليه وأجعله فى أقصى بيت مال المسلمين وأنفق ما أردته . فإن احتجت اليـه أنفقته ؛ وإن متّ قبـل ذلك فلعمرى ليردّنه إليك . قالت له أفعـل ماشئت ، ففعـل . ولـكنه مات ولم يصل اليه فردّه عليها أخوها الخليفة يزيد بن عبد الملك فامتنعت عن أخذه ، فقسمه بين نسائه ونساء بيته . انتهى

عن الحديقة — تأليف السيد محب الدين الخطيب

النفس المطمئنة

هي التي اطمأنت الى ربها بعبوديته ومحبته والانابة اليه، والتوكل عليه والرضى به والسكون اليه . فان سمة محبته وخوفه ورجائه منها : قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه ، فيستغني بمحبته عن حب ماسواه ؛ وبذكره عن ذكر ماسواه ، وبالشوق اليه والى لقائه عن الشوق الى ماسواه .

فالطمأنينة الى الله سبحانه: حقيقة ترد من الله سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه وترد قلبه الشارد اليه ؛ حتى كأنه جالس بين يديه، يسمع به ويبصر به، ويتحرك به ويبطش به . فتسرى تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة، وتجذب روحه الى الله ، ويلين جلده وقلبه ومفاصله الى خدمته والتقرب اليه .

ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره ، وهو كلامه الذي أنزله على رسوله ، كما قال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ؛ ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

فان طمأنينة القلب: سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه . وهذا لايتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره ألبتة . وأما ماعداه فالطمأنينة اليه و به غرور ، والثقة به عجز . قضى الله سبحانه قضاء لا مردّ له : أن من اطمأن لشيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائناً من كان . بل لو اطمأن العبد إلى علمه وحاله وعمله سلبه وزايله .

وقد جعل الله نفوس المطمئنين إلى سواه أغراضاً لسهام البلاء ليعلم عباده وأولياؤه أن المتعلق بغيره مقطوع ، والمطمئن الى سواه عن مصالحه ومقاصده مصدود وممنوع .

وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة : أن تطمئن في باب الأسماء والصفات ونعوت كماله : إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه ، وأخبرت به عنه رسله، فتتلقاه بالتسليم والقبول والاذعان وانشراح له وفرح القلب . فانه معرفة من تعرفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله . فلا يزال القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يخالط الايمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه

وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه . فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش فيطمئن إليه و يسكن اليه و يفرح به و يلين له قلبه ومفاصله ؛ حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل . بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس فى الظهيرة لعينه . فلو خالفه فى ذلك من بين المشرق والمغرب لم يلتفت إلى خلافهم ، وقال ـ إذا استوحش من الغربة ـ : قد كان الصديق الأكبر مطمئناً بالايمان وحده ، وجميع أهل الأرض يخالفه ، وما نقص ذلك من طمأنينته شيئاً . فهذا أول درجات الطمأنينة ، ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه . وهذا أمر لا نهاية له . فهذه الطمأنينة أصل أصول الايمان التى قام عليها بناؤه .

ثم يطمئن الى خبره بعد الموت من أمور البرزخ وما بعدها من أحوال القيامة، حتى كأنه يشاهد ذلك كله عيانا. وهذا حقيقة اليقين الذى وصف به سبحانه أهل الايمان حيث قال (وبالآخرة هم يوقنون) فلا يحصل الايمان بالآخرة حتى يطمئن القلب الى ما أخبر الله به عنها طمأنينته الى الأمور التى يعاينها ويحسها ويذوق طعمها ويجد ريحها. فهذا هو المؤمن حقاً باليوم الآخر؛ كما فى حديث حارثة «أصبحت مؤمناً حقا: فقال رسول الله (ص) : إن لكل حق حقيقة. فما حقيقة ايمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا وأهلها ؛ وكأنى أنظر الى عرش ربى بارزاً ، والى أهل الجنة يتزاورون فيها. وأهل النار يعذبون فيها . فقال (ص) : عبد نور الله قلبه »

والطمأنينة الى أسماء الله وصفاته نوعان: طمأنينة الى إثباتها والايمان بها واعتقادها وطمأنينة الى ماتقتضيه وتوجبه من آثار العبودية .

مثاله : الطمأنينة الى القدر وإثباته والايمان به ، يقتضى الطمأنينة الى مواضع الأقدار التى لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له على دفعها . فيسلم لها ويرضى بها ولا يسخط ، ولا يشكو ولا يضطرب ايمانه . فلا يأسى على مافاته ولا يفرح بما آتاه . لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل اليه وقبل أن يخلق، كما قال تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فهذه طمأنينة الى أحكام الصفات وموجباتها وآثارها فى العالم ؛ وهى قدر زائد على الطمأنينة بالعلم بها واعتقادها؛ وكذلك سائر الصفات ومتعلقاتها . كالسمع والبصر والعلم والرضا والغضب والمحبة . فهذه طمأنينة الايمان .

﴿ تبرعات عامة لجماعة أنصار السنة المحمدية ﴾
وزكاة أموال وتبرعات خاصة لصندوق الاحسان

تفضل حضرات الاخوان الآتية اسماؤهم بعد، بالمبالغ الآتية :—

مليم	جنيه		
	٢٠	الحاج محمد افندى احمد طيفور	« تبرع عام »
	٢	محمد افندى حسين هاشم	«لصندوق الاحسان»
	١	سيد افندى محمد رضوان	» »
	٢	محمود افندى حسين أبو زيد	
١		تاجر جلود ببين الصورين	« لصندوق الاحسان»
٥٠٠	٢	محمد افندى عبد الوهاب البنا	» »
	١	الحاج اسماعيل افندى ابراهيم	» »

و إدارة الجماعة تتقدم إلى حضراتهم جميعاً بخالص الشكر على هذه الأريحية ؛ ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يزيدهم من فضله وأن يخلفهم خيراً منها ؛ وأن يجعل منهم القدوة الصالحة لاخوانهم .

صلاة العيد

ستؤدى جماعة أنصار السنة المحمدية صلاة عيد الفطر المبارك إن شاء الله تعالى بمسجد المدارة

والمركز العام للجماعة وادارة المجلة يهنئان العالم الاسلامى عامة واخوانهم خاصة بهذا العيد الكريم، اعاده الله على الجميع بالأمن والأمان والسلامة والرخاء ؛ إنه سميع مجيب

كتاب فتح المجيد

لايزال هذا الكتاب القيم تحت الطبع ، والمفهوم حتى الآن أن توزيعه سيكون بالحجاز فى موسم الحج ملتقى الشعوب الاسلامية . فاذا أمكن الإذن لنا بتوزيع شيء منه هنا استطعنا أن نلبى تلك الطلبات التى انهالت علينا عقب صدور مانشر فى العدد الماضى .

شوال سنة ١٣٦٢ العـــدد العاشر — الثمن ١٥ مليم السنة السابعة



مجلة دينية علمية إسلامية (شهرية مؤقتاً)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير : محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس مدير المجلة

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصرى والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة : بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره ﴿ والذين يَصِلونَ ما أمرَ اللهُ به أن يُوصَل ويَخشونَ ربَّهم ويَخافون سُوءَ الحساب ﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما « يريد الايمان بالأنبياء » يعنى يصلون بينهم ، بالايمان بالجميع ، كما قال فى الخبر عن المؤمنين (لا نفرق بين أحد من رسله) وقال أكثر المفسرين: يريد صلة الأرحام . وقال الحسن البصرى : المراد به صلة الرسول ﷺ بالايمان به . وقيل : صلة الايمان بالعمل . وقيل: صلة قرابة الاسلام ، بافشاء السلام وطعام الطعام ، وعيادة المرضى وشهود الجنائز ، ومراعاة حق الجيران والرفقاء والأصحاب والخدم .

والظاهر أن الآية عامة فى كل ما أمر الله بوصله فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ

وأول ذلك وأهمه : وصل العبد ما بينه و بين ربه بالعلم الصحيح والعمل الصالح . فيتلو كتاب الله حق تلاوته ، متدبراً لمعانيه متفقهاً فى شرائعه وأحكامه ، مستعيناً على ذلك بالأسباب الموصلة اليه ، آخذاً نفسه بالعقيدة الصحيحة التى شرحها الله فى آيات الذكر الحكيم ، ودعا عباده اليها بأسمائه الحسنى وصفاته العليا على ما وردت وتكلم بها العليم الخبير الذى أنزل الله القرآن وأحكم آياته وفصلها باللسان العربى المبين ليتدبرها أولوا الألباب و يؤمنوا بها ، موقنين اليقين كله أن وضع لفظ ، مكان لفظ ، أو كلمة مكان كلمة ، يضيع المعنى و يذهب بالحقيقة التى من أجلها أنزل العليم الخبير

هذه الآيات ونظمها هذا التنظيم الحكيم ؛ ورتبها على الأسلوب المبين . ثم أخذنفسه باخلاص العبادة والإلهية بجميع أنواعها : من دعاء ونذر وحلف واستغاثة وتوكل وذبح وصلاة ونسك . وبالجملة كل العبادة الظاهرة بالجوارح والباطنة بذل القلب وحبه وتعظيمه وخوفه ورجائه . يصل مابينه وبين ربه الذى ينعم عليه الليل والنهار بما لايحصى من النعم باخلاص هذه العبادات له وحده ؛ ولا يظلم نفسه الظلم العظيم بصرف شىء منها لنبى مرسل ، ولا لملك مقرب ولا لولى ، ولالشىء مما خلق الله القدير السميع البصير الرءوف الرحيم .

وأن يصل مابينه وبين كتاب الله بالايمان به ؛ كتابا نزل بهالروح أمين ملائكة السماء وسيدهم على قلب أمين أهل الأرض وسيدهم : هدى وشفاء لما فى الصدور ، ورحمة للناس كافة ، يخرجهم الله به من كل شقاء إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ومن كل خوف إلى أمن الدنيا والآخرةومن كل شر إلى خير الدنيا والآخرة ؛ ومن كل خسران إلى فلاح الدنيا والآخرة . فيصل مابينه وبين هذا الكتاب الكريم بتحليل حلاله وتحريم حرامه وإقامة شرائعه وأحكامه والوقوف عند حدوده والتأدب بأدبه . وتعظيمه وتوقيره ؛ وتقديمه على كل كتاب وكل قول وكل أدب . مهما كان مؤلف ذلك الكتاب وقائل ذلك القول وواضع ذلك الأدب . وأن يستسلم قلبه وجوارحه لذلك الكتاب كل الاستسلام فى كل شئونه .

وأن يصل مابينه وبين رسول الله إمام المرسلين وسيد المهتدين وإمام المتقين محمد ﷺ بمعرفة سيرته وآدابه وأخلاقه ، ورسالته وما بعثه الله به من الهدى والنور والحكمة ، معرفة تملأ قلبه إيمانا ونوراً وهدى ؛ وإجلالا وتعظيما وتوقيراً لرسول الله ﷺ . توقيراً يجعل هذا الرسول أحب اليه من نفسه وولده ومن كل شىء . بحيث يكون أسر شىء عنده وأحب شىء لديه : هو حبه وطاعته واتباع رسالته . وإن كان فى ذلك بغض وكراهية ومقاطعة الناس كلهم. بل وإن كان فى ذلك حتفه وذهاب روحه. فانه يرى أن موته فى نصر رسول الله وإعزاز دينه وإعلاء كلمته : هو الحياة الطيبة

والسعادة الدائمة . كما كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم باحسان .

وأن يصل ما بينه و بين سنة هذا الرسول الأكرم ﷺ علماً ومعرفة وتمييزاً لها عن غيرها مما ألصق برسول الله ﷺ ونسب اليه من القول الكاذب والعمل الباطل. حتى يكون على بصيرة في دينه و بينة في كل أمره . وأن يبذل وقتـه وماله في حفظها والمحافظة عليها ونشرها والدعوة إليها، وتخليصها من البدع والخرافات التي سودت وجهها وكسفت شمسها وغيرت معالمها . وأضلت أكثر الناس عن صراطها المستقيم. وأن لا يأخـذه فيها لومة لائم . ولا يداهن ولا يداجي المبتدعين ولا يمالئهم . بل يعلن بحربهم بكل ما يملك من قوة ، و يصبر على ما يلقى منهم من أذى . فرحاً مسروراً بما منحه الله وأنعم عليه بذلك الأذى الذي يلحقه به بالرعيل الأول من المجاهدين الصابرين والشهداء الفائزين .

وأن يصل ما بينه و بين كلام الله وسنة رسول الله ﷺ صلة دائمة وثيقة يجد بها حلاوتهما و يسرهما وسهولتهما ، فيكونان على قلبه وفهمه أيسر من كل قول وكل كتاب و يجد ثمراتهما من العلم والعبادة والأحكام أقرب منالاً من أي شيء آخر ؛ ولا يستطيع شياطين الإنس أن يضعوا في سبيله إلى هـذه الثمرات أي عقبة . ومهما حاولوا فانه يقتحم هذه العقبات بصلته الوثيقة وحبه وصداقته الأكيدة لهما .

وأن يصل ما بينه و بين رسل الله كلهم وكتبه كلها ، بالايمان الناشيء عن معرفة فضل الله ورحمته وعدله وحكمته المقتضية أنه يستحيل أن يترك الله الانسان سدى بدون داع يدعوه ومعلم يعلمه وكتاب يبين له ما ينبغي أن يأخذ به ليسلم من غوائل الاختلاف الذي يدعو إليه اختلاف الطباع والأهواء والأمزجة والمشارب . وأن سلسلة هؤلاء الرسل ما زالت متصلة بوصية كل واحد منهم وأخذ العهد عليه أن يؤمن هو ومن اتبعه بمن سيأتي بعده من رسول حتى آخرهم وخاتمهم وسيدهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين . وأنه هو الذي ستبقى رسالته حجة الله على الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لأنها جامعة لكل ما يحتاج إليه الانسان في جميع ما يتقلب فيه من أطوار الحضارات

المختلفة من يوم بعثته ﷺ إلى آخر الدهر، فى كل بقعة من بقاع الأرض، وفى كل وطن و بلد.

وأن يصل ما بينه و بين اصحاب رسول الله ﷺ بمعرفة سيرهم وما أنقذهم الله به مما كانوا فيه من جاهلية وشرك ووثنية وقلة وذلة حتى كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يؤمنون بالله. والفرق بينهم و بين المدعين اتباع الأنبياء الآخرين و بينهم و بين المدعين اتباع محمد ﷺ. وأن يوثق الصلة بأولئك الصحابة رضى الله عنهم بأن يأخذ نفسه بالتأسى بهم، والاهتداء بهداهم، جهد طاقته.

وأن يصل ما بينه و بين المؤمنين كلهم بحبهم فى الله لايمانهم بالله. والدعاء بالمغفرة لمن سبقوه بالايمان، وأن لا يجعل فى قلبه غلاً ولا حقداً ولا حسداً لأحد من إخوانه المؤمنين. وأن يتعاون و إياهم على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان. وأن ينصح مخطئهم ومسيئهم، و يدعوه إلى الصواب بشفقة ورحمة وحكمة، و يدعو له بالهداية والتوبة. وأن يعين محسنهم بما يقدر عليه من العلم والثناء والمال وغيره من كل مافيه خير وصلاح. وأن يقوم لهم بما أوجب الله من حقوق فى الجيرة والصحبة والأخوة فى الله. فيواسى البائس واليتيم، و يحسن إلى الفقير والمسكين. و يتعهد بالمعروف والبر المادى والمعنوى، الجيران والاخوان. وأن يعود المريض و يواسيه بالقول الطيب والمال، و يشيع الجنازة و يصلى على الميت و يحسن إليه بالدعاء وطلب المغفرة والرضوان. و يواسى أهله بما يخفف عنهم لوعة الحزن وألم الفراق بجميل القول او بذل الطعام والمال.

وأن يصل ما بينه و بين والديه بالبر والاحسان، وخفض جناح الذل من الرحمة تقديراً لفضلهما الذى تقدما به اليه فر بياه صغيراً وغمراه ببرهما وعطفهما و بذلا كل مافى وسعهما فى تربيته وتنشئته مادياً ومعنوياً، مدفوعين بعاطفة الحب الخالص والشفقة الصادقة التى لاتكافأ من الولد ولا يمكن لولد ان يجزى والديه عليها و إن كان أبر

البارين واحسن المحسنين . فان البادىء بالفضل اعظم فضلا ؛ وانهما كان يبعثهما العطف الوالدى والرحمة ويبعثه التكافى . وشتان بين الباعثين و بين مايصدر عن كل منهما .

وأن يصل مابينه و بين رحمه وذوى قرباه بحسن التودد اليهم بطيب المعاملة وتعهدهم بالزيارة والمودة والمعاونة المادية . وأن يقدم ذوى قرباه فى بره وخيره عن الأبعدين مهما كانت بينه و بينهم من وشيجة وصلة .

وأن يصل مابينه و بين زوجه بالسكون والمودة والرحمة والامساك بالمعروف الذى يحبه الله ورسوله، و إقامة حدود الله على اساس الصلة الروحية القلبية ، و إلا فالتسريح بالاحسان بدون عضل ولا مضارة ، وان يحرص على دينها فيعلمها و يرشدها و يتعهدها دائما بالموعظة والنصيحة ويؤدبها بأدب الاسلام و يحوطها بسياج الدين القويم والخلق الكريم ، وأن يصونها من جيران السوء وقرناء الشيطان ودعاة الفسوق والعصيان . وأن يكون أحرص على ستر نفسها وخلقها بلباس التقوى والعفاف من ستر جسمها وتزيينه بجميل الثياب وثمين الحلى . وان ينظر اليها بعين الحقيقة انها إنسان خلق من نفس ذلك الزوج وطبيعته وفطرته . فيعاملها على هذه الانسانية فما لها وعليها ، فلا يرى حسنتها بعين التصغير والتحقير ، وسيئتها بعين التعظيم والتكبير . ويرى نفسه بعكس ذلك . فهذا من الظلم والبغى الذى يقطع ما أمر الله به أن يوصل

وأن يصل مابينه و بين ولاة أمره بطاعتهم فى غير معصية الله ومعاونتهم بالنفس والمال فيما يعود على الأمة بالنفع والخير وما هى بحاجة اليه فى مرافقها العامة. وأن يدعو لهم بالصلاح والاستقامة والسداد .

يقول أبو طاهر ـ غفر الله لهما ـ الآية التى معنا من سورة الرعد وأمثالها مما جاء فى الذكر الحكيم فى هذا الباب، داعية إلى وصل كل ذلك . ومثنية على من يقوم بكل ذلك . وأن من يحافظ على هذه الصلات من أولى الألباب الذين عقلوا عن الله ، وعلموا الحق الذى جاءهم به رسول الله ﷺ واستناروا بنوره ، فرأوا سبيل السلامة والعافية فى

وصل هذا الذى أمر الله به أن يوصل . و بذلوا جهودهم الدائمة فى توثيق هـذه الصلات وتقويتها وصيانتها بالعلم والايمان والعمل الصالح والأخلاق الكريمة والآداب الاسلامية من الضعف والوهن والنكث . وما يمضى عليهم وقت إلا وهم يعملون على توثيقها وتقويتها

و إنه لن يمكن لعبد أن يصل ما أمر الله به أن يوصل من هـذه الحقوق المذكورة سابقاً إلا إذا عرف الله وعدله وسريع حسابه ؛ فاتقاه وخشى عذابه . أما الذين يزعمون بألسنتهم أنهم يعرفون الله ، لأنهم يقلدون فى ذلك آباءهم أو شيوخهم؛ ثم يعتقدون أنه سينجيهم من سيئات عقائدهم وخبث أعمالهم وأحوالهم شفاعة أوليائهم ومشايخهم ، وأنه سيغنيهم من عذاب الله نسب أو سبب إلى هذا الشيخ أو الولى . فأولئك لم يعرفوا الله ولم يؤمنوا به ولا بلقائه وحسابه وعدله فى الجزاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فلذلك تراهم فى شركهم وفسوقهم ومعاصيهم مرتكسين ، ولأوليائهم من الشياطين مستجيبين (يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون) إذا عملوا خيراً ظاهراً فعن رياء وعجب وخيلاء وعادة، وقل أن يعملوا الخير للخير . و إن عملوا سوءاً فبلذة ورغبة و إقبال واستهتار وتبجح ، لا يبالون أمر الله ولا نهيه، ولا يرجون لله وقاراً ، نسأل الله العافية

و إنما يحمل أولى الألباب على توثيق هذه الصلات والقيام بها على وجهها : خشية الله حق خشيته والخوف منه حق الخوف ؛ لأنهم عرفوه فصدقوا وعده ووعيده ، وأيقنوا كل اليقين بلقائه وحسابه وجزائه العدل الذى لا ظلم فيه ولا محاباة .

و يخافون سوء الحساب : أى شدة مناقشة الله لهم فى الحساب ، ثم لا يصفح لهم ولا يعفو عن ذنب . فهم يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا ؛ فهم ينظرون لغد و يستعدون له بالعمل الصالح و يتزودون له بالتقوى خشية من الله وخوفاً من شديد عذابه وعسير حسابه (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون)

ونسوق بعض ماورد عن النبى ﷺ فى وصل ما أمر الله به أن يوصل

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « حق المسلم على المسلم خمس خصال : رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة ، و إجابة الدعوة ،

وتشميت العاطس» زاد مسلم فى حديث آخر «وإذا استنصحك أخوك فانصح له»
وفى لفظ لمسلم عن على «ويحب له مايحب لنفسه، وينصح له بالغيب»

وروى البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»

وروى البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى (رض) عن النبى ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»

وروى مسلم عن عائشة (رض) عن النبى ﷺ «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»

ورويا عن أبى شريح عن النبى ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»

وروى البخارى عن أبى شريح الكعبى أيضاً عن النبى ﷺ «لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه» أى شروره ودواهيه

وروى مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ «لن يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه»

وروى البخارى ومسلم عن ابن مسعود قال «سألت النبى ﷺ: أى العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أى؟ قال: برّ الوالدين. قلت: ثم أى؟ قال الجهاد فى سبيل الله»

وروى مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل: من يارسول الله؟ قال: من أدرك والديه عنده الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة»

وروى البخارى ومسلم عن ابن عمر حديث الثلاثة الذين انسد عليهم الغار، وقد آواهم المبيت، فدعوا الله بصالح اعمالهم فنجاهم الله. فكان منهم الذى سأل الله ببره لوالديه

وروى البخارى ومسلم عن أبى بكرة عن النبى (ص) قال: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ — ثلاثا — قلنا: بلى يارسول الله. قال: الاشراك بالله. وعقوق الوالدين — وكان متكئاً فجلس — فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور — فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت » ورو ياه عن عدة من الصحابة

وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى (ص) قال: « من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يارسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم. يسب أبا الرجل فيسب أباه و يسب أمه فيسب أمه »

وروى الامام احمد وغيره عن معاذ بن جبل قال « أوصانى خليلى (ص) بعشر كلمات قال: لاتشركن بالله شيئاً و إن قتلت أو حرقت • ولا تعقن والديك و إن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك»

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »

ورو يا عن أنس عن النبى (ص) قال: « من أحب أن يبسط له فى رزقه و ينسأ له فى أثره — يعنى فى عمره — فليصل رحمه »

ورو يا عن أبى أيوب « ان أعرابيا عرض لرسول الله (ص) وهو فى سفر. فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها. ثم قال: يارسول الله، أخبرنى بما يقربنى من الجنة و يباعدنى من النار قال: فكف النبى (ص) ثم نظر فى أصحابه. ثم قال: لقد وفق، أو لقد هدى. قال: كيف قلت؟ قال فأعادها. فقال النبى (ص): تعبد الله لاتشرك به شيئاً. وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم. دع الناقة. فلما أدبر قال (ص) ان تمسك بما أمرته به دخل الجنة.».

ورو يا عن عائشة عن النبى (ص) قال « الرحم متعلقة بعرش الرحمن. تقول:

من وصلنى وصله الله . ومن قطعنى قطعه الله »

وروى أبو داود والترمذى عن عبد الرحمن بن عوف عن النبى (ص) قال : « قال الله عز وجل : أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى . فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته »

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم . فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم . أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال فذاك لك . ثم قال رسول الله ﷺ اقرؤا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)

وروى البخارى وأبو داود والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : « ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها »

ورويا عن جبير بن مطعم عن النبى (ص) قال : « لا يدخل الجنة قاطع — يعنى قاطع رحمه »

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله م ؟

محمد حامد الفقى

الذين يتوبون إلى الله على يدى شيخ معين ، ويتلقون منه صيغة معينة : هم بذلك يتبعون سنن الذين يعترفون بذنوبهم بين يدى الكاهن ليغفر لهم خطاياهم . وحاش لله . برىء الاسلام مما يظنون . .

أحاديث الأحكام

﴿ باب الاستجمار والاستنجاء ﴾

١٠٥ — عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « أتى النبى ﷺ الغائط ، فأمرنى أن آتيه بثلاثة أحجار ، فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم أجده. فأخذت روثة فأتيته بها . فأخذ الحجرين وألقى الروثة . وقال هذا ركس » رواه البخارى والترمذى ، وعلله . ثم قال : هذا حديث فيه اضطراب . ورواه الامام احمد والدارقطنى وفى آخره « ايتنى بحجر » وفى لفظ للدارقطنى « ايتنى بغيره »

قال الترمذى : حدثنا محمد بن بشار العبدى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال : سألت أبا عبيدة عن عبد الله : هل تذكر من عبد الله فى هذا شيئاً ؟ قال : لا . قال أبو عيسى : سألت عبد الله بن عبد الرحمن : أى الروايات فى هذا الحديث عن أبى اسحاق أصح ؟ فلم يقض فيه بشىء . وسألت محمد ابن اسماعيل البخارى عن هذا . فلم يقض فيه بشىء ، وكأنه رأى حديث زهير عن أبى اسحاق عن عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه عن عبد الله أشبه . ووضعه فى كتاب الجامع .

قال أبو عيسى : وأصح شىء فى هذا عندى : حديث إسرائيل وقيس عن أبى اسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله . لأن إسرائيل أثبت وأحفظ لحديث أبى اسحاق — جده — من هؤلاء ، وتابعه على ذلك قيس بن الربيع اه

قال أخونا العلامة الشيخ احمد محمد شاكر فى تعليقه على الترمذى : وترجيح

البخارى رواية زهير عن أبى اسحاق أقوى من ترجيح الترمذى رواية اسرائيل عن أبى إسحاق . ورواية زهير موصولة ورواية اسرائيل منقطعة . لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود . وقد أطال الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البارى (ص ٣٤٦ — ٣٤٨ طبعة بولاق) فى بيان طرق الحديث والترجيح بينهما حتى قام الدليل الناصع على صحة مارجحه البخارى . فارجع اليه فانه بحث نفيس دقيق

و« الركس » بكسر الراء وسكون الكاف : شبيه المعنى بالرجيع . قاله أبو عبيد . وقال الحافظ فى الفتح : قيل هى لغة فى « رجس » ويدل عليه رواية ابن ماجه وابن خزيمة لهذا الحديث فانها عندهما « رجس » وهو الشىء الخبيث البالغ فى الخباثة

و« الاستجمار » التمسح بالأحجار مأخوذ من الجمار التى يتمسح بها . وهى الحجارة الصغار . و« الاستنجاء » إزالة النجو ، والنجو النجاسة الخارجة من الدبر وأصل « الغائط » المكان المنخفض من الأرض . سمى به الخارج من الدبر ؛ لأنهم كانوا لايقضون حاجتهم إلا فى الغائط

والحديث يدل على أن المطلوب تنظيف مكان الخارج من القبل والدبر وإزالة الأثر الذى لصق بالعضو من بول وغائط ويكون ذلك التنظيف والتطهير بالحجارة أو مايقوم مقامها من ورق وطين جاف أو نحوه ؛ وبالماء ، وقد كان أكثر مايستعملون الحجارة لأنها أكثر تيسراً فيما كانوا ينتابونه من الخلاء لقضاء حاجتهم ؛ ولم يكونوا يتخذون الكنف فى بيوتهم ، وليس من اليسير أن يحمل ذاهب لقضاء حاجته إداوة ماء أو نحوها ليستنجى بالماء ، وليس ذلك من الأمور اللازمة حتى يتكلف له وان كان شاقاً .

وقد وردت أحاديث بتحديد عدد الأحجار بثلاثة والنهى عن أقل من ذلك . لأن الغالب أن لايتنظف المكان من جميع جوانبه إلا بهذا العدد . روى احمد وابو داود والنسائى والدارقطنى ، وقال : إسناد حسن صحيح — عن عائشة — « إذا

ذهب أحدكم إلى الغائط فليستطب بثلاثة أحجار فإنها تجزئ عنه » وروى ابوداود عن خزيمة بن ثابت أنه ﷺ « سئل عن الاستطابة فقال : بثلاثة أحجار ، ليس فيها رجيع » وروى مسلم عن سلمان الفارسى قال « نهانا رسول الله ﷺ أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو عظم أو أن نستنجي باليمين » وقد شدد الفقهاء الفروعيون وأكثروا من التفريعات والالتزامات بما أوقع كثيراً من ضعفاء العقول فى الوسواس ، ولا داعى لكل ذلك ، فالأمر أيسر مما يظنون ، وقد شدد اليهود فى مثل هذه الامور وتساهلوا فى الأصول والعمليات من عبادة الله والوقوف عند حدوده فغضب الله عليهم ، وماشدد قوم على أنفسهم وضيقوا ماوسع الله ورسوله إلا كان عاقبة ذلك مثل عاقبة اليهود ، والله أبر بعباده وأرحم وهو العليم الحكيم ﴿وما كان ربك نسيا﴾ ، وقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال «مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه مااستطعتم ، فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » وروى الدارقطنى وحسنه النووى عن أبى ثعلبة الخشنى جرثوم بن ناشر عن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها . وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها »

١٠٦ — وعن يعقوب بن كاسب عن سلمة بن رجاء عن الحسن بن الفرات عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ « نهى أن يستنجى بعظم أو روث وقال : انهما لا يطهران » رواه أبو أحمد بن عدى والدارقطنى ، وقال : إسناد صحيح . وقال ابن عدى : لا أعلم من رواه عن فرات القزاز غير ابنه الحسن وعن الحسن غير سلمة ابن رجاء وعن سلمة غير ابن كاسب . وسلمة أحاديثه أحاديث أفراد وغرائب . ويحدث عن قوم بأحاديث لايتابع عليها .

١٠٧ — وروى شعبة عن أبى معاذ ـ واسمه عطاء بن أبى ميمونة ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول « كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام نحوى إداوة

من ماء ، وعَنَزة فيستنجى بالمـاء » متفق عليـه .

«الإداوة» بكسر الهمزة : إناء صغير من جلد : و « عنزة » بفتح العين المهملة والنون: عصا أقصر من الرمح لها سنان . وقيل: هى الحربة القصيرة وهو يدل على ثبوت الاستنجاء بالماء ، وقد أنكره مالك بن أنس رحمه الله ، وأنكر أن يكون النبى ﷺ استنجى بالماء ؛ وقد روى ابن أبى شيبة بأسانيد صحاح عن حذيفة بن اليمان أنه سئل عن الاستنجاء بالماء فقال « إذن لا يزال فى يدى نتن» وعن نافع أن ابن عمر كان لا يستنجى بالماء ؛ وعن ابن الزبير قال « ما كنا نفعله» وذكر ابن دقيق العيد عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن الاستنجاء بالماء فقال « إنما ذلك وضوء النساء » قال ابن دقيق العيد : وعن غيره من السلف ما يشعر بذلك ؛ يعنى كراهة الاستنجاء بالمـاء . قال : والسنة دلت على الاستنجاء بالماء فى هذا الحديث وغيره فهى أولى بالاتباع . قال : ولعل سعيداً رحمه الله فهم من أحد غلواً فى هـذا الباب بحيث يمنع الاستنجاء بالأحجار فقصد فى مقابلته أن يذكر هذا اللفظ لإزالة ذلك الغلو و بالغ بإيراده إياه على هـذه الصيغة . وقد ذهب بعض أصحاب مالك إلى أن الاستنجاء بالأحجار إنما هو عند عدم الماء ، و إذا ذهب إليه بعض الفقهاء فلا يبعد أن يقع لغيرهم فى زمن سعيد رحمه الله . اه

قال ابن القيم رحمه الله فى زاد المعاد : فى هديه ﷺ عند قضاء الحاجة : كان إذا دخل الخلاء قال « اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث ، الرجس النجس، الشيطان الرجيم » وكان إذا خرج يقول « غفرانك » وكان يستنجى بالمـاء تارة و يستجمر بالأحجار تارة ، ويجمع بينهما تارة . وكان يستتر للحاجة بالهدف تارة ، و بحائش النخل تارة و بشجر الوادى تارة . وكان إذا أراد أن يبول فى عِزاز من الأرض ـ وهو الموضع الصلب ـ أخذ عوداً من الأرض فنكث به حتى يثرى ثم يبول . وكان يرتاد لبوله الموضع الدمث ـ وهو اللين الرخو من الأرض ـ وأكثر ما كان يبول قاعداً حتى قالت عائشة « من حدثكم أنه كان يبول قائما فلا تصدقوه . ما كان يبول إلا قاعداً » وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث حذيفة « أنه بال قائما » فقيل : هذا بيان

للجواز . وقيل : فعله من وجع كان بمأبضه ، وقيـل : فعله استشفا . قال الشافعي : والعرب تستشفي من وجع الصلب بالبول قائما . والصحيح أنه انما فعله تنزهاً و بعـداً من إصابة البول، فانه إنما فعله لما أتى سباطة قوم ؛ وهو ملقى الكناسة؛ و يسمى المزبلة وهي تكون مرتفعة ؛ فلو بال فيها الرجل قاعداً لارتد عليه البول ، وهو ﷺ استتر بها وجعلها بينه وبين الحائط ، فلم يكن بد من بوله قائما ؛ والله أعلم • وكان يخرج من الخلاء فيقرأ القرآن ؛ وكان يستنجي و يستجمر بشماله ، ولم يكن يصنع شيئاً مما يصنعه المبتلون بالوسواس؛ من نتر الذكر والنحنحة والقفز ومسك الحبل وطلوع الدرجة وحشو القطن ، ونحس الاحليل وصب الماء فيه ، وتفقده الفينة بعد الفينة ، ونحو ذلك من بدع أهل الوسواس، وقد روى عنه أنه كان إذا بال نتر ذكره ثلاثا ، وروى أنه أمر به، ولـكن لا يصح هذا من فعله ولا أمره ، قال ابو جعفر العقيلي : وكان إذا سلم عليه أحد وهو يبول لم يرد عليـه ؛ ذكره مسلم في صحيحه عن ابن عمر ، وروى البزار في مسنده في هذه القصة : أنه رد عليه ، ثم قال: « إنما رددت عليك خشية أن تقول : سلمت عليه فلم يرد عليّ سلاما ، فاذا رأيتني هكذا فلا تسلم عليّ ، فاني لا أرد عليك السلام»

وقد قيل : لعل هذا كان مرتين ، وقيل : حديث مسلم أصح ، وكان ﷺ إذا استنجى بالماء ضرب يده بعد ذلك على الأرض، وكان إذا جلس لحاجته لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض • اهـ

وقوله « كان إذا استنجى بالماء ضرب يده » يعني لتنظيف يده من الرائحة التي ربما تكون قد علقت بها ، و يقوم في ذلك كل شيء يزيل الرائحة و ينظف اليد من صابون ونحوه ، والله سبحانه وتعالى أعلم • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم •

محمد حامد الفقي

داؤنا ودواؤنا

١١ – الجدال

إذا سار جماعة من الناس فى طريق ضيق فى اتجاه واحد الى غايةمعينة مضوا قدما الى طيتهم لايعوق تقدمهم شىء ، وبلغوا فى الزمن المحدود الغاية التى ولوا وجوههم شطرها وهم مطمئنون .

ولكنهم اذا مشوا فصادفوا فى طريقهم من يسير فى اتجاه مضاد تعثرت خطواتهم ، واصطدم بعضهم ببعض ، وتدافعوا بالراح ، فأبطأوا فى سيرهم ، وعوق بعضهم بعضاً ، وتأخروا عن الوصول الى غايتهم ، وربما كبوا دونها .

ذلك مثل القوم الذين يسيرون فى طريق الحق بفكر واحد ، وعقيدة واحدة ، ورأى جميع .

ومثل الذين يصادفون من يخالفهم فى الرأى ، ويصدهم عن المضى فى شعب الحق بما يقيمه أمامهم من الشبه المغوية ، والفتن المضلة ؛ فيتعثرون فى طريقهم؛ وينفقون كثيراً من قواهم فى صد هؤلاء الذين يعارضونهم أو يعترضون سبيلهم .

الكوكب يدور فى فلكه ؛ ويجرى فى مداره فى حركة مطردة متناغمة لايعترضه مايخل بانسجام سيره ؛ أو يعبث باطراد حركته ؛ فاذا اصطدم بغيره تحطم ؛ وصار هباء منبثاً .

والنهر يجرى فى تسلسل واطراد ؛ فيسقى البلاد ويجعلها خصبة ممراعا ، وترى الفلك مواخر فيه ، فاذا قامت فى سبيله الصخور والجنادل ، واعترضت مجراه السدود والشلالات فربما انبثق البثق العظيم ، فأغرق مايقوم على ضفافه من زروع ورياض ، وحقول وغياض ، وحطم مايجرى فوقه من سفن .

والأداة الموسيقية تطربك بألحانها الشجية؛ وأصواتها الناغمة مادامت مؤتلفة منسجمة ؛ ليس فيها نشوز ولا شذوذ ؛ فاذا شذت نغمة من أنغامها ؛ أو خرجت على قواعد التنغيم والاطراب ؛ أو خالفت عن شريعة الألحان نبا عنها السمع ؛ ومجها الذوق . واستكت لها الآذان . فالانسجام والاضطراد والائتلاف سنة

الحياة ، وسر الوجود وقانون العمران . وبضدها تتميز الأشياء »

اذا تجاذب رجلان أطراف الحديث فى شأن من الشئون التى يدير الناس فيها الحديث فى جو يسوده الودوالصفاءوالرضاءوالاخلاص ،لم يكن حديثهما جدالا، ولم يترك فى نفوسهما إلا أطيب الآثار .

واذا تناقشا أمراً ذا بال يريدان أن يتعاونا على زحزحة النقاب عن وجه الحق فيه لم يكن تقاشهما جدالا ؛ ولم يترك فى قلوبهما إحنة ولا ضغناً .

أما اذا تحاورا وكل يزعم الحق لنفسه ، ويحاول أن ينتصر على خصمه ،وليس لأحدهما هدف إلا أن يفوز بالظفر عد حوارهما جدالا ومراء ونزاعا وترك فى نفس كل منهما آثاراً سيئة أقلها النفور والاعراض والاشمئزاز والجفاء .

ولعلى بهذه الكلمات أكون قد رسمت للقارىء صورة للجدال ، وأغنيته عن إطالة النظر فى الحدود المنطقية التى تدير الرءوس وتفتقر الى إنعام النظر ؛ وتعميق الغوص على ماتنطوى عليه من معان .

هذا الجدال عامل من أقوى عوامل الهدم التى مزقت شمل الأمة الاسلامية وصدعت بنيانها ، وقطعت أواصرها ؛ ووقفت فى سبيل تقدمها ، ودفعت فى صدرها وألجأتها الى أن ترجع وراءها ؛ وتسير القهقرى ، حتى تردت فيما هى فيه من تخلف وعجز وضعف واستسلام .

جاء الاسلام ليجمع الناس على الهدى ؛ ويزيل من بينهم أسباب الخصام والشحناء . ويدعوهم جميعاً الى الاعتصام بحبل الله ونبذالتفرق والخلاف فأثمرت دعوته ثمرتها ، وآتت أكلها ، ودخل المسلمون فى السلم كافة ؛ وألف الله بين قلوبهم ، ونزع مافىصدورهم من غل، وصاروا إخوة متحابين مؤتلفين: يشدبعض أزر بعض ، ويتعاونون على البر والتقوى ؛ لاتفرقهم الأهواء ؛ ولا يباعد بينهم اختلاف الآراء..

ومضت الأمور على أذلالها حياة النبى صلى الله عليه وسلم وحياة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ثم صارت الأمور الى عثمان رضى الله عنه وكان فيه لين ورحمة وقد اجتهد فى أمور رأى بعض المسلمين فيها غير رأيه ؛ فكانت موضع جدال بين المسلمين : منهم من يرى رأيه ، ومنهم من يخرج عليه . وأخذ الجدال يحتد ويشتد ، ويترك فى النفوس أثره العميق ؛ ووجد الشيطان مكان الكيد

ذا سعة ، فأجلب بخيله و برجله ، وانتهت الفتنة التى أثارها الجدال الى قتل هذا الشهيد المظلوم .

ولم تقف الفتنة عند هذا الحد ؛ بل انقسم المسلمون بسببها فئتين : فئة تناصر علياً وتشايعه . وفئة تؤيد معاوية وتؤازره . وكل فئة ترى أنها هى على الحق . وأن غيرها فى ضلال مبين ، فتصدعت الالفة ؛ وتفرقت الكلمة ، ووهن البناء . وظفر الشيطان ببغيته . وأدرك أمنيته . ومد لهم فى أسباب العداوة والبغضاء .

ومضت أيام (على) نضر الله وجهه فى حروب طاحنة أريقت فيها دماء زكية . و زهقت نفوس طاهرة ، وأصبح بأس المسلمين بينهم شديداً . وسكنت حركة الفتوح لان قوى البناء انصرفت الى الهدم . وأفضت هذه الفتنة الشعواء الى قتل على رضى الله عنه وتولية ابنه الحسين . وقد أراد الله أن يصلح به بين الفئتين فنزل عن الملك لمعاوية بن أبى سفيان رغبة فى الاصلاح . وحقناً للدماء . وحرصاً على أن يعود السلم بين المسلمين فوضعت الحرب أوزارها وقرت السيوف فى أغمادها والسهام فى كنائنها والرماح فى مراكزها . ولكن حرب الألسنة لم تسكن و إن سكنت حرب الأسنة . فان الجدال لم ينقطع . والخصومات الكلامية لم تهدأ وفى ظلام هذه الفتن نشأ التشيع والخروج والاعتزال .

ودار الفلك دورته وأراد مداول الأيام بين الناس أن ينتقل الملك الى بنى العباس وقد اصطنع هؤلاء علماء الفرس وأسنوا أقدارهم وفتح المأمون باب الجدال على مصراعيه فدخل الناس فيه أفواجا وأقبل العلماء على المناظرة والجدال وأكثروا من القيل والقال ووسعوا مسافة الخلف بين المسلمين وسرت العدوى الى الفقهاء فأكثروا الجدال فى الفقه وبيان أحق المذاهب بالاتباع . واشتد الخلاف بين أتباع أبى حنيفة وأتباع الشافعى وأثاروا بينهم حرباً كلامية شعواء وأيقظوها فتنة عمياء صماء . ونشأ مذهب زيد وأحمد فى جزيرة العرب ، ومذهب مالك فى المغرب ومذهب جعفر فى بلاد الخزر وفارس وتركت مذاهب أخرى فاندثرت ودرست معالمها .

ثم أكثر العلماء من التأليف وكل يريد أن يبدى ماعنده ليظهر فضله ، وينال حظه من دنياه ، وكل يزعم أنه ليس له من غاية إلا استنباط دقائق الشرع ؛ وتقرير علل المذاهب فتزاحموا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً ورد بعضهم على بعض .

وفشا الجدال بين رجال الدين من الرؤساء وعشاق الرياسة ، وصار أحدهم اذا قال قولا أو أبدى رأيا فأخطأ فحرص عالم آخر على أن يرده الى الصواب انبرى لتصحيح قوله ، والدفاع عن رأيه ، وتخطئة خصمه ؛ وأخذته العزة بالاثم ورأى الموت أهون عليه من الاعتراف بالخطأ والرجوع الى قول أخيه فى العلم والدين .

وكان من العلماء قوم صالحون غافلون شاركوهم فى الفتنة وهم لايشعرون ، فاتسعت دائرة الأحكام وعجز الخلف عن الفروع فضلا عن الرجوع الى الأصول واطمأنت الامة الى الاقتداء والمحاكاة

لو أن ضرر الجدال وقف عند هذا الحد لهان خطبه وخفت البلوى به واحتملت مصيبته ولكنه تغلغل الى القلوب فأفسدها ، وولج فى النفوس فغير ما بها . وندر أن ترى متجادلين يقومان من مجلسهما إلا وهما متباغضان ، يظن بعضهم ببعض السوء ؛ ويتهم بعضهم بعضاً بفساد العقيدة أو قلة الفهم ، أو أفن الرأى أو الغباء أو التعصب أو الجمود او ماماثل هذه الوصمات التى يصم بها المتجادلون بعضهم بعضاً . حتى تفرقت الأمة وتقطعت أوصالها وذهبت منتها ، واعتراها الفشل والوهن .

الحلال بين والحرام بين فعلام الجدال ؟

وبينهما أمور مشبهات فالورع يقضى بتركها ولا جدال .

حد الشارع حدوداً واضحة المعالم فلا ينبغى أن نتعداها .

وترك الشارع أموراً لم يتركها غفلة ولا نسيانا ؛ فلا ينبغى أن نتكلفها ولا أن نثير حولها جدالا

دع ما يريبك الى مالا يريبك واجتنب الجدال تحسن الى نفسك والى أمتك والى دينك وتنج من شرور هوجاء

نضر الله وجوه الرعيل الأول من علماء المسلمين ، وبرد مضاجعهم وأفاض عليهم سحائب رحمته وأحلهم دار المقامة من فضله ، وجعل الفردوس نزلهم ومثواهم . كانوا يتعلمون العلم ليعملوا بما تعلموا منه ، وليهدوا به الضال ؛ ويرشدوا الحائر ؛ ويفتوا المستفتى لا ليجادلوا به ولا ليستطيلوا على الناس ولا ليتخذوه حرفة ومرتزقا . ولا ليفرضوا على الناس جزية احترام وقدر حتى يتمثلوا لهم قياما ، ويبتدروا أيديهم لثما وتقبيلا .

لم يكد يمضى هؤلاء لطيتهم حتى نجمت نواجم نفاق ، وظهر فى الناس منافقون يتعلمون العلم الدينى لا لينير طريقهم الى الله ؛ ولا ليرشدهم الى موجبات رحمته ، ولكن ليتخذوه ذريعة الى الازدلاف الى الخلفاء والولاة والامراء وليكون لهم طعمة ومرتزقا .

أولئك هم الذين بذروا بذور الفتنة وأولئك هم الذين غرسوا أشواك الجدال وفتحوا أبواب المراء وعملوا على أن يقطعوا أواصر المسلمين ويمزقوا وحدتهم ، ويشتتوا ألفتهم ويورثوهم الخبال وهم يعلمون .

ماذا لقى المسلمون من الجدال ؟

تفرقوا طرائق قدداً وأصبح كل فريق حربا على الآخر يتربص به الدوائر .

ماذا دعا الى أن يفترق المسلمون ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة تستمسك بما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟

ليس من شك فى أن الجدال من أكبر بواعث هذا التفرق فقد نشأ عنه تشعب الآراء وتفرق السبل والبعد عن صراط الله المستقيم . والحال التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليها أصحابه رضوان الله عليهم هى الايمان والتسليم وطلب العلم للعمل ليس غير .

روى البخارى من حديث طلحة بن عبد الله قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه مايقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات فى اليوم والليلة . فقال : هل علىّ غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام رمضان . قال هل على غيره ؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة . قال هل على غيرها؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص قال رسول الله أفلح إن صدق .

فهذا أعرابى ثائر الرأس لا يكاد يبين ضمن له رسول الله الفلاح إن صدق وما الفلاح إلا أن يفوز بجنات النعيم . لقد كان سؤاله تعلماً وقد أخذ على نفسه أن يعمل بما علم فلم يكثر من السؤال ولم يجادل فى الحق بعد ماتبين ولم يقل مثلا : لم كانت الصلوات خمساً ؟ ولم كانت فى هذه الأوقات خاصة .. لأن هذه أسئلة

الذين لايريدون ديناً ولا يقيناً ولا إيمانا ولا تسليما . انما يريد أن يكون الدين فلسفة وجدالا ومراء وقلوبهم منه هواء

وروى الامام البخارى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : طرقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألا تصلون ؟ فقلت يارسول الله. انما أنفسنا بيد الله فان شاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ذلك ولم يرجع اليه شيئاً ؛ ثم سمعه وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقرأ : وكان الانسان أكثر شىء جدلا .

عد رسول الله صلى الله عليه وسلم إجابته هذه جدلا . لأنهم لوشاءوا الصلاة لأعدوا لهـا عدتها ، وأعدوا أنفسهم لهـا . وما ضرب رسول الله فخذه إلا عجباً وإنكاراً لهذا الجواب الجدلى الذى أجاب به على رضى الله عنه ، وحاول أن يدفع به عن نفسه لومة نومه ونوم أهـله عن صلاة الليـل ، وهم أهل بيت النبوة وقدوة المسلمين .

هذا داؤنا .

أما الدواء فالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله وترك الشغب والجدال .

الدواء أن نستمسك بأصول ديننا ، وأن نعتصم بحبل الله جميعاً وألا نستجيب لدعاة الفتنة وأبواق الضلالة .

الدواء أن نعلم أن الجدال باب من أوسع أبواب الضلالة وأنه ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل .

الدواء أن ندع الجدال جانباً وان جادلنا فبالتى هى أحسن.

وذلك أننا لانجادل رغبة فى الانتصار وحرصاً على أن يكون لآرائنا الغلب . بل نحرص أن يكون سؤالنا سؤال من يريد أن يقف على الحق ، ويهتدى الى وجه الصواب ، فذلك أحرى أن يحمل من يناقشنا على التسليم ولا ينفره من الحق . فكل نفس بكرامتها ضنينة ، وكل امرىء على عزته حريص . والرفق فى كل أمر طريق النجح ووسيلة الظفر .

نسأل الله أن يجمعنا على الهدى ويلزمنا كلمة التقوى ويجعلنا أحق بها وأهلها

أبو الوفا محمد درويش

الرقص والطيب للنساء

قرأت إجابة الأستاذ العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية على استفتائكم (مجلة آخر ساعة) عن الرقص الذى ابتليت به بلادنا وأخلاقنا، ثم عجبت إذ قرأت استفتاءكم للاستاذ ... الحكيم فيما أفتى به المفتى ! وأسفت إذ وجد فيمن يتسمون بالأسماء العربية والأسماء الاسلامية من يكتب مثل ما كتب الاستاذ ... الحكيم .

فان العلامة المفتى أجاب بما هو معروف معلوم من الدين الاسلامى بالضرورة ، وهو ماتقتضيه الفطرة العربية السليمة ، من غيرة الرجال وعزة نفوسهم ، والمحافظة على أعراض نسائهم ، أن لاتنتهبها الأنظار ، وأن لاتمتد اليها الأيدى العابثة . ولن تجد رجلا سليم الفطرة يرضى أن تخاصر ابنته أو أخته ، بل أو امرأة أجنبية عنه ؛ رجلا يدور بها كالحيوان ولو لم يرهما أحد ،فضلا عن أن يرضى بذلك فى حفل جامع ؛ يجمع العابثين والمتهتكين ، تدار فيه الخمور ، وتثار فيه النفوس ، وتتحكم الشهوات ؛ مهما يصور المصورون هذا العمل بطور فنية جميلة ، ومهما يدع الداعون اليه بأنه أمارة الرقى ، تقليداً للمدنية الحديثة ، زعموا !

والمسلمون جميعاً يعلمون علماً لايتطرق اليه الشك أن الله حرم على النساء أن يبدين زينتهن إلا لأزواجهن ولعدد محدود منصوص عليه من أقاربهن يسمون فى العرف الاسلامى « المحارم » وهم يسمعون القرآن يتلى عليهم فى كل حين فيسمعون قول الله : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون* وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو

الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن ؛ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » وليس بعد هذا البيان بيان .

فمن آمن بهذا ورضى به وخضع له قولا وعملا واعتقاداً فهو المسلم ، ومن أبى وزعم أن له أن يفتى فى الدين بما شاء له هواه ، أو بما شاء له مارآه فى أمم أخرى ودعا إلى ذلك فهو شىء آخر ، يجب أن يعرفه المسلمون ويحذروه ، وأن ينكروا عليه أن يقول كما قال الاستاذ . . . الحكيم « إن تأمل المرأة الجميلة صلاة لله ؛ واستنشاق العطر الجميل صلاة ، عبادة » ! ! يجب أن يقول له الناس : إن تأمل المرأة الجميلة حرام منكر ، لأن الله أمر الرجال أن يغضوا من أبصارهم ، بنص القرآن ، وأن يقولوا له : إن الدعوة إلى مخالفة نص القرآن تخرج المسلم من الاسلام .

أيها المسلمون ! يجب أن تقولوا هذا قولا صريحاً واضحاً لكل من دعاكم إلى انتهاك حرمة دينكم ، وأنتم تعرفون من كتابكم أن الله لعن أمة من الأمم بأنهم (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) وتعرفون أن نبيكم الكريم قال : « إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب »

ومن عجب أن يجرؤ الاستاذ . . . الحكيم فيصف تأمل المرأة الجميلة بأنه صلاة ، وهو عند المسلمين وفى شرعة الاسلام زنا . وقد قال رسول الله « زنا العينين النظر ؛ وزنا اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » . وما أظن أن مسلماً يجهل هذا من دينه .

وأعجب من هذا أن يخطىء الأستاذ . . . الحكيم معنى الصلاة فى الشريعة الاسلامية ، وأنها أقوال وأفعال بصفة وهيآت معروفة وركوع وسجود ؛ ويفهمها على معنى الصلاة التى يقرؤها فى الروايات الافرنجية !

ولست أدرى ماذا يقول المسلمون فى شأن هذا الكاتب وهو يستدل بالحديث الشريف « حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة »

على إنكار أن يكون تعطر المرأة فى غير البيت زنا وعلى أن تأمل المرأة الجميلة عبادة! بلى إنى أدرى، وإن الاستاذ . . . الحكيم يدرى، وإن كل مسلم يدرى، ولكنه وأمثاله يدعون إلى شيء يعملون له جاهدين .

أرأيتم أيها الناس أعجب من رجل لايعرف بديهيات الاسلام، ثم يرى نفسه موضعاً للاستدراك على الاستاذ العلامة الحجة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية، ويرى نفسه أهلا للرد عليه والافتاء بغير فتواه !! بل إنه لايرد على الاستاذ المفتى وإنما يرد على السنة النبوية نفسها، لأن الاستاذ العلامة المفتى يقول « وقد جاء فى السنة أن المرأة إذا خرجت من بيتها متعطرة فهى زانية » فيقول الاستاذ ... الحكيم بجرأته « أنا لا أرى هذا ولا أعتقد ان الشريعة الاسلامية تقرره، لأن فى الروائح الزكية نشوة شعرية لاشهوانية » ولكن لعل عذره أنه أخذ الشريعة من باريس ؟ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية » فهذه هى السنة التى أشار اليها العلامة المفتى، وهذه هى الشريعة الاسلامية التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفنأخذ بها أم نأخذ بالشريعة التى يريد أن يضعها الاستاذ ... الحكيم وأمثاله ؟ ! اللهم غفراً

ورحم الله من قال: « لو سكت من لايعلم عما لايعلم سقط الاختلاف » .

أحمد محمد شاكر

قال الامام علىّ لرسول الله ﷺ « إن فاطمة جرّت عندى بالرحى حتى أثرت فى يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها، وكسحت فى البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها . وبلغنا أنه أتاك رقيق أو خدم فقلت لها سليه خادما » فقال ﷺ « ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين . فهو خير لكما من خادم »

فى تعليم النساء وصلاتهن فى المساجد

رغب إلىّ أخ كريم أن أكتب كلمة موجزة فى تعليم النساء الدين مع الرجال ، ومشاركتهن إياهم فى الصلوات والتعلم فى المساجد وما إلى ذلك . ورأيت أن الإبانة عن الحق الموافق للشرع فى هذا واجبة ، بأن كثيراً من الناس يخطئون فهم شرائع الاسلام فى المرأة ، ويخدعون بما يتأول بعض الكتاب والدعاة نصوص القرآن والسنة ، وما ينكر بعضهم من بديهيات الاسلام المعلومة من الدين بالضرورة . والله المستعان

فأساس البحث فى هذا كله وجوب تعليم المرأة كتعليم الرجل سواء بسواء ، والمراد بالتعليم تعليم ما يجب معرفته من شؤون الدين والفقه فيه حتى يعرف الرجل والمرأة ما يأتى وما يدع وما وجب وما حرم ، وكيف يؤدى ما أمره الله بأدائه ، وهذا يختلف باختلاف الزمن واختلاف البيئة ، ولكن الضرورى لكل إنسان مفهوم بداهة . وليس فى هذا أدلة خاصة بل هو من عموم الأدلة التى لم تخص رجلا أو امرأة . وقد وردت أحاديث فى تعليم المرأة بهذا المعنى . منها حديث أبى موسى الأشعرى فى البخارى أن رسول الله قال « ثلاثة لهم أجران » فذكر منهم « ورجل كانت عنده أمة فأدّبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران » وحديث ابن عباس فى البخارى أيضاً « أن رسول الله خرج ومعه بلال فظن أنه لم يُسمع النساء ، فوعظهن وأمرهن بالصدقة » الخ وذلك فى صلاة العيد فى

المصلى - أى بالصحراء . وقد عرف من النساء بالعلم والفتيا كثيرات جداً ، أعظمهن شأناً عائشة أم المؤمنين وغيرها من الصحابة كأم الدرداء ومن التابعين وغيرهم . وأما الاجازات العلمية فانها لم تكن معروفة ولكن فى تواريخ المحدثين ذكر كثير من النساء العالمات بالحديث الراويات له عن شيوخهن ورواه عنهن تلاميذهن .

وكل هذا مبنى على شيء آخر مهم جداً وهو الحجاب ، أى أن النساء كن يتلقين العلم أو يعامن غيرهن وهن محجبات ، الحجاب الواجب على كل مسلمة ، والذى يدل عليه القرآن والحديث والعمل المتواتر . وأما التهتك العصرى الذى يريد المجددون - أو المجردون الهدامون - تأويل نصوص الاسلام إليه ، فانه إشاعة للمنكر ، ومن دعا إليه وزعم أنه مطابق للاسلام فقد خرج من الاسلام ، لأنه ينكر الشيء المعلوم من الدين بالضرورة ، ونقول هذا ونحن نعرف معناه ونقصده ، أياً كان الشخص الذى يطبق عليه ، لا نقصد إلى الطعن فى أحد بعينه . فلا يجوز لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن يظهر منها غير وجهها وكفيها . ولا يجوز لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يأذن لامرأة له عليها سلطان بغير هذا ، ولا أن يرضى للنساء بغير هذا . وفى هذا تتفاضل عزائم الرجال .

والثابت من الأحاديث الصحيحة التى لا خلاف فيها أن النساء كن يصلين الجماعات مع الرجال فى المساجد وكذلك الجمعة والعيدان ، ولهن مقام خاص بهن فى آخر المسجد فى صفوف وراء صفوف الرجال ، وأنه لا يجوز

لهن الصلاة فى صفوف الرجال . وكان رسول الله ينهى الرجال عن منعهن من المساجد ويأمر الرجل أن يأذن لامرأته بالذهاب الى الصلاة إذا أرادت . وكن يتلقين العلم فى المساجد بالضرورة ، إذ يسمعن الموعظة فى الخطبة فى الجمعة والعيدين كما سبق فى حديث ابن عباس . وكن يذهبن إلى المساجد لاستفتاء النبي ثم أصحابه من بعده ثم العلماء ، فيما ينوبهن من مواطن السؤال . أما الاختلاط الحديث كما فى الجامعة مثلا فانه شىء غير جائز ، وليس من دين المسلمين .

وأما الإمامة الكبرى ، أعنى إمامة الحكم والسلطان وولاية القضاء ، فانها لاتجوز للمرأة أبداً ، وإن خالف فى بعض تفصيل ذلك بعض الفقهاء ، لقوله عليه السلام : « لن يفلح قوم وَلَّوْا أمرهم امرأة » . وأما الإمامة الصغرى ، أى إمامة الصلاة ، فانه لايجوز للمرأة أن تؤم الرجال قطعاً ، ولكن يجوز لها أن تؤم النساء عند بعض الفقهاء ، والأفضل أن يصلين فى المساجد فى جماعة الرجال فى صفوف خاصة بهن .

أحمد محمد شاكر

كان ﷺ يقول فى دبر كل صلاة مكتوبة « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت . ولا ينفع ذا الجدّ منك الجد »

(تنبيه) قال الحافظ فى الفتح : اشتهر على الألسنة فى الذكر المذكور زيادة « ولا راد لما قضيت » وهى فى مسند عبد بن حميد . لكن حذف قوله « ولا معطى لما منعت »

من صور الحياة المصرية

٣٣ — حول فتوى الرقص

فى العدد الماضى من (الهدى) نشرت فتوى حضرة صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية فى الأسئلة الثلاثة التى وجهها اليه الأستاذ محمد نزيه المحرر بمجلة آخر ساعة وهى:

(١) هل الرقص الافرنجى الذى يشترك فيه الرجل مع المرأة يخالف الدين الاسلامى

(٢) وما حكم الشرع الشريف فى المرأة التى ترقص مع أجنبى عنها وفى الرجل الذى يرقص مع أجنبية عنه.

(٣) وما حكم الدين الاسلامى فى الرجل الذى يرقص مع امرأته على مرأى من الناس

ولقد أجاب فضيلة المفتى – كما علم القراء – عن هذه المسائل بحكم الله ورسوله فيها بحيث لا يسع من كان فى قلبه ذرة من إيمان إلا الرضوخ لهذا الحكم نزولا عند قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا) ولكن حضرة المستفتى أبى إلا أن يعتبر هذه الفتيا – التى هى حكم الله ورسوله لا حكم الشيخ عبد المجيد سليم الذى ليس له فيها إلا الحكاية الأمينة والنقل الصادق – حكماً ابتدائياً يجوز استئنافه فى محكمة توفيق الحكيم أو محكمة الذوق السليم !! التى ما كادت تعرض عليها القضية حتى أصدرت فيها حكما مستعجلا، نقضت به حكم الله ورسوله.

فقد نشرت مجلة آخر ساعة فى عددها الصادر فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٣ مناقشة جمعت بين السائل وبين توفيق الحكيم تحت عنوان (الرقص والتعطر – توفيق الحكيم يرد على فضيلة المفتى) عرض بها الأول على الثانى جواب فضيلة المفتى على أسئلته مستوضحاً رأيه فيها.

أما وقد اطلع قراء (الهدى) على الحكم الذى أصدرته محكمة أول درجة - بحسب تقدير السائل - فكان لزاماً أن يطلعوا على الحكم الاستئنافى ليعلموا غربة الاسلام الحقيقية لا فى جهل السائل ومن لف لفه من تلامذة المدرسة الحديثة بشىء من أوليات أوامر الدين وهو تحريم هذه الخالقة ، حالقة الدين والأعراض والآداب فحسب ، ولكن ليعلموها و يلمسوها فى استئنافه حكم الله ورسوله إلى مثل توفيق الحكيم !! و إلى القراء مادار بينهما بنصه :

(الرقص والتعطر - توفيق الحكيم يرد على فضيلة المفتى !)

قلت لتوفيق الحكيم : — ألا ترى مع فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية أن الرقص الافرنجى حرام ؟

فقال : إن فضيلة المفتى اختصاصى أو اخصائى فى معرفة الحلال والحرام من الجامعة الأزهرية . أما أنا فأرى ان الرقص الافرنجى الحالى شىء لايتفق مع الآداب والأخلاق والأذواق .

ومهما يقل المدافعون فلا شك أنه مثير للاحساسات الوضيعة بما فيه من تطويق الخصور وتلامس الخصور والتفاف السيقان إلى آخره . ولا يمكن أن يكون ذلك رياضة بريئة

لا أستطيع أن أتصور رجلا وامرأة يرقصان الرقص الافرنجى معاً ، وفى جسديهما حرارة الخمر غالباً ، وحماسة الحركة الدائمة ، وكل شىء فى الجسمين يتلامسان و يتلاصقان ثم لاتثب إلى ذهنى معانى الاثم والرذيلة ، الاثم المنظم والرذيلة السافرة

الرقص المباح

و إذا كان لابد من الرقص الافرنجى فلا بأس من رقص القرن الثامن عشر ، حيث كان الرجل والمرأة حينما يرقصان لايتلامسان إلا بالأيدى ، الأيدى المختفية وراء القفاز ، بينما تتباعد الاجسام مسافة امتداد ذراعى كل من الرجل والمرأة ،

فيكون بين الجسمين متران على الاقل . هذا رقص لطيف و برىء . أما أن يضحك الراقصون والراقصات على ذقوننا و يقولون ان الرقص الحالى رياضة فشىء لايجوز

مشاهدة الرقص جريمة

قلت : وهل يكون « ديوثا » من يشاهد الرقص الافرنجى ؟ و« الديوث » هو من لاغيرة له كما قال فضيلة المفتى

فقال : — اننى أنظر إلى المسألة من ناحية الذوق السليم ولا دخل لى بالديوث وغير الديوث . وفى رأيى أن الذى يشاهد الرقص الافرنجى فى هيئته الحاضرة هو من المشجعين عليه. ولو أنه تتبعه بدقة وبالتفصيل لا بالجملة • أى بأن يقصر ملاحظته على راقص وراقصة فقط ؛ لرأى مناظر مخجلة،بالرغم من حرص الراقصين على إخفاء هذه المناظر ؛ ولظهر له أن هذا الرقص عيب لايجوز أن يطلع عليه أحد

ولو أننا أحضرنا رجلا ريفياً أو صعيديا وجعلناه يشاهد الرقص لأول مرة لرأينا منه عجباً • سيضرب كفاً بكف ، وسيحكم بأنه لايرى شيئاً بريئاً بل يرى الرذيلة فى أقبح مظاهرها• ولو رضى بتتبع الرقص فلا شك فى أن إحساساته الدنيا ستثور ! والواقع أن مشاهدة هذا الرقص تقتل الغيرة وتضعف الرجولة ، وتبعث الجرأة فى المرأة ، الجرأة والاستهتار والاستهانة بالرجال

عطر المرأة عبادة !

قلت : — يقول فضيلة المفتى إن المرأة التى تخرج إلى الطريق متعطرة تعتبر « زانية » فما رأيك فى هذا ؟

فقال : ـ أنا لا أرى هـذا ولا أعتقد أن الشريعة الاسلامية تقرره .. لأن فى الروائح الزكية نشوة شعرية لا شهوانية

إن رائحة التفاح تبعث النشوة والفرح ، ولا يمكن أن تثير فى النفس أى إحساس آثم ... وروائح الأزهار المختلفة تهدىء الأعصاب وتزيد المرأة جمالا . . جمالا بريئاً

يزيدنا سروراً بالحيـاة وتسبيحاً بحمد الله . . . ولو صح أن العطر الذكى فى المرأة إثم لكان جمال وجهها إثم أيضاً !

ينبغى أن نعترف بأن جمال المرأة لايثير الاحساس الحيوانى ، ولـكن الخلاعة والاغراء هما اللذان يثيران هذا الاحساس . وليس العطر إلا نعمة من نعم الله التى تشهد بقدرته وتدعو إلى التسبيح له . والمرأة الجميلة — لا الخليعة — التى ينبعث منها العطر الجميل ، منظرها ورائحتها كلاهما هذه المرأة أو هذا الجمال يزيدنا إيمـانا بالله و إعجابا بقدرته

سؤال لفضيلة المفتى

وفى الحـديث الشريف : « حبب إلىّ من دنياى ثلاث : النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » فـكيف يكون تعطر المرأة فى غير البيت زنا !.

إن تأمل المرأة الجميلة صلاة لله ، واستنشاق العطر الجميـل صلاة ، عبادة . .
و إذا كان تعطر الرجال حلالا فليس معقولا أن يكون تعطر النسـاء حراما . . بل يجب أن تتعطر النساء قبل أن يتعطر الرجال .

ولنفرض ان امرأتين مرتا بفضيلة المفتى ، وكانت إحداهما قبيحة الرائحة والأخرى حسنة الرائحة ، فهل يفضل الأولى على الثانية ؟ . لا . إنه ولاشك سيلعن الأولى ولو بقلبه وسيترك الثانية من غير لعنة على الأقل

إن المقصود بالتعطر هو ان تكون رائحة المرء ذكية فى أنوف الناس . أما أن تتعطر المرأة فى بيتها فقط فلا يشم رائحة العطر أحد فلا داعى له

العنبر والصندل

والمرأة الجميلة كالزهرة الجميلة . و إذا كان للزهرة الجميلة شذى لـكانت أجمل وأدعى إلى التسبيح بقدرة الله ، وكذلك المرأة الجميلة المتعطرة

هذا إذا كان التعطر بالعطور الرقيقة الحديثة مثل « الشانل » و « ريان كى توا »

أما العنبر والصندل وغيرهما مما يخدر الأعصاب ويضعف الشاعرية فلا شأن لنا بها . اهـ

وأنا أعرف والناس يعرفون أن المسئول من طائفة لا تتقيد بنص ولو كان قرآنا صريحاً ، أو حديثاً صحيحاً ، فاستمع إليه إذ يقول في جوابه على أحد الأسئلة (إنني أنظر إلى المسألة من ناحية الذوق السليم ولا دخل لي بالديوث وغير الديوث أ لخ) وترجمة هذا الكلام باللغة الفصيحة ليست إلا إهدار الشريعة وما جاءت به من أحكام وآداب . فلو أن الرقص بصورته الراهنة وافق ذوقه السليم لأباحه كما أباح رقص القرن الثامن عشر (حيث كان الرجل والمرأة حينما يرقصان لا يتلامسان إلا بالأيدي ... إلى آخر ما جاء من حديثه في هذا المعنى .

وإنك لتلمس في ثنايا حديثه عداوة ذوقه السليم للدين أشد العداوة حتى في الأمور التي يتوافقان فيها . فاستمع اليه إذ يقول في مفتتح حديثه :

إن فضيلة المفتي اختصاصي أو اخصائي في معرفة الحلال والحرام من الجامعة الأزهرية ، أما أنا فأرى أن الرقص الافرنجي الحالي شيء لا يتفق مع الآداب والاخلاق والأذواق أ لخ . وماذا قال فضيلة المفتي غير هذا ؟ إلا أنه عزا قوله إلى الدين الذي ينهى عن الفحشاء . ونسب هو رأيه إلى ذوقه السليم أنفةً منه واستكباراً عن نسبة رأي يصدر منه إلى كتاب أو سنة ، لئلا يوصم بالرجعية وتزايله صفة التجديد .

وصدق الله : (أفمن زُيّنَ له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، إن الله عليم بما يصنعون)

وكان يمكن أن يلخص شطر حديثه الذي استهجن فيه نوعا من الرقص باقرار فضيلة المفتي على فتواه ولو بقوله : إن الذوق السليم يتمشى مع الدين في هذا ؛ ولكن أبى عليه تطاول الاقزام وكبرياء المعدمين إلا أن يظهر بمظهر المستقل الرأي الذي أتى فيه بشيء جديد ، لا يهمه خالف فيه دين الله أو وافقه . فلا يغترنّ القارىء بما جاء في صدر حديثه من استهجانه لبعض ألوان الرقص . فانما دعاه إلى ذلك ذوقه السليم ،

الذى جعل الرقص عِضـين ؛ أجاز منه لوناً ومنع لونا .

وبالرغم من أن محكمة (الذوق السليم) تعمدت الاستقلال عن حكم الشرع فى استهجانها لنوع من الرقص عملا بمبدأ (استقلال القضاء الحديث) أو ترفعاً عن مسايرته والظهور بمظهر الواقف عند حدوده فان خطبها كان يهون لولم يخالف قاضيها بعد ذلك حكم الدين فى خروج المرأة متعطرة مخالفة المستهتر الهازىء ، وذلك إذ يقول فى حديثه عندما سئل عن رأيه فيما يقوله فضيلة المفتى: إن المرأة التى تخرج إلى الطريق متعطرة تعتبر زانية. قال: أنا لا أرى هذا ولا أعتقد أن الشريعة الاسلامية تقرره لأن فى الروائح العطرية نشوة شعرية لا شهوانية الخ . أما أنه لا يرى هـذا فحق، لأن مايراه معروف غير مجهول وإن كان فى المنزلة التى وصف بها الشاعر بعض الأدعياء :

يقولون هـذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند ؟

وأما أنه لا يعتقد أن الشريعة الاسلامية تقرره فهذا هو الافتيات بعينه والتبجح الذى ليس وراءه وراء ، إذ أن كل مسلم بل كل عاقل يعلم أن احكام الشريعة تتمشى مع المصلحة العامة لا مع الشهوات الفردية قطعاً لدابر الفساد ، لأن المرأة التى تخرج متعطرة متبرجة بزينة كدأب نساء اليوم من أكبر دواعى الفتنة وأقوى أحابيل الشيطان ، وقد سماها الشرع زانيـة تهويلا لصنيعها الذى هو مفتاح الزنا ؛ ولا شك ، لأن الزنا ليس هو وقوع رجل على امرأة كما تفعل الحيوانات فى سفادها من غير مقدماته المغرية كالنظر والحديث والخلوة وغيرها .

وأرى أن مناقشة هذه النقطة البدهية مضيعة للوقت بدون جدوى إذ أن اصحاب الفكر المستقيم — لا الذوق السليم — مؤمنون بها كل الايمان . أما هذه المغالطات التى أراد أن يدعم بها نظريتـه حيث يقول : « إن رائحة التفاح تبعث النشوة والسرور ولا يمكن أن تثير فى النفس أى إحساس آثم الخ فهى سفسطة لا تغنى من الحق شيئاً والله أعلم بمصلحة عباده من توفيق الحكيم وأكرم من أن يكل شئونهم لذوقه السليم !! فأمر المرأة بالاستقرار فى بيتها وقصور طرفها على زوجها حتى تخلص

له ولما تنجب من ولد ولا يتوزع قلبها بين المعارف والاخوان فتنفسد وتفسد وفى ذلك الشقاء والفوضى بأتم معانيها ولم يكن ثمة أهل عصر :هم أتقى لله من عصر النبوة ولا نساء هن أعف ولا أحصن من نساء رسول الله ومع ذلك لم يكلهن الله إلى تقواهن وعفتهن ولم يبرىء عصر النبوة من مرض القلوب فأمرهن بالحجاب والجد فى القول لمن شاء التحدث معهن من ورائه فقال لهن فيما قال « إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا » ، لأن الاحتياط أسلم عاقبة وأبقى على شرف المرأة فى كل زمان ومكان خصوصاً إذا انحرف الناس عن الجادة وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نسأل هذا القاضى العادل قبل أن يسأل فضيلة المفتى سؤاله المعجز: كم من مرة رأى فيها امرأة جميلة متعطرة تنثر الفتنة من بين يديها ومن خلفها فسبح الله كما يزعم ؟ لأنه يقول ان المرأة التى هـذه صفتها تزيده إيمانا بالله وإعجابا بقـدرته ! ! وما الفرق ياحضرة القاضى النزيه فى الدلالة على قدرة الخالق سبحانه بين أى مخلوق ومخلوق؟ فالقرد الذى يضرب به المثل فى الدمامة يدل على بديع صنع الله كدلالة الظبى الأحور الذى يضرب بحسنه ورشاقته المثل، فالتركيب الحيوانى بكل خصائصه يجمع بينهما بقطع النظر عن هذا الغـلاف الخارجى فلكل شكله الذى يناسب حاجته و يقتضيه قوام حياته، ومالك تذهب بعيداً إن كنت حقيقة من طلاب التزيد من الايمان :

وفى كل شىء له آية تدل على انه الواحد

التمس الايمان فى النحلة والنملة خلقاً وتدبيراً وهداية وتسخيراً بل فيما هو أدق منهما خلقاً إن كنت تبغى أن تكون حقاً من المؤمنين .

أما سؤاله لفضيلة المفتى ولعـله اعتقد انه وقف أمامه حائراً فهو قوله : (وفى الحديث الشريف حبب إلىّ من دنياى ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عينى

فى الصلاة فكيف يكون تعطر المرأة فى غير البيت زنا ؟) وهذا سؤال يدل على الذكاء المفرط الذى عُرِفَ عن صاحب الذوق السليم وعلى صحة تخريجه النتائج من مقدماتها ! ! أما نص الحديث فهو : حبّب إلىّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة ، فليس فيه لفظة ثلاث التى أقحمها تقليداً للعادة ولم ينجه من هذا التقليد ذوقه السليم .

وقبل أن نجيبه على سؤاله بالنيابة عن فضيلة المفتى نقول له إن الحديث الذى وصف المرأة إذا خرجت متعطرة بأنها زانية إن لم يكن أصح من هذا الحديث الذى استشهد به فدرجتهما فى الصحة متساوية على الأقل فكيف حكمتَ ذوقك السليم فى حديث منهما فكذّبته ، وحكّمته فى الآخر فصدّقته واستدللت به هذا الاستدلال المعكوس ولو علمت بخطأ استشهادك به لسارع ذوقك السليم إلى إنكاره وكان به من المكذبين ولكن هيهات فقد صرد السهم وفاتت الفرصة

أما وجه الخطأ فى هذا التخريج فهو أن الرسول ﷺ أراد من حبه للنساء النساء المعهودات وهن العفيفات القاصرات الطرف على أزواجهن القارات فى بيوتهن غير المتبرجات ولا المتعطرات إلا لبعولتهن إذ ليس من المعقول أن الرسول الذى يأمر بالحجاب وما يقتضيه من عفة و إحصان يحبب اليه مطلق النساء متى كن جميلات متعطرات سواء كن زوجات أو غير زوجات ! ! فهذا تخريج ورّطك فيه الذوق السليم وأوقعك فيه الفهم العقيم والادعاء الذميم

ثم يعود فيقول : إن تأمل المرأة الجميلة صلاة لله ، واستنشاق العطر الجميل صلاة وعبادة ، و إذا كان تعطر الرجال حلالا فليس معقولا ان يكون تعطر النساء حراماً ، بل يجب ان تتعطر النساء قبل ان تتعطر الرجال . ونحن نقول له إن احداً لم يحرم تعطر المرأة بل إنه لازم للنساء أكثر من لزومه للرجال لأنه جزء من زينتهن التى أبيح لهن منها ، كالحرير والذهب مالم يبح للرجال ولكن على اساس قصور ذلك كله على بعولتهن لتدوم الألفة بينهم ، وليعفوا عن سواهن لا أن يخرجن بعطرهن

وزينتهن فى الطرقات والأسواق يفتن الناس ويغريهم على الفساد ، فيبغض الزوج زوجه إن كانت دون التى رآها فى السوق حسناً وفتنة . فتنقلب سعادة البيوت شقاء وهناءتها تعاسة ، وتعمها الفوضى المنذرة بسوء المصير .

ولست أدرى كيف يكون تأمل المرأة الجميلة صلاة لله — والتأمل معناه إدامة النظر والتدقيق فى استجلاء المحاسن — والله سبحانه يقول (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) ولولم يعلم الله أن هناك علاقة بين استدامة النظر والتطلع إلى الوجه الجميل وبين تحرك الشهوة لما عطف أمره بغض البصر على حفظ الفروج . فكيف تكون «البصبصة» صلاة لمن نهى عنها ياصاحب الذوق السليم ، نعم هى صلاة وعبادة للهوى ، والهوى إله معبود ، أما الإله الحق سبحانه ، تعالى عن ذلك علواً كبيرا .

ويكفينا هذا الدليل من القرآن ، على أن النظر بريد الزنا ، فلا داعى للاستشهاد بما جاء عنه فى السنة لكثرته وتواتره . وكان ينبغى لمن عنده أثارة من عقل ، أن لا يمارى فى شىء صار عند الناس من القضايا المسلمة ، التى دونها الشعراء فى اشعارهم . فعندما كان فى النفوس بقية من حياء ، قال الشاعر القديم يصف جريمة النظر على صاحبه :

رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا　　　فسام صبراً فأعيي نيله فقضى

وعند ماغاضت هذه البقية من النفوس قال الشاعر المحدث :

نظرة فابتسامة فسلام　　　فكلام فموعد فلقاء

وماذا بعد اللقاء ياحضرة القاضى النزيه إلا ماتعلم ونعوذ بالله من شر ماتعلم؟ وإن تعجب فعجب أن يلجأ سائل يطلب حكم الشرع فى مسألة — بعد أن أجابه أهل الذكر فيها — إلى من لايعرف الشرع ولا يعترف به وكان الأخلق به بدل هذا الخلط أن يجعل مفتيه من أول الأمر من نوع توفيق الحكيم ثم يستأنف عنده رأيه

الشكوى لأهل البصيرة عيب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مددك مددك ياسيدى ياإمام ياشافعى العارف لايعرف الشكوى لأهل البصيره عيب مددك ما دك ياسيدى ياإمام ياشافعى أنا محسوب والمحسوب منسوب والشكوى لأهل البصيرة عيب مددك مددك ياسيدى ياإمام ياشافعى أنا أستحلفك بالنبى وآل بيته وأستحلفك برب العزة وأستحلفك بمقامك الذى أنت فيه أن تنصفنى وتعطنى حقى من محمد ابن فريده ووالده عبد الغفار حسين وبحق ماحكمت بين الولد ووالديه أن تحكم لى وتنتقم لى أشد ألانتقام من المذكورالذى أخذ منى واغتصب منى أربعة جنيهات ونصف ولم يعطيهم لى وكلما أطالبه عليهم لم يعطينى فلوس مددك مددك ياسيدى ياإمام ياشافعى العارف لايعرف والشكوى لأهل البصيرة عيب أنا فى العرض أنا محسوب أنا رميت حمولى عليك ياسيدى ياإمام ياشافعى أنا فوضت أمرى للهولك

إذا لم يقتنع به ليحصل التشاكل بين محكمة أول درجة ومحكمة الاستئناف . أما إن كان يبغى حكم الشرع بصفة جدية واستفتى فى مسألته ثقة من علماء الدين فأفتاه بما أقنعه فذاك و إلا فيستهدى بمن هو به أشد ثقة من علماء الدين أنفسهم ثم يقف عند ماوقفه الشرع الذى ترجم عنه أولئك العلماء .وأما إنكان يريد من وراء ذلك فتح باب من أبواب اللهو واللعب والتسلية فانه داخل فيمن عناهم الله بقوله : « قل استهزئوا إن الله مخرج ماتحذرون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين » .

محمد صادق عرنوس
وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

وبين لى فيه حتى يقول هذا ذنب زينب بنت هاجر العمل العمل الساعة الساعة فى القريب العاجل ولم أشتكيه لأحد غيرك وأنت أحكم الحاكمين ؟

الشكوى مقدم من

٢٨ رمضان سنة ١٣٦٢ زينب بنت هاجر

٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٣ بالفيوم بدرب الطاحون بجوار الصوفى

هذه صورة عرضحال — بلغة عصر المماليك — أهداها أحد الاخوان لمجلة الهدى النبوى ننشرها تحدثا بنعمة الله علينا معاشر أنصار السنة والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

ولتكون مرآة يرى فيها المؤمن صورة الشرك الذى تردى فيه من ينتسبون إلى الاسلام بزعمهم وكيف أعادوا وثنية العصور الاولى فى أبشع صورها وأسود ألوانها .

وهذا العرضحال تقدمت به زينب بنت هاجر إلى الامام الشافعى لينتقم لها من محمد ابن فريده ووالده عبدالغفار حسين وليست زينب هذه إلا ضحية من آلاف الضحايا الذين غررهم شياطين الإنس المنتشرون فى البلاد انتشار الذباب الذين يفسدون عقائد الناس باسم الدين ويشترون بآيات الله ثمناً قليلا فيكتبون لهم الحجب والتمائم ويموهونها بالبخور والعزائم لشفاء الأمراض وقضاء الأغراض فان أرادوا زيادة استغلال الضحية وجهوا نظرها الى الشكوى لأحد المشايخ المشهورين والأولياء الباتعين فى نظير أجر كبير ربما كان منه المقدم والمؤخر على غرار مايفعل المحامون عند مقاولة أرباب القضايا .

ولا أدرى إن كانت رسوم هذه الدعوى نسبية أى بنسبة المبلغ المرفوع به الدعوى أو مقدرة بحسب تقدير الاستاذ الكاتب ! ! وكما أننا نعترف لهذا الكاتب بالأمانة حيث كتب الشكوى على ورقة دمغة بثلاثة قروش فلم يغتل حق الدولة ولكنه من جهة أخرى (عرضحلجى) فقط لأنه

يحفظ صيغة واحدة لكل أنواع الدعاوى ـ والدليل على هذا أنه لم يطلب لمقدمة الشكوى من الامام الشافعى أن يجعل مدينها يرد لها المبلغ الذى طرفه لأن الحق فى هذه الدعوى مدنى ولكنه طلب لها عقوبة المدين جنائياً وهذا خلط بين الحقوق المدنية والجنائية لايقره تشريع أهل الظاهر ولكن لعل الامام الشافعى لايتقيد بغلطات أصحاب القضايا فيفرزها قلم كتاب محكمته ويجرى كل قضية مجراها القانونى أو لعل فى تشريع أهل الباطن عدم رد أعيان الحقوق إلى أهلها بل يجازى المماطلون فيها بعقوبات مدنية ! ! وكل هذه احتمالات جائزة مادام أن لجنة تشريعه (من سدنة وضلال وأكلة اموال لم تضع مذكرة تفسيرية تتلافى بها هذا الخلط فى الدعاوى التى ترفع اليه ! !

والغريب أن هذا الكاتب الملعون بدأ عرضحاله باسم الله والصلاة على رسوله وفى كل كلمة منه كفر ظاهر وشرك سافر فقد سلب من الله سبحانه حقوقه وأعطاها الشافعى حتى جعله أحكم الحاكمين ! !

أيها القائمون بالأمر : لقد وصلنا إلى حال لم يعد فى الطوق احتماله ولم يعد منكراً من الدين فحسب بل من العقل والذوق وطبيعة العصر كذلك.

أليس من الأعمال المزرية المخرجة من يأتيها من قائمة الانسانية أن تمتلىء الأضرحة بهذه الشكاوى حتى لقد يأتى بعضها باسم صاحب الضريح من البلاد البعيدة فى خطاب مسجل وتنشر ذلك إحدى المجلات المصورة وترسم الغلاف معنوناً باسم الشيخ الذى أرسل اليه ! !

وكل هـذا ولا شك بإغراء أولئك السدنة الذين يهمهم بقاء الناس فى غفلتهم هـذه من تعلقهم بأصحاب الأضرحة حتى تظل جيوبهم عامرة بالنذور الوافرة.

أيها الوعاظ . أيها الخطباء!. أيها الأئمة .

يجب أن يكون كل جهادكم إنقاذ الناس من هذه الوثنية ، وتطهـير طريقهم إلى الله من أسلاك الشرك وألغام الجاهلية

نصر من الله وفتح قريب

انتهت بحمد الله هذه الحملة الهوجاء التى أثارها فريق من أهل دمنهور مردوا على الشغب ضد الاستاذ العلامة الشيخ على اللقانى إمام وخطيب مسجد التوبة بنصر مؤزر أجراه الله على يد حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ المحقق الكبير الشيخ سيد زهران مدير المساجد بوزارة الأوقاف وذلك بعد أن ذهب بنفسه إلى دمنهور وحقق شكاوى أولئك المشاغبين فوجدها لاتقوم على أساس صحيح فنسفها وذراها فى مهب الريح ثم نصح أهل البلد باتباع الهـداة من علماء الدين والحمد لله رب العالمين .

القعدة والحجة سنة ١٣٦٢ — العددان ١١ و١٢ — الثمن ١٥ مليما — السنة السابعة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة دينية علمية إسلامية (شهرية مؤقتاً)

تصدر عن

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير : محمد حامد الفقي

جميع المكاتبات تكون باسم محمد صادق عرنوس

قيمة الاشتراك ٢٠ قرشا داخل القطر المصري والسودان

و ٣٠ قرشا خارج القطر

الادارة : بحارة الدمالشة رقم ١٠ بعابدين . مصر

مطبعة أنصار السنة المحمدية

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الحكيم

﴿ الوصية الجامعة أو منهج التربية الحكيم ﴾

قال الله عز وجلّ من سورة لقمان : (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنىّ حميدٌ . وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنىّ لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته أُمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلىّ ثم إلىّ مرجعكم فأُنبئكم بما كنتم تعملون. يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)

مما دعت اليه الغريزة البشرية ، وقضت به الفطرة الانسانية ، حب الانسان ولده إلى درجة إيثاره على نفسه فى كل شئون الحياة ، فهو يحاول بما يستطيع من وسائل أن ينيل ابنه أوفر قسط من السعادة التى يفهمها أغلب الناس أنها المركز الاجتماعى الخطير ، أو الثروة الواسعة والغنى الكبير ، فيعمل الوالد جاهداً على أن يفوز ابنه بأحدهما أو كليهما فان بلغ منهما مايريد عدّ نفسه قام بالواجب نحوه وأثنى عليه من هو فى مستوى تفكيره من الناس ، وتمنوا أن يكون أبناؤهم على غرار هذا الولد، وأن يواتيهم الحظ الذى واتاه ، وقل من يفهم سعادة ابنه فى غير متاع الحياة الدنيا وزينتها وكذلك تراهم يتكبدون فى سبيل تربيتهم على هذا النمط ماتنوء به كواهلهم وربما استعانوا بالمال الحرام على إكمال تربيتهم

ولما يعلم الله سبحانه من إغراق الناس فى هذا وأمثاله حذرنا من المضى فيه بغير بصر ولا روية وذلك إذ يقول (ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) حتى لايتورط الانسان فى حب ولده حباً يكون مصيبة عليه فى دينه فيصبح عدواً له على الحقيقة إذ ليس بعد المصيبة فى الدين من مجلبة للعداوة .

والغريب أن الناس جميعاً يكادون يلتقون عند العناية بالدنيا والاهتمام بها ونسيان الآخرة وعدم التفكير فيها، فترى الوالدين إذا شب ولدهما وتوجه إلى المدرسة لايدعوان له إلا باطراد النجاح والحصول على الشهادات ومن بعدها الوظيفة ومن النادر أن تجد والدين يدعوان لولدهما بالهداية والتوفيق وصلاح دنياه وأخراه فهما لايريدان له إلا الدنيا ويفعل الله به فى الآخرة مايشاء ! ! ويا ليت الأمر اقتصر على مجرد الدعاء والتمنى ولكنه يرى منهما أسوة عملية فى حب الدنيا والتكالب عليها ونسيان الآخرة وعدم الاهتمام بها والمنهج الدراسى يمده بما قصر عنه والداه فى هذا المعنى حتى يتخرج من المدرسة غربى النزعة والتفكير والعقيدة .

ولقد قص لنا الذكر الحكيم وصية رجل من الصالحين لابنه لتكون للوالد العاقل

منهاجا فى التربية ينشىء عليه ولده إن أراد له السعادة ؛ وإن ماشتملت عليه هذه الوصية من عناصر هو ألزم لحياة الانسان الروحية من الماء والهواء لحياته المادية؛ وهى لأنها بهذه المثابة فلن تخضع لناموس التبديل والتغيير بتغير العصور والأجيال لا لصلاحيتها لكل جيل فحسب ولكن لحاجته اليها فى اعتدال مزاجه الاجتماعى حتى لا تطغى عليه العلل فيختل توازن حياته اللهم إلا جيل انحدر من سماء الانسانية إلى وهاد الحيوانية ففكر ببطنه وشهوته لا بعقله ومصلحته كدأب الجيل الذى نحن فيه .

قدّم الله سبحانه لصاحب الوصية بأنه رجل آتاه الله الحكمة وهى إحكام ما يصدر منه قولا كان أو فعلا وجريانه على سنن العقل السليم . وليست الحكمة التى قال الله عنها (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) هى الحكمة القولية فقط ولكن الحكيم كل الحكيم من واطأ قوله فعله ، ومن عاش معلماً بأخلاقه قبل أن يكون معلما بأقواله . وإلا فكم من رجل عدّه الناس من الفلاسفة الحكماء وليست حكمته إلا شقشقة يهدر بها ثم هو من حليتها جد عاطل .

وقد جعل الله سبحانه آية الانتفاع بهذه الحكمة أن يكون لربه من الشاكرين لأن هذا الشكر يعود على الانسان نفسه بالخير والبركة فان كفر فلن يضر إلا نفسه لأن الله غنى عن العالمين محمود على أية حالة .

أما الوصية فتشمل العناصر العشر الآتية :

(١) النهى عن الشرك (٢) بر الوالدين (٣) إحصاء الحسنات والسيئات (٤) الأمر باقامة الصلاة (٥) الأمر بالمعروف (٦) النهى عن المنكر (٧) الصبر على الأذى فى سبيل الله (٨) النهى عن الكبرياء (٩) القصد فى المشى (١٠) غض الصوت :

١ ــ النهى عن الشرك

أفاض لقمان على ابنه من حكمته فأوصاه أول ما أوصاه أن يعبد الله وحده ولا يشرك

به شيئاً ، إذ أن تجريد التوحيد هو الغاية من وجود الانسان فى هذه الدنيا ، فمن انحرف عنها فقد انحرف عن الجادة ، ورد من حسن التقويم الذى فطره الله عليه إلى أسفل سافلين ، فاندمج فيمن يقول الله عنهم (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) لأن من خلط فى عبادته ولم يميز بين حق الرب وحق المربوب ، واتخذ من دونه آلهة ، ضل الطريق اليه فوكله إلى شيطانه وهواه (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) ومتى هبط إلى هذا الدرك هانت عنده الذنوب وتورط فيها لاتكاله فى النجاة من عقابها على الأولياء والشفعاء والوسطاء يترافعون عنه حتى يخرجوه منها برىء الساحة طاهر الذيل ، حتى ولو كان فى الدنيا نقيب المجرمين ، و يعسوب الشياطين

أما الموحد الذى يعرف ربه فلا يقع فى الذنب إلا مضطراً وسرعان ما يتذكر فيكون من المبصرين

فاذا أراد قوم صلاح دنياهم قبل آخرتهم فلا سبيل إلى ذلك إلا أن يؤمنوا بالله وحده إيمانا غير مشوب بذرة من الشرك ، فلا يرجون ولا يخشون إلا الله ولا يتقربون بكافة أنواع القربات إلا اليه ، أمره عندهم الأمر الواجب الطاعة ، ونهيه النهى الواجب الوقوف عنده ، فاذا بلغوا هذه الدرجة استقامت أمورهم وعرف كل منهم حق أخيه فأداه له كاملا .

فالتوحيد الحق هو الإكسير الذى يحيل تراب الأخلاق ذهباً وهو الذى إن ضل الناس وجدنه ردوا إلى مثل ماهم عليه الآن وكفى به إثما مبيناً ، وعذابا أليما ، و بهذا سمى الشرك ظلماً عظيما ، وكيف لايكون المشرك أظلم الظالمين وقد هضم حقوق ربه ونفسه وعقله جميعاً :

أما هضمه حق ربه فذلك بصرفه مايجب أن يصرف اليه من عبادة ونسك ودعاء الى غيره من موتى وأحياء ، وأما هضمه حق نفسه فهو بشركه استحق أقسى العقوبات (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) وأما هضمه حق عقله

فقد عطله وغلب عليه الهوى فعطل بذلك مناط التكليف وعلة الكرامة والسبب الذى من أجله استحق الخلافة فى الأرض .

٢ ـ بر الوالدين

ويأتى فى الدرجة التالية لمعرفة الإنسان حقوق ربه : معرفته حقوق والديه ، لأن الرب تبارك وتعالى هو مربى الانسان على الحقيقة بلطفه ورحمته وعنايته والوالدين هما سبب وجوده فى هذه الدنيا والقائمان بتربيته وفيها مافيها من نصب ومشقة — خصوصاً على الأم — مالايخفى على أحد ، لذلك نرى الكتاب العزيز والسنة المطهرة شددا فى الوصية ببر الوالدين حتى نهى الله الولد أن يقول لهما أف وهو أبسط مايعبر به عن التبرم بهما فضلا عما عداها مما غلظ قولا وعملا وحتى جعل الرسول عقوقهما من أكبر الكبائر وقرنه بالشرك بالله كل ذلك لترتبط الأسرة برباط الحب المتبادل وتعيش متحدة متساندة يعين بعضها بعضاً ولا يخذل بعضها بعضاً فاذا حظيت أمة بهذا النوع من الأسر علا جدها وكمل سعدها . وعلل سبحانه إيجاب هذا الحق على الولد لما يلاقيه الوالدان فى تربيته من مشقة وأفرد الأم بالذكر إعظاما لما تعانيه من متاعب الحمل والرضاع وتكاد تضطلع وحدها بهذا العبء فى هذا الدور من عمر ولدها والوالد يقوم فى خلال ذلك عليهما بالنفقة ويشارك زوجه فى راحة ابنهما بالقدر الذى يطيقه لكل ذلك أردف الله شكره بشكر الوالدين وأوجب طاعتهما على الولد فى كل مايأمرانه إلا بشرك أو معصية ، ولكن عليه أن يصاحبهما فى الدنيا بالمعروف فلا يحرمهما كده ، ولا يمنعهما رفده ، وأن يتبع فى ذلك سبيل الصالحين المنيبين لا سبيل الجاحدين العاقين حيث أن مرد الجميع إلى الله ، ثم يجازى كلا بما قدمت يداه .

٣ ـ إحصاء الحسنات والسيئات

حتى ولو كانت الحسنة أو السيئة فى زنة حبة الخردل وخفيت هذه الحسنة أو

السيئةخفاء حبة الخردل فى ظلمات البر والبحر لابد أن يراها العبد يوم القيامة مُحْضرة مسطورة كما قال فى الآية الأخرى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) حتى يكون على يقين تام بشمول علم الله للدقيق الخفى من أفعال العباد كشموله للظاهر الجلى منها ولا يكون كمن قال الله فيهم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين)

وبمقدار تغلغل هذه العقيدة فى نفس العبد بمقدار خيفته من ربه ، وخشيته من الوقوف بين يديه موقف المجرمين الذين يقولون : (ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً)

٤ ـ إقامة الصلاة

ووصية لقمان لابنه باقامة الصلاة معناها الوصية باستمرار الصلة بين العبد وربه دائمة من غير انقطاع حتى يلقاه والحبل موصول والأجر مكفول .

ولنا فى الصلاة عند تفسير قوله تعالى (إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين) كلمة جامعة أثبتناها فى عدد صفر الماضى لابأس من إيراد بعضها فى هذا المقام تبصرة وذكرى ، وإن شئت فارجع اليها :

الصلاة التى فيها (الألف واللام) للعهد ، أى المعروفة عند المخاطبين سواء من شهد أو من بلغ ، الموصوفة بشروطها وأركانها وخشوعها وأثرها ، لاصلاة الناقر نقر الغراب . ولا المارّ فى أدائها مرّ السحاب .

وإنك لتقرأ جميع الآيات الواردة فى شأن الصلاة فى القرآن — وما أكثرها — فتراها ترتب على إقامتها كل خير وسعادة ؛ وعلى إضاعتها كل شر ليس وراءه زيادة واسمعه إذ يقول : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا) فجعل أثر ترك الصلاة اتباع الشهوات . كما قال بلسان من غلبت عليهم الشقوة جوابا عن سبب مآلهم : « لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين » ألخ

فرتب مصيرهم هذا على أس كل شر وهو ترك الصلاة وغير ذلك كثير .

وفى الحالة العكسية تراه رتب الهناء والنعيم المقيم على أداء الصلاة كما أمر أن تؤدى حتى تؤتى الثمرات المقصودة والنتائج المنشودة بل جعلها هى الحافز على معالى الأمور ، ومزاولة التجارة التى لن تبور فقال : (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

٥و٦ — الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

أمران وإن فرقت بينهما واو العطف إلا أنهما شيئان متلازمان بل يكاد يكون أحدهما نتيجة حتمية للآخر فانك إن أمرت بمعروف فقد نهيت عن ضده وإن نهيت عن منكر فقد أمرت بضده وعلى القيام بهما يقوم أساس العمران ويذوق الناس حلاوة الأمن على أنفسهم وأموالهم فيعمل كل فيما سخر له بهدوء واطمئنان لا يخشى عدوان شرير ولا يخاف بطش ظالم .

وما زكى الله هذه الأمة وفضلها على ما سبقها من العالمين إلا لقيامها بهذا الواجب العظيم ، وذلك قوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وما طرد فريقا من بنى إسرائيل من رحمته إلا بسبب تهاونهم فيه كما قال سبحانه عنهم (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون)

وقد حذرنا رسول الله ﷺ فى كثير من الأحاديث مغبة التهاون فى هذا الواجب أن نقع فيما وقع فيه اليهود فيصيبنا ما أصابهم ، ومن ذلك الحديث الذى رواه البخارى والترمذى عن النعمان ابن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا

خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »

ولقد أوجب الله على هذه الأمة أن تظل حافظة لمنزلة الكرامة والتفضيل التى أنزلها الله إياها بالقيام بالمعروف والنهى عن المنكر فقال (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن هذا الأمر للوجوب العينى أى يريد من هذه الأمة جميعها أن يكون شأنها التواصى بالخير والتناهى عن الشر كما يقول المدرس لتلاميذه أريد منكم طلبة مجدين لا يعنى البعض دون البعض ولكنه يعنى الجميع بداهة، وذهبت طائفة أخرى أن الأمر على الوجوب الكفائى أى يريد أن يتخصص من الأمة فريق للقيام بهذا الواجب فتكون الأمة على هذا الرأى معناها الجماعة منها لا جميعها وكلا الرأيين لا بأس به والفهم الذى يوجب على الأمة جميعها أن تكون كذلك يعززه قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) أى جميعكم كلٌّ فى محيطه وعلى القدر الذى يستطيع و يشهد لهذا الرأى أيضاً ماجاء فى سورة العصر من التواصى بالحق والتواصى بالصبر المخرج من دائرة الخسر فانه لا يعجز أحد مهما كان ضعيفاً أن يؤدى هذا الواجب مع أهل بيته أو جيرانه أو أصدقائه ولا يعدم فى أولئك تفريطا فى جنب الله خصوصاً فى هذا الوقت الذى انحلت فيه عروة الأخلاق وركب فيه الناس رءوسهم وأصبحوا فى حاجة ماسة إلى من يذكرهم بالله و يحذرهم منه دائما .

٧ ـ الصبر على الأذى فى سبيل الله

ولما كان لقمان يُعد ابنه ليضطلع من بعده بارشاد الناس وهدايتهم أوصاه بالصبر على أذاهم تلقاء هذه الغاية النبيلة كما أوصى الله رسوله بالصبر والتأسى باخوانه النبيين

فقال له (واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وقال له بعد أن ذكر مالاقوا من قومهم من صد و إعراض وأذى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فواجب الداعى إلى الله أن يكون أرحب الناس ذرعا وأوسعهم صدراً فيكون ممن قال الله فيهم (و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) لامن الذين وصفهم بقوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) و إذا كانت معاملة الناس بالحسنى والصبر على أذاهم ومقابلة سيئتهم بالحسنة لازمة لكل فرد فهى للداعى إلى الله ألزم وهو اليها أشد حاجة إذ هى سلاحه الذى به يصول ولسانه الذى به يقول (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)

٨ ـ النهى عن الكبرياء

كذلك من خصائص الداعى إلى الله أن يكون موطأ الأكتاف سمح الخلق جم التواضع حتى يتألف قلوب الناس و يحملهم على احترامه ليتخذ كلامه سبيلا إلى قلوبهم والله يقول لنبيه موسى وأخيه هارون عليهما الصلاة والسلام فى طريقهما إلى دعوة فرعون الطاغية (فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى) والمعروف عن رسولنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه أنه كان فى التواضع وخفض الجناح لأصحابه ولين الجانب فى المنزلة التى يصفها الله بقوله (و إنك لعلى خلق عظيم) و يقول له فى مقام اخر (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وما دام الداعى إلى الله يقتبس من مشكاة هذا النبى الكريم فلا بدّ أن يكون له فيه أسوة حسنة بالتلبس بمكارم أخلاقه والحكاية التطبيقية أبعد أثراً فى هداية الناس من الحكاية القولية .

أما صعز الخد الذى هو رمز الكبرياء فمعناه إمالته وأصل الصعر لغة داء يعترى البعير فيلوى منه عنقه والكبرياء داء بغيض إلى الله والناس لايجتمع والخير فى قلب

واحد كيف والله تعالى يقول له (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) ويقول (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) ولقد نهى الله عن الكبر وما يتصل به و يترجم عنه كمشية المرح والخيلاء التى تدل على نفسية صاحبها الحقيرة وطبيعته المهينة ؛ ونهى فى الآية الأخرى عن هذه المشية وقال لصاحبها بعد ذلك تقريعاً وتعجيزاً وتعريفاً لقدره (إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)

٩ ــ الاعتدال فى المشى

ومما هو من صفات الانسان العاقل بله الداعى إلى الله أن يقصد فى مشيه أى يكون فيه بمنزلة وسط بين التريث والعجلة فلا يتباطأ تباطؤ المختالين ولا يُسرع إسراع الطائشين . والقصد معناه الاعتدال وقد جاء فى الصحاح صفة مشيته ﷺ بما لا يخرج عن حد الاعتدال الذى كان فى كل أحواله مضرب المثل فيه .

١٠ ــ غض الصوت

وختم لقمان وصيته لابنه بغض الصوت و بالغ فى الانكار على رفعه من غير ضرورة حتى شبهه بصوت الحمير ، وفى ذلك من التنفير منه مايصد كل عاقل يريد أن يحفظ لنفسه كرامتها أن يقارفه، فكلما ارتفع صوته عن مقتضى حاجة السامع ثم تصور حالة الحمار البشعة عند نهيقه ، وخروج هذا الصوت المزعج من جوفه، خفض صوته وخاف أن يكون معنياً بهذا التشبيه .

فيا أيها الوالد يامن يحب الخير لولده ، ويا أيها المعلم يامن يعد النشء ليكون عدة بلده . هذه وصية لقمان لابنه قصها الله لنا لتكون دستوراً فى التربية والتعليم ، فمن هُدِىَ إلى الأخذ بها هُدى إلى صراط مستقيم .

محمد صادق عرنوس
وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

عهد واعتذار

تتقدم مجلة « الهــدى النبوى » إلى كرام قرائها معتــذرة عن ظهور الأعداد الأخــيرة منها بصفة غير منتظمة لأســباب خارجة عن طوقها كانت لانملك التخلص منها وقد دعتنا نفس هذه الأسباب إلى إصــدار عددى القعدة والحجة فى مجلد واحد وبهما تمت سنة المجلة السابعة.

وللقراء علينا عهد — بمناســبة وَشْــك دخولها فى عامها الثامن — على بذل الوسع فى سبيل تحسينها والنهوض بها حتى تتسامت قوة وجمــالا مع هذه الدعوة الحقة التى ما أنشئت إلا لتمهد لهاوتذود عنها وتــكون لها لسان صدق فى العالمين.

ونرجو من حضرات المشتركين الذين تنتهى مدة اشتراكهم بانتهــاء السنة السابعة أن يوافونا بقيمته خلال الشهر الباقى من السنة ومقــدارها عشرون قرشاً صاغا كما كانت فى العــام الماضى داخــل المملكة المصرية والسودان وثلاثون قرشاً فيما عداهما شاكرين لأولئــك الإخوان ماالقيناه منهم من تشــجيع مادى وأدبى جزاهم الله عن دينهم خــير الجزاء كما نسأله تعــالى أن يجزى بالحسنى كل من ساهم معنا فى تحرير المجــلة ونضرع اليــه سبحانه أن يهل علينا السنة الجديدة بالأمن والسلام حتى تعود الحيــاة سيرتها الأولى من الاستقرار والرخاء إن ربى لطيف لمــا يشاء.

داؤنا ودواؤنا

١٢ - الغفلة عن سماحة الإسلام

لقد برئت الشريعة السمحة من الحرج ، وجاء بها رسول الله ﷺ - كما أخبر - نقية بيضاء ميسرة ؛ وضعت عن الأمم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، لم تحمل الناس مالا طاقة لهم به ، ولم تؤاخذهم إن نسوا أو أخطأوا .

وتلك حقائق تطالعك فى كثير من آى الذكر الحكيم ؛ ومن أقوال الرسول الرءوف الرحيم ﷺ ، وهأنذا أسوق اليك بعض النصوص التى تشهد بصدق ما قررت لتكون على بينة من الأمر .

قال تعالى (ماجعل عليكم فى الدين من حرج)

وقال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)

وقال جل شأنه فى الرسول الكريم (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم)

وقال عز من قائل (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)

وقال عز وجل (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به)

وقال سبحانه (لا تغلو فى دينكم)

وقال الرسول الأمين ﷺ : إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، إن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى .

وقال عليه الصلاة والسلام : هلك المتنطعون .

وقال عليه أتم الصلوات وأزكاها : لن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا .

وأراد رجل أن يصل صلاة النافلة بصلاة الفرض بحضرة النبي ﷺ فقال له عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : بهذا هلك من قبلكم . فقال عليه الصلاة والسلام : أصاب الله بك يابن الخطاب .

وأراد عبد الله بن عمرو العاص أن يلتزم قيام الليل ، وصيام النهار ، واجتناب النساء ، فأنكر عليه النبي عليه الصلاة والسلام ذلك . وقال : أرغبت عن سنتى ؟ فقال : بل سنتك أبغى ! قال عليه الصلاة والسلام : فانى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام وأنكح النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى .

وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن مواصلة الصوم ، فقد روى البخارى من حديث أبى هريرة قال : قال النبي ﷺ : لاتواصلوا ، قالوا : إنك تواصل . قال : إنى لست مثلكم . إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى .

وقالت عائشة رضى الله عنها : صنع النبي ﷺ شيئاً ترخص فيه ، وتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله ثم قال : مابال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إنى أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية .

كل هذه النصوص الحكيمة الصادرة من أغزر ينابيع العلم ، وأصفى مناهل الحكمة تشعرك — لو تدبرتها — أن هذا الدين الحنيف كله يسر ورفق ، وبعد عن الإعنات والتعسير والمشقة .

وقد رخص لمن عجز عن استعمال الماء أن يتيمم صعيداً طيباً ، فيمسح منه بوجهه ويديه ، وعد هذا تطهيراً . قال تعالى (فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم)

ورخص لمن عجز عن الصلاة قائما أن يصلى كيف استطاع .

ورخص للمريض وللمسافر أن يفطرا فى رمضان . وأن يصوما عدة من أيام أخر

اذا برىء المريض ، واستقرت النوى بالمسافر .

هذه روح الاسلام ، وهذه شريعته فى سموها وجلالها ، و يسرها وسماحتها ، فهل فطنا لهذه الأغراض النبيلة فحققناها ؟ أم هل غفلنا عنها فأضعناها ؟

لقد منى الاسلام بطائفة من الناس اندسوا فى صفوف الفقهاء ؛ وهم يجهلون روح الدين ، و يغفلون عن أهدافه ، ولا يفطنون لأغراضه ومراميه ، فراحوا يتشددون ، و يأمرون الناس بالتشدد ، و يغلون و يأمرون الناس بالغلو حتى جعلوا الدين عبئاً ثقيلا لا يطاق احتماله .

يقف أحدهم فى كتاب الله أوسنة رسوله على أمر أونهى فيضل عن روح الاسلام ، وينسى يسره ، و يتشبث بألفاظ النص وحروفه ، وقد يحملها مالا تطيق من المعانى ، و يضمنها مالا تحتمل من المرامى ، و يؤولها تأو يلا بعيداً ؛ ثم يفهم النص كما يوحى اليه التشدد الذى ملك عليه نفسه وحسه ، ثم يجعل النص عاماً يشمل جميع أفراد المأمور به أو المنهى عنه ؛ و ينتظم مايظنه يشاكله ولو من وجه بعيد حرصاً على أن يلتمس لكل أمر من الأمور حكما شرعياً وذهولا عن قول الله تعالى (وما كان ربك نسياً) .

إن الله تعالى حد حدوداً فلا ينبغى تعديها ؛ وشرع شرائع فلا ينبغى إضاعتها ، وترك أشياء رحمة بالناس فلا ينبغى تكلفها ، والتشدد فى التماسها والتمسك بها .

ومن هؤلاء المتشددين من اذا رأى فى الشريعة نصين متعارضين لم يجشم نفسه مئونة البحث عن ناسخها ومنسوخها أو صحيحها وضعيفها بل يعمد إلى الأشد و يعمل به زاعماً أنه يحتاط للامر ، و يأخذ بالحزم ثم يجعل ذلك شريعة يدعو اليها دعوة لاهوادة فيها .

ومنهم من توسع فصار يحمل كل فعل فعله رسول الله ﷺ على أنه شريعة منزلة يجب اتباعها ، والعمل بها والعض عليها بالنواجذ ومجافاة من يخالفها . ونسى أنه

للرسول عليه الصلاة والسلام أعمالا عملها من قبيل مجارى العادات التى وسع الله فيها على الناس ؛ وأن له أعمالا خاصة به عملها على سبيل الاختصاص لا على سبيل التشريع العام.

ومنهم من كان يتورع عن تحقيق معنى الآية أو التثبت من الحديث ؛ اذا كان يدعو الى فضيلة من الفضائل ؛ و يرى ذلك واجباً ، فيعمل به ، فيقع فى التشدد ، و يراه الناس فيحسبونه ورعاتقياً حريصاً على دينه فيحرصون على محاكاته فيتزمتون و يتشددون و يعسرون الدين تعسيراً و يضيقونه تضييقاً .

هذا التشدد جعل الدين إصراً وأغلالا ثقالا ، وجعل كثيراً من رقاق الدين ، وضعاف الايمان يتركونه جملة وتفصيلا ، فراراً من هذا التشدد ، لعلمهم أنهم مهما يصنعوا فلن يقوموا بما يفرضه هذا الدين .

والواقع أن الاسلام ماجاء إلا ليضع عن الناس إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، فكأننا حين نلتزم هذا التشدد لم نقبل من الله تعالى مامن به علينا من التخفيف وما وضع عنا مما كان على غيرنا من آصار التكليف .

و إنى أضرب لك مثلا تتبين منه كيف غلا سادتنا غلواً كبيراً ، وتشددوا تشدداً عظيما ؛ وشققوا المسائل تشقيقاً جعل العامة تضيق ذرعا بهذه الأحكام الموضوعة ، و يرون الالمام بها ضربا من المحال ليس إلى بلوغه من سبيل .

ندب رسول الله الى العناية بتنظيف الفم والأسنان فقال « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » فهذا النص صريح فى أن النبى ﷺ لم يأمر به حرصاً على المؤمنين ورأفة ورحمة بهم ودفعاً للحرج والمشقة عنهم . و إنما دفعهم الى الاستياك تنقية للفم ومحافظة على سلامة الأسنان توقياً للأمراض التى ربما نجمت من فسادها . فحكمه الشرعى لايتجاوز حد الندب . ولكن انظر ماذا صنع أشباه الفقهاء؟ جعلته الكثرة سنة ؛ وخصه بعضهم بعود الأراك ، وأجازه بعضهم بالاصبع

وغيرها ، على شرط عدم الادماء ، وحدد بعضهم طوله تحديداً فقال : إن كان دون شبر كان مخالفاً للسنة ، وتساهل بعضهم فقال : يكفى أن يكون فتراً ، وحدد فريق شقوق رأسه فقال : ينبغى أن تكون بقدر نصف الابهام ، و بين آخرون حجمه ، فقالوا : لاينبغى أن يزيد على حجم الاصبع ؛ ووصف فريق طريقة استعماله ، فقال: يسند بباطن رأس الخنصر ، ويمسك بالوسطى ، و يدعم بالابهام قائما ، ورأى بعضهم أن يبدأ بادخاله مبلولا فى الشق الأيمن ، ثم يراوحه ثلاثا ، ثم يتفل،وقيل يتمضمض ؛ ثم يراوحه و يتمضمض ثانية ؛ وهكذا يفعل مرة ثالثة .

و بحث فى بعضهم فى هذه المضمضة : أتكفى عن سنة المضمضة فى الوضوء أم لا تكفى ؟ ومن رأى أنها لاتكفى احتج بنقصان الغرغرة .

واختلفوا فى أوقات استعماله : أفى اليوم مرة ، أم عند كل وضوء أم عند تلاوة القرآن ؟ وبالغ بعضهم فصار يلتمس البركة فى عود الاراك لذاته يخلل به الفم يابساً . وعد بعضهم له كثيراً من الخواص والمزايا منها أنه اذا وضع قائما ركبه الشيطان . وخالف بعض فقال : بل اذا ألقى يورث مستعمله الجذام . وقد أصبح كثير من عامة المسلمين يتوهمون السواك من شعائر الاسلام [1] . الى غير ذلك من المباحث التى أكثرت من الغلو المفضى الى الحرج . والشارع الحكيم لم يرد شيئاً من هذا كله وانما دعا الى العناية بتنظيف الفم والأسنان لما يترتب على هذه النظافة من المزايا القيمة فالمسلم الذى يقرأ هذه الأبحاث التى تدور حول أمر لم يبلغ حد الوجوب يرى الاحاطة بعلوم الدين من الأمور التى لايسعها إلا مكان فينشد مع القائل :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ماتستطيع

هذا التوسع ليس من ضروريات الدين . بل ضره أكبر من نفعه .

وقصارى القول إن أشباه الفقهاء ضيقوا على المسلمين العبادات تضييقاً لم يفرضه

---

(١) أنظر أم القرى للسيد الكواكبى

الله على عباده وأكثروا من الأحكام إكثاراً سبّب الاختلاف والتفرق والضيق والحرج وجعل المسلم لايكاد يعتبر نفسه ناجياً لتعذر مطابقة جميع عباداته ومعاملاته لما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون بالعزائم . فأصبح السوادالأعظم يرون أنهم مضطرون الى التقصير اضطراراً فيندفعون اليه اختياراً ،وألسنة أحوالهم تنادى« أنا الغريق فما خوفى من البلل »

ذلك داء عضال من أدوائنا فما دواؤه ؟

دواؤه الرجوع الى سماحة الاسلام و يسره ، ونبذ هذا التشدد المنفر ، والوقوف عند الأمر والنهى ، وقبول رخص الله ، وتيسير تعليم الدين كما كان ييسره ﷺ

فهؤلاء السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار قد بلغوا أسمى درجات الايمان والتقوى والزلفى الى الله وما قرءوا البحر الرائق ، ولا تبيين الحقائق ، ولا تبصرة الحكام ، ولا شرح غرر الأحكام ، ولا الشرح الكبير ولا الصغير ، ولا التنبيه ، ولا المنهاج ، ولا المختصر ، ولا الأمتاع ، ولا غير ذلك من هذه الأسفارالتى جعلت الدين شيئاً بعيد المنال لايدركه إلا قليل ممن أنار الله بصائرهم، أومنحهم ذكاءنادراً أو فراغاً واسعاً ، وحاش لله أن يشرع شريعة لايفهمها إلا خواص الناس وقليل ماهم

توضأ الصحابة كما رأوا رسول الله يتوضأ،وصلوا كما رأوه يصلى،وتصدقوا كما كان يتصدق ، وقرأوا القرآن وتدبروه وعملوا به،ولزموا سنةرسول الله ﷺ ولم يبغوا عنها حولا فرضى الله عنهم وأرضاهم وأسعدهم فى الدنيا والآخرة الدين يسر . فينبغى للذين يتصدون لتعليم الدين أن يؤمنوا بهذه الحقيقة وأن يذيعوها فى الناس ،وأن يعلّموا أصول الدين والايمان ، وأن ينبذوا هذا التشديد الذى يرهب الناس و يملأ قلوبهم رعباً ، و بذلك يحب الناس دينهم،و يعتزون به،و يحرصون على الاستمساك بتعاليمه السمحة ، وآدابه السامية ، وأغراضه النبيلة . و يومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم

أبو الوفا محمد درويش

﴿ أنصار السنة فى ميت السعدان ﴾

هى قرية من أعمال مركز دكرنس مديرية الدقهلية ؛ تعارف الاستاذ رئيس الجماعة بنفر من سكانها وسراة أعيانها عند ما كانوا يؤدون فريضة الحج معاً فوجد فيهم من التمسك بالعقيدة الصحيحة ماشرح صدره وحكاه لنا بعد عودته فاتصلنا بهم عن طريق المكاتبة التى أدركنا منها مبلغ إخلاصهم للدعوة وتفانيهم فى نصرتها حتى زرناهم فى بلدهم أخيراً فطابق الخُبر الخَبر بل زاد عنه كثيراً ذلك ذلك أنا وجدنا فيهم — بجانب دعوتهم الصادقة إلى التوحيد ومحاربة الشرك — خصلة يحبها الله ورسوله قل أن تتوفر فى هذا الزمن عنـد غيرهم بالصورة التى رأيناها ؛ هذه الخصلة هى إخراجهم للزكاة وحملهم بقية أهل البـلدة القادرين أن يخرجوها كذلك حتى وافقهم عليها من لم يكن متفقاً معهم فى تفاصيل العقيدة ؛ فما أجمل أن ترى أغنياء هذا البلد جميعاً يؤاتون حق كل زرع يوم حصاده فيجتمع فى كل موسم كثير من الثمرات المختلفة التى تعود على الفقراء بتفريج الضائقـة وتقيهم ذل السؤال .

ولقد أحيوا بهذا العمل الجليل شـعيرة محيت أو كادت تمحى من أوساط المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وانهم لم يبلغوا هذه النتيجة الباهرة عفواً ولـكنهم تضاموا كتلة واحدة وجاهدوا أنفسهم أولا حتى صاروا مثلا يحتذى ثم جملوا حملتهم على الناس فـكانوا من الفائزين .

أما عن نصيبهم فى الدعوة إلى تجريد التوحيـد فهو أكبر نصيب إذ أنهم ماتركوا جهـداً فى نشرها إلا بذلوه ولا عالما راداً أو طاغوتا صاداً إلا هاجموه حتى هابتهم البلاد المجاورة على قلتهم و(كم من فئة قليلة غلبت فئـة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) لأنهم عرفوا بالصرامة فى الحق وعدم الخشية إلا من الله وحده يجاهدون فى سبيله ولا يخافون لومة لائم . قواهم الله وقوى بهم دينـه وجعلهم للمتقين إماما .

أنصار السنة فى الاسكندرية

شعبة محرم بك

أرسلت الينا هذه الشعبة تقريرها الذى اعتادت أن تقدمه لجمعيتها العامة كل ثلاثة أشهر ضمَّنته ماقامت به خلال هـذه المدة من أعمـال وما تنوى أن تقوم به وتحققه بعد ذلك من آمال فجاء هذا التقرير تنويهاً بالمجهود الذى بذله مجلس إدارة الشعبة فى كل مايشد أزرها ويقوى ساعدها لتنشر الدعوة وتردد صداها وتنسج من الكتاب والسنة لُحمتَها وسداها .

وفى مثـل هذه التقارير أيضاً معنى العهـد المقطوع على هذا النفر الكريم أن لاتلين قناتهم أمام المصاعب أو يهنوا لشدة المتاعب ماداموا قد وقفوا أنفسهم للجهاد فى سبيل الله وهو القائل (الم أَحسِب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)

وقد أردفوا تقريرهم بنسخة من القـانون الذى وضعوه ليسيروا على نهجـه فتصفحناه فاذا به نذر الألفاظ غزير المـادة وافٍ بالغرض الذى وُضع من أجله إن رموا عن قوسه أصابوا المرمى وساروا فى تحقيق غايتهم شوطـاً بعيداً .

والله وحده المسئول أن يرزقهم التوفيق والسداد والإخلاص فى القول والعمل إنه ولى المتقين ونصير العاملين م ؟

فضل الحج والترغيب فيه

عن أبى هريرة قال « سئل النبى ﷺ : أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟قال:حج مبرور» رواه البخارى ومسلم .

وعنه قال قال رسول الله ﷺ : من حج فلم يرفث [1] ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه . البخارى ومسلم

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة ، وما من مؤمن يظل يومه محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه. رواه الترمذى وقال : حسن صحيح وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما

وعن أبى هريرة قال قال ﷺ : الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم . رواه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان.

وعن ابن عباس قال : بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بعرفة إذ وقع عن راحلته فأقعصته فقال رسول الله ﷺ اغسلوه بماء وسدر وكفنوه بثوبيه ولا تخمروا رأسه ولا تحنطوه ، فانه يبعث يوم القيامة ملبياً . رواه البخارى ومسلم

وعن أبى أمامة أن النبى ﷺ قال : من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانياً . رواه البيهقى

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله عز وجل : إن عبداً صححت له جسمه ووسعت عليه فى المعيشة تمضى عليه خمسة أعوام لم يفد إلىّ لمحروم . رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى

---

(١) الرفث : الفحش من القول .

عن ثمامة قال : حج أنس بن مالك على رحل ، ولم يكن شحيحاً ، وحدث أن النبى ﷺ حج على رحل ، وكانت زاملته . رواه البخارى . والمعنى أنه لم يتخذ هودجا ولم يكن مترفا ولا متكلفاً .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ : سئل أى العمل أفضل ؟ قال : العج والثج . رواه الترمذى وابن ماجه . (والعج) العجيج ورفع الصوت بالتلبية . و (الثج) النحر وإراقة الدم

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة . رواه ابن ماجه وابن خزيمة

وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال : ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة . وما ذاك إلا لما يرى فيه من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا ما رؤى يوم بدر فانه رأى جبريل يزع الملائكة . رواه مالك والبيهقى

وروى البيهقى وغيره عن على رضى الله عنه أنه سئل عن الوقوف : لمَ كان بالجبل ؟ ولمَ لم يكن فى الحرم ؟ فقال : لأن الكعبة بيت الله والحرم باب الله . فلما قصدوه وافدين أوقفهم بالباب يتضرعون . قيل : فالوقوف بالمشعر الحرام ؟ قال : لأنه لما أذن لهم بالدخول اليه أوقفهم بالحجاب الثانى ، وهو المزدلفة . فلما أن طال تضرعهم أذن لهم بتقريب قربانهم بمنى . فلما قضوا تفثهم وقربوا قربانهم فتطهروا بها من الذنوب التى كانت عليهم أذن لهم بالزيارة اليه على الطهارة . قيل فمن أين حرم الصيام أيام التشريق ؟ قال : لأن القوم زوار الله وهم فى ضيافته ، ولا يجوز للضيف أن يصوم دون إذن من أضافه . قيل : فتعلق الرجل بأستار الكعبة ، لأى معنى هو؟ قال : هو مثل الرجل بينه وبين صاحبه جناية فيتعلق بثوبه ويتنصل اليه ، ويتخدع له ليهب له جنايته .

وعن ابن عباس رفعه إلى النبى ﷺ قال : لما أتى ابراهيم المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة . فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض ، ثم عرض

له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الأرض . ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الارض . قال ابن عباس : الشيطان ترجمون ، وملة أبيكم ابراهيم تتبعون . رواه ابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال : على شرطهما .

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : — بمنى فى حجة الوداع — اللهم اغفر للمحلقين . قالوا : وللمقصرين قال : اللهم اغفر للمحلقين . قالوا : وللمقصرين . قال : اللهم اغفر للمحلقين . قالوا : وللمقصرين . قال : وللمقصرين . رواه البخارى ومسلم

وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال للانصارى لذى سأله : وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، وتمحى عنك بها خطيئة . رواه الطبرانى فى الكبير والبزار

وفى حديث عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ : وأما حلقك رأسك فانه ليس من شعرك شعرة تقع فى الارض إلا كانت لك نوراً يوم القيامة . رواه الطبرانى فى الأوسط .

وصح عن النبى ﷺ من غير وجه أنه قال : لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى . رواه مسلم وغيره

وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام . رواه مسلم . ورواه البخارى عن أبى هريرة

وعن عبد الله بن الزبير أن النبى ﷺ قال « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام . وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة الف صلاة فى هذا » رواه احمد

وعن ابن عمر قال « كان النبى ﷺ يزور قباء أو يأتى قباء — راكباً وماشياً كل بيت فيصلى فيه ركعتين » رواه البخارى ومسلم

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد

من أمتي إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً له يوم القيامة » رواه مسلم

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ماجعلت بمكة من البركة » رواه البخاري ومسلم

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة « التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني ، فخرج أبو طلحة يردفني وراءه . فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل . قال : ثم أقبل حتى إذا بدا له أحد قال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، فلما أشرف على المدينة قال : إني أحرم مابين جبليها مثل ماحرم ابراهيم مكة . اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم » رواه البخاري ومسلم

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « أتاني الليلة آت من ربي وأنا بالعقيق : أن أصلي بهذا الوادي المبارك » رواه ابن خزيمة في صحيحه

وعن سعد قال قال رسول الله ﷺ « لايكيد أحد لأهل المدينة إلا انماع كما ينماع الملح في الماء » رواه البخاري ومسلم

محمد حامد الفقي

﴿ جماعة أنصار السنة برمل اسكندرية ﴾

حضرات الأفندية أعضاء مجلس الادارة عن سنة ١٣٦٢ هـ

الاستاذ عبد العزيز محمد حشيش رئيس ؛ اسماعيل السيد وكيل ، ابراهيم السيد خضر سكرتير ، محمود حسيب امين صندوق ؛ بهنسي شمس كاتب حسابات ، محمد عبد الباقي محصل ؛ عثمان عثمان ، محمد احمد ، محمد ابراهيم ، محمود المزاتي ؛ عوض احمد أبو طبل . أعضاء

الذبح لغير الله (١)

الذبائح جمع ذبيحة . وهى مايذبح من الحيوان . وأصل الذبح الشق . وذبح الحيوان شق حلقه . والذبيحة إن قصد بها إلى القربة فهى من العبادات و إلا فهى من العادة.
والذبح العادى ما يكرم به الذابح نفسه و يوسع به على عياله أو يقدمه لضيفه . وهذا كالذى تراه فى سوق الجزارين . وهو من النعيم المباح اذا استوفيت شروط الذكاة المبينة فى كتب الفروع

والذبح الدينى يسمى نسكا . وكانت العرب تنسك فى جاهليتها النسائك حول أصنامها وأنصابها تقربا اليها وتحتفل لذلك على نحو ماتراه اليوم فى المزارات . ومن نسائكهم الفرع والعتيرة وأجنة البحائر والسوائب التى يخصون بما ولد منها حياً الرجال فلا يأكل منه النساء و يشركونهن معهم فيما ولد منها ميتاً كما حكاه البغوى عن ابن عباس وقتادة والشعبى فى قوله تعالى (وقالوا مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا و إن يكن ميتة فهم فيه شركاء)

وقد جاء الاسلام بوجوب توحيد الله والاخلاص له فى جميع الأعمال ما كان منها عادة وما كان منها عبادة . وقد قرر أبو اسحاق الشاطبى فى كتاب المقاصد من الموافقات كليات لها تعلق بهذا الموضوع وشرحها و بسط القول فيها . ونحن نثبتها للاستدلال بها لا لشرحها وتقريرها . الكلية الأولى: أن المقصد الشرعى من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد لله اضطراراً .
الثانية : أن المقاصد الشرعية ضربان مقاصد أصلية ومقاصد تابعة . فالأولى هى الفروض التى لاحظ فيها للنفس .والأخرى هى المباحات العادية التى روعى فيها حظ المكلف

(١) عن رسالة الشرك ومظاهره للاستاذ السلفي المعاصر الشيخ مبارك محمد الميلى الجزائري .

الثالثة : أن العمل إذا وقع على وفق المقاصد التابعة فلا بد أن تصاحبه المقاصد الاصلية ومعنى ذلك أن تكون الأعمال العادية المباحة معمولة على مقتضى المشروع لا يقصد بها عمل جاهلى ولا اختراع شيطانى ولا تشبه بغير أهل الملة، ومثل ذلك بقوله « كشرب الماء أو العسل فى صورة شرب الخمر وأكل ماصنع لتعظيم أعياد اليهود أو النصارى وإن صنعه المسلم أو ماذبح على مضاهات الجاهلية وما أشبه ذلك مما هو نوع من تعظيم الشرك » (٢ : ٢٠٨) الرابعة : أن كل من ابتغى فى تكاليف الشريعة غير ماشرعت له فقد ناقض الشريعة . وكل ماناقضها فعمله فى المناقضة باطل . ومثل لهذه الكلية باظهار كلمة التوحيد قصداً لإحراز الدم والمال لا اعترافا بوحدانية الحق، وبالصلاة ليوسم بالصلاح، وبالذبح لغير الله وبالهجرة لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فى أمثلة غيرها (٢ : ٣٣٥)

والنسائك فى الاسلام ثلاثة : الأضحية والعقيقة والهدى للكعبة خاصة لا للأضرحة والمزارات . وإذا لم تكن الذبيحة نسيكة تعبدية وجب أن تكون على الوجه المأذون فيه .

١ — قال تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت) فعطف النسك على الصلاة .

٢ — وقال (فصل لربك وانحر) يريد نحر النسك كما فسره الجمهور . وعطفه على الصلاة كما فى الآية قبلها ينادى بأن الذبح لغير الله كالصلاة لغير الله . ولو رأى الناس مسلماً يصلى لغير الله لبادروا إلى تكفيره من غير استفتاء علماء الدين وهم مصيبون ولو رأوا — وكم رأوا — من يذبح لغير الله لرضوا بهذا الصنيع وتأول لهم علماء الأغراض بما يحسن هذا الفعل الشنيع . وما هذه التفرقة إلا أنهم ألفوا الذبح لغير الله، على أن الصلاة لغير الله قد وقعت من بعض الأغبياء نادراً . حدثنى الثقة أن الشيخ يوسف بن الدرويش من شيوخ الطريقة الرحمانية قرب الميلية حدثه عن مريده

فلان أنه توجه اليه وصلى له فجعل هو ينتقل من ناحية إلى أخرى ومريده يتبعه مستقبلا إياه . حدثه هذا الحديث وهو مغتبط بتعظيم مريده له .

٣ — وقال تعالى (حُرِّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ماذكيتم وما ذُبح على النُّصب وإن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق)

٤ — وفى صحيح مسلم ونحوه فى الأدب المفرد عن على بن أبى طالب أنه أتاه رجل فقال ما كان النبى ﷺ يسر اليك ؟ فغضب رضى الله عنه وقال ما كان النبى ﷺ يسر إلىّ شيئاً يكتمه الناس غير أنه حدثنى بكلمات أربع . فقال الرجل ماهن ياأمير المؤمنين ؟ قال :قال ﷺ « لعن الله من لعن والده . ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثا . ولعن الله من غير منار الارض» والمحدث هو المفسد فى الأرض . ومنار الأرض تخومها وعلامات حدودها .

٥ — وروى احمد عن طارق بن شهاب الجبلى (رض) عن النبى ﷺ « دخل الجنة رجل فى ذباب . ودخل النار رجل فى ذباب قالوا وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال مرّ رجلان على قوم لهم صنم لايجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً ، قالوا لأحدهما قرب. قال ليس عندى شيء أقرب به قالوا قرب ولو ذبابا . فقرب ذبابا فخلواسبيله . فدخل النار وقالوا للآخر قرب . قال ما كنت لأقرب لأحدشيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة» واكتفاء هؤلاء المشركين بتقريب الذباب اعتداد بأضعف مظاهر الطاعة إذ المقصود الأعظم هو اعتقاد القلب . وهذا كالمثل العام المشهور « أداها بوحجر » يعنون أخذ الولاية أبو حجر . ويذكرون أن قائله الشيخ احمد الزواوى دفين الجبل غربى قسنطينة وأحد شيوخ الطريقة الحنصالية من فروع الطريقة الشاذلية . قاله لرجل عديم جاء مع الزوار . فلما انتهى إلى أصل الجبل حمل معه حجراً وصعد يلهث به . فلما قدم الناس الأموال للشيخ الزواوى قدم له هو ذلك الحجر .

٦ — وعن ابن عباس أن قريشاً استأذنت رسول الله ﷺ فى العتيرة . فقالوا

نعتر فى رجب ؟ فقال ﷺ أعتر كعتر الجاهلية ؟ ولكن من أحب منكم أن يذبح لله ويتصدق فليفعل وكان عترهم أن يذبحوا ثم يعمدوا إلى دماء ذبائحهم فيمسحوا بها رؤوس نصبهم . رواه الطبرانى فى الكبير وفيه اسمعيل بن ابراهيم بن أبى حبيبة . وثقه ابن معين وضعه الناس . قاله فى مجمع الزوائد .

٧ — وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة أنه ﷺ قال لافرع ولاعتيرة

٨ — وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن نبيشه الهذلى — بلفظ المصغر — أنهم ذكروا للنبى ﷺ عترهم فى الجاهلية . فقال اذبحوا لله عز وجل فى أى شهر ما كان و بروا الله عز وجل وأطعموا ومثله عند الطبرانى فى الأوسط عن أنس مرفوعا .

وفى تفسير الثعالبى أن معنى الاهلال الصياح ومنة استهلال المولود . وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة وغلب ذلك فى استعمالهم حتى عبر به عن النية التى هى علة التحريم .

وفى تفسير ابن كثير عن مجاهد وابن جريج أن النصب حجارة كانت حول الكعبة . كانت العرب فى جاهليتها يذبحون عندها و ينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح . و يشرحون اللحم و يجعلونه على النصب . قال« فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وجرم عليهم أكل هذه الذبائح التى فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله فى الذبح عند النصب ، من الشرك الذى حرمه الله ورسوله .

وفى تفسير الشوكانى أن مما أهل به لغير الله مايقع من المعتقدين فى الأموات من الذبح على قبورهم . ولا فرق بينه و بين الذبح للوثن .

وروى أبو على القالى فى أماليه خبر معاقرة جرت بقصد المفاخرة بين سحيم بن وثيل الريحانى وغالب بن صعصعة أبى الفرزدق أيام خلافة على كرم الله وجهه . فأفتى فيها على بأنها مما أهل به لغير الله ونهى عن الأكل منها وأمر بطرد الناس عنها

وذكر القرطبي عند تفسير (وما أهل به لغير الله) من سورة البقرة مثل ما قدمنا عن الثعالبي وأعقبه بفتوى على في حكم تلك المعاقرة . ثم نقل عن ابن عطية أنه قال « رأيت فى أخبار الحسن بن أبى الحسن أنه سأل عن امرأة مترفة صنعت للعبها (جمع لعبة) عرساً فنحرت جزوراً . فقال الحسن لا يحل ا كلها فانها انما نحرت لصنم » (٢ : ٢٢٤)

وقال النووى فى شرح مسلم عند الكلام على حديث لعن من ذبح لغير الله « وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح بغير اسم الله تعالى كمن ذبح لصنم أو لصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك . فكل هذا حرام ولا تحل الذبيحة . سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهوديا نص عليه الشافعى واتفق عليه أصحابنا .

« فان قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً فان كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً .

« وذكر الشيخ المروزى من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل به لغير الله تعالى . قال الرافعى هذا انما يذبحونه استبشاراً بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة المولود . ومثل هذا لا يوجب التحريم والله أعلم » .

وتفسير النووى الذبح لغير الله بالذبح بغير اسمه تعالى مبنى على المعقول من أن ما يراد به غير الله يذكر عليه اسم ذلك الغير . وذكر اسم الله فى هذه الحالة لغو لأن النية هى علة التحريم . وتقدم تصريح ابن كثير بعدم الاعتداد بالتسمية فى هذه الحال ويأتى مثله عن الشاطبى . ومما لا ريب فيه أن المعاقرين قد ذكروا اسم الله عند العقر . ومع ذلك جعله على مما أهل به لغير الله . وعطف النووي العبادة على التعظيم تقييد للتعظيم بما كان فيه معنى العبادة . ونقله عن الرافعى غير مخالف لفتوى أهل بخارى إلا بالقصد . فهو خلاف فى حال . فمن قصد التقرب للامير صدقت عليه تلك الفتوى . ومن قصد مجرد السرور به أفتى له بقول الرافعى .

وقال الشاطبى فى الموافقات « روى ابن حبيب عن ابن شهاب أنه ذكر له أن ابراهيم بن هشام بن اسمعيل المخزومى أجرى عيناً . فقال له المهندسون عند ظهور الماء لو أهرقت عليها دماً كان أحرى أن لا تغيض ؛ ولا تهور فتقتل من يعمل فيها

فنحر جزائر حين أرسل الماء فجرى مختلطاً بالدم . وأمر فصنع له ولأصحابه منها طعام . فأكل وأكلوا . وقسم سائرها بين العمال فيها . فقال ابن شهاب بئس والله ماصنع . ماحل له نحرها ولا الأكل منها . أما بلغه أن رسول الله (ص) نهى أن يذبح للجن . لأن مثل هذا — وإن ذكر إسم الله عليه — مضاه لما ذبح لى النصب وسائر ماأهل لغير الله به .

« وكذلك جاء النهى عن معاقرة الأعراب وهى أن يتبارى الرجلان فيعقر كل واحد منهما يجاود به صاحبه فأكثرهما عقراً أجودهما . نهى عن أكله لأنه مما أهل به لغير الله . قال الخطابى وفى معناه ماجرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان وأوان حوادث يتجدد لهم ، وفى نحو ذلك من الأمور . وخرج أبو داود « نهى (ص) عن طعام المتباريين أن يؤكل » وهما المتعارضان ليرى أيهما يغلب صاحبه .

فهذا وما كان نحوه إنما شرع على جهة أن يذبح على المشروع بقصد مجرد الأكل فاذا زيد فيه هذا القصد كان تشريكا فى المشروع ولحظا لغير أمر الله تعالى . وعلى هذا وقعت الفتيا من ابن عتاب بنهيه عن أكل اللحوم فى النيروز وقوله فيها انها مما أهل لغير الله به . وهو باب واسع » (٢ : ٢١٠)

قوله وقد جاء النهى عن معاقرة الأعراب أخرجه أبو داود عن ابن عباس قال : « نهى رسول الله (ص) عن معاقرة الأعراب » وما نقله عن الخطابى ذكره فى شرح هذا الحديث (٤ : ٢٧٨) وحديث طعام المتباريين أخرجه فى كتاب الأطعمة عن ابن عباس .

هذا حكم ما كان من الذبائح على وجه العادة أو على حكم العبادة كما أعرب عنه الكتاب والسنة وكلام فحول الأئمة من مفسرين ومحدثين وأصوليين . والفقه إنما يكون من هذه العلوم الثلاثة .

روى مسلم أن النبى (ص) قال « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ؛ حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » وهذا صريح فى أن التلفظ بلا اله الا الله لا يكفى لعصمة المال والدم ، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف الى ذلك الكفر : بما يعبد من دون الله .

لمناسبة العيـد .

خواطر . . .

١ — أقرأ تاريخ الصدر الأول من الاسلام فأشعر بألم بالغ وحزن عميق حين أوازن بين مانحن عليه الآن من تناكر وما كان عليه أولئك من تناصر وأتمنى أن لو كانت سلسلة الآباء والأجداد قد انتهت بي إلى ذلك العصر الذي كان يكفيني منه ثلث هذا العمر أو نصفه ، فليست الحياة سنين تتراكم وأعماراً تطول . إنما هي الشعور بما في العيش من متعة وفي العمر من بركة وفي العمل من انتاج . وهذا مالا أراه متحققاً في زمننا الحاضر وجيلنا المعاصر . ولست أعني بذلك مايشعر به الناس من ضيق العيش وتصاعد الغلاء وقلة الخيرات . فذلك أمر أتى به القتال في ركابه . وعما قليل ينتهي بزوال أسبابه: انما أقصد ذلك الحرمان الروحي من متعة الأخوة الصحيحة و بركة التعاون البرىء والعمل الخالص المثمر .

نعم أقصد ذلك الشذوذ الذي أفسد على الناس الصلات فقطع مابينهم من علاقات. لم يرع فيها أمومة ولا أبوة.ولا صداقة ولا أخوة . حتى أصبح الكل أعداء متناكرين وخصوما متنافرين . وقد يكون ذلك لغير أمر معقول أو سبب معقول . إذ يتطوع كثير منهم بالعدوان ضناً براحة الضمير أن يظفر بها أي انسان .

ذلك هو المشاهد الملموس . نحسه في جميع الأوساط . ومختلف البيئات حتى لقد عم البيوت وشمل الأسر . فأعمل معاول الهدم في أساس الأمة وأصابها في الصميم . وضيع عليها من مزايا المحبة والتعاون . والألفة والإخاء مايشرح صدور أبنائها و يسهل عليها مهمة الجهاد والنهوض بأعبائها في مضمار تتسابق فيه الأمم إلى خير ماترجوه من رفعة وما تصبو اليه من آمال .

نعم لقد ضيع ذلك الداء الفاشي على الأمة كثيراً من المزايا المادية والروحيـة ،

وإننى لعلى يقين من أنه لو كف كل انسان منا شره وأذاه عن بقية الناس - ولولم يقدم لهم شيئاً من الخير - لعاشوا فى عز وسؤدد ، وطمأنينة وراحة بال ، ولكان - فى الواقع - مسديا اليهم خير مصلحة وأعظم جميل. وذلك من أسرار ما نبه اليه سبحانه فى قوله عز من قائل : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وما فصله عليه الصلاة والسلام فى قوله فى رواية مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وقوله عليه السلام « لا ضرر ولا ضرار » .

فأين المسلمون الآن من قول الله سبحانه ورسوله عليه السلام ؟ ألا انه لم يفهم هذا السر ويعمل بما يرشد اليه إلا المسلمون الأولون الذين كانت تعاليم الاسلام منهم بمنزلة الروح من الجسد حتى كانت حياتهم مظهراً عظيما من مظاهر الانسانية البريئة التى شعروا فيها بلذة الحياة وقوة الرابطة وسمو المنزلة . وذلك مما يجعلنى الآن أتمنى أن لو كانت حياتى ولو على قصر فى دورة الفلك يوم كانت حياتهم فى دورته . والاسلام فى ذروته . ولكن كيف ذلك (وربك يخلق ما يشاء ويختار . ما كان لهم الخيرة) (وكل شىء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) (أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى)

على أنى وقد خضت فى هذا الحديث أقرر فى صراحة أننا - نحن معاشر المتدينين غير معفين من أوزار ذلك الاثم الذى فشا فى الأمة بما استقر فى أذهاننا من فوارق تمكنت فينا بحكم التقليد والعادة - وإن خالفنا فى ذلك تعاليم الاسلام - أذكر أننى فى أحد الأعياد جاريت صديقاً لى . فزرت غير واحد من إخواننا الذين

تقدمت بهم المناصب المتواضعة وكنت أعتقد أن (ديموقراطية الاسلام) أو أخوته بعبارة أصح ستحمل بعضهم - إن لم يكن كلهم - على المجاملة برد الزيارة - كما يقولون - ولكنى لم أحظ بذلك فتذكرت وأنا أفكر فى الأمر أنى سمعت من بعضهم كلمة (متشكر) ففهمت أن الأمر يجب أن يكون من جانب واحد !! ولذا عدت إلى طبيعتى ولن أفكر فى قبول ذلك الشكر مرة أخرى . ولست أدرى على من منا تقع مسئولية هذا التقاطع ؟ ولسنا معاً من البرءاء !!

٢ — أعرف كثيراً من الناس لم يكن لهم بالصلاة صلة ولكنهم عشقوا الحج فسعوا اليه مهرولين . وإنى لأعجب لمن يابى دعوة الله من بعيد وهو لا يستجيب لها من قريب ؟ ألا إن الصلاة فى المنزل، والحج فى مكة، وكلاهما من أركان الدين فما الذى أرخص هذه وأغلى ذاك ؟ لعلها صحوة وتوبة . لا رياء وسمعة « إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرىء مانوى » (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين).

٣ — كلما خطر ببالى العيد تذكرت مايؤتى فيه من منكرات تتلاشى فيها الآداب وتذهب الأخلاق فمن حفلات خاصة وعامة يختلط فيها الحابل بالنابل ويلعب الميسر ويشرب الخمر : إلى غناء بذىء ورقص ممقوت من أوساط ساقطة على عربات النقل أمام أنظار الأجانب وهم من كل لون ودين ، ومن مناحات فى البيوت تستعاد فيها ذكريات الهم والحزن فتذهب بحكمة العيد إلى فضائح فى القبور يضج منها الأموات وتستنزل بها على الأحياء اللعنات .

نعم كلما خطر لى ذلك تأخذنى الشفقة على دين هذه الامة وأخلاقها وسمعتها بين العالمين فى وقت انتشرت فيه الدعايات وعملت كل أمة على مايرفع شأنهـا ويكبرها فى أعين غيرها .

فيارجال مصر وياحماة الآداب والأخلاق ألا من نظرة ؟ ألا من شعور بالمسئولية؟

ولم أر فى عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

على السيد جعفر الواعظ بالقاهرة

بعثة عراقية إلى الجامعة الأزهرية

وصلت مصر حديثاً بعثة عراقية قوامها سبعة طلاب للالتحاق بكليات الجامعة الأزهرية ، وهم حضرات الشبان الادباء : محمد محمود الصواف (رئيس البعثة) وعبدالله الشيخ مصطفى ومحمد على الياسلى وعبدالله عمر ، وقد التحقوا بكلية الشريعة ، وصالح الحاج احمد ، وقد دخل كلية أصول الدين . ومحمد عبدالله الحسو وعبد الرزاق عبدالرحمن وقد التحقا بكلية اللغة العربية

وقد تفضل أولئك الطلبة النجباء فزاروا دار الجماعة فسررنا بلقائهم كل السرور لما بدا منهم من حرص على طلب العلم ، وطموح إلى التفقه فى الدين ، والتحلى بآدابه ، والتمرس بلغة الكتاب العزيز . نجح الله قصدهم وأعانهم ، وجعلهم ممن يطلبون العلم لوجهه الكريم (لينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

والذى ضاعف سرورنا علمنا بأنهم جاءوا على نفقة السرى الوجيه والمحسن البر بدينه ووطنه حضرة السيد مصطفى جلبى الصابونجى صاحب الأيادى البيضاء ، والمقام المحمود فى كل مايعود بالخير على الملة والوطن . وان إرساله هذه البعثة الدينية لأكبر دليل على ما انطوت عليه جوانحه من حبه لوطنه ، فقد علم أنه بغير تعليم الدين الحق لاينهض ، و بغير القرآن وعلوم القرآن لا يبلغ مايصبو اليه من مجد وسؤدد ، فأوفد هذا النفر الكريم الذين يتقدون غيرة على تحقيق الغاية التى لأجلها فارقوا أهلهم و بلادهم التى سيعودون اليها إن شاء الله مزودين من العلم بما يرفع رأسها بين الامم ، وبما يعيد اليها سابق عزها والله لايضيع أجر العاملين

هذا وقد برهن السيد الصابونجى بعمله هذا على أن من بين سراة المسلمين من لو صدروا عن أوامر دينهم — مثله — لبزوا الغربيين فى كل مايعزى اليهم من البذل فى سبيل المصلحة العامة . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

أسرة مسلمة

عشرون عاما أو تزيد قليلا قضاها رسول الله (ص) بين أصحابه مثلا حياً يحتذى به ؛ فجعل منهم أمة حية ، تفهم الحياة على وجهها الصحيح ؛ وسلك بهم (ص) فى كل ناحيـة من نواحى الحياة الاجتماعية المسلك الذى تفنى الدنيا وما عليها من فلاسفة وحكماء دون أن يجدوا فيه مغمزاً أو يوجهوا اليه نقداً صحيحاً ؛ فكانت أمته هذه خير أمة أخرجت للناس ، ضربت للعالم قديمه وحديثه المثل الأعلى على أن الانسان يستطيع أن يعيش على هذه الأرض فى صورة ملك كريم .

ولست ممن يلقون القول جزافا ، أو ممن يدعون الدعاوى دون إقامة الحجة على صحتها ، فهاأنذا أقيم الدليل الذى لاغموض فيـه ولا ابهام على أن الذين ساروا على نهج هذا الرسول (ص) كانوا مفخرة العالم ؛ ومعجزة الزمان ، مكتفياً بمثال واحد ، فيه غنية للمستزيد وعبرة للمستفيد :

هذا أبو طلحة (رض) أحد أولئك الذين اقتبسوا من المشكاة المحمدية ، فصار لايصدر منهم الا الخير الخالص لوجه الله تعالى ـ وهذه زوجته الصالحة أم سليم (رض) تزوجا فكونا أسرة مسلمة ، وكانت أحوالهما تنم عن فهم لروح الاسلام :

روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك (رض) أنه قال : اشتكى ابن لأبى طلحة — أى مرض — قال فمات وأبو طلحة خارج — أى ليس ببيته — فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت له شيئاً ونحته فى جانب البيت — أى عزلته — فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت قد هدأ نفَسه ، وأرجو أن يكون قد استراح وظن أبو طلحة أنها صادقة ، قال فبات — أى معها — فلما أصبح اغتسل — أى من الجنابة — فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات . فصلى مع النبى (ص) ثم أخبر النبى ﷺ بما كان منهما ، فقال رسول الله ﷺ « لعل الله أن يبارك لكما فى ليلتكما » قال رجل من الأنصار : فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن

بَخٍ بَخٍ لهذه الأسرة التى فهمت الاسلام حق الفهم ، وصدَق الله تعالى إذ يقول (والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فقد فهمت هذه السيدة التقية أن الولد هبة من الله تعالى ، ووديعة مردودة ، لا ينفع فى استبقائها جزع ، ولا يحول دونها عويل ،

فأسلمت أمرها لخالقها ، ورضيت بقضائه وقدره ، فكان جزاءها أن عوضها الله بخير منه فى الدنيا ، وأعد لها فى الآخرة ماأعد لعباده الصابرين .

وهناك حادثة أخرى لاتقل عن هذه روعة وجمالا ، وتدلنا فى جلاء ووضوح على أن هذه الأسرة كانت مثلا حياً عالياً للأسرة المسلمة ، فلا تستأثر بما فى يدها دون من أظلتهم معها راية التوحيد مهما كان هذا الذى بيدها قليلا ، فان هذه الأسرة فهمت — وكانت على صواب فى فهمها — أن دينها يأمر أن تجود بالموجود ، وماعليك بعد ذلك : أفاد المجتمع أم لا ، أد الواجب ودع مايكون :

روى البخارى فى صحيحه عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة أنه سمع أنس ابن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شىء ؟ قالت نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها ، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى ، ولاثتنى — لفتنى — ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ قال فذهبت به ، فوجدت رسول الله ﷺ فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لى رسول الله ﷺ آرسلك أبو طلحة ؟ فقلت نعم ، قال بطعام ؟ فقلت نعم ، فقال ﷺ لمن معه قوموا ، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة ياأم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا مانطعمهم ، فقالت الله ورسوله أعلم[1] ، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال ﷺ هلمى ياأم سليم ماعندك ، فأتت بذلك الخبز فأمر به ﷺ ففت وعصرت أم سليم

---

(١) قولها هذا انما كان يصح حينما كان الرسول (ص) فى حياته الدنيا فان الواجب رد العلم الى الله ثم اليه . وأما بعد أن مات وفارق هذه الدنيا فلا ينبغى رد العلم إلا الى الله وحده . فمن الخطأ استعمال الناس هذه الجملة الآن وقولهم « الله ورسوله أعلم »

عُكة — آنية السمن — فأدَمَتْه — لوّنته بالادام (غمسته) — ثم قال ﷺ فيه ماشاء الله أن يقول ؛ ثم قال : ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا .. فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون رجلا أو ثمانون

والله لقد أخذ مني العجب كل مأخذ حينما قرأت ذلك الحادث العجيب ؛ وكيف لا ؟ وهذا رجل ليس عنده إلا أقراص من شعير لا تكفي بيته إلا يوما أو بعض يوم ، فيسمع صوت رسول الله ﷺ وفيه ضعف من أثر الجوع ، فلا يلبث أن يذهب إلى بيته ويخبر شريكة حياته بما رأى ، فيجد منها مايسرّه من المسارعة إلى الخير والمشاركة في شعوره النبيل ، فترسل ماعندها من القوت على قِلته الى رسول الله ﷺ

ثم ماذا ؟

لقد وقعت المعجزة ، وأكرم الله هذه الأسرة وكتب لها صفحة من نور على جبين الدهر ، إذ أوحى الله تعالى الى رسوله ﷺ بما حصل من أبي طلحة وامرأته ، فما دخل رسولها المسجد حتى سأله الرسول ﷺ سؤال العليم بما هنالك ، ثم أخذ القوم وذهبوا إلى مقر هذه الأسرة الكريمة ؛ وكان منه ﷺ ومنهما ما كان .

وأعجب مافي الأمر أن أبا طلحة عند ماأُخبر بمجيء رسول الله ﷺ إلى بيته خرج يستقبله ومن معه ، كأنه أعدّ لهم العدة ، مع علمه بما في بيته من شعير !!

وأعجب من هذا أن امرأته تلقّت خبر مجيء الرسول ﷺ والقوم معه بصدر رحب وتسليم عجيب ، وما زادت عن قولها : الله ورسوله أعلم ! !

حقاً ان الايمان إذا حل بقلب جعل منه ينبوعا للخير ؛ ومصدراً للمعروف ، وغياثا للملهوف .

ومن هنا نستطيع أن نعرف قلوب مسلمي اليوم وما فيهامن إيمان وهم يتكالبون

على ادخار المؤن فى هذه الضائقة (و يخزّنون) مالا حاجة بهم اليه حتى أوقعوا الفقراء فى أضيق المسالك .

وقد يتفلسف قوم فى قلوبهم مرض فيقولون : ان تقديم بعض أقراص من شعير أمر تافه لا يدل على سخاء أو كرم نفس وقد يهون على أىّ نفس مثل هذه الأقراص ولكن إذا ذاقت النفس طعم الغنى فانها تحرص عليه ولا تبذل منه لأحد .

والرد على هذا يسير جداً ، فالثابت من سيرة أبى طلحة أنه كان لا يتخلف عن غزوة حتى أنه كان لا يصوم على عهد رسول الله ﷺ نفلا كى يقوى على الجهاد فى سبيل الله ، ومن هذا نعلم أنه كان يصيبه من الغنائم الشىء الكثير ، فماذا فعل ؟

روى البخارى عن أنس قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله اليه بَيْرُحاء — حديقة — وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت آية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، و إن أحب أموالى إلىّ بيرحاء و إنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال ﷺ بخ ذلك مال رابح . بخ ذلك مال رابح . وقد سمعتُ ماقلتَ ، و إنى أرى أن تجعلها فى الأقربين . فقال أبو طلحة : أفعل يارسول الله : فقسمها أبوطلحة فى أقاربه .

لقد آمنت أعمق الايمان بأن الله تعالى حين اختار رسوله محمداً ﷺ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، اختار له أصحابا وحواريين يعينونه على أداء رسالته و يطبقونها أمام أعين العالم ، ليقيم الله بهم الحجة ، و إلا فهل يحفظ التاريخ قديمه وحديثه بين دفتيه سجلا أفخم وأضخم وأنقى من سجل صحابة هذا الرسول الكريم ؟

* * *

وهناك موقف آخر لهذه الأسرة ، ولكنه موقف يفوق كل موقف ؛ إذ تتجلى فيه البطولة والشهامة ، والمروءة والتضحية التى ليس بعدها تضحية؛ وهل بعد بذل النفس من تضحية ؟

روى البخارى عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ وأبوطلحة بين يدى النبى ﷺ مُجوِّب عليه بحجفة له -أى ترس- وكان أبوطلحة رجلا رامياً.. قال : ويُشرف النبى ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبوطلحة : بأبى أنت وأمى لا تشرف - لاتنظر- يصيبك سهم من سهام القوم ؛ نحرى دون نحرك ، ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم ، وانهما لمشمرتان تنقلان القِرب تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم ..

هذا موقف يعجز القلم عن تصويره ! فأبو طلحة يحول بين رسول الله ﷺ و بين سهام المشركين الذين كانت لهم الغلبة يوم أحد فى أول المعركة ، ويتلقاها هو من دونه، وامرأة أبوطلحة !! هل تتركه يخوض غمار المعركة وحده ؟ كلا . بل لا بد من المساهمة بما يناسبها ، و يناسب نوعها كأنثى ، فهى تجلب الماء ، وتسقى الظماء

لو شاءت هذه الأسرة أن تعيش كسائر الناس لفرّ الرجل مع الذين فروا يوم أحد ، ولجلست المرأة فى بيتها آمنة مطمئنة ، ولا لوم عليها ، فالاسلام لم يوجب خروجها إلى القتال ، ولكنها تعلم أنه لم يحرمه ، بل ترك الباب مفتوحا لمن شاء ... ولكن هذه الأسرة لا تتصيد الرخص ؛ ولا تجدّ فى طلب العلل.

بمثل هذه الأسرة مكن الله للاسلام فى الأرض ، وكان الرجل والمرأة فى ميادين الشرف كالبنيان يشد بعضه بعضا . واذا تأملنا فى أحوال رجالنا ونسائنا فلا تقع العين إلا على مايخزى . و يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى ، نسأل الله العافية.

زكريا على يوسف

امام وخطيب مسجد الحصرى

صندوق الإعانة

لعل أحداً من أنصار السنة لايجهل الأثر البليغ الذى كان لانشاء (صندوق الإعانة) مستقلا عن مالية الجماعة والذى أرصد من أول إنشائه لإعانة المحتاجين من الإخوان خصوصاً ذوى العيلة منهم الذين لاتنهض مواردهم القليلة بما عليهم من نفقات .

ولقد جاء هذا الصندوق وقت الحاجة اليه فبقى به ماءوجوههم موفوراً وحالهم مستوراً . كما وقف ديدبانا لكل من يصاب منهم بمصيبة فتراه سرعان مايبادر إلى إسعافه ويسرع إلى نجدته وكم له فى الأعياد من أيادٍ بيضاء لولا خوف الإطالة لكتبنا عنها بيانا شافياً وسجلا وافياً لذلك ندعو أولى اليسار من إخواننا فى أى بلد كانوا أن يكتتبوا فى قرض يؤديه الضامن عشر أمثاله ويضاعف لمن يشاء فمن أراد أن يفوز بهذا الربح العظيم والكسب الحلال الطيب فليرسل ماتجود به نفسه لهذا الصندوق إلى حضرة محمد افندى صالح سليمان أمين صندوق الجماعة بعنوان دارها المعروف وخير البر عاجله خصوصاً فى هذه الأزمة العصيبة والأوقات التى ضاق بها متوسطوا الحال ذرعا فضلا عن الفقراء وليذكر الأخ المحسن قول الكريم سبحانه (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)

﴿ جماعة أنصار السنة برمل اسكندرية ﴾

فاتنا أن نذكر فى أسماء حضرات الاعضاء (محمد افندى محمود) فلزم التنبيه